جامعة وهران 1
Université d'Oran
أحمد بن بلة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
Faculté des sciences humaines et des sciences islamiques

قسم: الحضارة الإسلامية

أطروحة لنيل درجة الدكتوراه علوم في ''اللغة والدراسات القرآنية'' موسومة بـ:

المناسبة بين الآيات القرآنية وأثرها في توجيه المعنى.

من إعداد الباحثة **تحت إشراف الأستـــاذ**

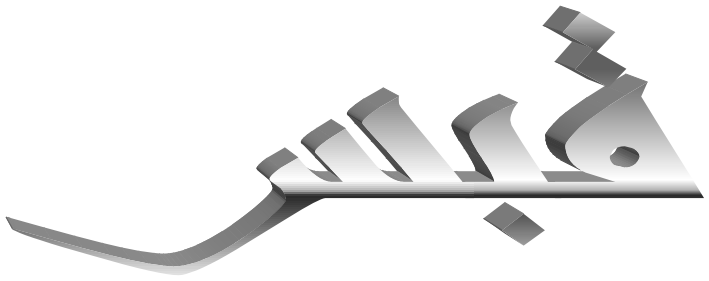
بوكروشة فوزية أ. د سلطاني الجيلالي

أعضاء لجنة المناقشة:

	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	أ.د قلاليلية العربي	أستاذ	وهران	رئيسا
02	أ. د سلطاني الجيلالي	أستاذ	وهران	مشرفاً
03	أ.د بن نعمية عبد الغفّار	أستاذ	وهران	مناقشاً
04	أ.د محمد بن عمر	أستاذ	تلمسان	مناقشاً
05	أ.د صدار نور الدين	أستاذ	معسكر	مناقشاً
06	أ.د مقدم محمد	أستاذ	غليزان	مناقشاً

السنة الجامعية: 2022/2021م


بسم الله الرحمن الرحيم



﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ

مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ

وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

[ص:28]

الإهداء

إلى روح والدي- رحمه الله-الذي لا يعزيني في فقده شيء سوى ما زرعه فينا من تعلق بالقرْآن وحب لطلب العلم.

إلى أمي حفظها الله وأطال في عمرها وأمدّها بوافر الصحة والعافية.

إلى روح أمي الثانية- أم زوجي رحمها الله- المرأة الطيبة التي كانت ستسعد جدا برؤية هذا العمل.

إلى زوجي وأولادي الذين ثابروا معي لإنهاء هذا البحث.

إلى إخوتي وأخواتي، وإلى صديقتي الصغيرة.

أهدي هذا العمل المتواضع.

الشكر

الحمد لله الذي بفضله تتمّ الصالحات، خالص الشكر له -جلّ وعلا- أولا وآخرا ظاهرا وباطنا وهو أهل لذلك فلولاه ما كان لينتهي هذا العمل.

وافر الشكر لكل من ساعد في إخراج هذا العمل إلى النور وعلى رأسهم السيد المشرف الأستاذ الدكتور سلطاني الجيلالي، والشكر له مضاعف، على جهده وصبره وحلمه، وأسال الله أن يجعل عمله في ميزان حسناته، وأن يمده بوافر الصحة والعافية.

الشكر موصول إلى اللجنة المناقِشة: على جهدها المبذول في تقويم هذا العمل المتواضع.

أشكر زوجي على صبره علي، وأولادي على تحملهم لي فترة إنجاز هذا العمل.

وإنه لتعجز كلماتي عن شكر من ساندني من بعض إخوتي وأساتذتي، وزملائي في العمل، فجزى الله الجميع عني خيرا.

مقـــدمـــة

مقدمة

"ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَآۜ" [الكهف: 1]

والصلاة والسلام على من أرسله اللهُ شاهدًا، ومُبَشِّرًا، ونذيرًا، صلاةً وسلامًا متلازمين أبدًا، ما ذكره الذاكرون وما شهد بنبوته الموحدون إلى يوم الدين، أما بعد:

لقد قضى الله سبحانه وتعالى لقرآنه أن يكون آخر الوحي المنزّل على الأنبياء للناس، وقدّر بحكمته أن يكون مهيمنا على ما سبقه من الرّسالات والكتب، وارتضى بحلمه أن يكون نبراسا وهدى لحياة الخلق كلهم، شاملا لجميع نواحيها على مرّ العصور، ولزم لذلك كلّه، أن يكون حجة قطعية دالّة على صدق النّبي محمد صلى الله عليه وسلم، وصدق ما جاء به، فلا يعتريه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يُدرج فيه ما ليس منه، ولا يُسقط منه ما ثبت في نصّه، فيتحقّق بذلك إعجازه في نظمه وأحكامه، وآياته وحِكمه.

وشاءت إرادته عزّ وجل أيضاً، أن يكون نزوله منجّماً مفرّقاً، في نيّف وعشرين سنة، رُتب فيها في الصدور حفظا، وخُطّ فيها على السّطور رسما، قال تعالى: "وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا" [الإسراء: 106]، وبذلك عكف الرّعيل الأول المبارك من الصّحابة رضوان الله عليهم على حفظه وفهمه والعمل بما جاء فيه، وتبعهم من بعدهم من التّابعين، عبر العصور؛ حيث كان فهم القرآن وتدبره واستنباط أحكامه، والبحث في أسراره أشرف العلوم وأعظمها أجراً.

وقد أودع الله في كتابه من الأسرار ما تُعجز كل مكابر أن يأتي بمثلها، لا في نظمه وإحكام سبكه وجلال معانيه، ولا في جمال ألفاظه وتناسق حروفه وأصواته، غير أنّ تلكم الصفات، لا يمكن أن تكون معجزة دون ائتلاف المعاني، وحسن ارتباط بعضها ببعض؛ فهذا الربط والمجاورة والترتيب، دفع بالمفسرين إلى اكتشاف أسراره، وتعليل إعجازه، ضمن ما يُصطلح بـ: "علم المناسبة"، والتي لاقت العناية منذ الإرهاصات الأولى للوحي، إلى أن صارت من دعائم الحِجاج، ومن وسائل التدبر؛ بل من ركائز علم التفسير والاستنباط؛ إذ عناها علماء القرآن وأهل التفسير والبلاغة وعلماء الأصول كل حسب تخصّصه

وتوجّهه. إلاّ أنّهم غير متماثلين في إدراكها؛ فمنهم المقتصد، ومنهم سابق بالخيرات، ومنهم من خفيت عليه.

وبناء على ما سبق ذكره وبيانه، صار حقا على كل من يروم بيان مراد الله من كلامه، أن يبيّن وجه المناسبة، ويربط بين السّابق واللّاحق من الآيات، حتى يوقن أنّ القرآن الكريم لا تفكّك فيه، وإنّما هو آيات متناسبة يأخذ بعضها بحُجَز بعض.

هنا تبرز أهمّية الموضوع، في محاولة إظهار قيمة هذا العلم، وامتثال أمر الله في تدبّر كلماته، وإدراك مقاصدها وحكمها، وكشف اللثام عن جهود العلماء في بيان تناسب الآيات -ولو بشكل موجز- من باب ما لا يُدرك كلّه، لا يُترك جلّه.

ولما كان لكلّ موضوع إشكالية جوهرية يتأسس منها، ارتأت الباحثة أن تصاغ إشكالية هذا الموضوع:

هل لترتيب الآيات الواحدة تلو أخرى، في سياق واحد ،سبب وسر؟ ما حقيقة علم المناسبة؟ وما أثر تلك الأسرار التي يجليها في تأويل وتوجيه المعنى بين الآيات القرآنية؟

وتتفرّع من هذه الإشكالية إشكاليات فرعية تتمثّل فيم يأتي من الأسئلة:

- ما المراد بعلم المناسبة؟ وما أهميته؟ وما التحديدات الزمنية لنشأته من علوم التفسير؟
- ما حجية علم المناسبة؟ وهل هو محل إجماع عند المفسرين؟
- ما هي طرق الاستدلال على المناسبة؟ وما علاقته بالتفسير الموضوعي؟
- كيف يمكن الربط بين العلل من ترتيب أجزاء القرآن وسياقه؟
- هل للمناسبة دور في استنباط مقاصد القرآن؟
- ما الروابط التي حددها العلماء لأجزاء الآية؟
- كيف تؤدي المناسبة دورها في استجلاء المعنى في الآية المنفردة ثمّ بين الآيات؟
- هل تقوم المناسبة بتوجيه المعنى وبيان التّرابط فحسب أم تتعدى ذلك إلى الترجيح بين الأقوال التّفسيرية؟

ولعلّ أسـباب اختيار الباحثة لهذا الموضـوع؛ تمتزج بين الأهداف الذاتية والموضـوعية، دون إخفاء التّخوف والرهبة، والشّـعور بعظم المسـؤولية من الخوض في كلام الله؛ لأنه يحتاج إلى التّمرس والملكة وسعة الاطلاع في كثير من العلوم:

لولا المَشَقَّةُ سادَ الناسُ كُلُّهُمُ الجودُ يُفقِرُ وَالإِقدامُ قَتّالُ

وَإِنَّما يَبلُغُ الإِنسانُ طاقَتُهُ ما كُلُّ ماشِيَةٍ بِالرَحلِ شِملالُ

وتجمع تلك الأسباب في الآتي:

- ارتباط هذا البحث بعلوم شتى يتعلق القلب بها وهي: علم التفسير وكفى به شرفا، وعلم الإعجاز والبلاغة وغيرها...
- أن موضوع البحث في رسالة الماجستير كان متعلقا بالفواصل القرآنية ،وتم التطرق في جزء يسير منه إلى التناسب فيها ، فكانت هذه الأطروحة بغية التوسع فيه أكثر.
- أهمية علم التناسب فهو اللحمة القرآنية التي ربما تخفى على كثير من العلماء.
- تتبع دراسة هذه الظاهرة عند العلماء، قديما وحديثا، وامتثال لأمر رباني بتدبر القرآن.
- الاهتمام بموضوع التناسب والترابط فِي الْقرآن الكريم باعتبارهِ من أبرز مناحي الإعجاز القرآني.

و قد تلخصت أهداف معرفة خبايا الموضوع في بيان المقاصد الآتية:

- نيل شرف البحث في القرآن الكريم من خلال علم التناسب.
- التماس ما ورد في التناسب بين الآيات القرآنية أن يكون عملاً ذا بال، كونه يستخلص علمًا جليلاً ويجمعه بعد أن كان منثورًا بين ثنايا الكتب.
- جمع الشّـتات في الموضـوع وفق منهجية علمية؛ ترجو الباحثة توفيق الله فيها؛ من خلال نهج قواعد البحث العلمي الحديث.
- السّعي إلى بسط الموضوع بصورة علمية مبسطة تيسيرا لتدبر القرآن ولو في بعض أجزائه.

- كثرة الأقوال في بيان المناسبة بين الآيات، واختلافها من مُفَسِّرٍ إلى آخر، وقد صلت إلى حدِّ التّكلف في بعض الأحيان حتى تطلب هذا العلم دراسة الاختلافات وبيان أنسبها وألطفها بعيدًا عن ذلكم التَّكلُّفِ.
- اختيار نماذج قرآنية تدعو القارئ إلى تدبّرها، خاصّة ما تعلّق منها بالمتشابه اللّفظي.
- التعريف بالأعلام ممن كان لهم الفضل في استجلاء هذا العلم من خلال عرض آرائهم والاستشهاد بأقوالهم.

وقصد الإحاطة بحيثيات الموضوع، كان لزاما معرفة الأطر النّظرية له؛ إذ حظي علم المناسبات بالدّراسة قديماً وحديثاً، غير أنّ غزارة التأليف فيه في هذا الزّمن، أدت إلى صعوبة التّحكم في المادة العلميّة التي تمّ جمعها.

غير أنّ القسم الثّاني من الموضوع، والمتمثل في توجيه المعنى به، لم ينل حقّه بالدّراسة المكثفة أو على الأقل المستقلة عن المغزى العام لهذا العلم، عدا القليل من البحوث، ومنها أطروحة قدّمها الباحث الدّكتور "علي كاظم أسد" في جامعة الكوفة العراق الموسومة بـ: **"أثر المناسبة في توجيه المعنى في النّص القرآني"**؛ حيث عرض فيها آراء المفسرين بخصوص التّناسب في الآية ثمّ بيّن الآيات ثمّ السّور مع تركيزه في عرض النّماذج على مفسرين أو ثلاث، وهذا ما يثبت أنّ الموضوع لا يزال يحتاج إلى دراسة معمّقة، خاصّة أنّ تاريخ هذا العلم يعود إلى زمن الصحابة.

ومن باب الإنصاف، تقرّ الباحثة أنّ ثمّة دراسات حديثة، غير أنّها تركّزت في كونها لغوية وبلاغية على اهتمت بالجانب النظري الغالب، أو تحديد لسورة أو سورتين من القرآن ،ومن تلكم الدّراسات ما يأتي بيانه:

- **"التّناسب البياني في القرآن: دراسة في النّظم المعنوي والصوتي"**، الباحث أحمد أبي زيد، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس الرّباط.
- **"المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرّازي"**، الباحث عبد الله بن مقبل القرني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

- **''التّناسب البلاغي في سورة لقمان''**، الباحث موسى بن درباش الزهراني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.
- **''الأسماء الحسنى ومناسباتها للآيات التي خُتمت بها''**، في ثلاث رسائل ماجستير لكلّ من الباحثين؛ فائقة محمد الحسيني، محمد مصطفى آيدين، عبد الودود مقبل حنيف، كلية الشّريعة، جامعة أم القرى وغيرها.

وأما ما تتميّز به هذه الدّراسة إضافة إلى جمعها بين الجانب النّظري والتّطبيق، هو السّعي بعون الله تعالى إلى إبراز المفاصل الآتية:

التّركيز على تنظيم ذلك الموروث وفق منهج البحث العلمي الحديث، وإيجازه دون الإخلال في عرض أهمّ المحاور المتعلّقة بعلم المناسبة، والمتعلّقة بدراساته المتنوّعة قديماً وحديثاً في جانبه النّظري.

استخراج التّعليل بالمناسبة في الآيات دون السّور، بالاعتماد على اجتهادات العلماء الباحثين فيه، سواء ضمن كتب التّفسير أم غير ذلك؛ قديما وحديثا، في الجانب التّطبيقي منه.

ولما كانت سلامة الطرح، تُحدّد أساساً من خلال الخطّة ومخطّط عرضها، ارتأت الباحثة عرض الدّراسة في هيكلة تتأسّس من مقدّمة ثمّ تمهيد تليهما أربعة فصول، ثمّ خاتمة ، ويمكن تفصيل ذلك كالآتي:

المقدّمة: وفيها أهمّية الموضوع، وأسباب اختياره، والدّراسات السّابقة، وحدود البحث وخطّته، والمنهج المتّبع فيه.

التّمهيد: وتضمن ثلاثة "مباحث لزم معرفة جوانبها"، وهي: الخصائص الإعجازيّة للقرآن الكريم، ترتيب الآيات والسّور، الرّأي والتّفسير بالرّأي، نظرة مجملة عن علم المتشابه، ثمّ المقصود بمصطلح التّوجيه.

الفصل الأول: يختصّ بعرض: **''ماهية علم المناسبة''** من خلال بيان؛ حدّ هذا العلم، فوائد العلم به أهمّيته وقواعده، ثم تاريخ نشأته.

الفصل الثّاني: وفيه دراسة لـــ: **''مكانة علم المناسبة من علوم القرآن''**؛ حيث وجد له ارتباط بمباحث عديدة منها: أسباب النّزول، الوقف، الابتداء، غير أنه تم الاقتصار على علاقته بالتّفسير الموضوعي وعلم السّياق، ومقاصد القرآن؛ إذ هي من المباحث التي تحتاج إلى مزيد الاهتمام ؛ بخاصّة مع التّداخل المسجّل بينها.

الفصل الثّالث: وفيه: **''توجيه المعنى بالمناسبة في الآيات القرآنية الواحدة''** بالبحث في أحوال ارتباط الآيات ببعضها أولاً، ثمّ دراسة الفواصل القرآنية من حيث إجلاء مفهومها وأحوال إيقاع المناسبة في مقاطعها، وتوجيه المعنى في مشكلات الفواصل، ثمّ دراسة العدول فيها.

الفصل الرّابع: ويتعلّق بأ: **''بيان أثر المناسبة بين الآيات''** من خلال عرض توجيه المعنى عند التّشابه والاختلاف في الألفاظ، ثمّ التّشابه والاختلاف في التّقديم والتّأخير، ثمّ التّشابه والاختلاف في الإيجاز والإطناب، ثمّ أسلوب التّكرار في القرآن والمناسبة فيه، ثمّ أثر المناسبة في ترجيح التّفسير.

الخاتمة: وفيها عرض أهمّ النّتائج.

وانتهج البحث مناهج علمية متنوّعة، تراوحت بين المنهج الوصفي التّحليلي في عرض الأسس النّظرية لماهية المناسبة، والفواصل، والتّفسير الموضوعي، وعلم السّياق، والمقاصد، وبيان ارتباطها ببعضها، ثمّ المنهج التّاريخي السّردي في ذكر تاريخ هذا العلم، وكذا المنهج الاستدلالي الذي يلامس مباحث التّرجيحات، ثمّ الاستقرائي الجزئي، وهو الغالب في الجانب التّطبيقي لهذا البحث.

وعموماً تتلخّص أسس البحث الخاصّة في الالتزام بما يلي:

- توثيق الإحالات من مصادرها إذا تمّ الاعتماد على مراجع ثانوية مساعدة.
- التّنويع في المصادر، بخاصّة القديمة منها؛ لأن بعضها لم يعد له ذكر في البحوث.
- الحرص على عرض آراء الباحثين دون تحوير، وذلك قصد تحقيق الموضوعية.
- الاكتفاء بالشّاهد الذي له علاقة مباشرة بموضوع البحث من الآية، ثمّ إتباعه أقوال المفسّرين، تبعاً.
- يتمّ البحث عن المسألة عند العرض التّاريخي منذ الصدر الأول للإسلام دون نسيان جهود المعاصرين.

- توثيق المعلومات في الهامش؛ بدءا باسم المؤلِف، ثمّ المؤلَّف، ثمّ باقي المعلومات.
- ترجمة جميع الأعلام المذكورين في المتن –عند الذّكر الأول لهم– وذلك بالاعتماد في الغالب على كتاب: **"الأعلام"** للزِّركلي؛ نظرا لاختصاره وسهوله إيجاد التّرجمة فيه.
- تخريج الآيات في المتن بالرّسم العثماني على رواية ورش عن نافع المعتمدة على العدّ الكوفي للآيات.
- يُكتفى –غالباً بالإحالة إلى راوٍ واحد عند تخريج الأحاديث، مع منح الأولوية للأصح في الباب، مع الإشارة إلى رقم الحديث وصفحته وفق الجزء من الكتاب.
- تخصيص الدّراسة – عند توجيه المعنى بين الآيات– للآيات الوحيدة في المتشابه اللّفظي، لما لها من الأثر البليغ في تدبّر الاختلاف.
- إيراد أقوال مَن تكلَّم من المفسّرين في المناسبات لموازنتها، وعند تماثلها، يكتفى بالإحالة للأقدم منهم وفاة، وقد يُشار إلى الباقي في الحاشية.
- انتقاء التّفاسير حسب ما يغلب عليها؛ ففي باب البلاغة الكشّاف أولى، وفي باب النّحو والإعراب الدّر المصون أو البحر المحيط، وفي توجيه المتشابه ملاك التّأويل، درّة التّنزيل، أسرار التّكرار وغيرها، ويتخلّلها في بعضها نظم الدّرر حسب وضوح المناسبة التي تُذكر فيه ، دون إهمال لتفاسير المعاصرين.
- استخدام رموز خاصّة سيبيّنها جدول الرّموز.
- وضع مسارد للآيات والأحاديث والأشعار والأعلام، وترتيبها، هجائيا عدا الآيات، فهي على ترتيب المصحف.
- ثبت المصادر والمراجع حسب التّخصصات والفنون، وترتيبها ترتيباً هجائياً.

وما يسع الباحثة أخيراً، وبعد العقبات والصّعوبات التي واجهتها في خوض غمار هذا الموضوع الشّاق والماتع في الآن نفسه، إلّا أن تُتَوّجه بحمد الله وشكره على توفيقه وفضله، وشكر كلّ من ساعد في إتمامه يتقدّمهم بوافر القسط من الشّكر والتّقدير، والاعتراف بفضل صبره وحلمه وتوجيهه، أستاذي المشرف أ.د. سلطاني، ثمّ أعضاء لجنة المناقشة الموقّرة، وكلّ زملائي في العمل.

"إِنۡ اٍرِيدُ إِلاَّ أَلِاصۡلَحَ مَا اٍسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِىَ إِلاَّ بِاللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ اٍنِيبُ "
[هود: 88].

الرمز	دلالته
(../..)	(الجزء/الصفحة)
((ص))	(الصفحة من الحاشية)
(تاريخ هجري)	تاريخ الوفاة
(د.ت.ط)	(بدون تاريخ الطبع)
(د.ر.ط)	(بدون رقم طبعة)
(د.م.ط)	(بدون مكان الطبع)
(ص..)	الصفحة
أ.د	أستاذ دكتور
تح:	تحقيق
د.	دكتور
س	سنة
ط	رقم الطبعة
ع	عدد المجلة
م.س	مصدر أو مرجع سابق
م.ن	المصدر أو المرجع نفسه

التمهيد:

(مباحث لازمة)

المبحث الأول: الخصائص الإعجازية للقرآن الكريم:

المبحث الثاني: ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره.

المبحث الثالث: نبذة عن الرأي في التفسير:

المبحث الرابع: نظرة مجملة حول المتشابه القرآني:

المبحث الخامس: المقصود بمصطلح توجيه المعنى:

تهيئة لذهن القارئ إلى ما سيرد في صلب البحث ؛ يهدف هذا التمهيد إلى الوقوف على بعض المباحث التي يجب معرفتها والاطلاع عليها قبل الولوج إلى الجوانب التطبيقية من الدراسة ، كما يمكن أن تكون منطلقاً بحثياً تساعد في الرجوع إلى المصادر والمراجع، التي حرصت الباحثة –ما استطاعت– أن تنوع فيها بين قديم وحديث، بالإضافة إلى تحديد بعض الاصطلاحات أو المفاهيم التي تعد منطلقا مهما لما سيأتي لاحقا.

وتتمثل هذه المباحث في:

- عرض للخصائص الإعجازية للقرآن الكريم.
- ترتيب آيات القرآن وسوره.
- نبذة عن الرأي في التفسير.
- نظرة مجملة حول المتشابه القرآني.
- بيان المقصود بمصطلح التوجيه في هذه الدراسة.

المبحث الأول: الخصائص الإعجازية للقرآن الكريم.

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز.

المطلب الثاني: وجوه الإعجاز القرآني.

المطلب الثالث: القدر المعجز من القرآن.

لما كانت الرسل –عليهم السلام– قبل محمد –صلى الله عليه وسلم– يبعثون إلى أقوامهم خاصة ولأزمنة محدودة ،فقد أيدهم الله ببينات حسية، كالعصا لموسى –عليه السلام– وإحياء الموتى بإذن الله على يد عيسى –عليه السلام–، ولما ختم الله الرسالات بمحمد –صلى الله عليه وسلم– ضمن له حفظ دينه، وأيده هو كذلك بمعجزات حسية؛ من ذلك نبع الماء بين أصابعه وحنين الجذع، وتسبيح الحصى، وزاده على ذلك بمعجزة كبرى تبقى بين أيدي الناس إلى قيام الساعة، ألا وهي القرآن الكريم. هذه المعجزة التي يتجدد عطاؤها مع كل فتحٍ بشري في آفاق العلوم والمعارف ذات الصلة بمعاني الوحي الإلهي.

فمعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، في نظمه ،ومعانيه و فيما حوى من أحكام وحِكم وغيبيات لا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون، يدل على صحة دعواه، فيعم الشاهد والغائب، الحاضر والبائد.

والبحث في الإعجاز أصل البحوث الشرعية كلها؛ فصدقها من صدق القرآن؛ وصدق القرآن ركيزته الإعجاز.

ومنه كان هذا المبحث وفيه: معنى الإعجاز، إجمال رأي العلماء فيه، وجوهه، خصائص أسلوب القرآن، ثم تحديد القدر القرآني الذي يقع به الإعجاز.

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز:

وفيه تعريفه والآراء في كيفية وقوعه.

أولا:تعريف الإعجاز:

في الإطلاق اللغوي: الإعجاز من فعل أعجز من العجز، يقول ابن فارس (395هـ): "العين والجيم والزاء[1] أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء.فالأول عجز عن الشيء يعجز عجزاً، فهو عاجز، أي ضعيف. وقولهم إن العجز نقيض الحزم فمن هذا لأنه يضعف رأيه"،

(1)-للحرف (ز) خمسة أوجه عند العرب:1– منهم مَن يمُدُّه فيقول: زاء،2– ومنهم مَن يقول: زاي.3– ومنهم مَن يقول : زا بالقصر. 4– ومنهم مَن يقول: زًا بالتنوين؛ وهذا أقبح الوجوه؛ لأنه لم يأت اسم على حرفه ويُنوَّن.5–ومنهم مَن يقول: زيّ بتشديد الياء. ولا وجود لمن ينطقه: زين. ينظر: جميل بن مصطفى بك العظم(ت1352هـ)،**الصُّبابات فيما وجدته على ظهر الكتب من الكتابات**،دار البشائر الإسلامية، بيروت لبنان ،1420هـ–2000م،(ص52).

ويقولون: "المرء يعجز لا محالة"، ويقال: "أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه"[1]، وفي لسان العرب: الإعجاز"من العجز وهو نقيض الحزم، والعجز الضعف، والتعجيز التثبيط"[2].

في الاصطلاح: "إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به"[3]، "وليس مقصوداً لذاته، بل المقصود لازمه؛ وهو إظهار أن القرآن حق وأن من جاء به حق"[4].

يقول الله عز وجل: ﴿ **قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ [الإسراء: 88]؛ هذه الآية تنص على كبر التحدي الذي عرضه-تعالى- على جميع خلقه من الإنس والجن، والتصريح بعدم إمكانية رفعه، حتى لو تعاونوا جميعاً. وهي أحكم آية دلت على إعجاز كلامه السرمدي.

ومن أروع وأبلغ ما وُصف به قول **السكاكي**[5] (626هـ) حين قال: "واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن يدرك ولا يمكن وصفها"[6]، بل لا يُدرك التعبير عن وصفه، "كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها... وكما يدرك طيب النغم العارض لهذا الصوت؛ ولا يُدرك تحصيله لغير ذوي الفطرة السليمة، إلاّ بإتقان علمي المعاني والبيان والتمرين فيهما"[7].

(1)- ابن فارس: أحمد بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (المتوفى: 395هـــ)، **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر-بيروت، 1399هـ/1979م، د.ط، (4/ 232).

(2)- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (630هـ-711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر-بيروت، 1412هـ/1992م، (7/ 236)، مادة (عجز).

(3)- الزرقاني: محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار الكتب العلمية-بيروت، 1416هـ/1996م، (د.ر.ط)، (2 / 354).

(4)- الزرقاني، **م.ن**، (2 / 354).

(5)- **السكاكي**: يوسف بن أبي بكر محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب سراج الدين (555هـ/626هـ) عالم بالعربية والأدب مولده ووفاته بخوارزم، من كتبه مفتاح العلوم، رسالة في علم المناظرة. (الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (1396هـ)، **الأعلام لقاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ، دار العلم للملايين، ط15، مايو 2002 م ،(8/ 222).

(6)- السكاكي: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (626هـ)، **مفتاح العلوم**، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط2،1407هـ/1987م، (ص 416).

(7)- السيوطي: جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر(911هـ)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، تح: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، (د.ر.ط) ، (د.ت.ط)،(1/ 4-5).

والآية السابقة ،لم تكن الوحيدة التي تحدى فيها رب العزة-جل وعلا- المنكرين لكلامه أن يأتوا بمثله في سورة، أو بعض سورة فقال: **أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ**" [هود:13]. وقوله: "**أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ**﴾ [الطور: 33-34].

ثانيا:بما يقع الإعجاز: اختلف في إدراك هذا الإعجاز على أقوال عدة:

القول الأول: [1]من قال أن ذلك التحدي وقع بالكلام القديم، الذي هو صفة ذات الله-عز وجل-، ووفق هذا الرأي، فإن العرب كلّفت في ذلك ما لا تطيق. وهذا الزعم مردود؛ لأنه لا يعقل التحدي بما لا يمكن الوقوف على ماهيته؛ حيث لا يمكن لذات الله أن تُتصور، وهذا ما صرّح الباقلاني[2](403هـ) به حيث قال: "الذي تحداهم به، أن يأتوا بمثل الحروف، التي هي نظم القرآن. منظومة كنظمها متتابعة كتتابعها، مطّردة كاطّرادها. ولم يتحداهم إلى أن يأتوا بمثل الكلام القديم الذي لا مثيل له"[3].

ثم أضاف دليلاً آخر يدحض به من زعم هذا الزعم، هو أن كل من التوراة والإنجيل عبارة عن كلام الله القديم. وهما ليسا معجزين لا في النظم، ولا في التأليف...[4]. **الثاني**: زعم آخرون وهو النظام[5]

(1)-يراجع: السيوطي: محمد أبو الفضل إبراهيم ،**الإتقان في علوم القرآن**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974 م ،(د.ر.ط) ،(7/4).

(2)- **الباقلاني**: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر (338-403هـ/950-1013م)، قاض من كبار علماء الكلام، انتهت إليه رئاسة مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة وسكن بغداد، من كتبه: إعجاز القرآن، الإنصاف مناقب الأئمة...(الزركلي، **م.س**، (7/ 46)، (مح)).

(3)- الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن**، تح: أحمد صقر، دار المعارف-مصر، ط 1963م، (د.ر.ط)،(260).

(4)– الباقلاني، **م.ن**، (ص 260).

(5)- **النظام**: إبراهيم بن يسار بن هانئ البصري أبو إسحاق (...، 231هـ/...، 845م) من أئمة المعتزلة تبحر في علوم الفلسفة، صاحب فرقة النظامية، اتهم بالزندقة، وكان شاعرا أديبا بليغا. وله كتب كثيرة في الفلسفة والاعتزال وأستاذ الجاحظ. (الزركلي، **م.س**، (1/ ص 36) (أب)).

(231هـ) ومن تبعه، وأبو إسحاق الإسفراييني(1) -من أهل السنة-أن الإعجاز وقع بالصرفة حيث أن الله -عز وجل صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم، وكان مقدورا لهم، ولكن أعاقهم أمر خارجي!(2).

وأصل هذا الزعم، أن بعض المتفلسفين من المسلمين اضطلعوا على أقوال البراهمة(3) في كتابهم (الفيدا) وهو الذي يشتمل على مجموعة من الأشعار، ليس في كلام الناس ما يماثلها -في زعمه- ويردفون أن (براهما) صرفهم عن أن يأتوا بمثلها. ومنهم من يصرح بأن في مقدورهم الإتيان بمثلها ولكنهم ممنوعون من ذلك احتراماً لهم. وفي عهد أبي جعفر المنصور (150هـ) ومن والاه تلقّف البعض هذه الفكرة وطبّقوها على القرآن(4). وهذا القول مردود من وجوه:

أ. أن الآية: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الإسراء: 88]."تدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا لم تبقى الفائدة لاجتماع الإنس والجن.. لأنهما في حكم الموتى"(5). وعلى هذا يصبح إلحاق صفة الإعجاز للقرآن ضرباً من اللغو؛ حيث لا يُعقل، ولا يمكن تحدي الموتى -وفق هذا الزعم-.

ب. أنه لا يقال فيمنُ سلب القدرة على شيء، إن الشيء أعجزه. ما دام في مقدوره أن يأتي به في وقت ما. وإنما المعجز حينئذ هو قدر الله،وليس القرآن... (6). وهذا شبيه برد الباقلاني (403هـ) حيث

---

(1)- **الإسفراييني**: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق: (...-418هـ/...-1027م) عالم بالفقه والأصول، لُقب بركن الدين، نشأ في إسفرايين ... من كتبه: الجامع في أصول الدين، ورسالة في أصول الفقه، وهو ثقة في الحديث، وله مناظرات مع المعتزلة مات بنيسابور ودفن بإسفرايين. (الزركلي، **م.س**، (1/ 49)، (أب)).

(2)- السيوطي، **الإتقان**، (2 / 118).

(3)- **البراهمة**: البراهمة: وهم طائفة من مجوس الهند لا يجوزون على الله تعالى بعث الأنبياء، ويحرمون لحوم الحيوان ،وهم في الأصل خدمة إله الهنود برهما..ينظر:ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين (المتوفى: 840هـ) ،العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم،تح: شعيب الأرنؤوط،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،ط3، 1415 هـ - 1994 م (288/1)،وكذا: الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد (548هـ)،الملل والنحل،مؤسسة الحلبي،درط ، دت ط،(11/1)

(4)- أحمد جمال العمري، **المباحث البلاغية في ضوء الإعجاز نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري**، مطبعة المدني-القاهرة، 1410هـ/1990م، (د.ر.ط)، (ص 27).

(5)- السيوطي، **الإتقان**، (2/ 118).

(6)- مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1، 1406هـ/1986م، (ص 261).

قال: "ومما يبطل ما ذكروه من القول يالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة –وإنما منع منها الصرفة– لم يكن الكلام معجزاً وإنما يكون المنع هو المعجز، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه"(1).

الثالث من الأقوال: زعم البعض، أن الكل قادرون على الإتيان بمثله، وإنما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيبه. ولو تعلموه لوصلوا إليه به(2). ذكر هذا القول الباقلاني (403 هـ) ولم يرد عليه، لأن فساده ظاهر من وجه جهلهم ترتيبه، فصاروا بذلك عاجزين.

وذكر السيوطي (911هـ) زعماً آخر ولم يرد عليه؛ أن العجز وقع منهم. وأما من بعدهم، ففي قدرته الإتيان بمثله(3)، وهذا كذلك مردود لأمرين:

- ✔ أن العرب وقت نزول القرآن كانوا أقدر من غيرهم ممن هم من بعدهم(4). لطول باعهم في الفصاحة والبلاغة. وأنه لم تثبت محاولة معارضة من أحدهم –إلاّ اللّمم الضعيف–.
- ✔ أنه لم تثبت معارضة لمن بعدهم وصلت إلى حد البراعة الكبيرة للنص القرآني وهذا مثال عن تلك المعارضة الواهية، وهو قول منسوب إلى أبى العلاء المعري(5) (449هـ)(6): "أقسم بخالق الخيل، والريح الهابة بليل، إن الكافر لطويل الويل وإن العمر لمكفوف الذيل، تعدّ مدارج السيل، وطالع التوبة من قبيل، تنج وما أخالك بناج"(7).

فأهم ما يميز هذا الكلام– وإن كان منمقاً وذا معان جليلة– غير أنه خال من تلك الرهبة التي تنبعث عن قراءة القرآن أو الاستماع إليه؛ هذه الرهبة الناجمة عن جلال الربوبية وصفات الله عز وجل.

---

(1)– الباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم(403هـ)، **الانتصار للقرآن**، تح: محمد عصام القضاة، دار الفتح– عَمَّان، دار ابن حزم–بيروت، ط1، 1422هـ/2001م (ص 30).

(2)– الباقلاني، **م.ن**، (ص 31).

(3)– السيوطي، **الاتقان**، (2/ 118)، والأقرب إلى الصواب أن المتأخر أعجز من المتقدم.

(4)– البوطي محمد سعيد رمضان الملا، **من روائع القرآن**: **تأملات علمية وأدبية من كتاب الله عزوجل**، مؤسسة الرسالة–بيروت، 1416هـ/1996م، (د.ر.ط)، (ص 131).

(5)– **أبو العلاء المعري**: (363–449هـ/973–1057م): أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي شاعر فيلسوف ولد ومات في معرة النعمان، كان نحيف الجسم، عمي في صباه، قال الشعر وهو ابن 11 سنة، كان يحرم إيلام الحيوان ولم يكن يأكل اللحم 45 سنة، من مصنفاته: لزوم ما لم يلزم، سقط الزند، ضوء السقط... (الزركلي، **م.س**، (1/ 150–151).(أح)).

(6) – ذكر الشيخ البوطي رحمه الله في كتابه روائع القرآن أن القول نقل زورا عنه تراجع: (ص 131–132) من هذا الكتاب.

(7)– البوطي، **م.ن**، (ص 131).

المطلب الثاني: وجوه الإعجاز القرآني:

كثرت الدراسات، واستفاضت البحوث في تبيان أوجه الإعجاز للقرآن. فما من عصر إلا وقدمت فيه مجموعة من الدراسات والآراء تحاول كشف أوجه إعجاز القرآن تلك، مما أزخى الدراسات القرآنية واللغوية البيانية بكنوز لا تفنى ذخائرها ولا تبيد[1].

واختلف أهل العلم في حصر هذه الوجوه، وصلت إلى حد الثمانين وجهاً[2] ،كلها حكمة وتحتمل الصواب."فلا يسع أيُّ باحث في كتاب الله تعالى أن يحيط بوجوه إعجازه كلها، ولا بأكثرها"[3].

والجدير بالذكر هاهنا أن تعدد الآراء في بيان أوجه إعجاز القرآن وتنوع الوجهات في دراستها ليس تنوع اختلاف وتعارض، إنما هو تنوع ناشئ من غزارة فنون هذه المعجزة وعظمتها، مما يجعل أي فكر أو أي عصر من العصور عاجزا عن استنفاد أوجه إعجاز القرآن والإحاطة بها خبرا.[4]

والذي يميل البحث إليه أنه لا يصح حصر الإعجاز في وجه معين، ولا في قدر معين، فهو موجود في أصوات حروف القرآن، ووقع كلماته، كما يوجد في الآية والسورة، فالقرآن كلام الله وكفى.

وأيًّا كان وجه الإعجاز، أو القدر المعجز. فإن الباحث المنصف الذي يطلب الحق ،إذا نظر في القرآن من أي النواحي أحب: من ناحية أسلوبه، أو من ناحية علومه، أو من ناحية الأثر الذي أحدثه في العالم وغير به وجه التاريخ، أو من تلك النواحي مجتمعة، وجد الإعجاز واضحاً جلياً[5].

ولذا اجتهد بعض المعاصرين في جمعها وضبطها ليسهل الإلمام بها، وتم حصرها جميعها في قسمين اثنين: الأول خاص بإعجازه من حيث البيان. والثاني من حيث المضمون[6].

---

(1) –نور الدين عتر،علوم القرآن،(ص204)

(2)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 3).

(3)- محمد بكر إسماعيل، **دراسات في علوم القرآن**، دار المنار-القاهرة، ط2، 1419هـ/1999م، (ص 351)

(4) –نور الدين عتر،**م.س**، (ص205)

(5)- مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، (ص 272).

(6)- نور الدين عتر، **القرآن والدراسات الأدبية**، المطبعة الجديدة-دمشق، (د.ر.ط)، 1407هـ/1987م، (ص 165).

أولا :إعجاز القرآن من حيث البيان: هذا القسم من أعظم جوانب الإعجاز في القرآن، لأنه السمة العامة لجميع آياته[1] وهو يشمل وجوها، ذكرها القاضي عياض (544هـ)[2] وغيره وهي[3]:

1. النظم العجيب، والأسلوب الغريب، المخالف لأساليب كلام العرب، ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيته وانتهت فواصل كلماته إليه ،فلم يُهتد إلى مثله في جنس الكلام من نثر أو نظم ،حيث جمع بين مزايا كل من النثر والشعر جميعاً، فأعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة. وأخذ في الوقت ذاته من الشعر نغمه الداخلي والفواصل المتقاربة التي تغني عن التفاعيل ،والتقفية المتقاربة التي تغني عن القوافي [4].

2. الحسن في التأليف والالتئام في كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه ، وإطنابه ،وتقديمه وتأخيره وبلاغته الخارقة عادة العرب، رغم أنهم كانوا أفدادا في هذا الشأن وفرسان الكلام [5].

3. التفنن في التصرف في لسان العرب، على وجه لا يستقل به عربي ومن ذلك ثلاثة أمور هي:

الأمر الأول : تعبيره عن طلب الفعل من المخاطبين بوجوه كثيرة :[6] كالأمر الصريح أو الإخبار بأن الفعل مكتوب عليهم كقوله —عزّ وجل-: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: من 182]. أو بكونه "عليهم" كقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ

(1)- نور الدين عتر، **م.ن**، (ص 165).

(2)- **عياض**: (476-544هـ/1083-1149م) أبو الفضل بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي ولي قضاء سبتة ومولده فيها ثم قضاء غرناطة وتوفي بمراكش من تصانيفه: الشفا، الغنية في ذكر مشيخته، وشرح صحيح مسلم. (الزركلي، **م.س**، (5/ 282)، (عي)).

(3)- القاضي عياض (554هـــ): أبو الفضل اليحصبي، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وبهامشه مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفا**، لأحمد بن محمد بن محمد الشـمسـي (872هـ)، دار الفكر-سـوريا، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (1/ ص 258-268) بتصـرف. والباقلاني، **م.س**، (ص 36).ويراجع :القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصـاري الخزرجي شـمس الدين (671هـ)،**الجامع لأحكام القرآن**،تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة،ط2، 1384هـ - 1964 م، (73/1-74)

(4)- سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، دار الشروق-بيروت، ط7، 1402هـ/1982م، (ص 102).

(5)- القاضي عياض، **الشفا**، (1/ 258).

(6)- يراجع: الزرقاني، **مناهل العرفان**، (2/ 341-342).

﴿مَن اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: من 97]، أو الإخبار عن المخاطب بالفعل ذاته نحو قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة:من 226]، والإخبار عن الفعل بأنه خير، أو أنه بر، أو بالفريضة، أو بترتيب الفعل على شرط قبله كقوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: من 196]. أَوْ ترتيب لوعيد على الفاعل. أو العقاب عن عدمه... وغيرها.

الثاني:تعبير القرآن عن النهي بالإتيان بمادة النهي عن الفعل، أو التحريم، أو نفي الحل عنه

أو بحرف النهي(لا)، أو بوصفه بالشر، أو أنه مقرون بالوعيد والإثم، والإخبار بأنه من عمل الشيطان والأمر باجتنابه، ورجاء الفلاح في تركه، وترتيب المضار على فعله...

الثالث:ومنها تعبيره عن إباحة الفعل بالتصريح بحله، وبالأمر مع قرينة صارفة عن الطلب، ونفي الحرج والإثم عنه، ونفي الجُناح عنه في غير ما ادعى فيه الحرمة، وإنكار تحريمه في صورة الاستفهام، ووصفه بالرزق الحسن...

وكان هذا التفنن العجيب في تصريف الكلام، مما لفت نظر العرب وانتباههم. وقد سمع الوليد بن المغيرة (1هـ) [1] قارئاً يقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[المائدة: 01-02]، فحرّك الوليد رأسه تعجباً وقال كلمة هامة في إعجاز الآية: "جمع الأمر والنهي، والاستخبار والحظر والإباحة والترغيب والترهيب، والنداء والجواب. أشهد أن هذا ما خرج من فم بشر ثم استرجع وقال: إن هذا إلاّ سحر يؤثر إن هذا إلاّ قول البشر"[2].

---

(1)- **الوليد بن المغيرة (95 ق.هـ، 1هـ/530م،622م)**: بن عبد الله بن عمر بن مخزون أبو عبد شمس، من قضاة العرب في الجاهلية ومن زعماء قريش، يقال له العدل، لأنه كان عدل قريش كلها، كانت قريش تكسوا البيت عاما وهو يكسوها عاما، وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية...وهو قال عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ساحر، مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر ودفن بالحجون. (الزركلي، **م،س**، (9/ 144)، (ول)).

(2)- الباقلاني، **نكت الانتصار لنقل القرآن**، تح: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف-الإسكندرية. (د.ر.ط)، (د.ت.ط). (ص 275).

4."الإبداع في كل لفظة من الكلام على انفرادها، متضمنة لوناً أو لونيين من البلاغة، حسب

قوة الكلام وما يعطيه معناه، بحيث يأتي في الجملة الواحدة عدة ضروب من البلاغة. ولا تخلو لفظة واحدة من لون بلاغي فأكثر. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ [هود: 44]، إذ عثر فيها ابن أبي الإصبع[1] (654هـ) على إحدى وعشرين ضرباً من البديع"[2].

5. تأليف القرآن الصوتي في شكله وجوهره. فمسحة القرآن اللفظية، مسحة خلابة عجيبة. تتجلّى في ذلك النظام الصوتي وغنّاته واتصالاته وسكناته... وهو أول شيء أحسّته الآذان العربية أيام نزول القرآن[3].

6.خطابه العامة والخاصة: إذ لو قُرأ على العامة، أحسّوا جلاله، وذاقوا حلاوته، وفهموا منه على قدر استعدادهم ما يرضي عقولهم وعواطفهم[4]. وكذلك الخاصة، إذا قرأوه أو قرئ عليهم؛ أحسّوا جلاله، وذاقوا حلاوته، وفهموا منه أكثر مما يفهم العامة[5].

7. القصد في اللفظ مع الوفاء بالمعنى: فتجد اللفظ فيه، قد تم تخليصه من كل ما عسى أن يكون من الفضول فيه، مع إيفائه بالمعنى وتجليته لصورته كاملة؛ دون إسهاب أو إكثار أو زيادة[6]، ومن ذلك قوله عزّ وجل: ﴿**خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ**﴾ [الأعراف: 199] ، قد جمع

---

(1)- يقول عنها في تحرير التحبير: "فهذه آية عدة ألفاظها سبع عشرة لفظة تتضمن إحدا وعشرين ضرباً من البديع غير ما يتعدد من ضروبها" ويقول في موضع آخر: "وما رأيت في جميع ما استقريت من الكلام المنثور والشعر الموزون كآية كريمة من كتاب الله تعالى: استخرجت منها إحداً وعشرين ضرباً من المحاسن، وهي قوله تعالى الأية... وهذه الضروب هي: المناسبة، والمطابقة والمجاز والاستعارة، والتمثيل والإرداف والتعليل، والاحتراس والإيضاح، والمساواة، وحسن النسق ،وائتلاف اللفظ مع المعنى،والإيجاز، والتسهيم، والتهذيب، والتقديم والتأخير والحذف المخل والزيادة المسهبة وحسن البيان، والتمكين، والانسجام.يراجع: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (654هـ)، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر**، تح: حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-لجنة إحياء التراث الإسلامي-الجمهورية العربية المتحدة- (د.ر.ط)، (د.ت)، (ص 611-614)

(2)- نقلها أيضا:نور الدين عتر، **علوم القرآن**، (ص 168-169).

(3)- الزرقاني، **مناهل العرفان**، (2/ ص 331-332).

(4)- الزرقاني، **م.ن**، (2/ 335) و نور الدين عتر، **م.س**، (ص 210 وما بعدها).

(5)- الزرقاني، **مناهل العرفان**، (2/ 39)و نور الدين عتر، **م.س**، (ص 210 وما بعدها).

(6)- الزرقاني، **م.ن**، (2/ ص 346-347)و نور الدين عتر، **م.س**، (ص 210 وما بعدها)..

بهذا الكلام كل خلق عظيم؛ لأن في أخذ العفو صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين وإعطاء المانعين. وفي الأمر بالعرف تقوى الله، وصلة الأرحام، وصون اللسان عن الكذب، وغضّ الطرف عن الحرمات... وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم، وتنزيه النفس عن مماراة السفيه، ومنازعة اللّجوج[1].

8.إقناع العقل وإمتاع العاطفة: حيث يخاطب العقل والقلب معاً، ويجمع بين الحق والجمال ومن مثل قوله عزّوجل: ﴿**وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [فصلت: 38]. فالسياق استدلال يهز القلوب ويمتع العاطفة وكذا يقنع العقل –هنا– بحقيقة النشور[2].

"وعلى هذا تراه في فسحة قصصه وأخباره؛ لا ينسى حق العقل من حكمة وعبرة وفي معمعة براهينه وأحكامه؛ لا ينسى حظ القلب من تشويق وتزويق، وتحذير وتنفير وتهويل وتعجيب. يبثّ ذلك في مطالع آياته ومقاطعها وتضاعيفها..."[3].

9. تآلف ألفاظه ومعانيه: التآلف في الألفاظ؛ ألاّ تكون بينها ثغرة في المخارج، ولا في النغم. بل تتآخى في نسق واحد[4]. وهذا ما عبّر عنه الباقلاني (403هـ): "واعلم أن هذا علم شريف المحل عظيم المكان قليل الطلاّب، ضعيف الأصحاب. ليس له عشيرة تحميه، ولا أهل عصمة تفطن لما فيه. وهو أدق من السحر. وأهول من البحر. وأعجب من الشعر".

وكيف لا يكون كذلك؟ وأنت تحسب أن وضع "الصبح" في موضع "الفجر" يحسن في كل كلام، إلا أن يكون شعراً أو سجعاً، وليس كذلك، فإن إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع، وتزل عن مكان لا تَزِلُ عنه اللفظة الأخرى، بل تتمكن فيه، وتضرب بجيرانهاً. وتراها في مظانها، وتجدها فيه غير منازعة إلى أوطانها، وتجد الأخرى لو وضعت موضعهًا في محل نفار، ومرمى شراد، ونابية عن استقرار ..." [5].

---

(1)- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، **تأويل مشكل القرآن**، تح: أحمد صقر. دار التراث–القاهرة، ط2، 1393هـ/1973م، (ص 4–5).

(2)- الزرقاني، **م.س**، (3 / 336).

(3)- نور الدين عتر، **القرآن والدراسات الأدبية**، (ص214).

(4)- نور الدين عتر، **م.ن**، (ص 214).

(5)- الباقلاني، **م.س**، ، (ص 184).

"وأما التآلف في المعاني؛ فألاّ يكون معنى لفظ نافراً من المعنى الذي يليه. وأن تتآلف الألفاظ والمعاني، وما تثيره من الصور والأخيلة..."[1].

وهذه الخصوصية مستوفاة في جميع القرآن، فلا تجد فيه وحشياً مستكرهاً أو غريباً مستنكراً. ويبعد عن التصنع والتكلف ويقرب إلى الفهم [2] وهو ما يؤكد يقيناً أن هذا الكلام ليس من نسج أي بشر، بل هو من عند حكيم خبير.

10. جمعه بين الإجمال[3] والبيان[4]: [5]فتسمع الجملة منه وإذا هي مجملة بيّنة في آن واحد، وإذ تبدو للوهلة الأولى واضحة المغزى، لا تحتاج إلى بحث. وإذا أمعن النظر فيها لاحت منها معان جديدة...[6] (ولعله السر الكامن وراء اختلاف المذاهب الفقهية).

هذا عن وجوه القسم الأول:

ثانيا:إعجاز القرآن من حيث المضمون:

وهو يضم كل من: العلوم التي اشتمل عليها القرآن، إخباره عن المغيبات، ما اشتمل عليه من تشريعات، اتساق نظرياته وأحكامه، تأثيره في النفوس. وهذا تذليل لها.

1. **العلوم التي اشتملت عليها**[7]: فقد ضم معارف كثيرة؛ تتناول العقائد والعبادات والمعاملات. والحياة والأحياء، والكون والطبيعة، والأخلاق[8]؛ حقائق علمية لم يكتشفها

---

(1)- نور الدين عتر، **م.س**، (ص 214).

(2)- الباقلاني، **الإعجاز**، (ص 46).

ايراجع: (الآمدي: سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد ،**الإحكام في أصول الأحكام**، تح: إبراهيم العجوز. دار الكتب العلمية-بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (3/ 10-12)).

(4)- **المبين**: ويراد به ما كان من الخطاب المبتدأ المستغني بنفسه عن بيان، أو ما كان يحتاج إلى بيان وورد عليه بيانه وذلك كاللفظ المجمل إذا بُيّنَ المراد منه، والعام بعد تخصيصه، والمطلق بعد تقييده... يراجع: (الآمدي، **م.ن**، (3/ 25)).

(5)- السيوطي، **معترك الأقران**، (1/ 217 وما بعدها).

(6)-يراجع: الزرقاني، **م.س**، (2 / 346).

(7) - السيوطي، **معترك الأقران**، (1/ 14).

(8)- نور الدين عتر، **م.س**، (ص 215).

العلم إلاّ مؤخراً. وهذا أكبر دليل على أنه من عند الله؛ كون النبي صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب...[1].

فهذا موريس بوكاي[2]في كتابه: -دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة- يعبر عن دهشته من القرآن الكريم فيقول: "إن أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه القرآن لأول مرة؛ هو ثراء الموضوعات المعالجة. فهناك الخلق، وعلم الفلك، وعرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض، وعالم النبات..."[3].

2.الإخبار عن الغيب: وذلك مما لا يقدر عليه البشر[4] والمغيبات في القرآن تتنوع من مغيب الماضي وغيب الحاضر ثم المستقبل:غيب الماضي: بإخباره عن بدء الخلق وقصص الأنبياء والرسل والأمم السابقة(.غيب الحاضر وما يصل بالله عز وجل والملائكة والجن والنار والجنة وغيرها،وغيب المستقبل: ومنه ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان،

(1)- الباقلاني، **م.س**، (ص 34).

(2)- **موريس بوكاي (Maurice Bucaille)** (19 يوليو 1920- 17 فبراير 1998)، كان طبيباً فرنسياً ونشأ على المسيحية الكاثوليكية، وكان الطبيب الشخصي للملك فيصل آل سعود ومع عمله في المملكة العربية السعودية وبعد دراسة للكتب المقدسة عند اليهود والمسلمين ومقارنة قصة فرعون، أسلم وألف كتاب التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث الذي ترجم لسبع عشرة لغة منها العربية،https://ar.wikipedia.org/wiki/ .

(3)- ينظر: موريس بوكاي،**القرآن والتوراة والإنجيل والعلم-دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**-،مكتبة مدبولي،القاهرة ،ط2 ،2004م ،(ص151-152)، وينظر أيضا: نور الدين عتر، **م.س**، (ص 179).وهو موجود عند: سليمان عمر قوش، **الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم**، دار الحرمين-الدوحة-قطر، ط1، 1407هـ/1987م. (ص 6).

(4)-يراجع: الباقلاني، **إعجاز القرآن**، (ص 33-34). السيوطي، **المعترك**، (1/239- 240). القاضي عياض، **الشفا**، (1/ 268-269). الزرقاني، **مناهل العرفان**، (ص 396).

بيوله عز وجل:﴿هُوَ ٱلذِے أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدِىٰ وَدِينِ اِ۬لْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[التوبة: 33] ...ففعل ذلك.

3. ما اشتمل عليه من تشريعات: وهو ما أطلق عليه (الإعجاز التشريعي) ذلك أن القرآن قد جاء بتشريع معجز يثبت أنه من وحي الله عز وجل[1]. لوفائه بكل حاجات البشر في مجالات العقائد والعبادات والأخلاق والاجتماع والسياسة والمال والفكر. وصلاحيته للتطبيق في كل زمان ومكان[2].

4. اتساق نظرياته وأحكامه[3]. إذ لو كان من عند غيره عز وجل لضاع هذا الاتساق، وكثر الاختلاف يقول الله –عز وجل-:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اِ۬للَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَٰفاً كَثِيراً ﴾ [النساء:81].

ولا يعني الاختلاف هنا؛ اختلاف الناس فيه-كما يصرح أبو حامد الغزالي(505هـ) ، بل الآية تنفي الاختلاف عن ذات القرآن... إذ هو على منهاج واحد في النظم. يناسب أوله آخره، مساق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى[4].[5].

5. تأثيره وفعاليته في الأنفس[6]: وهذا بما يلحق قلوب سامعيه من روعة وهيبة عند تلاوته، لقوة حاله، وإنامة خطره: ﴿ اِ۬للَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰباً مُّتَشَٰبِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اِ۬للَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اُ۬للَّهِ يَهْدِے بِهِۦ مَن يَّشَآءُ وَمَنْ يُّضْلِلِ اِ۬للَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[الزمر:22].

وهناك أوجها أخرى لعلها تندرج تحت القسمين معاً. حيث لا يمكن لقسم الاستئثار بها وهي:

6.بقاؤه وتكفل الله بحفظه: مدى الأزمنة، ومن الزيادة أو النقصان.

7.عدم الملل من قراءته[7].

---

(1)- نور الدين عتر، **علوم القرآن**، (ص 219).

(2)- الزرقاني، **م.س**، (2 / 377-378)، ومناع القطان، **م.س**، (ص 263).

(3)- نور الدين عتر، **م.س**، (ص 187).

(4)- السيوطي، **الإتقان**، (2/ 124).

(5)- وها هنا الإشارة إلى علم المناسبة موضوع البحث.

(6)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 242). القاضي عياض، **م.س**، (1 / 276)

(7)- القاضي عياض، **م.ن**، (1/ 276). وكذا السيوطي، **المعترك**، (1/ 244)

وهذا ما أمكن إيجاده من وجوه الإعجاز، وإلاّ فإنها لا يمكن أن تحصر؛ بل لا يمكن حتى أن تدرك -وما لا يدرك كله لا يترك جله- وقد يقع بإدراك الجزء إدراك الكل.

وليس ممتنعا أن تكون هذه الأوجه المتعددة للإعجاز، هي السبب في اختلاف العلماء في القدر المعجز من القرآن وهذه مذاهبهم كالآتي:

المطلب الثالث: القدر المعجز من القرآن:

اختلف العلماء في بيان القدر المعجز من القرآن على ثلاثة مذاهب: الأول يرى ألاّ إعجاز بأقل من القرآن كله، والثاني يرى أنه ممكن بأقل من سورة أو ما يعادل ألفاظها من الآيات. والثالث أن الإعجاز حاصل بكثير القرآن وقليله دون تحديد.

أولا: تعلق الإعجاز بالقرآن كله: وهو مذهب [(1)]بعض المعتزلة، إذ يصرّحون أن بعض القرآن لا يعقل به الإعجاز. وهذا القول مردود بدليل قوله تعالى:﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ**﴾[هود: 13]، وقوله: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: 22].

فتحداهم ببعض من القرآن، سواء أكان كثيراً (عشر سور) أم قليلاً (سورة) وهذا يدل على إمكان الإعجاز حتى ببعض القرآن.

ثانيا: تعلق الإعجاز بسورة أو ما يعادلها: وهو رأي الكثير من العلماء منهم الباقلاني [(2)] (403هـ)؛ إذا الإعجاز هنا ثابت للسورة؛ طويلة كانت أو قصيرة. مستدلين بظاهر قوله تعالى:"فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ" **[البقرة: 22]**، فيحصل بهذا الإعجاز بأقصر سورة من القرآن وهي سورة الكوثر.

أو بآية قدرها سورة، ونفى هذا القول البعض واشترط الكثرة في الآيات[(3)].

---

(1)- الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تح: محمد إبراهيم أبو الفضل، المكتبة العصرية-بيروت، ط 1391هـ/1972م، (د.ر.ط)، (2 / ص 108)، والسيوطي، **الإتقان**، (2/ 123).

(2)- الباقلاني، **إعجاز القرآن**، (ص 254).

(3)- الباقلاني، **م.س**، (ص 254)، والسيوطي، **المعترك**، (2 / 123)، والزركشي، **البرهان**، (2 / 109).

وعلى هذا يبقى أن القدر المتفق عليه هو ثلاث آيات –بما يعادل عدد آيات أقصر سورة: الكوثر– بعبارة أعم: بسياق الآية مع سباقها ولحاقها.

ثالثا:الإعجاز يحصل بقليل القرآن أو كثيره: ودليل من رأى [1]هذا، هو ظاهر قوله تعالى:﴿ **أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ . فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ** ﴾[الطور:33-34]،والحديث يصدق على القرآن كله؛ وعلى بعض منه.

ورده الباقلاني (403هـ) بقوله: "لا دلالة في الآية (عليه) لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة"[2]. لذا ذهب بعض المحدثين إلى ترجيح القول بأنّ؛ المعجز من القرآن حاصل بأقصر سورة منه ولا أقل[3].

وهذا يدفع إلى القول بألاّ إعجاز في الآية ولا في أقل منها. وهذا ما صرح به مثلا الجرجاني[4] (471هـ) في كتابه دلائل الإعجاز حيث يقول: "ليس الإعجاز في المقاطع والفواصل، لأنه ليس بأكثر من التعويل على مراعاة وزن، وإنما الفواصل في الآية كالقوافي في الشعر"[5].

وقد رد على ذلك من حقق كتاب (الظاهرة القرآنية) لمالك بن نبي [6]،حيث أكد أن قليل القرآن وكثيره في شأن الإعجاز سواء، فبعد أن أبان أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم من بعد أن نزل عليه الوحى طالب قومه بأن يؤمنوا بما دعاهم إليه ويُقِرُّوا له بصدق نبوته بدليل واحد ، وهو هذا الذى يتلوه عليهم من

---

(1)- الزركشي، **البرهان**، (2 / 108-109). السيوطي، **م.س**، (2 / 123).

(2)- الباقلاني، **م.س**، (ص 254)، ورغم ذلك فإنه يصرح بإمكان وقوع الإعجاز بالفاصلة وهي جزء من الآية، في ص 284 منه.

(3)- الزرقاني، **م.س**، (2 / 357).

(4)- **الجرجاني (...،471هـ/...،1078م)**، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، واضع أصول البلاغة من أئمة اللغة، من جرجان (بين طبرستان وخراسان) من كتبه: إعجاز القرآن، أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز...يراجع: (الزركلي، **الأعلام**، (4/ 174)، (عبد)).

(5)- الجرجاني: عبد القاهر ، **دلائل الإعجاز**، تح: محمد رضوان الداية، فايز الداية، دار قتيبة، ط1، 1403هـــ/1983م، (ص 267).

(6)- **مالك بن نبي** (1323 - 1393 هـ = 1905 - 1973 م): مفكر إسلامي جزائري. ولد بها في مدينة قسنطينة. ودرس القضاء في المعهد الإسلامي المختلط. وتخرج مهندسا ميكانيكيا في معهد الهندسة العالي بباريس. وزار مكة، وأقام في القاهرة ،أصدر فيها معظم آثاره. باللغة الفرنسية نحو 30 كتابا جلها مطبوع .ترجم بعضها إلى العربية. وكان من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية، بالقاهرة. وتولى إدارة التعليم العالي بالجزائر(1964) ،من كتبه: الظاهرة القرآنية، مشكلة الحضارة..يراجع:الرزركلي،الأعلام،(266/5)

قرآن يقرءون قال : " كان هذا القرآن ينزل عليه منجَّمًا ، وكان الذى نزل عليه يومئذ قليلا كما تعلم وكان هذا القليل من التنزيل هو برهانُه الفرد على نبوته ، وإذاً، فقليل ما أوحى إليه من آيات يومئذ ، وهو على قلته ، وقلَّةِ ما فيه من المعاني التي تنامت وتجمعت في القرآن جملة ، كما نقرؤه اليوم منطوٍ علي دليل مُسْتَبِينٍ قاهرٍ ، يحكم له بأنَّه ليس من كلام البشر ، وبذلك يكون دليلا على أنَّ تالِيهِ عليهم ، وهو بشر مثلهم نبي من عند الله مرسَلٌ ، فإذا صَحَّ هذا – وهو صحيح لا ريب فيه – ثبت ما قلناه أوَّلاً من أنَّ الآيات القليلة من القرآن ، ثُمَّ الآيات الكثيرة ، ثُمَّ القرآنُ كلُّه أي ذلك كان في تلاوته على سامعه من العرب الدليل الذى يطالبه بأن يقطعَ بأنَّ الكلامَ مُفارِقٌ لجنس كلام البشر".[1]

وأغلب الظن أن هذا القدر المختلف فيه لنوع واحد من أنواع الإعجاز وهو الأهم وهو الإعجاز البلاغي ودليله ما صرّح به الباقلاني (403هـ) بقوله: "يتعلق (الإعجاز) بسورة أو قدرها من الكلام بحيث يتبين فيه تفاضل قوى البلاغة..."[2]، إلاّ أنه ليس كل الإعجاز إعجازا بلاغياً بل له أوجه لو أمكن حصرها اليوم لم يمكن غداً –والله أعلم بها– فلا يمكن ضبط هذا القدر.

وأغلب الظن أن هذا القدر المختلف فيه لنوع واحد من أنواع الإعجاز وهو الأهم وهو الإعجاز البلاغي ودليله ما صرّح به الباقلاني (403هـ) بقوله: "يتعلق (الإعجاز) بسورة أو قدرها من الكلام بحيث يتبين فيه تفاضل قوى البلاغة..."[3]، إلاّ أنه ليس كل الإعجاز إعجازا بلاغياً بل له أوجه لو أمكن حصرها اليوم لم يمكن غداً –والله أعلم بها– فلا يمكن ضبط هذا القدر.

يقول: مناع القطان بعد عرضه لمختلف الآراء في هذا الباب: "ونحن لا نرى الإعجاز في قدر معين لأننا نجده في أصوات حروفه ووقع كلماته، كما نجده في الآية والسورة فالقرآن كلام الله وكفى"[4].

لذلك ظهر من يقول أن الكلمة القرآنية –من حيث ورودها في النص القرآني وليس بمعزل عنه– معجزة. ومن هؤلاء: البوطي بقوله: "إن للكلمة القرآنية مزية لا نجدها في الكلمات التي يتكون منها كلام الناس

---

[1])يراجع: تقديم كتاب : " الظاهرة القرآنية " لمالك بن نبي : بعنوان : (فصـــل في إعجاز القرآن) ينظر:مالك بن نبي ، **الظاهرة القرآنية** ،ترجمة د.عبد الصـابور شـاهين،تق:، عبد الله محمود دراز،محمود محمد شـاكر، دار الفكر ،دمشـق ، 1405 هـ،درط،(ص27-28)،العزف على أنوار الذكر،(ص22)

(2)- الباقلاني، **م.س**، (ص 255).

(3)- الباقلاني، **م.ن**، (ص 255).

(4)- مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، (ص 364)

وتعابيرهم، مهما سمت في مدارج البلاغة والبيان: فهي أولاً: تتناول من المعنى سطحه وأعماقه، وسائر صوره وخصائصه، ولا تقف عند العموميات التي تقف عند حدودها تعبيراتنا البشرية، التي تعاني من العجز... وتمتاز عن سائر مرادفاتها- (على فرض أن هناك ترادف)- اللغوية؛ بتطابق أتم مع المعنى المراد. فمهما استبدلت بها غيرها،لم يسد مسدّها، ولم يغن غناها، ولم يؤد الصورة التي تؤديها""[1]. (وذلك من حيث استقراره في الجملة القرآنية).

والراجح أن تنوع ضروب الإعجاز وشموله حتى للصوت_وهو الإعجاز بالإيقاع الذي هو خادم للمعنى أيضا_ يؤكد أن القدر المعجز من القرآن لا يمكن حصره في بضع آيات أو آية ،بل يتعداه إلى الكلمة رسما ونطقا فيما يتعلق بقواعد الرسم وقواعد التجويد -والله أعلم-.

(1)- البوطي، **من روائع القرآن**، (ص 139)

المبحث الثاني: ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره.

المطلب الأول: آراء العلماء في ترتيب الآيات.

المطلب الثاني: آراء العلماء في ترتيب السور.

نزل القرآن منجماً في ثلاثة وعشرين عاماً تقريباً، وكان نزوله ملائماً للوقائع والأحوال التي مرت بها الدعوة الإسلامية، ومراعياً ما يتطلبه الزمن الذي نزل فيه. ويختلف ترتيب القرآن الكريم في النزول، عن ترتيبه في المصحف اختلافاً كبيراً، وهذا لتباين الهدف المقصود من كلا الترتيبين . "فهو في ترتيبه النزولي منهج لتأسيس دعوة، وأسلوب إقناع بعقيدة وطريقة تبشير وإنذار، ودحض كامل لمنطق الإلحاد المريض، وهو في ترتيبه المصحفي أسلوب حياة، وبناء حضارة، ودستور للعالم كله، محيط بكل صغيرة وكبيرة من حاجاته ومطالبه، أحكم ترتيبه من هذه الوجهة، ليكون هداية للمؤمنين"(1).

المطلب الأول:آراء العلماء في ترتيب الآيات:

الترتيب في اللغة: من رتب الشيء يرتب رتوباً، وترتب: ثبت فلم يتحرك. يقال: رتب رتوب الكعب أي انتصب انتصابه؛ ورتبه ترتيباً: أثبته(2). والترتيب: التنزيل(3)، والترتيب أيضاً:جعل كلّ شيء في مرتبته...أو: وضع شيء بعد شيء(4).

أما الآية فتطلق في اللغة على معان متعددة منها : المعجزة ، والعلامة ،العبرة ، والأمر العجيب والجماعة ، والدليل،والبناء العالي(5).

---

(1)- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (911هـ): **تناسق الدرر في تناسب السور** ، مقدمة المحقق،دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا (مقدمة التحقيق)، دار الكتب العلمية-بيروت. (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 13-14).

(2)- ابن منظور، **لسان العرب**، (1/ 409)

(3)- ابن منظور، **م.ن**، (11/ 657)

(4)- التهانوي: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (بعد 1158هـ)، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون–بيروت، ط1، 1996م، (1/ 411-412).

(5)- يراجع: ابن فارس، **م.س**، (1/ 168)، والراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد (502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم-دمشق، 1412هـ، (ص 102)، وابن منظور، **م.س**، مادة (آية) (14/ 62 وما بعدها).

وأما في الاصطلاح فقال الجعبري[1] (732هـ): "حد الآية قرآن مركب من جمل -ولو تقديراً- ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة وأصلها العلامة... لأنها علامة للفضل والصدق أو الجماعة لأنها جماعة كلمة"[2].

وقال غيره: الآية طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبه بما سواها[3].

"وقال آخر: الآية طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها. وقيل: هي الواحدة من المعدودات في السور سميت به لأنها علامة على صدق من أتى بها وعلى عجز المتحدي بها"[4].

ومن الواضح ملاءمة المعنى اللغوي للمعنى الاصطلاحي للآية القرآنية، فهي القرآن المعجز، وهي علامة على صدق الآتي بها —صلى الله عليه وسلم-، وفيها عبرة لمن أراد أن يعتبر، وهي من الأمور العجيبة، لسمو أسلوبها ومعناها، وفيها معنى الجماعة، لأنها مؤلفة من الحروف والكلمات، وفيها معنى الدليل، لأنها برهان على ما تضمنته من هداية وعلم[5].

وترتيب الآيات في سورها توقيفي ثابت بالوحي، وبأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت الآيات تتنزل عليه، ويأمر كتاب الوحي بوضعها في مكانها من السور بتبليغ من جبريل عليه السلام. وقد ترادفت

---

(1)- **الْجَعْبَري (640-732 هـ/1242-1332م)** إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبريّ، أبو إسحاق: عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية. له نظم ونثر.ولد بقلعة جعبر (على الفرات، بين بالس والرقة) وتعلم ببغداد ودمشق، واستقر ببلد الخليل (في فلسطين) إلى أن مات.يقال له (شيخ الخليل) وقد يعرف بابن السراج، وكنيته في بغداد (تقيّ الدين) وفي غيرها (برهان الدين)،له نحو مئة كتاب أكثرها مختصر، منها:(خلاصة الأبحاث) شرح منظومة له في القراءات، (شرح الشاطبية) المسمى (كنز المعاني شرح حرز الأماني) في التجويد، وغيرها...يراجع: (الزركلي، **م.س**، (1/ 55)).

(2)- الْجَعْبَري إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبريّ، أبو إسحاق (732هـــ)، **حسن المدد في معرفة العدد-ويعرف أيضا بكتاب المفرد في معرفة العدد-**، تح: بشير بن حسن الحميري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المدينة المنورة، 1431هـ، (د.ر.ط)، (ص 204).

(3)- نقلاً عن: الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، (1/ 266)

(4)- السيوطي، **الإتقان**، (1/ 230).

(5)- الزرقاني، **مناهل العرفان**، (1/ 339).

النصوص على كون ترتيب الآيات توقيفياً[1].

ونقل الإجماع على ذلك غير واحد من العلماء منهم: الزركشي (794هـ)، حيث قال: "فأما الآيات في كل سورة، ووضع البسملة في أوائلها، فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه. وقال مكي[2]: ترتيب الآيات في السور، ووضع البسملة في الأوائل، هو من النبي –صلى الله عليه وسلم-، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة، تركت بلا بسملة"[3].

قال القاضي أبو بكر الباقلاني (403هـ): "إنَّ ترتيبَ آيات السُّور فيها واجبٌ وإنّ ذلك لم يكن إلاّ عن نص وتوقيف..."[4].

وقد أورد السيوطي (911هـ) في الإتقان أدلة عديدة في إثبات ذلك[5]، منها: "ما روي عن عن ابن عباس، قَالَ: **قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: مَا حَمَلَكُمْ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ المَثَانِي وَإِلَى بَرَاءَةٌ وَهِيَ مِنَ المِئِينَ فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطُّوَلِ، مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ: «ضَعُوا هَؤُلَاءِ الآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا» وَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الآيَةَ فَيَقُولُ: «ضَعُوا هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا»، وَكَانَتِ الأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ وَكَانَتْ بَرَاءَةٌ مِنْ آخِرِ القُرْآنِ وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا، فَقُبِضَ رَسُولُ**

(1)- ينظر:ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (852هـ): **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة،(د.ر.ط)،(د.ت.ط) ،(8/ 125) و (9/ 32). ويراجع السيوطي، الإتقان، (1/ 173).

(2)- **مَكّي بن حَمُّوش** (355-437هـ/966-1045م): مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، أبو محمد: مقرئ، عالم بالتفسير والعربية. من أهل القيروان. ولد فيها، وطاف في بعض بلاد المشرق، وعاد إلى بلده، وأقرأ بها.ثم سكن قرطبة (سنة 393) وخطب وأقرأ بجامعها وتوفي فيها. له كتب كثيرة، منها (مشكل إعراب القرآن) جزان، و(الكشف عن وجوه القراآت وعللها) و(الهداية إلى بلوغ النهاية)، و(التبصرة في القراآت السبع) و(المنتقى) وغيرها...(الزركلي، **الأعلام**، (7/ 286)).

(3)- الزركشي، **م.س**، (1/ 256).

(4)- الباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (403هـ)، **الانتصار للقرآن**، تح: محمد عصام القضاة، دار الفتح-عَمَّان، دار ابن حزم-بيروت، ط1، 1422هـ/2001م، (1/ 293 وما بعدها).

(5)- يمكن الرجوع إليها في **الإتقان**، (1/ 211 وما بعدها)، وفي **مناهل العرفان**، (1/ 347 وما بعدها)

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَوَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ الطُّوَلِ"[1].

ومنها ما أخرجه أحمد عن عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، قَالَ: **كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا إِذْ شَخَصَ بِبَصَرِهِ ثُمَّ صَوَّبَهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يُلْزِقَهُ بِالْأَرْضِ، قَالَ: ثُمَّ شَخَصَ بِبَصَرِهِ فَقَالَ: "أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَمَرَنِي أَنْ أَضَعَ هَذِهِ الْآيَةَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** [النحل: 90][2].

ومنها ما أخرجه البخاري (256هـ) عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ: **هَذِهِ الآيَةُ[3] الَّتِي فِي البَقَرَةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾** [البقرة:232] إِلَى قَوْلِهِ: **"غَيْرَ إِخْرَاجٍ"** [البقرة: 238] **قَدْ نَسَخَتْهَا الأُخْرَى، فَلِمَ تَكْتُبُهَا؟ قَالَ: "تَدَعُهَا يَا ابْنَ أَخِي، لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ"**[4].

---

(1)- أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح، تحت رقم: 3086: يراجع: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (279هـ) **سنن الترمذي**، تح وتع: إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي–مصر، ط2، 1395هـ–1975م، (5/ 272–273). وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي يراجع:الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي (405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية–بيروت، 1411هـ–1990م ، (2/ 360)، والحديث رواه أيضاً: أحمد وأبو داود والنسائي.

(2)- يراجع: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الشاميين**، تحت رقم: 17918،تح: شعيب الأرنؤوط–عادل مرشد وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م، (29/ 441).

(3)- الآية الناسخة هي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا" [البقرة: 232]، والمنسوخة قوله:"وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: 238]

(4)- أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم: 4536، يراجع: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (256هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه –صحيح البخاري–**، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر،، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ، (6/ 31).

ومنها ما روي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **"مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ"**[(1)].

و ما رواه عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، خَطَبَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، فَذَكَرَ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَا أَدَعُ بَعْدِي شَيْئًا أَهَمَّ عِنْدِي مِنَ الْكَلَالَةِ، مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلَالَةِ، وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيهِ، حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ"يَا عُمَرُ، أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ..."[(2)] .

وفي الحديثين الأخيرين إشارة خفية إلى معنى توقيفية الترتيب في الآيات.

المطلب الثاني: آراء العلماء في ترتيب السور:

اختلف العلماء في تحديد المعنى الذي أُخذت منه السورة بمعناها القرآني، قال الجعبري (732هـ): **"**فعلة من السؤر:البقية والقطعة، أو الشرف... أو الكمال، أو من سور البناء وسور البلد ...**"**[(3)].

يرى أحد الباحثين المعاصرين أن أقرب الآراء إلى الصواب أن تكون السورة مأخوذة من سورة البناء، أي القطعة منه، فكما أن البناء يقوم سورة بعد سورة، كذلك القرآن، فالله سبحانه نزّله على رسوله صلى الله عليه وسلم مفرقاً، حتى اكتمل بناؤه[(4)].

غير أن الظاهر أن هذه المعاني اللغوية كلها صالحة للدلالة عليها؛ فهي-زيادة على ما رجّحه الباحث السابق- كذلك القطعة من القرآن ذات الشرف والكمال.

والسورة في الاصطلاح: **"**طائفة من القرآن مستقلة ، تشمل على آي ذي فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات**"**[(5)].

---

(1)- أخرجه في باب سورة الكهف وفضلها برقم: 809، يراجع:مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي–بيروت، (1/ 555).

(2)-أخرجه في باب ميراث الكلالة،برقم (1617).يراجع :مسلم،المسند الصحيح،(1236/3).

(3)- الجعبري، **م.س**، (ص 206)

(4)- عودة خليل بوعودة: **التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن**، ط1، مكتبة المنار–الزرقاء، (ص 496).

(5)- الجعبري، **م.س**، (ص 206).

وإذا كان الإجماع قد تحقق حول ترتيب الآيات، فهو لم يتحقق حول ترتيب سور القرآن على ما هي عليه في المصحف الآن، واختلفت أقوال العلماء في ذلك على عدة أقوال يمكن جمعها [1] في ثلاثة[2] هي:

القول الأول: ترتيب السور على ما هو عليه الآن في المصحف،كان باجتهاد من الصحابة. وهو قول جمهور العلماء[3]، ومنهم الإمام مالك[4] (179هـ)، والقاضي أبو بكر بن الطيب (403هـ) في أحد قوليه[5]، وشيخ الإسلام ابن تيمية (728هـ)[6]، حيث قال في الفتاوى الكبرى: **"**وأما ترتيب آيات السور فهو منزل منصوص عليه، فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية في الرسم، كما قدموا سورة على سورة، لأن ترتيب الآيات مأمور به نصاً، وأما ترتيب السور فمفوض إلى اجتهادهم**"**[7].

وقد تأثر بعض المعاصرين بهذا الرأي لدرجة تأليف تفسير للقرآن حسب النزول، وليس بالترتيب المعهود، ومن هؤلاء: محمد عزة دروزة[8] (1404هـ) وكتابه: التفسير الحديث،الذي يقول فيه: **"**ولقد

---

(1)- هذه المسـألة تكرر عند جل من درس علم المناسبة، وعمل الباحثة فيها اختص في التحقق من مختلف تلك الأقوال المنقولة، وجمع معظم المذكور فيها، ومحاولة ترتيب الآراء وتفنيد من جانب الصواب فيها.

(2)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 257 وما بعدها)

(3)ـ الزركشي، **م.ن**، (1/ 257)، ويراجع السيوطي، **تناسق الدرر في تناسب السور**، تح: عبد أحمد عطا، دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان، ط1، 1406هـ/1986م، (ص 56 وما بعدها).

(4)- مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله (93-179هـ/712-795م): إمام دار الهجرة، وأحد أئمة أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة، كان صلبا في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك... وسأله المنصور أن يضع كتابا للناس يحملهم على العمل به، فصنف: الموطأ، وله رسالة في (الوعظ) وكتاب في (المسائل) ورسالة في (الرد على القدرية) و(تفسير غريب القرآن)... يراجع: (الزركلي، **م.س**، (5/ 257)).

(5)- يراجع رأيه في **القول بالاجتهاد في الانتصار للقرآن**، (1/ 278).

(6)-**ابن تَيْمِيَّة (661-728هـ/1263-1328م)** أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين شيخ الإسلام. سافر إلى دمشق و مصر و الإسكندرية. اعتقل عدة مرات حتى مات معتقلا بقلعة دمشـق، فخرجت دمشـق كلها في جنازته. كان غزير العلم كثير التصـانيف،من مؤلفاته: (الجوامع) في السياسـة الإلهية والآيات النبويّة، ويسمى (السياسة الشرعية)،، (الجمع بين النقل والعقل)، (منهاج السنة)،وغيرها. (الزركلي، **الأعلام**، (1/ 144)).

(7)- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السـلام بن عبد الله بن أبي القاسـم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (728هـ)، **الفتاوى الكبرى**، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1408هـ/1987م، (4/ 419)

(8)- ويشـير إلى أن: حتى القول بتوقيف بترتيب السـور هو سـنة تتبع في المصـحف وليس في التفسـير،يراجع: (محمد عزت دروزة، **التفسير الحديث**، دار إحياء الكتب العربية-القاهرة، 1383هـ، (د.ر.ط)، (1/ 11-12)).

رأينا أن نجعل ترتيب التفسير وفق ترتيب نزول السورة، بحيث تكون أولى السور المفسرة الفاتحة ثم العلق ...إلى أن تنتهي السور المكّية ثم سورة البقرة فسورة الأنفال إلى أن تنتهي السور المدنية لأننا رأينا هذا يتّسق مع المنهج الذي اعتقدنا أنه الأفضل لفهم القرآن وخدمته.قد قلّبنا وجوه الرأي حول هذه الطريقة، وتساءلنا عما إذا كان فيها مساس بقدسية المصحف المتداول، فانتهى بنا الرأي إلى القرار عليها لأن التفسير ليس مصحفاً للتلاوة من جهة، وهو عمل فني أو علمي من جهة ثانية... وليس من شأنه أن يمسّ قدسية ترتيبه من جهة ثالثة (وذلك لكي) يندمج القارئ في جوّ نزول القرآن وجوّ ظروفه ومناسباته ومداه، ومفهوماته وتتجلى له حكمة التنزيل..."[1].

وقبله أيضاً: عبد القادر بن ملّا حويش (1398هـ) في كتابه: بيان المعاني، لكنه لا ينكر توقيفية الترتيب، بل يصرّح في كتابه فيقول: "واعلم أن الخليفة عثمان رضيّ الله عنه ومن معه من الأصحاب إنما لم يأخذ برأيه[2] لأن السور والآيات كانت مرتبة ومجموعة على ما هو في المصاحف الآن، وهو أمر توقيفي لا مجال للرأي فيه..."[3].

---

(1)- دروزة، **م.س**، (1/ 9)

(2)- ويعني سيّدنا عليّا رضي الله عنه،حين أراد ترتيب المصحف حسب النزول.

(3)- عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (1398هـ)، **بيان المعاني**، مطبعة الترقي-دمشق، ط1، 1382هـ/1965م، (1/ 4).

واستدل[1] أصحاب القول بالاجتهاد على مذهبهم، بترتيب مصاحف بعض الصحابة، على خلاف ترتيب مصحف سيّدنا عثمان (35هـ)[2] وهم: علي بن أبي طالب (40هـ)[3]، وعبد الله بن مسعود (32هـ)[4]، وأبي بن كعب (21 هـ)[5]-رضي الله عنهم أجمعين-.

(1)- يراجع: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، (1/ 257)، والسيوطي، **الإتقان**، (1/ 216).

(2)- **عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، من قريش (47ق.هـ-35هـ/577-656م)**: أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشّرين...ولد بمكة بعد الفيل بست سنين على الصحيح... أسلم بعد البعثة بقليل. وكان غنياً شريفاً في الجاهلية... صارت إليه الخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب سنة 23هـ فافتتحت في أيامه أرمينية والقوقاز وخراسان وإفريقية وغيرها، وأتمّ جمع القرآن .قتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة... وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وأشهر على الصحيح المشهور..يراجع: (ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (852هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1415هـ، (4/ 377-379)، و (الزركلي، **م.س**، (4/ 210-211)).

(3)- **علي بن أبي طالِب (23ق.هـ-40هـ/600-661م)** بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن: أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي وصهره وربي في حجره ولم يفارقه ، وأول الناس إسلاما بعد خديجة. ولد بمكة،. وولي الخلافة بعد مقتل عثمان (سنة 35 هـ وأقام عليّ بالكوفة إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة في مؤامرة 17 رمضان المشهورة... وجمعت خطبه وأقواله ورسائله في كتاب سمي "نهج البلاغة" وأكثر الباحثين شك في نسبته كله إليه. أما ما يرويه أصحاب الأقاصيص وسموه "ديوان علي بن أبي طالب" فمعظمه أو كله مدسوس عليه يراجع: (الزركلي، **م.س**، (4/ 295-296)).

(4)- **ابن مَسْعُود (000-32هـ/000-653م)**: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن: صحابي. من أكابرهم، من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الأمين، وصاحب سره، ورفيقه وولي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيت مال الكوفة.ثم قدم المدينة في خلافة عثمان، فتوفي فيها عن نحو ستين عاما... له 848 حديثاً. يراجع: (الزركلي، **م.س**، (4/ 137)).

(5)- **أُبَي بن كَعْب (000-21هـ/642-000م)** أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، أبو المنذر كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، ولما أسلم كان من كتاب الوحي. وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم وكان يفتي على عهده أمره عثمان بجمع القرآن، فاشترك في جمعه. وله في الصحيحين وغيرهما 164 حديثاً. وفي الحديث: أقرأ أمتي أبي بن كعب. وكان نحيفاً قصيراً أبيض الرأس واللحية. مات بالمدينة.يراجع: (الزركلي، **م.س**، (1/ 82)

القول الثاني: ترتيب السور كان بعضه بالتوقيف، وبعضه الآخر باجتهاد من الصحابة على اختلاف في بيان هذا البعض. قال الزركشي(794 هـ)[1]: قال أبو الحسين أحمد بن فارس(395هـ)[2]: "جمع القرآن على ضربين

: أحدهما :تأليف السور،كتقديم السبع الطوال ، وتعقيبها بالمئين ،فهذا الضرب هو الذي تولاه الصحابة – رضوان الله عليهم – ، وأما الجمع الآخر : فضم الآي بعضها إلى بعض ، وتعقيب القصة بالقصة ، فذلك شيء تولاه رسول الله –صلى الله عليه وسلم–،كما أخبر به جبريل عن أمر ربه –عز وجل–"[3].

وذهب البيهقي[4](458 هـ) في المدخل [5]، إلى أن القرآن كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم توقيفي إلا الأنفال ، وبراءة ، فإن ترتيبهما باجتهاد من عثمان –رضي الله عنه –ووافقه عليه الصحابة[6].

---

(1)- **الزركشي (745–794هـ/1344–1392م)**: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين،عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة.له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها: (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة)، (لقطة العجلان)، (البحر المحيط)، (عقود الجمان، ذيل وفيات الأعيان) وغيرها...يراجع: (الزركلي، **م.س**، (6/ 60)).

(2)- **ابن فارس (329–395هـ/941–1004م)**: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب.قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان.أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته.من تصانيفه (مقاييس اللغة) ستة أجزاء، و(المجمل)، و(الصاحبي) في علم العربية، ألفه لخزانة الصاحب ابن عباد، و(جامع التأويل) في تفسير القرآن، وغيرها...يراجع: (الزركليّ، **م.س**، (1/ 193)).

(3)- الزركشي، **م.س**، (1/ 327).

(4)- **البيهقي (384–458هـ/994–1066م)**: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر: من أئمة الحديث. ولد في خسروجرد (من قرى بيهق، بنيسابور) ونشأ فيبيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، ومات في نيسابور. ونقل جثمانه إلى بلده...قال الذهبي عنه: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه لكان قادرا على ذلك... صنف زهاء ألف جزء، منها (السنن الكبرى) عشر مجلدات، و(السنن الصغرى) و(المعارف) و(الأسماء والصفات)... وغيرها، يراجع: (الزركلي، **م.س**، (1/ 115–116)).

(5)- يراجع: البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين (458هـ)، **المدخل إلى علم السنن**، اعتنى به وخرَّجَ نصُّولَه: محمد عوامة، دار اليسر للنشر والتوزيع–القاهرة–جمهورية مصر العربية، دار المنهاج للنشر والتوزيع–بيروت–لبنان، ط1، 1437هـ/2017م، (2/ 501–502)، وينظر رأيه كذلك عند: السيوطي، **الإتقان**، (1 / 218).

(6)- السيوطي، **تناسق الدرر**، (ص 57)

وقد استدل على استثناء هاتين السورتين بالحديث المروي عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "**قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الْأَنْفَالِ، وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي وَإِلَى الْبَرَاءَةِ، وَهِيَ مِنَ الْمِئِينَ فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ، مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ تَنْزِلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ عَدَدٍ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ يَدْعُو بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُهُ، فَيَقُولُ: «ضَعُوا هَذِهِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا» وَتَنْزِلُ عَلَيْهِ الْآيَةُ فَيَقُولُ: «ضَعُوا هَذِهِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا» فَكَانَتِ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ، وَبَرَاءَةُ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ، فَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا، فَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، فَمِنْ ثَمَّ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**"[1].

(1)- سبق تخريجه عن الترمذي، وأخرجه الحاكم في المستدرك تحت رقم 2875: يراجع:الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تح: مصطفى عبد القادر عطا،، دار الكتب العلمية–بيروت، ط1، 1411هـ/1990م، (2/ 241)، ورواه أحمد في مسنده، يراجع: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تح: شعيب الأرناؤوط–عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م، (1/ 460).

ومال ابن عطية (542هـ)(1) إلى هذا الرأي(2)،كذا السيوطي (911هـ)(3) الذي صرّح وقال: "والذي ينشرح إليه الصدر، ما ذهب إليه البيهقي، وهو: أن كل السور توقيفية سوى الأنفال وبراءة..."(4).

القول الثالث: أن ترتيب السور توقيفي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأن الصحابة حينما خافوا ذهاب بعض القرآن باستشهاد حفظته، جمعوه، وكتبوه، كما سمعوه من النبي —صلى الله عليه وسلم—، ولم يقدموا أو يؤخروا شيئا، واقتصر عملهم على جمع القرآن في موضع واحد، دون التعرض لترتيب سوره إلاّ وفق ما سمعوه من رسول الله —صلى الله عليه وسلم-، على هذا النسق والترتيب(5).

---

(1)- **ابن عَطِيّة**:(**481-542هـ/1088-1148م**):عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين. وتوفي بالورقة. له (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) في عشر مجلدات، و(برنامج) في خزانة الرباط (المجموع 1301ك) في ذكر مروياته وأسماء شيوخه. وقيل في تاريخ وفاته سنة 541 أو 546. يراجع: (الزركلي، **م.س**، (3/ 282)).

(2)- يراجع: ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية—بيروت، ط1، 1422هـ، (1/ 50).

(3)- **السيوطي**: (**849-911هـ/1445-1505م**) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب.له نحو 600 مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيما (مات والده وعمره خمس سنوات) ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل،فألف أكثر كتبه.وكان يدعى بابن الكتب...يراجع: (الزركلي، **م.س**، (3/ 301-303)).

(4)- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (1/ 179).

(5)- الزركشي، **م.س**، (1/ 257 وما بعدها).

وهذا رأي القاضي أبو بكر الباقلاني (403هـ) في أحد قوليه ،وخلائق[1] منهم: أبو جعفر النحاس[2] (338هـ)[3] والطيبي[4] (743هـ)، وابن الحصار[5] (611هـ)، ومحمد بن حمزة بن نصر الكِرماني[6] (505هـ) ،إذ يصرح في كتابه '(سرار التكرار في القرآن أو: البرهان في توجيه متشابه القرآن): **"**قلت أول القرآن سورة الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران على هذا الترتيب إلى سورة الناس وهكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ وهو على هذا الترتيب كان يعرضه عليه الصلاة والسلام على جبريل عليه السلام كل سنةأي ما كان يجتمع عنده منه وعرضه عليه الصلاة والسلام في السنة التي توفى فيها مرتين وكان آخر الآيات نزولاً **{واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله}** فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين...**"**[7].

---

(1)- السيوطي، **أسرار الترتيب**، (ص 42-43)، وفي **الإتقان**، (1/ 217).

(2)- نقلاً عن الزركشي، **البرهان**، (1/ 326–327).

(3)- **النَّحَّاس (000-338هـ/000-950م)**: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس: مفسر، أديب. مولده ووفاته بمصر. كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري. زار العراق واجتمع بعلمائه. وصنف (تفسير القرآن) و(إعراب القرآن) و(ناسخ القرآن ومنسوخه) و(معاني القرآن) وغيرها. (الزركلي، **م.س**، (1/ 208)).

(4)- **الطِّيبي (000-743هـ/000-1342م)**: الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان. من أهل توريز، من عراق العجم، وكان شديد الردّ على المبتدعة، ملازما لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة.من كتبه: (التبيان في المعاني والبيان) ،(الخلاصة في معرفة الحديث) وفي التفسير (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب) وغيرها...يراجع: (لزركلي، **م.س**، (2/ 256)).

(5)- **ابن الحصار: (611هـ)**: عَليّ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الخزرجي أَصله من إشبيلية وَولد بفاس وَسكن سبتة يعرف بالحصار ويكنى أَبَا الْحسَن له تأليف فِي أصُول الْفِقْه وَآخر فِي النَّاسِخ والمنسوخ وَكتاب الْبَيَان فِي تَنْقِيح الْبُرْهَان وَكتاب المدارك وَتُوفِّي فِي حُدُود سنة 610هـ. يراجع: (ابن الأبار: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (658هـ)، **التكملة لكتاب الصلة**، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة-لبنان، 1415هـ/1995م، (3/ 248). وعند الزركلي تحت اسم: الحصّار (4/ 330)).

(6)- **الكِرْماني (000-نحو 505هـ/000-نحو 1110م)**: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين ويعرف بتاج القراء: عالم بالقراءات. أثنى عليه الجزري وذكر بعض كتبه، ومنها (لباب التفاسير) وهو المعروف بكتاب (العجائب والغرائب) ومنها (خط المصاحف) و(لباب التأويل) و(البرهان في متشابه القرآن) وغيرها... (الزركلي، **الأعلام**، (7/ 168)).

(7)- الكرماني: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين ، (نحو 505هـ)، **أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، تح: عبد القادر أحمد عطا،-أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيل، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 68).

وقال أبو بكر بن الأنباري (328 هـ)[1]: "أنزل الله القرآن كلَّه إلى سماء الدنيا، ثم فرقه في بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تنزل لأمر ينزل، والآية جوابًا لمستخبر، ويوقف جبريلُ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- على موضع الآية والسورة، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن."[2].

وروى الإمام القرطبي (671هـ)[3]، عن ابن وهب، قال: "سمعت سليمان بن بلال يقول: سمعت ربيعة يسأل:لم قدمت البقرة وآل عمران، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة، وإنما نزلتا بالمدينة...؟ فقال ربيعة: قد قدمتا، وألف القرآن على علم مما ألفه"[4].

وقال الإمام البغوي (516هـ)[5] في شرح السنة: "... الواضح أن الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير أن زادوا فيه،

---

(1)- **ابن الأنباري (271-328هـ/884-940م)**: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر: من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظا للشعر والأخبار، قيل: كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن. ولد في الأنبار (على الفرات) وتوفي ببغداد. وكان يتردد إلى أولاد الخليفة الراضي بالله، يعلمهم. من كتبه (الزاهر) في اللغة، و(شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات) و(إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل) و(عجائب علوم القرآن) وغيرها: (الزركلي، **م.س**، (6/ 334)).

(2)- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (911هـ)، **أسرار ترتيب القرآن**، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 42).

(3)- **القرطبي شمس الدين (600-671هـ/1204-1273م)**: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي. فقيه مفسر عالم باللغة وُلد في قرطبة، و رحل إلى الإسكندرية، ثم إلى صعيد مصر، حيث استقر فيه. كان عالمًا كبيرًا منقطعًا إلى العلم زاهدا، وترك ثروة علمية تقدر بثلاثة عشر كتابًا مابين مطبوع ومخطوط، أبرزها تفسيره الكبير الجامع لأحكام القرآن الكريم، و التذكرة بأحوال الموتى؛ أحوال الآخرة وغيرها. يراجع: (السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (911هـ)، **طبقات المفسرين العشرين**، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة-القاهرة، ط1، 1396هـ، (ص 92) ،الأدنهوي: أحمد بن محمد من علماء القرن الحادي عشر (ق11هـ)، **طبقات المفسرين**، تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم-السعودية، ط1، 1417هـ/1997م، (ص 38). (االزركلي، الأعلام، (5/ 322))

(4)- القرطبي، محمد بن أحمد الانصاري (671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، (1/ 59-60)

(5)- **البغوي**: الحسين بن مسعود بن محمد العلامة أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي يعرف بابن الفراء ويلقب بمحيي السنة وركن الدين،كان إماماً في التفسير والحديث والفقه، من التصانيف معالم التنزيل في التفسير وهو التفسير المشهور بتفسير البغوي وشرح السنة والمصابيح والجمع بين الصحيحين والتهذيب في الفقه وقد بورك له في تصانيفه ورزق فيها =القبول لحسننيته.مات في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة وقد جاوز الثمانين ولم يحج. (السيوطي، **طبقات المفسرين**، (ص 50)، والزركلي (2/ 259).

أو نقصوا منه شيئا... فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا شيئا أو أخروا، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم..."[1].

وزاد في موضع آخر: "ثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد، لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على الترتيب الذي هو في مصاحفنا، أنزله الله تعالى جملة واحدة في شهر رمضان ليلة القدر إلى السماء الدنيا"[2].

وانطلاقاً من الإيمان بحفظ الله تعالى لهذا الكتاب؛ فإنه من تمام هذا الحفظ: ألا يترك فيه مجال لاجتهاد مجتهد، لأن اجتهاد الخلق مظنة للانتقاد والنقص، والله قد حفظ كتابه من جميع ذلك، فالمختار من هذه الأقوال : أن تأليف السور على هذا الترتيب الذي عليه المصحف توقيفي[3]، لا مجال للاجتهاد فيه.

وهو الذي رجّحه الزركشي (794هـ)[4] وغيره كابن الزبير (708هـ)[5] في البرهان[6]، والفراهي (1394هـ)[7].

---

(1)- البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (516هـ)، **شرح السنة**، تح: شعيب الأرناؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي-دمشق-بيروت، ط2، 1403هـ/1983م، (4/ 521).

(2)- البغوي، **م.ن**، (4/ 522).

(3)- وقد مال إلى هذا الرأي كثير من المعاصرين منهم عناية الله سبحاني الذي أورد عدة أحاديث متسلسلة تقوي هذا الرأي ،يمنكم الرجوع إليها في كتابه :إمعان النظر في ترتيب الآي والسور (ص 76 وما بعدها).

(4)- الزركشي، **م.س**، (1/ 260).

(5)- **ابن الزُّبَيْر (627-708هـ/1230-1308م)**: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر: محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس. انتهت إليه الرياسه بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول.ولد في جيان (Jaen) وأقام بمالقة (Malaga) فحدثت له فيها منغصات، فغادرها إلى غرناطة وأكمل ما شرع فيه من مصنفاته. وتوفي فيها. من كتبه (صلة الصلة) و(ملاك التأويل في المتشابه اللفظ في التنزيل) و(البرهان في ترتيب سور القرآن) وكان معظما عند الخاصة والعامة .يراجع: (الزركلي، **م.س**، (1/ 86)).

(6)-ابن الزبير: أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (708هـ)، **البرهان في تناسب سور القرآن**، تح: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية -المغرب، 1410هـ /1990م، (ص 182 وما بعدها).

(7)- الفراهي عبد الحميد الهندي (1349هـ)، **دلائل النظام**، مطبعة الحميدية، ط1، 1388هـ، (ص 13 وما بعدها).

بل صرّح الآلوسي (1270هـ) أن هذا هو رأي الجمهور حيث قال: "وأما ترتيب السور ففي كونه اجتهادياً أو توقيفياً خلاف والجمهور على الثاني"[1]، وذلك للأسباب[2] الآتية:

✓ **السبب الأول:** إن استدلال أصحاب القول الأول باختلاف مصاحف الصحابة، يمكن رده : بأن مصحف عثمان –رضي الله عنه– لو كان اجتهادياً لما وافقوه على ذلك لأنه ليس لمجتهد أن يقلد مجتهداً آخر، كما هو مقرر عند الأصوليين. ثم إن مصاحف الصحابة كانت خاصة بهم، جمعت إلى القرآن بعض مسائل العلم، وبعض المأثورات، فهي إلى كتب العلم أقرب منها إلى المصاحف المجردة، ومن هنا وُجد الذين استنسخوا المصاحف العثمانية، لم يعتمدوا عليها، بل اعتمدوا على جمع أبي بكر، الذي اعتمد على ما جمع بين يدي النبي –صلى الله عليه وسلم–[3]، ومن هنا فقد عدلوا جميعا عن هذه المصاحف، وساروا على ما سار عليه الصحابة جميعاً، ووافقوا على مصاحف عثمان، وما فيها من لفظ وترتيب، وترك ما سواها ، فلو كان الترتيب بالاجتهاد لظلوا على اجتهادهم ، قال أبو عمرو[4] (444هـ): "قال ابن وهب سمعت مالكا يقول إنما أُلّف القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول لله ﷺ..."[5]، وبهذا يظهر بطلان هذا القول.والله أعلم.

---

(1)- الآلوسي شهاب الدين السيد محمود (1270هـ): **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية–بيروت، 1415هـ، (1/ 27).

(2)- هذه الأسباب تلخيص وزيادة لما أورده صاحب المنار في المسألة، يراجع: (رضا، محمد رشيد (ت1354هـ): تفسير **القرآن الحكيم (الشهير بالمنار)**، ط2، دار المعرفة–بيروت، (9/ ص 486–487)).كما قدم طه عابدين طه بحثاً ماتعاً في المسألة، استقرأ فيه آراء عديد العلماء ورجّح بينها.يراجع: (طه عابدين طه، **"ترتيب سور القرآن _دراسة تحليلية لأقوال العلماء"**، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، إصدار مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،ع9، س 5–6.)

(3)- الزرقاني، **م.س**، (1/ 354 وما بعدها)

(4)-**أَبو عَمْرو الدَّاني**(371 – 444 هـ = 1053 981 م) :عثمان بن سعيد بن عثمان، ويقال له ابن الصيرفي، من موالي بني أمية: أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره. من أهل دانية " " Denia بالأندلس.

دخل المشرق، فحج وزار مصر، وعاد فتوفي في بلده. له أكثر من مئة تصنيف، منها " التيسير " في القرآآت السبع، و " الإشارة " قرآآت، و " المقنع " في رسم المصاحف ونقطها، و " وغير ذلك.... ا للزركلي، **الأعلام** ،(4/ 206)

(5)- الداني: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو (444هـ)، **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، تح: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية–القاهرة، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 18).

ويؤكد الآلوسي (1270هـ) ذلك بقوله: "وبالجملة بعد إجماع الأمة على هذا المصحف لا ينبغي أن يصاخ إلى آحاد الأخبار، ولا يشرب إلى تطلع غرائب الآثار"[1].

✓ **السبب الثاني**: أن ما ذهب إليه البعض بأن ترتيب السور توقيفي، باستثناء سورتي الأنفال، وبراءة، مردود من وجهين[2]: **الوجه الأول**: أن هذا الحديث غير صحيح[3]، يقول الترمذي (279هـ) فيه: "حسن غريب لا نعرفه إلاّ من حديث عوف عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس، ويزيد هذا مجهول الحال"[4]، "فمثل هذا الرجل لا يصح أن تكون روايته التي انفرد بها مما يؤخذ به في ترتيب القرآن المتواتر"[5].

والوجه الثاني: على فرض صحة هذه الرواية، فقوله في الحديث: "إن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كان مما يأتي عليه من الزمان" يدل في الجملة على التوقيف، وقوله: فقبض رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولم يبين لنا أنها منها: بعيد، إذ الأنفال نزلت في السنة الثانية عقب غزوة بدر، والتوبة نزلت في أواخر السنة التاسعة بعد غزوة تبوك، وبعد خروج أبي بكر للحج على رأس المسلمين، فكيف يعقل أن يظل الرسول –صلى الله عليه وسلم– زهاء خمسة عشر شهراً ولا يبين للناس أنها منها، أو من

---

(1)- الآلوسي، **م.س**، (1 / 28).

(2)- يراجع: الزرقاني، **م.س**، (1/ 361).

(3)- قال الذهبي: "عوف الأعرابي: قيل: كان يتشيع، وقد وثقه جماعة، وجرحه جماعة، وكان داود بن أبي هند يضربه ويقول: ويلك يا قدري. وقال بندار: والله لقد كان عوف قدرياً، رافضياً، شيطاناً"، يراجع (الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (748هـ)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر–بيروت–لبنان، ط1، 1382هـ/1963م، (3/ 305)).

وأما يزيد فقد اختلفوا فيه، هل هو ابن هرمز أو غيره...؟ وقد ذكره البخاري في كتاب الضعفاء، تحت رقم 407 لاشتباهه فيه يراجع: (البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (256هـ)، **الضعفاء الصغير**، تح: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي–حلب، ط1، 1396هـ، (ص 122)). وقال الذهبي: ليس بقوي: **ميزان الاعتدال**، تحت رقم: 9760، (4/ 440)، أما ابن حجر فقد وثقه.يراجع: ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (852هـ)، **تهذيب التهذيب**، مطبعة دائرة المعارف النظامية–الهند، ط1، 1326هـ، (11/ 369).

(4)- المبارك فوري: محمد بن عبد الرحمن (1283هـ): **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، مراجعة عبد الوهاب عبد اللطيف، ط2، المكتبة السلفية–المدينة المنورة ، (8/ 480).

(5)- محمد رشيد رضا، **م.س**، (9/ 487)، ويراجع كذلك: سلامة، محمد علي: **منهج الفرقان في علوم القرآن**، مطبعة شبرا، 1937م، (ص 136).

غيرها...؟ إنه يكون بذلك قد تأخر عن البيان وقت الحاجة إليه، بل انتقل إلى الرفيق الأعلى قبل البيان، وحاشاه –صلى الله عليه وسلم– أن يفعل ذلك، مع ورود الأحاديث الصحاح بأنه كان يعرض القرآن كله في رمضان من كل عام على حبريل، وعرضه في العام الذي توفي فيه مرتين، وحينئذ فأين كان يضع هاتين السورتين في قراءته حينما كان يعرضهما على حبريل...؟[1].

ثم "إن إطلاق الاسم على كل منهما، واختلافه فيهما، مما يعين أن هذه غير تلك، وقد سمى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كلا منهما"[2].

أما قوله: "فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم" فإن البسملة لا تخضع لهوى الكتاب إثباتاً وحذفاً، أخرج أبو داود والحاكم، وصححاه عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: **"كان النبي –صلى الله عليه وسلم– لا يعلم ختم السورة حتى ينزل: بسم الله الرحمن الرحيم"**. وفي رواية: **"فإذا نزلت: بسم الله الرحمن الرحيم، علم أن السورة قد انقضت"**، قال الحافظ أبو شامة: هذا حديث حسن"[3].

وأما ما قاله المفسرون في أسباب عدم ذكر البسملة في أول سورة براءة، فهو التماس للحكمة، وقد قام الإجماع على أن سورة الأنفال سورة برأسها غير سورة التوبة، ولذا قال الزركشي (794هـ): "إن سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة بإجماع أهل الحل والعقد"[4].

فالقرآن الكريم كله آية آية، وسورة سورة، مرتب من الله تعالى، وقد بلغه عنه رسوله الأمين –صلى الله عليه وسلم–، لصحابته الكرام، فرتبوه كما سمعوه.

✓ **السبب الثالث:** إن هناك سوراً متحدة في المطلع رتبت ولاء، كالحواميم والطواسين، ولم ترتب المسبحات تباعاً، بل فصل بينهما بالمجادلة، والممتحنة، والمنافقون، وأفردت الإسراء في النصف الأول، وفصل بين الشعراء والقصص، وهما يبدءان بـ (طسم)، وبـ (طس النمل) مع أنها أقصر منهما، ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء، وأخرت (طس) عن القصص، أما وأنه قد حصل الفصل بين

(1)– محمد رشيد رضا، **م.ن**، (9/ 487).

(2)– الآلوسي، **م.س**، (10/ 40-41).

(3)– ينظر: العسقلاني، ابن حجر: **م.س**، (10/ 410).

(4)– الزركشي، **البرهان**، (1/ 317).

المتماثلات والمتقاربات من السور، مع عدم مراعاة التناسب في الطول والقصر ، فهذا يدل على أن الترتيب توقيفي.[1]

✓ **السبب الرابع:** إن الذي قام بمهمة النسخ للمصاحف، مع النفر القرشيين في عهد عثمان –رضي الله عنه وأرضاه–، هو زيد بن ثابت[2] (45هـ)، وهو نفسه أشرف على جمع القرآن في الصحف التي نسخت منها المصاحف، على عهد أبي بكر –رضي الله عنه–، وهو كذلك أحد كتاب الوحي، وشهد العرضة الأخيرة للقرآن، وسمع النبي –صلى الله عليه وسلم– يقرأ القرآن على هذا الترتيب، وإلاّ على أي ترتيب كان الرسول –صلى الله عليه وسلم– يقرأ القرآن...؟

وقد جعل ابن الزبير الغرناطي (708هـ) هذا الخلاف بين العلماء لفظياً، فقال: "إن كان بتوقيف منه –صلى الله عليه وسلم– فلا مجال للخصم، وإن كان مما فوض فيه الأمر إلى الأمة بعده، فقد أعمل الكل من الصحابة جهده، وهم الأعلياء بعلمه، والمسلم لهم في وعيه وفهمه "[3]، ومعه الزركشي (794هـ) إذ يقول: "والخلاف يرجع إلى اللفظ لأن القائل بالثاني يقول: إنه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته"[4].

كما "أن هذا الترتيب يقوي الوحدة المعنوية بين سور الكتاب المبين ، ويقطع الطريق أمام المشككين والطاعنين،كما يشير إلى ذلك النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ"، فهذا التأليف من لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أصل من أصول المسلمين لا يسعهم جهله لأن تأليف القرآن من

---

(1)- يراجع: السيوطي، **الإتقان**، (1/ 179).

(2)- **زيْد بن ثابت (11ق.هـ–45هـ /611–665م) بن** الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبو خارجة: صحابي، من أكابرهم.كان كاتب الوحي. ولد في المدينة ونشأ بمكة، وقتل أبوه وهو ابن ست سنين. وهاجر مع النبي صلّى الله عليه وسلم وهو ابن 11 سنة، وتعلم وتفقه في الدين، فكان رأسا بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض...وكان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي صلّى الله عليه وسلم من الأنصار، وعرضه عليه. وهو الّذي كتبه في المصحف لأبي بكر، ثم لعثمان .له في كتب الحديث 92 حديثاً. الزركلي، **م.س**، (3/ 57).

(3)- الغرناطي: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (708هـ)، **البرهان في تناسب سور القرآن**، تح: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –المغرب، 1410هـ/1990م، (ص 183).

(4)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 257).

إعجازه ولو كان التأليف عن غير الله جل وعز ورسول الله صلى الله عليه وسلم لسوعد بعض الملحدين على طعنهم"[(1)].

أضف إلى ذلك: إجماع الأمة بدءا من عصر الصحابة على هذا الترتيب، فصار الالتزام به أمر لا بد منه"[(2)]،كما تحرم مخالفته ؛لما في ذلك من جر إلى الفتنة ودرء الفتنة وسد ذرائع الفساد واجب[(3)].

والأقوى من ذلك أن إجماع الصحابة رضي الله عنهم جميعا لا يكون إلى عن مستند[(4)].

وضف إلى كذلك، أن الجهود المبذولة للعلماء، قديماً وحديثاً، في استنباط التناسب الموجود بين كل سورة ولاحقتها، قد يشير، ولو عرضاً، أن هكذا ترتيباً لا يمكن أن يكون اعتباطياً...

---

(1)- النَّحَّاس: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسـماعيل بن يونس المرادي النحوي (338هـ)، **الناسـخ والمنسـوخ**، تح: محمد عبد السلام محمد،، مكتبة الفلاح–الكويت، ط1، 1408هـ، (ص 482).

(2)- الطوير، حسن مسعود: **المنهج البلاغي لتفسير القرآن الكريم**، ط1، بيروت. (ص 142).

(3)- الزرقاني، **مناهل العرفان**، (1/ 358).

(4)- سلامة، محمد علي، **م.س**، (ص 132).

المبحث الثالث:نبذة عن التفسير بالرأي.

المطلب الأول: مفهوم التفسير بالرأي.

المطلب الثاني: أنواع الرّأي في التفسير.

يختص هذا الجزء من البحث ببيان مفهوم التفسير بالرأي،حكمه ثم أنواعه.

المطلب الأول: مفهوم التفسير بالرأي:

لمعرفة هذا المعنى المركب لا بد من بيان كل من الرأي والتفسير.

أما المقصود بالرأي:ففي اللغة مصدر رأى رأياً. مهموز، والرأي مَهْمُوز من قَوْلهم: رَأَيْت رَأيا حسنا... والرأي: مُنْتَهى الْبَصَر رَأْي الْعين: مُنْتَهى بصرها والرؤية: رُؤْيَة الْعين[1].

"والرَّأْيُ: الاعْتِقادُ، ج: آراءٌ وأَرْآءٌ وأَرْيٌ ورُيٌّ ورِيٌّ ورَئِيٌّ، كَغَنِيٍّ"[2] ويُجمع على آراء وأرءاءٍ.

وفي الكليات: "الرَّأْي: اعْتِقَاد النَّفس أحد النقيضين عَن غَلَبَة الظَّن... وَقَالَ بَعضهم: الرَّأْي: هُوَ إجالة الخاطر فِي الْمُقدمَات الَّتِي يُرْجَى مِنْهَا إنتاج الْمَطْلُوب وَقد يُقَال للقضية المستنتجة من الرَّأْي رَأْي، وَيُقَال لكل قَضِيَّة فَرضهَا فارض رَأْي أَيْضا"[3].

ومصدر الرأيِ: العقلُ، ولذا جُعِلَ التفسيرُ العقليُ مرادفاً للتفسير بالرأي.

وأما التفسير: فيطلق في اللغة على الكشف والبيان والإيضاح والتفصيل، قال ابن فارس(395هـ): "فسر" الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه. من ذلك فسر، يقال: فسرت الشيء وفسرته"[4].

---

(1)- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (321هـ)، **جمهرة اللغة**، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين-بيروت، ط1، 1987م، (1/ 256).

(2)- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (817هـ)، **القاموس المحيط**، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت-لبنان، ط8، 1426هـ/2005م، (ص 1286).

(3)- الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي (1094هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تح: عدنان درويش-محمد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 480).

(4)- ابن فارس، **م.س**، (4/ 504).

وجاء في القاموس: الفسر: الإبانة وكشف المغطى كالتفسير[1]. ومن ذلك قوله تعالى: **"وَلاَ يَاتُونَكَ بِمَثَلٍ اِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ أَحْسَنَ وَ تَفْسِيراً"** [الفرقان:33] كما يطلق ويراد به التأويل ومنه قوله تعالى: **"نَبِّئْنَا بِتَاوِيلِهِ إِنَّا نَرِيكَ مِن اَلْمُحْسِنِين"** [يوسف:36]

يقول ابن كثير (774هـ)[2] في قوله تعالى: **"وَلاَ يَاتُونَكَ بِمَثَلٍ اِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً"** [الفرقان:33]: أي "ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق، إلاّ أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم"[3].

ومن الألفاظ التي تستخدم للدلالة على التفسير، لفظ التأويل ولفظ المعنى. جاء في تهذيب اللغة: "التفسير والتأويل والمعنى؛ واحد."[4].

وللعلماء في اصطلاحه تعبيرات شتى منها:

عند ابن جزي (741هـ)[5]: "معنى التفسير: شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه"[6].

---

(1)- الفيروز آبادي، **م.س**، ،(ص 456). ويراجع :ابن منظور، **م.س**، (5/ 55).

(2)- **ابن كَثِير** (**701–774هـ/1302–1373م**): إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة 706هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق. تناقل الناس تصانيفه في حياته.من كتبه (البداية والنهاية) 14 مجلداً في التاريخ و(شرح صحيح البخاري) لم يكمله، و(طبقات الفقهاء الشافعيين) و(تفسير القرآن الكريم) عشرة أجزاء و(الاجتهاد في طلب الجهاد) وغيرها. (الزركلي، **م.س**، (1/ 320)).

(3)-ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/1999م، (6/ 109).

(4)- الأزهري: محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (370 هـ)، **تهذيب اللغة**، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط1، 2001م، (12/ 83).

(5)- **ابن جُزَيّ الكَلْبي** (**693–741هـ–1294–1340م**): محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة. من كتبه (القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية) و(تقريب الوصول إلى علم الأصول) و(الفوائد العامة في لحن العامة) و(التسهيل لعلوم التنزيل) تفسير، وغيرها. (الزركلي، **م.س**، (5/ 325)).

(6)- ابن جُزَي: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (741هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تح: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم-بيروت، ط1، 1416هـ، (1/ 6).

وعرّفه أبو حيان[1] (745هـ)، فقال: "التفسير: علم يُبحث فيه عن كيفيةِ النطقِ بألفاظِ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حال التركيب، وتتمات ذلك.النزول، وقصة توضّح ما انبهم في القرآن، ونحو ذلك"[2].

وعرَّفه الزركشي (794هـ) في موضعينِ من كتابه البرهان في علوم القرآن، فقال في الأول: "علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلّى الله عليه وسلّم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه"[3].

وعرّفه في الموضع الثاني، فقال: "هو علم نزول الآية وسورتِها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيِّها ومدنيّها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصِّها وعامِّها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها.وزاد فيه قوم، فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها"[4].

وقال ابن عرفة (803هـ)[5]: "... هو العلم بمدلول القرآن وخاصية كيفية دلالته، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ"[6].

---

(1)- **أبو حيّان الأندلسي (654-745هـ/1256-1344م)**: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حَيَّان الغرناطي الأندلسي الجياني، النِّفْزي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة. وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفي فيها، بعد أن كف بصره.من كتبه (البحر المحيط) في تفسير القرآن، ثماني مجلدات و(النهر) اختصر به البحر المحيط، و(مجاني العصر) في تراجم رجال عصره.وغيرها: (الزركلي، **م.س**، (7/ 152)).

(2)- أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر -بيروت، ط1، 1420هـ، (1/ 26).

(3)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 13).

(4)-الزركشي، **م.ن**، (2/ 148).

(5)- **ابن عَرَفَة (716-803هـ/1316-1400م)**: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، أبو عبد الله: إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره.مولده ووفاته فيها. نسبته إلى (ورغمّة) قرية بإفريقية ،تولى إمامةلجامع الأعظم سنة 750 هـ وقدم لخطابته سنة 772 وللفتوى سنة 773. من كتبه (المختصر الكبير) في فقه المالكية، و(المختصر الشامل) في التوحيد، و(مختصر الفرائض) و(المبسوط) في الفقه سبعة مجلدات ...وغيرها. والمصادر متفقة على أن وفاته سنة 803 إلاّ أن صاحب عنوان الأريب (1/ 106) يروي أن (ثقة) أخبره بأن المكتوب على ضريحه إنه توفي في 20 جمادى الأخيرة سنة 800؟. (الزركلي، **م.س**، (7/ 43)).

(6)- ابن عرفة: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (803هـ)، **تفسير الإمام ابن عرفة**، تح: حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية-تونس، ط1، 1986م، (1/ 59).

وقال الكافيجيّ (897هـ)[1]: "وأما التفسير في العرف، فهو كشف معاني القرآن، وبيان المراد.والمراد من معاني القرآن أعم، سواءً كانت معاني لغوية أو شرعية، وسواءً كانت بالوضع أو بمعونة المقام وسوق الكلام وبقرائن الأحوال؛ نحو: السمَّاء والأرض والجنَّة والنَّار، وغير ذلك. ونحو: الأحكام الخمسة. ونحو: خواصِّ التَّركيب اللازمة له بوجه من الوجوه"[2].

ويظهر في هذه التعريفات أنَّ التخصص الذي يغلب على المفسر، يجعله لا يرى أحداً أحقَّ بالتفسير حتى يكتمل في العلم الذي برز هو فيه، لذا ترى الزمخشري (538هـ)[3] لا يرى المفسر مفسراً حتى يكون له نصيب من علم المعاني وعلم البيان (أي: علم البلاغة).

يقول: "ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدقُ سلكها: علمُ التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم، كما ذكر الجاحظ[4] (255هـ) في كتاب نظم القرآن. فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بزَّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القِرِّيَّة أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحويُّ وإن كان أنحى من سيبويه،

(1)- **الكافِيَجي (788-879هـ/1386-1474م)**: محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي محيي الدين، أبو عبد الله الكافيجي: من كبار العلماء بالمعقولات. اشتهر بمصر، ولازمه السيوطي 14 سنة. وعرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو. ولي وظائف، منها مشيخة الخانقاه الشيخونية. وانتهت إليه رياسة الحنفية بمصر. له تصانيف، أكثرها رسائل، منها (مختصر في علم التاريخ) و(أنوار السعادة في شرح كلمتي الشهادة) و(منازل الأرواح) ، و(التيسير في قواعد التفسير) ،وغيرها، (الزركلي، **م.س**، (6/ 150)).

(2)- الكافيجي: محيي الدين محمد بن سليمان، **التيسير في قواعد التفسير**، تح: محمد حسين الذهبي، مكتبة القدسي، ط1، 1419هـ/1998م، (ص 124-125).

(3)- **الزَّمَخْشَرِي (467-538هـ/1075-1144م)**: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها. أشهر كتبه (الكشاف) في تفسير القرآن، و(أساس البلاغة) و(المفصل) وغيرها، وله (ديوان شعر). وكان معتزلي المذهب، مجاهرا، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره. (الزركلي، **م.س**، (7/ 178)).

(4)- **الجاحِظ (163-255هـ/780-869م)**: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره. وكان مشوه الخلقة. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة، منها: (الحيوان) و(البيان والتبيين) و(سحر البيان) و(التاج) ويسمى أخلاق الملوك، و(البخلاء) و(المحاسن والأضداد) وغيرها....(الزركلي، **م.س**، (5/ 74)).

واللغويُّ وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجلٌ قد برعَ في علمين مختصين بالقرآنِ، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادِهما آونةً، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانّهما همة في معرفةِ لطائفِ حجةِ الله، وحرصٌ على استيضاح معجزة رسول الله، بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعاً بين أمرين: تحقيق وحفظ"[1].

وعرّفه الزرقاني[2] (1367هـ): "فقال علم يُبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"[3].

وعرفه محمد الطاهر بن عاشور[4] (1393هـ) فقال: "التفسير اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، وما يستفاد منها باختصار أو توسع"[5].

وقد أورد السيوطي (911هـ) في الإتقان للتفسير تعريفات عدة يمكن الرجوع إليها فيه[6].

ومن الألفاظ التي تستخدم للدلالة على التفسير، لفظ التأويل ولفظ المعنى. قال ابن الأعرابي (231هـ)[4]: "التفسير والتأويل والمعنى؛ واحد"[5]، فإذا قال مفسر: "معنى هذه الآية كذا"[6]، أو قال: "تأويل هذه كذا..'.

وأما التفسير بالرأي: أن يُعْمِلَ المفسر عقله في فهم القرآن، والاستنباط منه، مستخدماً آلات الاجتهاد. وله مصطلحاتٌ مرادفة، وهي:التفسير العقلي، والتفسير الاجتهادي، التفسير بالدراية.

---

(1)- الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي-بيروت، ط2، 1407هـ، (1/ 15-17).

2- **الزُّرْقاني (1367هـ /1948م)**: محمد عبد العظيم الزرقاني: من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة. من كتبه (مناهل العرفان في علوم القرآن) و(بحث في الدعوة والإرشاد)...(الزركلي، **الأعلام**، (6/ 210)).

(3)- الزرقاني، **مناهل العرفان**، (2/ 3).

(4)- **ابن عاشُور (1296-1393هـ/1879-1973م)**: محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس.مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام 1932) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و(التحرير والتنوير) في تفسير القرآن ... (الزركلي، **الأعلام**، (6/ 174)).

(5)- محمد الطاهر ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر-تونس، 1634هـ/1984م، (د.ر.ط)، (1/ 11).

(6)- السيوطي، **الإتقان**، (4/ 192 وما بعدها).

المطلب الثاني: أنواع الرّأي في التفسير:

التفسير: بيان لمراد الله سبحانه بكلامه، ولما كان كذلك، فإن المتصدي للتفسير عرضة لأن يقول: معنى قول الله كذا. ثم قد يكون الأمر بخلاف ما قال. ولذا قال مسروق بن الأجدع (63هـ)[1]: "اتقوا التفسير؛ فإنما هو الرواية عن الله عز وجل"[2]، وقد اتخذ هذا العلم طابعاً خاصاً من حيث توقِّي بعض السلف وتحرجهم من القول في التفسير، حتى كان بعضهم إذا سئل عن الحلال والحرام أفتى، فإذا سئل عن آية من كتاب الله سكت كأن لم يسمع.

وقد أورد المحقق ابن كثير (774هـ) في تفسيره جمة آثار تشير إلى تورعهم وتخوفهم ذلك[3] منها ما أخرجه عن أنس [4] "قال[5] :**كنَّا عند عمرَ –رضي الله عنه– وفي ظَهْر قميصِهِ أربعُ رقاعٍ، فقرأ: {وفاكهة وأبا}، فقال: ما الأبُّ؟ ثم قال: إنَّ هذا لهو التَّكلُّف، فما عليك ألا تَدريه**" [6]، وهذا

---

(1)- **مَسْروق بن الأجْدَع (63هـ/683م)**: مسروق بن الأجدع بن مالك الهَمْداني الوادعي، أبو عائشة: تابعي ثقة، من أهل اليمن. قدم المدينة في أيام أبي بكر. وسكن الكوفة. وشهد حروب عليّ. وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه بالقضاء...(الزركلي، **م.س**، (7/ 215))

(2)- ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم**، (1/ 13).

(3)- ابن كثير، **م.ن**، (1/ 10 وما بعدها).

(4) – أنَس بن مالِك (10 ق هـ – 93 هـ = 612 – 712 م) ابن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة: صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلم وخادمه. روى عنه رجال الحديث 2286 حديثا. مولده بالمدينة وأسلم صغيرا وخدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة .ينظر:الزركلي،**الأعلام** ، (2/ 24) وعند ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (852هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**،تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض،دار الكتب العلمية – بيروت،ط1، 1415 هـ،(276/1).

(5) ورواه في **مسند الفاروق** برقم:890، ينظر: ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (774 هـ) ،**مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم**،تح: إمام بن علي بن إمام، دار الفلاح، الفيوم – مصر،ط1، 1430 هـ - 2009 م ،(2/ 614).

(6)–ورواه البخاري في صحيحه برقم: 7293 باب :ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه،عن سليمان بن حرب به مختصرا ولفظه: "نهينا عن التكلف". يراجع: (البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه= صحيح البخاري**، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم رقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ، (9/ 95).و روى الحاكم مثله في مستدركه برقم: 3897

الأمر هو الذي طبع على مصطلح (الرأي) حساسية خاصة، تجعل بعضهم يقف منه موقف المتردِّد، بخاصة لورود آثار تذمه، كما اشتهر تقسيم الرأي في التفسير إلى: محمود ومذموم.

بيد أنّ المستقرئ لما ذكر في هذا الباب (أي: الرأي) يجد إعمالاً للبعض منهم له[1] رغم ذمّه له. يقول الشاطبي[2] (790هـ) في الموافقات: "إعمال الرأي في القرآن جاء ذمّه، وجاء أيضاً ما يقتضي إعماله...والقول فيه أن الرأي ضربان: أحدهما: جار على موافقة كلام العرب وموافقة الكتاب والسنة؛ فهذا لا يمكن إهمال مثله لعالم بهما لأن الكتاب لا بد من القول فيه ببيان...(وإن لم يقع) تتعطل الأحكام كلها أو أكثرها، وذلك غير ممكن... والثاني: أنه لو كان كذلك للزم أن يكون الرسول –صلى الله عليه وسلم– مبينا ذلك كله بالتوقيف؛ فلا يكون لأحد فيه نظر ولا قول، والمعلوم أن عليه الصلاة والسلام لم يفعل ذلك... بل بيّن منه ما لا يوصل إلى علمه إلاّ به، وترك كثيرا مما يدركه أرباب الاجتهاد باجتهادهم؛ فلم يلزم في جميع تفسير القرآن التوقيف. والثالث: أن الصحابة كانوا أولى بهذا الاحتياط من غيرهم، وقد علم أنهم فسروا القرآن على ما فهموا... فإطلاق القول بالتوقيف والمنع من الرأي لا يصح... وأما الرأي غير الجاري على موافقة العربية أو الجاري على الأدلة الشرعية؛ فهذا هو الرأي المذموم من غير إشكال... لأنه تقوّل على الله بغير برهان؛ فيرجع إلى الكذب عليه تعالى"[3].

وخلاصة قوله: أن ما جاء موافقاً للغة والكتاب والسنة، فهو المقبول، أما الجاري على غير العربية أو خالف الأدلة الشرعية فهو المذموم المتروك. وتحقيق المسألة أن الذي يُرَد هو ما كان قولاً بغير علم، وهو نوعان: علم فاسد ينشأ عن الهوى، أو علم غير تام وينشأ عن الجهل[4].

---

(1)– ولقد أمعن محمود شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري النظر في الأحاديث الواردة في النهي، وحققها تحقيقا مفصلاً يشفي غليل طالب العلم، ينصح بالرجوع إليه .يراجع: (الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م، (1/ 78 وما بعدها).

(2)– **الشاطبي (790هـ/1388م)**: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، من كتبه (الموافقات في أصول الفقه) و(الإفادات والإنشادات) و(أصول النحو) و(الاعتصام)... (الزركلي، **الأعلام**، (1/ 75)).

(3)– يراجع: الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير (790هـ)، **الموافقات**، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/1997م، (4/ 276–280).

(4)– و قد ورد النهي عن هذا النوع في كتاب الله تعالى مثل قوله: **"قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"** [الأعراف: 33]. وقوله

يرى أ.د مساعد الطيار أن مسألة جواز التفسير بالرأي ليس فيها خلافا حقيقيا ويرجع سبب هذا إلى عدم تحرير محل النزاع؛ فلو توضح لا كلام عن وجود خلاف(1).

أولا:الرأي المحمود في التفسير وشروطه:

الرأي المحمود ما كان قولاً مستنداً إلى علمٍ؛ فإن كان كذلك فهو رأيٌ جائز، وما خرج عن ذلك فهو مذموم. وقد عُلم أن للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ (2) كثيرة أمهاتها أربعة:

الأولى: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

الثانية: الأخذ بقول الصحابي فقد قيل إنه في حكم المرفوع مطلقا وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأي فيه.

الثالثة: الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب.

تعالى:**"وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ"** [البقرة: 167- 168]. وقوله تعالى: **"وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً"** [الإسراء:36]. وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم، كقوله: (إن الله عز وجل لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء، فيقبض العلم، حتى إذا لم يترك عالماً، اتخذ الناس رؤساء جُهّالاً، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا) (رواه البخاري في كتاب الاعتصام، وترجم له بقوله: "بابُ ما يذكر من ذمِّ الرأي وتكلف القياس") كما ورد نهي السلف عنه. فعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: (اتقوا الرأي في دينكم".وقال:"إياكم وأصحاب الرأي؛ فإنهم أعداء السنن.أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا برأيهم، فضلّوا وأضلوا" .وورد عن الحسن البصري (110هـــ) قوله: "اتهموا أهواءكم ورأيكم على دين الله، وانتصحوا كتاب الله على أنفسكم ودينكم" وعن مسروق (63هـ) قال: (من يرغب برأيه عن أمر الله يضلّ) . وقال الزهري (124هـ): (إياكم وأصحاب الرأي، أعيتهم الأحاديث أن يعوها)وممن نُقِل عنه ذم الرأي أو القياس ابن مسعود (33هـــ) من الصحابة، وابن سيرين (110هـــ) من تابعي الكوفة، وعامر الشعبي (104هـ) من تابعي الكوفة، وغيرهم .يراجع : ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (463هـ)، **جامع بيان العلم وفضله**،تح: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي-المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ/1994م، (2/ 71 وما بعدها).

(1)- أ.د.مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، **فصول في أصول التفسير**، تقديم: محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط2، 1423هـ، (ص 65).

(2)- يراجع : أبو بكر بن العربي: القاضي محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي (543هـ)، **قَانون التَّأويْل**، تح: محمّد السّليماني، دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة-جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن-بيروت ط1، 1406هـ/1986م، (ص 659-660)، وعند الزركشي، **البرهان**، (2/ 156 وما بعدها).

الرابعة: الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع وهذا النوع الرابع هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس في قوله: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، "وروى البخاري رحمه الله في كتاب الجهاد في صحيحه عن علي: هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء؟ فقال ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة أو فهم يؤتاه الرجل. وعلى هذا قال بعض أهل الذوق: للقرآن نزول وتنزل فالنزول قد مضى والتنزل باق إلى قيام الساعة"[1].

ثانيا:الرأي المذموم وصوره:

واضح أن ما خالف ما ذكر من شروط يصير فيها التفسير مذموماً، وهذه بعض من صوره:

الأولى:تفسير ما لا يعلمه إلا الله:وهو أحد أوجه التفسير التي أوردها ابن عباس، ويشتمل على أمرين: أحدهما: تكييف المغيبات التي استأثر الله بعلمها؛ كتكييف صفاته سبحانه، أو غيرها من المغيبات.ثانيها: تحديد زمن المغيبات التي ورد ذِكْرُ خروجها؛ كزمن خروج الدابة، أو نزول عيسى، أو غير ذلك. فهذه الأشياء لا سبيل للبشر إلى معرفتها؛ فمن زعم أنه قادرٌ على ذلك فقد أعظم الفرية على الله.

الثانية:من ناقض التفسير المنقول أو أعرض عنه: يشمل التفسير المنقول: كل ما نُقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو أصحابه أو التابعين وأتباعهم، فمن أقدم على التفسير دون الرجوع إلى التفسير المنقول فإنه سيقع في الرأي المذموم؛ لأن جُزءاً من التفسير لا يمكن معرفته إلا عن طريق النقل عنهم؛ كأسباب النزول، وقصص الآي، وناسخها... وغيرها.

الثالثة:من فسر بمجرد اللغة دون النظر في المصادر الأخرى: إن التسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وغيرها؛ مُوقِعٌ في الخطأ، فمن لم يُحكّم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من قال برأيه المذموم[2]. واعتماد اللغة فقط دون غيرها من المصادر، هو أحد أسباب الخطأ الذي يقع في

(1)- الزركشي، **البرهان**، (2/ 161).

(2)-يراجع: القرطبي: (671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (1/ 34).

التفسير، كما حكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "والآخرون راعوا مجرد اللفظ، وما يجوز عندهم أن يريد به العربي، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام. ثم هؤلاء كثيرًا ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة"(1).

الرابعة:أن يكون له رأي فيتأول القرآن على وفق رأيه (2): ويكثر هذا عند أهل الأهواء والبدع، حيث أنهم يعتقدون الرأي، ثم يبحثون عن دليله، وقد يحرّفون الكلم عن مواضعه ليوافق آراءهم، ولو لم يكـــن لهؤلاء هذا الاعتقاد والرأي لما فسر القرآن بهذه التفسيرات المنحرفة.

ويقع خطأ أولئك على أقسام:

- ✓ **الأول: الخطأ في الدليل والمدلول**: وذلك أن المفسر يستدل لرأيه بدليل، ويكون رأيه الذي استدل له باطلٌ فيستلزم بطلان دلالة الدليل على المستدل له.

ومثال ذلك أن المعتزلة اعتقدوا أن الله سبحانه لا يُرى في الآخرة، وهذا باطل، ثم استدلوا لهذا بقوله تعالى: " **قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي**" [الأعراف:من 143] فجعلوا {لَن} لتأبيد النفي، وهذا غير صحيح في هذا الموضع. ومثاله(3) كذلك استدلال بعض المتصوفة على جواز الرقص وهو حرام بقوله تعالى: "**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ**" [ص:من 42].

- ✓ **الثاني: الخطأ في الاستدلال لا في المدلول**: وفي هذا يكون المدلول بذاته صحيحاً، ولكن حَمْل الآية عليه لا يصح.ومثاله ما فسر به بعضهم قوله تعالى:" **إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ**" [البقرة: 247]، حيث قال(4): "هذه الآية مَثَلٌ ضربه الله للدنيا، فشبهها الله بالنهر، والشارب منه بالمائل إليها المستكثر

---

(1)- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (728هـ)، **مقدمة في أصول التفسير**، دار مكتبة الحياة-بيروت-لبنان، 1490هـ-1980م، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 33).

(2)- القرطبي، **م.س**، (1/ 33)، ابن تيمية، **م.س**، (ص 81 وما بعدها).

(3)- القرطبي، **م.ن**، (15/ 215).

(4)- وقريب من هذا القول الذي أورده القرطبي، ما جاء في تفسير البقلي (606هـ): وهذا مثل ضربه الله للدنيا ومن يطلبها لان الدنيا نهر الشهوات أجرى الله تعالى بين الخلائق لامتحان العباد ليضل بها قوما ويهدى بها قوماً من شرب منها بقدر الضرورة لقوة العبادة

منها، والتارك لشربه بالمنحرف عنها والزاهد فيها، والمغترف بيده غرفة بالآخذ منها قدر الحاجة، وأحوال الثلاثة عند الله مختلفة"[1].

فهذا الكلام من حيث هو في ذاته مجرداً عن الآية كلام صحيح، ولكنّ جَعْلَهُ تفسيراً للآية خطأٌ ظاهرٌ، ولذا قال القرطبي (671هـ) معلقاً على هذا القول: "ما أحسن هذا لولا ما فيه من التحريف في التأويل، والخروج عن الظاهر، ولكن معناه صحيح من غير هذا"[2]... فهذه بعض صور التفسير بالرأي المذموم. والله أعلم.

وعلى هذا الأساس فإن البحث في علم التناسب القرآني لا يصح إلاّ أن ينضبط بضوابط التفسير بالرأي المحمود -المذكورة آنفا - وأن ينأى به عن مثل تلك التفسيرات الباطلة المذمومة. وهذا هو الغرض من إدراج هذا الفرع في البحث.

يعبرها بشـــرط الانفراد فانه من أهل الإيقان والعرفان ويهدى إلى مشـــاهدة الرحمٰن ومن شـــرب منها بفرط الحرص لا مغاء الغفلة قوة للمعصية يضل عن سبيل الرشاد ولا يملأ جوفه منها أبدا حتى يدخل إلى النيران...يراجع: البقلي: أبو محمد صدر الدين روزبهان ابن أبي النضــر (606هـ)، **غرائب البيان في حقائق القرآن**، تح: الشــيخ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1429هـ/2008م، (1/ 96-97).

(1)- نقلاً عن :القرطبي، **م.س**، (3/ 251). وعزاه بقوله: "وقال بعض من يتعاطى غوامض المعاني..."

(2)- القرطبي، **م.س**، (3/ 251).

المبحث الرابع: نظرة مجملة حول المتشابه القرآني.

المطلب الأول:مفهوم المتشابه:

المطلب الثاني: تقسيمات المتشابه في القرآن:

المطلب الثالث: أهمية علم المتشابه:

انطلقت بعض المصطلحات القرآنية من القرآن نفسه، وأخذت معاني محددة، لا تخرج عن المعنى المستفاد من القرآن، وإذا تعددت المفاهيم والاجتهادات في مجال تفسير هذه المصطلحات فإن هذه المفاهيم تظل حبيسة الدلالات القرآنية، لا تتجاوزها بمعنى يناقض تلك الدلالة في إطارها العام. (1)

وحيث أن موضوع البحث: "علم المناسبة " كثيراً ما يرتبط بعلم المتشابه، وهو الأمر الذي أكده السيوطي (911هـ) فقال: "وهذا النوع-ويعني الآيات المتشابهة- يتداخل مع نوع المناسبات"(2)، وأن الدراسة التطبيقية لاحقاً ستعتمد على كثير من الآيات المتشابهة؛ فلا مناص من عرض موجز عن مفهوم المتشابه وبعض ما يندرج تحته.

المطلب الأول:مفهوم المتشابه:

في اللغة: مشتق من شبه، "والشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفا. يقال شبه وشبه وشبيه. والشبه من الجواهر: الذي يشبه الذهب. والمشبهات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمران، إذا أشكلا"(3)، "واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست لإشباه بعضها بعضاً"(4).

"الشبه والشبه والشبيه: المثل، والجمع أشباه. وأشبه الشيء: ماثله.. والمشتبهات من الأمور: المشكلات. والمتشابهات: المتماثلات"(5).

المتشابه: المشكل الذي يحتاج فيه إلى فكر وتأمل(6).

(1)- محمد فاروق النبهان، **المدخل إلى علوم القرآن الكريم**، دار عالم القرآن-حلب، ط1، 1426هـ/2005م، (ص 178).

(2)- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (3/ 391)، وفي **المعترك**، (1/ 66).

(3)- ابن فارس، **المقاييس**، (3/ 243)

(4)- الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (538هـ)، **أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1419هـ/1998م، (1/ 493).

(5)- ابن منظور، **لسان العرب**، (13/ 503).

(6)- المناوي: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (1031هـ)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تح: عبد الخالق ثروت، عالم الكتاب-القاهرة،ط1، 1410هـ/1990م، (ص 295).

ويفهم من هذه المعاني أن المتشابه في اللغة يدل على المشاكلة والمماثلة التي تجر إلى وقوع التباس.

أولا:إطلاقات المتشابه عند علماء القرآن:

أكثر من توسع في استعمال هذا المصطلح ابن المنادي (336 هـ)(1) -وهو من أوائل من ألف في متشابه القرآن- والذي رأى أنه يطلق على أشياء كثيرة، منها: متشابه إعراب حروف القرآن، ومنها متشابه غريب القرآن ومعانيه، ومنها متشابه تأويل القرآن، وفي ذلك كتب عن أهل التأويل كمجاهد وقتادة، وأبي العالية، وسعيد بن جبير، وعطاء بن يسار، وعطية، والسدي، وأبي صالح، وغيرهم، ومنتهى أكثر ذلك إلى ابن عباس رضي الله عنهما، يدخل في ذلك متشابه ناسخ القرآن ومنسوخه، وتقديمه وتأخيره، وخصوصه وعمومه... ومنها متشابه النوادر، والفرائض، والإباحات والتصريح والكنايات، وفي ذلك كتب لعدة من الفقهاء. ومنها متشابه خطوط المصاحف الأول، وحروف كتب في بعضها على خلاف ما كتبت في البعض الآخر، وفي ذلك كتب لبعض القراء. ومنها متشابه حروف القرآن المجموعة للأذكار من النسيان...(2).

وبالرجوع إلى الكتب المصنفة في علوم القرآن، يُلاحظ أن أصحابها تناولوا المصطلح في نوعين منفصلين على وجه الغلبة، واقتصروا عليهما فقط، وهما:الأول: المتشابه الذي يقابل المحكم. والثاني: المتشابه اللفظي الذي يحصل في بعض آيات القرآن الكريم.

---

(1)- **ابن المُنَادي (256-336هـ/870-947م)**: أحمد بن جعفر بن محمد، أبو الحسين ابن المنادي: عالم بالتفسير والحديث، من أهل بغداد، دفن في مقبرة الخيزران. قيل: صنف في علوم القرآن 400 كتاب. وقال ابن النديم: له مائة ونيف وعشرون كتاباً. قال ابن الجوزي: من وقف على مصنفاته علم فضله واطلاعه ووقف على فوائد لا توجد في غير كتبه، جمع بين الرواية والدراية، ولا حشو في كلامه. آخر من روى عنه محمد بن فارس الغوري. من كتبة (اختلاف العدد) و(دعاء أنواع الاستعاذات من سائر الآفات والعاهات). (الزركلي، **م.س**، (1/ 107)).

(2)- ابن المنادي: أبو الحسن بن جعفر بن محمد (336هـ)، **متشابه القرآن العظيم**، تح: الشيخ عبد الإله بن محمد الغنيمان، مكتبة دمنهور-مصر، 1414هـ/1993م، (د.ر.ط)، (ص 59-60).

أما الذي يقابل المحكم فهو يدخل في باب تقسيم الألفاظ بحسب دلالتها على المعاني، وهو باب عظيم من أبواب علم أصول الفقه، حيث اختلف فيه العلماء في تحديد معنى كل منهما اختلافاً كثيراً، وإن كانوا قد اتفقوا على أصل المعنى اللغوي لهما[1].

ورجّح الزرقاني[2] تعريف الرازي[3] (606هـ)[4]، و الذي اختاره كثير من المحققين، ولخصه بقوله:

---

(1)- يراجع: السيوطي، **الإتقان**، (3/ 4-5)، واختصرها في المعترك، فقال : "الحكم ما عرف المراد منه، إما بالظهور وإما بالتأويل.والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة، وخروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، والحروف المقطعة في أوائل السور.وقال الماوردي: المحكم ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً.والمتشابه بخلافه. قيل المحكم ما كان معقول المعنى، والمتشابه بخلافه كأعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان دون شعبان.وقيل: المحكم ما استقل بنفسه، والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه إلا بردّه إلى غيره". يراجع: **المعترك**، (1/ 103-104).

(2)- وتم الرجوع إلى مؤلفي الرازي في المحصول ومفاتيح الغيب ولم يوقف على التعريف بهذا الحد ولعله ما لخصه الزرقاني من كلامه: يراجع: **المحصول**، (1/ 231)، والمسألة بأكثر تفصيل في: **مفاتيح الغيب**، (7/ 137 وما بعدها).

(3)- **الفَخْر الرَّازِي (544-606هـ/1150-1210م)**: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله: الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه (مفاتيح الغيب)،في تفسير القرآن الكريم، و(لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات) و(معالم أصول الدين) وغيرها، (الزركلي، **الأعلام**، (6/ 313)).

(4)- يراجع **المحصول** للرازي، (1/ 230-231)، ويفصل في تفسيره فيقول: "...اللفظ الذي جعل موضوعاً لمعنى، فإما أن يكون محتملاً لغير ذلك المعنى، وإما أن لا يكون فإذا كان اللفظ موضوعاً لمعنى ولا يكون محتملاً لغيره فهذا هو النص، وأما إن كان محتملاً لغيره فلا يخلو إما أن يكون احتماله لأحدهما راجحاً على الآخر، وإما أن لا يكون كذلك بل يكون احتماله لهما على السواء، فإن كان احتماله لأحدهما راجحاً على الآخر سمي ذلك اللفظ بالنسبة إلى الراجح ظاهراً، وبالنسبة إلى المرجوح مؤولاً، وأما إن كان احتماله لهما على السوية كان اللفظ بالنسبة إليهما معا مشتركاً، وبالنسبة إلى كل واحد منهما على التعيين مجملاً، فقد خرج من التقسيم الذي ذكرناه أن اللفظ إما أن يكون نصاً، أو ظاهراً، أو مؤولاً، أو مشتركاً، أو مجملاً، أما النص والظاهر فيشتركان في حصول الترجيح، إلا أن النص راجح مانع من الغير، والظاهر راجح غير مانع من الغير، فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمحكم. وأما المجمل والمؤول فهما مشتركان في أن دلالة اللفظ عليه غير راجحة، وإن لم يكن راجحا لكنه غير مرجوح، والمؤول مع أنه غير راجح فهو مرجوح لا بحسب الدليل المنفرد، فهذا القدر المشترك هو المسمى المتشابه، لأن عدم الفهم حاصل في القسمين جميعاً وقد بينا أن ذلك يسمى متشابها إما لأن الذي لا يعلم يكون النفي فيه مشابها للإثبات في الذهن، وإما لأجل أن الذي يحصل فيه التشابه يصير غير معلوم، فأطلق لفظ المتشابه على ما لا يعلم إطلاقاً لاسم السبب على المسبب، فهذا هو الكلام المحصل في المحكم والمتشابه...". يراجع: **مفاتيح الغيب**، (7/ 138-139)

"أن المحكم ما كانت دلالته راجحة وهو النص والظاهر أما المتشابه فما كانت دلالته غير راجحة وهو المجمل والمؤول والمشكل"(1).

غير أن د.محمد بكر إسماعيل رجّح تصنيف الراغب(2) (502هـ) في مفرداته، وقال: "فقد أجاد وأفاد وحقق المراد"(3).

والمتشابه عنده في الجملة ثلاثة أضرب: من جهة اللفظ فقط، ومن جهة المعنى فقط، ومن جهتهما معا(4).

أما المتشابه اللفظي: فهو ما تكرر من القرآن لفظاً، أو مع اختلاف في العبارة والتركيب بأي صورة من الصور، كالتقديم والتأخير، والزيادة والنقصان، وإبدال حرف بآخر، أو كلمة بأخرى، وغير ذلك.

ذكره الزركشي (794هـ) قال: "وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة ويكثر في إيراد القصص والأنباء وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكرراً "(5).

وحدّه الكفوي (1094هـ) بقوله: "إيراد القصة الواحدة في سور شتى وفواصل مختلفة في التقديم والتأخير والزيادة والترك والتعريف والتنكير والجمع والإفراد والإدغام والفك وتبديل حرف بحرف آخر"(6).

فهو على وجه التفصيل الآيات القرآنية في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته أو أنباءه في ألفاظ متماثلة، وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة: تقديماً وتأخيراً، وذكراً وحذفاً، وتعريفاً

---

(1)- الزرقاني، **م.س**، (2/ 293).

(2)- **الرَّاغِب الأَصْفَهَاني (502هـ/1108م)**: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي.من كتبه (محاضرات الأدباء) و (الذريعة إلى مكارم الشريعة) و(الأخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب)، و(المفردات في غريب القرآن) وغيرها، (الزركلي، **الأعلام**، (2/ 255)).

(3)-د. محمد بكر إسماعيل، **دراسات في علوم القرآن**، دار المنار-القاهرة، ط2، 1419هـ/1999م، (ص 185).

(4)- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية-دمشق-بيروت، ط1، 1412هـ، (ص 443).

(5)- الزركشي، **م.س**، (1/ 112).

(6)- الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء الحنفي (1094هـ)، **الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تح: عدنان درويش-محمد المصري، مؤسسة الرسالة-بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط) ،(ص 845).

وتنكيراً، وإفراداً وجمعاً، وإيجازاً وإطناباً، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى، ونحو ذلك، مع اتفاق المعنى العام لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لا يدركه إلاّ من آتاه الله علماً وفهماً لأسرار كتابه. وهو كنز من كنوز إعجازه(1).

المطلب الثاني: تقسيمات المتشابه في القرآن:

يمكن تقسيمه إلى اعتبارين اثنين: من حيث جهة وقوعه أو كيفيته، ومن حيث إمكانية معرفته وعدمها.

التقسيم الأول: من حيث جهة وقوعه (كيفية وقوعه): ثلاثة أنواع(2):

1. **وهو ما كان خفاء معناه ناشئًا من جهة اللفظ** وهو نوعان:

- ✓ **تشابه لفظي يرجع إلى المفردات**: إما لغرابتها وقلة استعمالها مثل أبا، يزفون. وإما لجهة الاشتراك اللفظي مثل القرء، عسعس.
- ✓ **تشابه لفظي يرجع إلى التركيب للألفاظ وهي الجمل**: وهو ثلاثة أقسام: **أحدها**: لاختصار الكلام كقوله: **"وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ"**[النساء: من 3]: والمعنى ألا تقسطوا في اليتامى إذا تزوجتموهن(3).

ثانيها: بسط الكلام. كقوله: **"لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"** [الشورى: من 9]،

______

(1)- صالح عبد الله محمد الشتري، **المتشابه اللفظي في القرآن وأسراره البلاغية**، أطروحة دكتوراه تحت إشراف: محمد محمد أبو موسى، جامعة أم القرى السعودية،كلية اللغة العربية، فرع البلاغة والنقد، 1421هـ/2001م، (ص 8).

(2)- يراجع: الراغب، **المفردات**، (ص 443 وما بعدها)، وكذا: السمين الحلبي: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (756هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1996م، (2/ 248-249).

(3)- هذا تأويل الراغب، وللآية تأويلات منها:"نى ذلك: وإن خفتم، يا معشر أولياء اليتامى، أن لا تقسطوا في صداقهن فتعدلوا فيه، وتبلغوا بصداقهنَّ صدقات أمثالهنّ، فلا تنكحوهن، ولكن انكحوا غيرَهن من الغرائب اللواتي أحلّهن الله لكم وطيبهن، من واحدة إلى أربع، وإن خفتم أن تجوروا= إذا نكحتم من الغرائب أكثر من واحدة= فلا تعدلوا، فانكحوا منهن واحدة، أو ما ملكت أيمانكم. وقيل: بل معنى ذلك: النهي عن نكاح ما فوق الأربع، حِذارًا على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم. وقيل:معنى ذلك: فكما خفتم في اليتامى، فكذلك فتخوفوا في النساء أن تَزْنُوا بهن، ولكن انكحوا ما طاب لكم من النساءتراجع مثلا عند الطبري، جامع البيان ،(7/ 531وما بعدها)

ففي ذكر الكاف بسط للكلام، ولو قال ليس شيء لظهر المعنى، فاشتبه المراد بذكرها مع ظهور المعنى بدونها[1].

ثالثها: نظم الكلام كقوله: **"ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ"** [الكهف: 1-2] فجاءت جملة: **"وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا"**. فاصلة بين الصفة والموصوف وأصل الكلام: أنزل على عبد الكتاب قيما، ولم يجعل له عوجا.

2. التشابه من جهة المعنى. ويتعلق هذا النوع بالغيبيات؛ إذ لا يمكن للإنسان أن يتصور ما غاب عن حواسه على حقيقته، فالتخيل والتصور عنده لا يبتعد عن المحسوسات، فلا تدرك صفات الله تعالى ولا ما في الجنة من النعيم، ولا ما في النار من عذاب إلا على سبيل التقريب.

3. التشابه من جهة اللفظ والمعنى.وهو خمسة أنواع:

- ✓ **من جهة الكمية كالعموم والخصوص:** نحو قوله تعالى: **"فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ"** [التوبة: من 5]
- ✓ **من جهة الكيفية كالوجوب والندب:** كقوله تعالى: **"فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ"** [النساء: من 3].
- ✓ **من جهة الزمان؛ كالناسخ والمنسوخ؛** نحو قوله تعالى: **"ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ"** [آل عمران: من 102].
- ✓ **من جهة المكان؛** كقوله تعالى: **"وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا"** [البقرة: من 188]. وكقوله: **"إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلْكُفْرِ"** [التوبة/ من 37] فإن من لا يعرف عادة أهل الجاهلية في ذلك يتعذر عليه تفسير هذه الآية.
- ✓ **من جهة الشروط التي يصح بها الفعل أو يفسد:** كشروط الصلاة والنكاح.

هذا فيما يخص التقسيم الأول وهو من حيث جهة وقوعه.

التقسيم الثاني: من حيث إمكانية معرفته وعدمها[2]:

---

(1)- وهو لزيادة التأكيد كما ذكره بعض المفسرين، يراجع ابن عاشور، **التحرير**، (25/ 46).

(2)- يراجع: الراغب، **المفردات**، (ص 444-445)، وفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **دراسات في علوم القرآن**، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط12، 1424هـ/2003م، (ص 398).

وينقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

1. **المتشابه الحقيقي**: وهذا النوع لا يعلمه أحد من البشر، ولا سبيل للوقوع عليه؛ كوقت قيام الساعة، وحقيقة الروح وغير ذلك من الغيبيات التي اختص الله بعلمها.
2. **المتشابه الإضافي**: وهو ما اشتبه معناه لاحتياجه إلى مراعاة دليل آخر، فإذا تقصى المجتهد أدلة الشريعة وجد فيها ما يبين معناه؛ كالألفاظ الغريبة، والأحكام الغَلِقَة، والتي تحتاج إلى استنباط وتدبر، وبعض مسائل الإعجاز العلمي.
3. **المتشابه الخفي**: وهو ضرب متردد بين الأمرين، يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم، وهو الضرب المشار إليه في دعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم- لابن عباس رضي الله عنهما: **" اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيل** [(1)].

المطلب الثالث: أهمية علم المتشابه:

الثابت بالاستقراء أن المتشابه لا يقع في القواعد الكلية، وإنما في الفروع الجزئية، وهو قليل بالنسبة للمحكم فيها[(2)].

ووجوده في القرآن لغاية وحكمة وقد أشار الإمام فخر الدين الرازي (606هـ) إلى بعض حِكم وجود المتشابه في القرآن الكريم بقوله: "لو كان القرآن محكمًا بالكلية، لما كان مطابقًا إلا لمذهب واحد، وكان تصريحه مبطِلاً لكل ما سوى ذلك المذهب، وذلك مما ينفر أرباب المذاهب عن قَبُوله وعن النظر فيه، فالانتفاع به إنما حصل لما كان مشتملاً على المُحكَم وعلى المتشابه، فحينئذٍ يطمع صاحب كلِّ مذهب أن يجد فيه ما يقوِّي مذهبه، ويؤثِر مقالتَه، فحينئذٍ ينظر فيه جميعُ أرباب المذاهب، ويجتهد في

(1)- **الحديث**: أخرجه أحمد في مسند ابن عباس تحت رقم: 2397، وقال المحقق: "إسناده قوي على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن عثمان بن خثيم، فمن رجال مسلم، وهو صدوق. زهير أبو خيثمة: هو ابن معاوية.وأخرجه يعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" من طريقين عن زهير أبي خيثمة، بهذا الإسناد.وأخرجه الطبراني من طريق داود بن أبي هند، عن سعيد بن جبير". يراجع: (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (241هـــ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (4/ 225).

(2)- محمد بكر إسماعيل، **م.س**، (190).

التأمل فيه كلُّ صاحب مذهب، فإذا بالَغوا في ذلك صارت المُحكَمات مُفسِّرة للمتشابهات، فبهذا الطريق يتخلَّص المبطل عن باطله، ويَصِل إلى الحق"[1] ومن هذه الحكم[2]:

✔ أن القرآن الكريم كتاب هداية ومنهج حياة، أنزله الله بمطالب البشر جميعًا، على اختلاف بيئاتهم وأزمانهم، وحاجاتهم لا تحصى ولا تنحصر، فلا يكفيها تشريع تحتويه ملايين الصفحات. فكان من حكمة الحكيم الخبير أن ينزل من القرآن نصوصًا تحتمل وجوهًا من البيان، كل وجه منها يمس جانبًا من جوانب الحياة، ويقضي مطلبًا من مطالب الإنسان، ويفتح له بابًا من أبواب التيسير، فيدفع عنه حرجًا، أو يجعل له مخرجًا مما يعاني منه، أو يحبسه عن تحقيق أهدافه المشروعة.

✔ في وجود المتشابه تدريب للعقول على التأمُّل والنظر، وتمايز العلماء فيما بينهم وإثبات التفاضل والتفاوت في العلم بين العباد؛ إذ لو كان القرآن الكريم كله محكمًا لاستوت منازل الخلق في فهمه، ولم يظهر فضل العالم على الجاهل، ولم يتبين فضل الذي يعلم حقيقة القول على الذي يعلم ظاهره قال تعالى: **"قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ"** [الزمر:10].

✔ وفي وجود المتشابه نوع ابتلاء من الله تعالى، ليعلم العبد من نفسه هل هو مؤمن بما أخبره الشارع به من الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل فيها، أم هو لا يزال في الطريق إلى هذا الإيمان السامي الذي جعله الله أوَّل أوصاف المتقين في سورة البقرة حيث قال: **"الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ"** [البقرة:من 2]. وهذه الحكمة ظاهرة في المتشابِه الذي استأثر الله بعلمه، وما ليس للعباد فيه علمٌ كافٍ بوقته وقدرته ونوعه وحقيقته.

✔ ومنها إقامة الحجة على العرب تحقيقا للإعجاز. فهو قد نزل بلسانهم ولغتهم ،وعجزوا عن الوقوف على معناه ،مع بلاغتهم وأفهامهم، فدل على أنه نزل من عند الله وأنه هو سبحانه الذي أعجزهم عن الوقوف على معناه.

---

(1)- الرازي، **مفاتيح الغيب**، (7/ 142).

(2)- يراجع: **السيوطي**، الإتقان، (3/ 35 وما بعدها)، محمد بكر إسماعيل، **م.س**، (ص 190 وما بعدها).

المبحث الخامس: المقصــود بمصــطلح توجيه المعنى:

المطلب الأول: مفهوم المعنى:

المطلب الثاني: أنواع المعنى وطرق أخذه:

المطلب الثالث: المقصود بالتوجيه:

بغرض ضبط مصطلحات هذا البحث ، لا بد من عرض مفهوم كل من المعنى والتوجيه بالبحث عن دلالتهما اللغوية، وبيان استعمالاتهما مصطلحا من مصطلحات علوم العربية، ثم بيان المراد من مصطلح توجيه المعنى المقصود ،ووجهة اختصاصه.

المطلب الأول: مفهوم المعنى:

وفيه التأصيل اللغوي، وبعض التواضعات فيه.

أولا:التأصيل اللغوي:

"معنى كل شيء: محنته وحاله الذي يصير إليه أمره"[1]، وترجع كلمة "معنى" إلى الجذر الثلاثي (ع-ن-و) الذي يقول عنه ابن فارس(395): "العين والنون والحرف المعتل أصول ثلاثة: الأول القصد للشيء بانكماش فيه وحرص عليه، والثاني دالٌّ على خضوع وذل، والثالث ظهور شيء وبروزه"[2].

وذكر من الأصل الثالث معنى الشيء، وهو القصد الذي يبرز ويظهر في الشيء إذا بحث عنه[3]، ومعنى الشيء ومعناته واحد ومعناه وفحواه ومقتضاه ومضمونه كله هو ما يدل عليه.

والمعنى والتفسير والتأويل واحد كذلك ومعنى كل شيء: محنته وحاله التي يصير إليها أمره[4].

فالمعنى في اللغة هو القصد والفحوى أو المضمون والدلالة التي يعطيها اللفظ.

ثانيا:المعنى في الاصطلاح: عند علماء اللغة، وعلماء البلاغة، في اصطلاح علم أصول الفقه.

1. **عند علماء اللغة:**

لم يبعد المعنى كثيراً عن ذلك الذي في اللغة، فعند القدامى:يقول عمرو بن حرب: "المعاني

(1)- الخليل: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (170هـ)، **كتاب العين**، تح: مهدي المخزومي-إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (2/ 253).

(2)- ابن فارس، **م.س**، (4/ 146).

(3)- يراجع: ابن فارس، **م.س**، (4/ 148).

(4)- الفيومي: أحمد بن محمد بن علي ثم الحموي، أبو العباس (نحو 770هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية -بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (2/ 434-435)، وابن منظور، **م.س**، (15/ 106).

القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم"[1].

وعند الرازي (606هـ): "المعنى اسم للصورة الذهنية لا للموجودات الخارجية لأن المعنى عبارة عن الشيء الذي عناه العاني وقصده القاصد"[2].

أما في الكليات: "المقصود وأيا ما كان لا يطلق على الصور الذهنية من حيث هي بل من حيث إنها تقصد من اللفظ"[3].

فمصطلح المعنى عند القدماء ظلّ متعلقاً باللفظ وبالصورة الذهنية.

أما عند المعاصرين، فإن المناهج اللغوية الدارسة للمعنى قدمت نظريات متعددة ومتنوعة، نتج عنها اختلاف النظرة إلى المعنى، ومنه اختلفت وتعددت تعريفاته إلى ما يزيد عن العشرين تعريفاً[4]، وبعضها قريب من تعريف القدامى، إذ عُرف بأنه التصور: "الحاصل في الذهن، أو الفكرة التي يشكلها الوعي عن مظاهر الأشياء في العالم أو الواقع الخارجي المحيط به"[5].

2. عند علماء البلاغة:

يرتبط المعنى ارتباطاً وثيقاً بالبلاغة، إذ أنه موضوع قسم من أقسامها وهو علم المعاني: "علم يُعرَف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"[6].

---

(1)- الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان (255هـ) **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال-بيروت، 1423هـ، (د.ر.ط)، (1/ 81) .

(2)- الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (606هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط3، 1420هـ، (1/ 38).

(3)- الكفوي: ، **الكليات**، (ص 841).

(4)- يراجع: أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، مكتبة لسان العرب، عالم الكتب-مصر، ط5، 1998م، (ص 50).

(5)- أحمد خضير عباس، **أثر القرائن في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط**، أطروحة دكتوراه، إشراف محمد حسين علي الصغير، جامعة الكوفة-العراق، 1431هـ/2010م، (ص 19).

(6)- القزويني: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين الشافعي، (739هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل-بيروت، ط3، (د.ت.ط)، (1/ 52).

أو العلم بأحوال الألفاظ العربية المطابقة لمقتضى الحال من الأمور الإنشائية والأمور الطلبية وغيرهم.(1)

وله قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال، حتى يكون وفق الغرض الذي سيق له، فبه يُحترز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، فيُعرف السبب الذي يدعو إلى التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإيجاز حينا والإطناب آخر، والفصل والوصل... ويختص بما يعرض للكلمة المفردة من الفصاحة ويعرض للكلمة المركبة من البلاغة على الخصوص.

قال بعض أهل المعاني: "الكلام الذي يوصف بالبلاغة هو الذي يدلّ بلفظه على معناه اللغوي أو العرفي أو الشرعي ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية على المعنى المقصود الذي يريد المتكلّم إثباته أو نفيه. فهناك ألفاظ ذات معان أولى ومعان ثانوية، فالمعاني الأولى هي: مدلولات التراكيب والألفاظ التي تسمّى في علم النحو أصل المعنى، والمعاني الثانية:الأغراض التي يساق لها الكلام. ولذا قيل مقتضى الحال هو المعنى الثاني كرد الإنكار ودفع الشكّ:(2). وهذا القول يشير إلى كثير من أنواع المعنى التي سيتم الحديث عنها لاحقاً. فعلم المعاني للمعنى كالمقياس ،تعرف به جودته أو رداءته.

3.المعنى في اصطلاح علم أصول الفقه: يعد مبحث دلالة اللفظ على المعاني والأحكام من أهم المباحث في علم أصول الفقه، إن لم يكن أهمها.

---

(1)- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسـيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللّه (745هـ)، **الطراز لأسـرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، المكتبة العنصرية-بيروت، ط1، 1423هـ، (1/ 10).

(2)-التهانوي :محمد بن علي ابن القاضـي محمد حامد بن محمّد صـابر الفاروقي الحنفي (بعد 1158هـ) ،**موسـوعة كشـاف اصطلاحات الفنون والعلوم** ،تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم،تح: د. علي دحروج،نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي،الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني،، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت،ط1، 1996م ،(2/ 1600).

يقول الغزالي(505هـ)[1] في المستصفى: "اعلم أن هذا القطب هو عمدة علم الأصول.لأن ميدان سعي المجتهدين في اقتباس الأحكام من أصولها واجتنائها من أغصانها"[2].

واهتم العلماء بالألفاظ اهتماماً كبيراً من حيث تقسيماتها وأنواعها، ومن حيث دلالتها على المعاني، وذلك لأن الأحكام الشرعية إنما تستفاد من الألفاظ إما بطريق الدلالة المباشرة، أو بطريق الإشارة والإيماء.

وقد أحاط الأصوليون بما قرّره علماء اللغة والنحو والتصريف، وزادوا عليهم تفصيلات لا يجدها الباحث عند غيرهم، حتى من علماء اللغة الذين ألّفوا فيها المؤلفات الكثيرة.

ومن الأصوليين من خاض في تقسيمات وتعريفات لألفاظ لا حاجة للفقيه بها، وإنما استدعاها حباً لاستقصاء وغلبة النقل على مؤلفاتهم، والاستطراد الذي ينسي بعض المؤلفين الغرض من التأليف في علم أصول الفقه[3].

وتتنوع دلالة الألفاظ-عندهم- على المعاني ثلاثة أنواع: دلالة مطابقة: وهي دلالة اللفظ على كامل معناه،كدلالة "البيت" على البيت كاملًا بجميع مشتملاته. ودلالة تضمن: وهي: دلالة اللفظ على جزء المعنى، كدلالة "السقف" لأنه جزء من البيت. ودلالة التزام: وهي دلالة اللفظ على أمر خارج عن معناه، لكنه لازم له لا يفارقه، كدلالة السقف على الحائط، فالسقف ليس جزءًا من الحائط، لكنه لايعقل أن يوجد سقف بدون حائط تحته، ومن هنا سميت دلالة التزامية...[4].

---

(1)- **الغَزالي** (**450-505هـ/1058-1111م**): محمد بن محمد بن محمد الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتى مصنف. مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) ...وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غَزَالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف.من كتبه (إحياء علوم الدين) و(تهافت الفلاسفة) و(جواهر القرآن) وغيرها... (الزركلي، **الأعلام**، (7/ 22)).

(2)- الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (505هـ)، **المستصفى**، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1413هـ/1993م، (ص 180).

(3)- عياض بن نامي بن عوض السلمي، **أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله**، دار التدمرية-الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1426هـ/2005م، (ص 214).

(4)- محمد بن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (620هـ)، **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1423هـ/2002م، (1/ 71).

وقسّم أهل هذا العلم الألفاظ، من حيث دلالتها على المعنى على أساس الوضوح أو عدمه، إلى قسمين: ألفاظ واضحة الدلالة على معناها، وأخرى ليست واضحة الدلالة. وتتفاوت درجة الوضوح بين أنواع القسم الأول، كما تتباين مراتب الخفاء بين أنواع القسم الثاني.

فاللفظ الواضح الدلالة على معناه هو ما دلّ على المراد منه بنفس صيغته من غير توقف على أمر خارجي، وهو –عند الحنفية– على أربعة أنواع: أقواها وضوحًا المحكم، ثم المفسَّر، ثم النص، وآخرها الظاهر. أما عند الجمهور فهو على نوعين: النص، والظاهر. أما اللفظ غير الواضح الدلالة فهو الذي لا تدل صيغته على معناه ويُحتاج لفهم المراد منه إلى أمر خارجي. وهو –عند الحنفية– على أربعة أقسام أيضًا: أوضحها الخفي، ثم المشكل، ثم المجمل، وأكثرها خفاء المتشابه. أما عند الجمهور فينقسم إلى قسمين: المجمل، والمتشابه[1].

المطلب الثاني: أنواع المعنى وطرق أخذه:

تعددت أنواع المعنى عند الدارسين له، وتجمل، كما حددها علماء الدلالة، في الآتي:

أولاَ: المعنى الأساسي أو المركزي: ويسمى أحياناً المعنى التصوري أو المفهومي(conceptuel 0meaning)، أو المعنى الإدراكي (meaning) cognative أو المعجمي وهذا المعنى هو العامل الرئيسي للاتصال اللغوي والممثل الحقيقي للوظيفية الأساسية للغة وهي التفاهم ونقل الأفكار. وهذا المعنى هو المتصل بالوحدة المعجمية حين ترد في أقل سياق أي حينما ترد منفردة[2].

ثانياً: المعنى الإضافي: (العرضي أو التضمني أو الثانوي أو الهامش): وهو المعنى يملكه اللفظ عن طريق ما يشير إليه إلى جانب معناه التصوري الخالص. وهو ما يوحي إليه اللفظ من معنى في الذهن مثل كلمة يهودي قد توحي إلى المكر أو البخل... وهذا النوع من المعنى زائد على المعنى الأساسي وليس له صفة الثبوت والشمول وإنما يتغير بتغير الثقافة أو الزمن أو الخبرة.

(1)- يراجع مثلاً: وهبه الزحيلي، **أصول الفقه الإسلامي**، دار الفكر المعاصر–بيروت، دار الفكر–دمشق، ط2، 1418هـ/1998م، (1/ 312 وما بعدها).

(2)- يراجع: أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، (ص 36).

ثالثاً: المعنى الأسلوبي: هو ذلك النوع من المعنى الذي تحمله قطعة من اللغة بالنسبة للظروف الاجتماعية لمستعملها، والمنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها،كما أنه يكشف عن مستويات أخرى مثل التخصص، والعلاقة بين المتكلم والسامع، ورتبة اللغة المستخدمة (أدبية–رسمية–عامية–مبتذلة...)، ونوع اللغة (لغة النثر–لغة القانون–لغة العلم–لغة الإعلان...) والواسطة (حديث–خطبة–كتابه). ونادراً ما نجد كلمتان تتطابق في المعنى الأساسي تتطابقان أيضاً في المعنى الأسلوبي، ومن هنا وُجه القول بعدم الترادف في اللغة[1].

رابعاً: المعنى النفسي: ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد الواحد أي خاص بمتحدث واحد. كالأدباء والشعراء وغيرهم[2].

خامساً: المعنى الإيحائي: يختص بألفاظ ذات مقدرة خاصة على الإيحاء، والتأثير قد يكون صوتياً مباشرا مثل (صليل، خرير). أو غير مباشر كما تشير إليه الكسرة وغيرها... وقد يكون صرفياً تشير إليه الألفاظ المركبة أو المنحوتة، كما يمكن أن دلاليا متعلقا بالمجاز[3].

سادساً: المعنى الوظيفي[4] (النحوي): وهو المعنى الذي يبين وظيفة الحرف أو الكلمة أو العبارة أو الجملة في الكلام، على ما يقرره علم النحو.

أما طرق أخذ المعنى:

قد يؤخذ المعنى من سبل ثلاثة: الابتكار، والبداهة، والشهرة. [5]

---

(1)- يراجع: أحمد مختار عمر، **م.ن**، (ص 38-39).

(2)- يراجع: أحمد مختار عمر، **م.ن**، (ص 39).

(3)- يراجع: أحمد مختار عمر، **م.ن**، (ص 39-40).

(4)- هادي أحمد فرحان الشجيري، **المعنى وأثره في آي من التنزيل**، قسم اللغة العربية،كلية التربية–الجامعة العراقية، 2012م، (ص 549).

(5)- محمد الطاهر بن عاشور (1393هـ)، **أصول الإنشاء والخطابة**، تح: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع–الرياض–المملكة العربية السعودية، ط1، 1433هـ، (ص 70-72).

أولاً: الابتكار: هو استنباط المعنى بفكر ونظر، وهذا الاستنباط إما أن يعرض للمعنى من أصله، نحو تشبيه ابن نباتة (768هـ)(1) اجتماع الفرح والأسف، وجريان دمع مع ابتسام، بوابل غيث في وقت الضحى(2).

وإما أن يكون بالأخذ من الغير مع حسن التصرف، نحو قوله:

النَّاسُ للمَوْتِ كَخَيْلِ الطِّرَادْ فالسّابقُ السّابِقُ مِنْها الجَوادْ.(3)

أخذا من حديث: **"إنما يعجل الله بخياركم"**(4)، ويسمى المعنى الحاصل بالابتكار: عزيزاً وغريباً.

ثانياً: البداهة: فهي أخذ المعنى الواضح للعقل من وجدان ومشاهدة، ولا فضل فيه إلا لحسن التعبير، ونباهة المعنى في إحاطته بملاحظة ما تجب ملاحظته... وكل هذا يظهر في الشعر الغرامي والتوصيفي وحكايات الأحوال، ويسمى المعنى الحاصل بذلك بسيطاً.

(1)- **ابن نُبَاتَة (686-768هـ/1287-1366م)** محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقيّ المصري، أبو بكر، جمال الدين، ابن نباتة: شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب.أصله من ميافارقين، ومولده ووفاته في القاهرة. وهو من ذرية الخطيب (عبد الرحيم بن محمد) ابن نباتة.سكن الشام سنة 715 هـ (تقريبا) وولي نظارة (القمامة) بالقدس أيام زيارة النصارى لها، فكان يتوجه فيباشر ذلك ويعود. ورجع إلى القاهرة (سنة 761هـ) فكان بها صاحب سر السلطان الناصر حسن.له:(ديوان شعر)، (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون)، (سجع المطوق) وغيرها، يراجع (الزركلي، **م.س**، (7/ 38).

(2)- ولعل هذا في قوله: "من البسيط":

بكيت ليلاً بوجدي وهي تبتسم حتَّى تقايس منثـــــور ومنتظـــــم
دمع يجاوب مسراه تبسمـــــها كالروض يضحك حيث الغيث ينسجم.

يراجع:ابن نباتة المصـــري: جمال الدين الفاروقي (768 هـ)، ديوان **ابن نباتة المصـــري**، دار إحياء التراث العربي-بيروت-لبنان، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 439).

(3)-البيت لكمال الدين بن النبيه يرثي الأمير على ابن الخليفة الناصر لدين الله: يراجع:النويري :أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين (733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ،دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423 هـ، (5/ 184).

(4)-لم يوقف عليه بهذا اللفظ وقريب منه عند ابن ماجة :تحت رقم: 4038 ونصه: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا طَلْحَةُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ - يَعْنِي مَوْلَى مُسَافِعٍ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ **وَسَلَّمَ**: «**لَتُنْتَقَوُنَّ كَمَا يُنْتَقَى التَّمْرُ مِنْ أَغْفَالِهِ، فَلْيَذْهَبَنَّ خِيَارُكُمْ، وَلَيَبْقَيَنَّ شِرَارُكُمْ، فَمُوتُوا إِنِ اسْتَطَعْتُمْ**».يراجع:ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اســـم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، **ســـنن ابن ماجة**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (2/ 1340).

ثالثاً: الشهرة: فهي عبارة عن شيوع المعنى، حتى لا يكاد يتكلف المتكلم في استحضاره شيئا من عمل الفكر، ويسمى المعنى بـ (المبتذل)، ويدعو البليغ إليه إما تعينه، وإما لكون المقام مقامه، كخطاب العوام والصغار، وينبغي أن تجنب عنه مقامات الإبداع والصنعة.

المطلب الثالث: المقصود بالتوجيه:

رغم كثرة الدراسات -بخاصة الأكاديمية منها- المنصبة حول هذا المصطلح ، إلاّ أنه نادراً ما تجد إشارة إلى تعريف دقق شامل له، رغم أنه قد اعتور في مختلف الفنون .

ولعل هذه محاولة بسيطة لكشف الغموض الذي قد يكتنفه.

أولا: الدلالة اللغوية: يقال: وجهت الريح الحصى توجيهاً إذا ساقته؛ وقاد فلان فلاناً فوجه أي انقاد واتبع. وشيء موجه إذا جعل على جهة واحدة لا يختلف. و: خرج القوم فوجهوا للناس الطريق توجيها إذا وطئوه وسلكوه حتى استبان أثر الطريق لمن يسلكه، ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به[1].

"والتوجيه أيضاً: من عيوب الخيل التي تكون خلقة، وهو تداني العجايتين وتداني الحافرين والتواء من الرسغين..."[2].

والتأويل: توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة بما ظهر من الأدلة[3]. وهو في مقابل التفسير الذي يعني بيان لفظ لا يحتمل إلاّ وجهاً واحداً.

ثانيا:في الاصطلاح: ورد لفظ (التوجيه) بدلالته الاصطلاحية، في أكثر من مبحث من مباحث العربية، فهو:

---

(1)- يراجع: ابن منظور، **لسان العرب**، (13/ 556 وما بعدها)

(2)-الهُنائي: علي بن الحسن الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ (كراع النمل) (المتوفى: بعد 309هـ)، **المُنَجَّد في اللغة (أقدم معجم شامل للمشترك اللفظي)**، تح: أحمد مختار عمرو دكتور ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب-القاهرة، ط2، 1988م، (ص 156).

(3)- العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (المتوفى: نحو 395هـ)، **معجم الفروق اللغوية**، تح: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ (قم)، ط1، 1412هـ، (ص 130).

✔ **مصطلح بلاغي**: أدرجه السكاكي (**626هـ**) ضمن المحسنات المعنوية[1] وعرفه بقوله: "هو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين"[2].

وذكره **السجلماسي** (704هـ)[3] فقال: "هو إرادة المتكلم وصف شيئين أحدهما هو الثاني على القصد الأول، والأول منهما إنما هو من أجل الثاني"[4]. "ويسمّى محتمل الضدين؛ كقول من قال لأعور يسمّى بعمرو:

خَاطَ لي عَمْرو قِباء ۞ لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَواء[5]

فإنه يحتمل تمني أن يصير العين العوراء صحيحة فيكون مدحاً وتمني خير، وبالعكس فيكون ذما"[6]:

أما التوجيه عند المتأخرين من البديعيين[7]: "فهو أن يؤلف المتكلم مفردات بعض الكلام أو جمالياته ويوجهها إلى أسماء متلائمات صفاتها اصطلاحاً من أسماء أعلام أو قواعد علوم أو غير ذلك مما يتشعب له من الفنون توجيهاً مطابقاً لمعنى اللفظ الثاني من غير اشتراك حقيقي" وفرقوا بينه وبين التورية.

---

(1)- يراجع: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (626هـ)، **مفتاح العلوم**، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط2، 1407هـ-1987م، (ص 423).

(2)- السكاكي، **م.ن**، (ص 427).

(3)- **السِّجِلْماسي (بعد 704هـ/بعد 1305م)**: القاسم بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري، أبو محمد: أديب. ولد ونشأ بسجلماسة، ورحل إلى فاس فأخذ عن علمائها ودرّس في القرويين. وصنف: (المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع) ...الزركلي، **الأعلام**، (5/ 181).

(4)- السجلماسي: أبو محمد القاسم الأنصاري (704هـ)، **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**، تح: علال الغازي، مكتبة المعارف-الرباط-المغرب، ط1، 1401هـ/1980م، (ص 456).

(5)- البيت روي عن بشار بن برد ،ينظر:الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (1102هـ) ،**زهر الأكم في الأمثال والحكم** ،تح: د محمد حجي، د محمد الأخضر، الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب،ط1، 1401 هـ - 1981م ،(2/ 233)

(6)- التهانوي: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (المتوفى: بعد 1158هـ)، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تح: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط1، 1996م، (1/ 527).

(7) الكفوي ،**الكليات**، (ص 301).

✓ **مصطلح من مصطلحات العروض والقافية**: اختلف في تفسير دلالاته فمن العلماء من أفاد بأن التوجيه في الشعر الحرف الذي بين ألف التأسيس وحرف الرويّ[(1)]، ومنهم من ذكر بأن المراد به هو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الروي المقيد[(2)]. مثل[(3)]: ضمة القاف في: وُقر، وكسرة الفاء في :نفرّ.

ولَقَدْ تَعْلَمُ بَكْرٌ أنّنا فاضِلُوا الرّأيِ وفي الرّوعِ وُقُرْ

ذُلُقٌ في غارَةٍ مَسْفُوحَةٍ ولدى البأسِ حُماةٌ ما نَفِرّ[(4)]

✓ **مصطلح نحوي**: يراد به: بيان أَنَّ رواية البيت أو القراءة القُرْآنيَّة لها وجهٌ في العربِيَّة وموافقة لضوابط النحو؛ فيقولون مثلاً: وتوجيه الرواية أو البيت أو القراءة كذا وكذا[(5)].

✓ **مصطلح في الدراسات القرآنية**: عرّفه الدهلوي (1176هـ)[(6)]، في معرض حديثه عن طرق استنباط الأحكام من القرآن، فيقول: **"**وحقيقة التوجيه هي أنه إذا وقعت صعوبة في فهم كلام ما فيقف

(1)- الهُنائي: علي بن الحسن الأزدي، أبو الحسن الملقب بـــ (كراع النمل) (المتوفى: بعد 309هـــ)، **المنتخب من غريب كلام العرب**، تح: محمد بن أحمد العمري، جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط1، 1409هـ/1989م، (ص 724).

(2)- علي بن الحســن الهُنائي الأزدي، **المُنَجَّد في اللغة**، تح: أحمد مختار عمر-ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب-القاهرة، ط2، 1988م، (ص 156). والعسكري، **م.س**، (ص 130).

(3)- الزنجاني: عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الخزرجي (كان حياً 660هـ)، **معيار النظار في علوم الأشعار**، تح: محمد علي رزق الخفاجي، دار المعارف-القاهرة، 1991م، (د.ر.ط)، (1/ 98).

(4)- البيت لطرفة بن العبد: يراجع: ديوان طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (564 م)، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية-بيروت، ط3، 1423هـ/2002م: (ص 44).

(5)- محمد إبراهيم عبادة، معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض، مكتبة الآداب-القاهرة، ط1، 1432هـ/2011م، (ص 295).

(6)- **الدِهلوي: شـاه وَليُّ الله (1110-1176هـ/1699-1762م)**: أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الهندي، أبو عبد العزيز، الملقب شـاه وَليُّ الله: فقيه حنفي من المحدّثين. من أهل دهلي بالهند. وقيل في وفاته: سنة 1179 هـ ،من كتبه (الفوز الكبير في أصول التفسير) ألفه بالفارسية، وترجم بعد وفاته إلى العربية والأرديّة ونشر بهما، و(فتح الخبير بما لابد من حفظه في علم التفسير) و(حجة الله البالغة) ، و(إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء) وغيرها...كما ترجم القرآن إلى الفارسية على شاكلة النظم العربيّ، وسمى كتابه (فتح الرحمن في ترجمة القرآن).يراجع: الزركلي، **م.س**، (1/ 149).

الشارح عند ذلك، ييسر هذه الصعوبة ويحل كل غموض، ولما كانت عقول القراء...ومداركهم ليست في مرتبة واحدة، اختلف التوجيه بينهم"[1].

فهو فهم راجع إلى رجاحة العقل وقوة البصيرة وعلم الموهبة. وهو بوصف عام: ضرب من ضروب التفسير الاجتهادي للقرآن.

ولم يكن اللفظ مستعملاً عند المتقدمين حتى أوائل القرن السادس الهجري، ثم غلب في هذا العصر استعماله في علم القراءات وصار إذا أطلق انصرف إليها بخاصة[2] مع أنه موجود في غيره مثل المتشابه.

ثالثا:ضروب التوجيه في الآيات القرآنية وغايته:

لما كان القرآن الكريم قد أحاط بجميع العقول البشرية وأطراف المدارك الإنسانية، فإنه قد راعى حال جمهور القراء، وتحدث على قدر عقولهم وأذهانهم.

- ✓ ففي آيات الجدل القرآني، يقوم التوجيه على تحرير مذاهب تلك الفرق التي تحدث عنها القرآن، وتنقيح وجوه الإلزام.
- ✓ وفي آيات الأحكام، ينبن يالتوجيه على توضيح المسألة وذكر صورها، وأمثلتها، وبيان فوائد القيود الواردة في الكلام من احتراز، أو غير ذلك[3].
- ✓ تقريب مايصعب فهمه ويبعد عن الذهن لعدم الإلف والعادة
- ✓ دفع التعارض بين دليلين، أو تعريضين، أو بين المعقول والمنقول.
- ✓ التفريق بين الملتبسين.
- ✓ التطبيق بين المختلفين.
- ✓ بيان صدق الوعد الذي وردت به الآية[4].

رابعا:التوجيه في علم القراءات القرآنية:

(1)- الدهلوي: الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ (ولي الله) (1176هـ)، **الفوز الكبير في أصول التفسير**، عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، دار الصحوة-القاهرة، ط2، 1407هـ /1986م، (ص 186).

(2)- عبد العزيز بن علي الحربي، **توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيراً وإعراباً**، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، إشراف محمد سيدي الحبيب، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، 1417هـ، (ص 65).

(3)- الدهلوي، **م.س**، (ص187).

(4)- الدهلوي، **م.ن**، (ص 186).

1. **مفهومه:**

القراءات القرآنية علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله. وموضوعه: كلمات القرآن من حيث أحوال النطق بها، وكيفية أدائها[1].

أما توجيه القراءة: فقد عرفه ابن عقيلة (1150هـ)[2] بقوله: **"**هو علم يبين فيه دليل القراءة وتصحيحها من حيث العربية واللغة، ليعلم القارئ وجه القراءة**"**[3].

"أو هو علم يبحث فيه عن معاني القرآنية والكشفُ عن وجوهها في العربية، أو هو الذهاب بالقراءة إلى الجهة التي يتبين فيها وجهها ومعناها**"**[4].

"وهو فن جليل وبهت عرف جلالة المعاني وجزالتها وقد اعتنى الأئمة به وأفردوا فيه كتباً منها كتاب الحجة لأبي علي الفارسي، وكتاب الكشف لمكي وكتاب الهداية للمهوي وكل منها قد اشتمل على فوائد وقد صنفوا أيضاً في توجيه القراءات الشواذ ومن أحسنها كتاب المحتسب لابن جني وكتاب أبيا لبقاء وغيرهما**"**[5].

وهو علم غايته بيان وجوه القراءات القرآنية، واتفاقها مع قواعد النحو واللغة، ومعرفة مستندها اللغوي تحقيقا للشرط المعروف (موافقة اللغة العربية ولو بوجه)، كما يهدف علم التوجيه إلى ردّ الاعتراضات

---

(1)- عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (1403هـ)، **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة–القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب**، دار الكتاب العربي–بيروت–لبنان، (ص 7).

(2)- **محمد عقيلة (1150هـ/1737م)**: محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة: مؤرخ، من المشتغلين بالحديث. من أهل مكة، مولده ووفاته فيها. من كتبه (لسان الزمان) في التاريخ، هـ و(الفوائد الجليلة) في الحديث، و(المواهب الجزيلة في مرويات ابن عقيلة) و(هداية الخلاق إلى الصوفية في سائر الآفاق) و(عقد الجواهر في سلاسل الأكابر) وغيرها...الزركلي، **م.س**، (6/ 13).

(3)- محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (1150 هـ)، **الزيادة والإحسان في علوم القرآن**، تح: أصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية ماجستير للأساتذة الباحثين: (محمد صفا–حقي–فهد علي العندس...وغيرهما)، مركز البحوث والدراسات–جامعة الشارقة–الإمارات، ط1، 1427هـ، (4/ 216).

(4)- عبد العزيز الحربي، **م.س**، (ص 63-64).

(5)- الزركشي، **م.س**، (1/ 339).

والانتقادات التي يوردها بعض النحاة واللغويين والمفسرين على بعض وجوه القراءات[1]، وله مرادفات مثل: التعليل، التخريج، التأويل، الاحتجاج، الإيضاح.

2. أنواع التوجيه في القراءات:

وقد يطلق عليها كذلك بالموارد، وهي متعددة –تُذكر هنا على سبيل الإجمال لا التفصيل-: فقد يكون التوجيه آية بآية قرآنية أخرى، أو بأسباب النزول، أو توجيه برسم المصحف، توجيه بالرواية والسند، توجيه بالقياس اللغوي[2]، توجيه بالقراءة الشاذة، توجيه بالتفسير، توجيه بالآثار، توجيه فقهي، توجيه مذهبي، توجيه بلاغي، توجيه لغوي: ويدخل فيه: النحوي والصوتي، والصرفي[3].

خامسا:التوجيه في علم المتشابه:

هو بيان أسراره العلمية، وما فيه من وجوه الإعجاز. وطريق التوصل إلى فهمه: النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب سياق الآية الوارد فيها[4].

وأما المنهج المتبع فيه: أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه. فينظر في سياق الكلام، وما سيق لأجله، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر... فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول صلى الله عليه وسلّم وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه، خصوصاً إذا انضم إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها[5].

وقد عني كثير[6] من العلماء بتوجيه متشابه القرآن، وبخاصة اللفظي منه، مبرزين دقة التعبير القرآني، وتفرده بذلك الكم الهائل من الإشارات والتلويحات التي تنطوي تحت ألفاظه ونظمه. وهم في توجيههم

---

(1)- محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكرى، محمد خالد منصور، **مقدمات في علم القراءات**، دار عمار-عمان-الأردن، ط1، 1422ه/2001م، (ص 201).

(2)- يراجع: عبد العزيز بن سليمان بن إبراهيم المزيني، **مباحث في علم القراءات**، دار كنوز إشبيليا-الرياض، ط1، 1432ه/2011م، (ص 151-153).

(3)- يراجع: أحمد سعد محمد، **التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية**، مكتبة الآداب-مصر، ط2، (د.ت.ط)، (ص 27 وما بعدها).

(4)- الزركشي، **البرهان**، (2/ 172).

(5)- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (1376هـ)، **يسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420ه/2000م، (ص 200).

(6)- بداية بكتاب **متشابه القرآن** الذي يعزى إلى أبي الحسن الكسائي (189هـ)، **فدرة التنزيل** لأبي عبد الله الخطيب (420ه) **وملاك التأويل** لابن الزبير الغرناطي (708ه)، **وكشف المعاني** لأبي عبد الله ابن جماعة (733ه)، **البرهان في متشابه القرآن** للإمام

لمتشابه القرآن اللفظي، يؤكدون على أنه لا يوجد في القرآن تكرار ممل مقحم لا يؤدي معنى مقصوداً، بل إن كل آية أو كلمة متمكنة في مكانها لا تحسن غيرها فيه أبدا.فاتجهت همتهم بيان السبب، والحكمة في اختصاص كل آية بما جاء فيها مختلفا عن الآية المشابهة لها، وذلك لما نشأ أقوام من الزنادقة والملحدين فجعلوا يطعنون في كتاب الله العزيز، محتجين لباطلهم بما في القرآن من آيات تبدو لهم متعارضة المعنى، وتكرار لا فائدة فيه، وتشابه في الألفاظ القرآنية مما يؤدي إلى اشتباه بعضها ببعض، بسبب تقديم أو تأخير، أو في غير ذلك.

سادسا:المراد بمصطلح التوجيه في هذه الدراسة:

يفهم من الحقيقة اللغوية للفظ التوجيه أنه لا يكون إلاّ عند احتمال تعدد المعنى. والتوجيه في القرآن، بمفهومه العام، سببه وقوع لبس أو غموض في فهم جزء منه.يمكن أن يندرج تحته تبيين المجمل، تخصيص العام، تقييد المطلق، وتفسير المشكل والمتشابه...(1).

وخلاصة الأمر هنا أن التوجيه قد يكون للقراءات القرآنية أو للمتشابه بشكل أخص أو يقع في القرآن كله بمعرفة معانيه وأسراره البلاغية وغيرها.

واستئناسا بما ذكره العسكري (نحو 395هـ)(2) في معجم الفروق(3)، يعرف التوجيه في هذه الدراسة: بأنه تأويل الآيات المحتملة لمعان مختلفة إلى معنى واحد، يرجّحه السياق والمناسبة.

وفي نهاية هذا الفصل يرجى أنه تم تسليط الضوء على قضية الإعجاز -ولو بإيجاز-، وكذا مسألة توقيفية ترتيب الآيات والسور، وبيان ضوابط الرأي في التفسير، ثم تحديد المراد من التوجيه في هذه الدراسة، ليرتكز البحث بعدها على بيان حقيقة علم المناسبة وما يتعلق بها.

محمود بن =حمزة الكرماني (505هـ)، **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن** للشيخ الإسلام أبي زكريا الأنصاري (926 هـ)، وغيرها من كتب التفسير...

(1)- ومن هذا المنطلق لن يتم تحديد نطاق البحث في هذه الرسالة.وإن كان في كثيره يتعلق بالمتشابه.

(2)- **أبُو هِلَال العَسْكَري (بعد 395هـ/بعد 1005م)**: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العَسْكَري، أبو هلال: عالم بالأدب، له شعر. نسبته إلى (عسكر مُكرَم) من كور الأهواز. من كتبه (التلخيص) في اللغة، و(معجم) في اللغة، و(جمهرة الأمثال) و(الحث على طلب العلم) رسالة، و(كتاب الصناعيتن: النظم والنثر)، وغيرها... توفي بعد 395هـ، الزركلي، **الأعلام**، (2/ 196).

(3)- يراجع: العسكري، **معجم الفروق اللغوية**، (ص130).

الفصل الأول

التعريف بعلم المناسبة

المبحث الأول: حد علم المناسبة:

المبحث الثاني: فوائد علم المناسبات، أهميتها وقواعد معرفتها:

المبحث الثالث: تاريخ علم المناسبة

استصحاباً لعمل من سبق، في ابتداء تصانيفهم في العلوم المختلفة، بتوضيح أمور عشرة، تعد مفاتيح للباحث في علم ما، والتي اصطلح على تسميتها بالمبادئ العشرة، أو المفاتيح أو المداخل، وهي تتضمن تعريف العلم موضع البحث، وتحديد موضوعه، وتوضيح ثمرة دراسته والإشارة إلى فضله، ونسبته بين العلوم، وواضعه، واسمه، وحكم الشارع في دراسته، ومسائله... وقد جُمع ذلك كله في القول[1] المعروف:

إنَّ مَبادِئ كُلِّ ... فَنٍّ عَشَرَه — الحَدُّ وَالموضُوعُ ثُمَّ الثمره

وَنِسْبَةٌ وَفَضْلُهُ وَالوَاضِعْ — وَالاِسْمُ الِاسْتِمْدَادُ حُكْمُ الشَّارِعْ

مَسَائِلٌ والبَعْضُ بِالبَعْضِ — وَمَنْ دَرَى الجَمِيعَ حَازَ الشَّرَفَا

وعلى قريب[2] من هذه السنة المنهجية في التصنيف، سيكون العمل في هذا الفصل -بإذن الله-.

(1)- القول للصبان: أبو العرفان محمد بن علي الشافعي (1206هـ)، **حاشية على شرح السلم المنورق للملوي**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1345هـ/1938م، (ص 35). ويروى بتقديم وتأخير في لفظ: نسبة.

(2)- إذ تمة تغيير بسيط اقتضته طبيعة الموضوع والخطة المتبعة فيه.

المبحث الأول: حد علم المناسبة:

المطلب الأول: التعريف والتوصيف:

المطلب الثاني: موضوع علم المناسبة وحكم دراسته:

المطلب الثالث: أقوال العلماء فيها:

المطلب الرابع: أبرز من اعتنى بعلم المناسبة من العلماء:

المطلب الخامس: تقسيماتها:

يعد مصطلح التناسب من المصطلحات التي توحي إلى فكرة الانسجام والترتيب والإحكام، والتي تعطي سمة جمالية للشيء الذي توصف به ، وإذا لازم الكلام حق له أن يوصف بالفصاحة والبلاغة.

وقبل الخوض في توصيفه عند أهل البلاغة، سيتم التطرق في هذا المبحث إلى مختلف تلك الدلالات التي أوردها علماء شتى الفنون لعلم التناسب[1]-على إطلاقه-ثم محاولة إيجاد علاقة بين بعضها، ومن تم تحديد موضوع علم المناسبة، فحكمه وأقوال العلماء فيه وتقسيماته، وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: التعريف والتوصيف:

القارئ في كتابات أهل العلم السابقين، يتضح عنده أن مصطلح المناسبة قد تداوله أهل اللغة وعلماء البلاغة والأصوليون، إضافة إلى علماء التفسير وعلوم القرآن.

وربما كان دورانه عند علماء فنٍّ ما قد يتمم معناها عند غيرهم من العلماء الآخرين. وعليه لا بدّ من استقصاء مفهومه عند هؤلاء جميعاً؛ سواء أكان الإطلاق خاص بعلم التناسب على وجه الإجمال أو علم المناسبة على وجه الخصوص.

وقد يختلف إطلاق كل فن ،وفق ما يرتكز عليه ،سواء أمن حيث اهتمامهم بسبب التناسب، أم بموضوعه، أو حتى الأثر الناجم عنه، وجامع ذلك اتفاقهم على التأصيل اللغوي لفكرة التناسب.

أولا:الإطلاق اللغوي:

يدل العلم في اللغة على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، وهو نقيض الجهل[2].

(1)-ذلك لأنه أعم من مصطلح المناسبة.

(2)- ابن فارس: أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م، (4/ 109)، وقد أغفل البحث الحد الاصطلاحي للعلم للاختلاف الواقع فيه، حتى بعضهم: لا يُحَدُّ لجلائه. وقال بعضهم. لا يُحَدُّ لعسره. ينظر: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين (840هـ)، **العواصم والقواسم في الذب عن سنة أبي القاسم**، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،-بيروت، ط3، 1415هـ/1994م، (5/ 370).

والمناسبة من (نسب): و"النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء وهي المقاربة والمشاكلة"[1] والباء، كلمةٌ واحدة قياسُها اتِّصال شيءٍ بشيء، منه النّسَب، سمِّي لاتِّصاله وللاتِّصالِ به، تقول نَسَبْتُ أنْسُبُ، وهو نَسِيبُ فلانٍ، والنسيب: الطريق المستقيم لاتصال بعضه من بعض. وكذا في المخصص: النسبة والنسب القرابة[2].

وجاء في المفردات: النسب والنسبة: اشتراك من جهة أحد الأبوين... وقيل: فلان نسيب فلان؛ أي: قريبه[3].

ومن المجاز: القول إن بين شيئين مناسبة وتناسبا أو: لا نسبة بينهما، أو بينهما نسبة قريبة[4].

فالمعنى الأصلي للنسب: نسب القرابات، وهو واحد الأنساب. وانتسب إلى أبيه، أي اعترى. وتنسب، أي ادعى أنه نسيبك. وفي المثل "القريب من تقرب لا من تنسب". ورجل نسابة، أي عليم بالأنساب... وتقول: عندي ثلاثة نسابات وعلامات، تريد ثلاثة رجال، ثم جئت بنسابات نعتاً لهم. وفلان يناسب فلاناً فهو نسيبه، أي قريبه. وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي مشاكلة. ونسبت الرجل أنسُبه نسبة ونسباً، إذا ذكرت نسبه[5].

وجاء في البرهان للزركشي (794هـ) في معنى المناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلان: يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل[6] .

والخلاصة مما جاء: المناسبة: هي اشتراك شيء بشيء، عن طريق قرابة ، فهو يشاكله.

ثانيا:الدلالة الاصطلاحية للمناسبة عند علماء البلاغة:

اعتور مصطلح المناسبة عند أهل البلاغة فيها قديماً وحديثاً، والناظر في مصادرهم، لا يكاد يظفر بتعريف محدد يتفقون عليه ، يضبط الدلالة الاصطلاحية للتناسب؛ فمنهم من أشار إليه شارحًا مفهومه

(1)- ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (5/ 423-424).

(2)- ابن سيدة: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (458هـ)، **المخصص**، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط1، 1417هـ/1996م، (1/ 331). والفيروز آبادى (817هـ)،**القاموس المحيط**، (ص 137).

(3)- الراغب الاصفهاني (502هـ)؛ ، **المفردات في غريب القرآن**، (ص 801).

(4)- الزمخشري (538هـ)، **أساس البلاغة**، (2/ 265).

(5)- ابن منظور، **لسان العرب**، (2/ 756)، مادة (نسب)

(6)- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)؛ **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، ط4، 1407هـ-1987م، (1/ 224).

اللغوي عن طريق الاستشهاد، ومنهم من أتى بالأمثلة دون أن يُحدد دلالته الاصطلاحية، إلاَّ إشارات مقتضبة تضمَّنت بعضها وهي لا تختلف كثيرًا عن دلالته اللغوية(1).

ومثال ذلك ما جاء عند الجاحظ (255هـ) حيث قال: "ولكلّ ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكلّ نوع من المعاني نوع من الأسماء: فالسّخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال. إذا كان موضع الحديث على أنّه مضحك ومله، وداخل في باب المزاح والطّيب، فاستعملت فيه الإعراب، انقلب عن جهته. وإن كان في لفظه سخف السّخافة بالجزالة، صار الحديث الذي وضع على أن يسرّ النّفوس يكر بها، ويأخذ بأكظامها"(2).

فهو –هنا–يتحدث عن مناسبة الألفاظ مع الأغراض: فيطابق بين المناسبة والقاعدة البلاغية التي تقتضي أن لكل مقام مقالاً. ومطابقةِ الكلام لمقتضى الحال، وهذا بطبيعة الحال جزء من المناسبة، وهو مناسبة النص للواقع الذي يُلقى فيه.

أما قدامة بن جعفر (337هـ)(3) فقد أطلق عليه ائتلاف اللفظ والمعنى ،وهو عنده المساواة والإشارة والإرداف والتمثيل والمطابق والمتجانس(4).

وعند الجرجاني (471هـ)(5) فلا نص صريح على مفهوم التناسب عنه، لكن جهوده في بناء نظرية النظم قد أسّست له. فهو يرى أن ترتيب المعاني هو الأساس، ثم تتبعه الألفاظ، ليكون ترتيبها خادماً

(1)–د.أحمد محمد علي محمد و د.أحمد يحيى علي محمد، **"التناسب في سورة محمد: دراسة بلاغية"؛ مجلة آداب الرافدين، الموصل العراق، ع6 ،1432هـ/2011م** (ص 4).

(2)– الجاحظ:أبو عثمان عمرو بن بحر (255هـ)، **الحيوان**، دار الكتب العلمية–بيروت، ط2، 1424هـ، (3 / 17–18).

(3)– **قدامة بن جَعْفَر (000–337هـ/000–948م)**، بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج: كاتب، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة. كان في أيام المكتفي باللَّه العباسي، وأسلم على يده، وتوفي ببغداد. يضرب به المثل في البلاغة. له كتب، منها (الخراج) و(نقد الشعر) و(جواهر الألفاظ) و(السياسة) و(البلدان) و(زهر الربيع) في الأخبار والتاريخ، و(نزهة القلوب) و(الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام). الزركلي، **م.س**، (5/ 191)

(4)– يراجع: قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (337هـ)، **نقد الشعر**، مطبعة الجوائب–القسطنطينية ط1، 1302هـ، (ص 55–57–60).

(5)– **عَبْد القَاهِر الجُرْجَاني (000–471هـ/000–1078م)**: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة. كان من أئمة اللغمة. من أهل جرجان (بين طبرسات وخراسان) له شعر رقيق. من كتبه (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز

للمعنى المتصور أولاً في الذهن. يقول في الدلائل: "وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك،لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[1].

فالترتيب هو الأساس في النظم، كما أنه السر في التناسب، والجرجاني نظريًّا يُقرر أن ترتيب الآيات والسور والأعشار، هو على أكمل وجوه الاتساق والنظام والإتقان والالتئام والإحكام، لكنه في التقعيد والتطبيق ركّز على الترتيب في الجملة والآية، ولم يتجاوز إلى وحدة السورة أو التناسب بين السور، أو الوحدة في القرآن كله[2].

فرّق ابن أبي الإصبع المصري (656هـ)[3] بين نوعين من التناسب:المعنوي واللفظي فقال: "المناسبة على ضربين مناسبة في المعاني، ومناسبة في الألفاظ: فالمناسبة في المعنى: هي أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ. وعرف المناسبة في الألفاظ: هي عبارة عن الإتيان بلفظات متزنات مقفاة وغير مقفاة"[4].

وجعل حازم القرطاجني (684هـ)[5] قانون التناسب قانوناً أساسياً في تنظيره لمسائل القول الشعري، وأنه مدعاة لاستمالة النفس للاستمتاع بالشيء –ومنه الكلام– يقول: "كلما وردت أنواع الشيء ضروبه

و(الجمل) و(التتمة) نحو، و(المغني) في شرح الإيضاح، ثلاثون جزءا، اختصره في شرح آخر سماه (المقتصد) و(إعجاز القرآن) و غيرها. يراجع: للزركلي، **الأعلام**، (4/ 48-49).

(1)- الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، (1/ 54).

(2)- طه جابر العلواني، **الوحدة البنائية للقرآن المجيد**، دار الشروق، 2005هـ، (ص 44).

(3)- **ابن أَبي الإِصْبع (595-654هـ/1198-1256م)**: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أَبي الإِصْبع العدوانيّ، البغدادي ثم المصري: شاعر، من العلماء بالأدب. مولده ووفاته بمصر. له تصانيف حسنة، منها (بديع القرآن) في أنواع البديع الواردة في الآيات الكريمة، و(تحرير التحبير) و(الخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح) أي فواتح القرآن و(البرهان في إعجاز القرآن) و(المختارات) أدب. الزركلي: **الأعلام**، (4/ 30).

(4)- ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، **بديع القرآن**، تح: حفني محمد شرف، مكتبة النهضة-مصر، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (1/ 145).

(5)- **القَرْطَاجَنِّي: (608-684هـ/1211-1285م)**: حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم ، أبو الحسن: أديب من العلماء له شعر. من أهل قرطاجنة (Carthagene بشرقي الأندلس) تعلم بها وبمرسية وأخذ عن علماء غرناطة وإشبيليّة، ... هاجر إلى

مترتبة على نظام متشاكل وتأليف متناسب ،كان ذلك أدعى لتعجيب النفس وإبلاغها بالاستماع من الشيء، ووقع منها الموقع الذي ترتاح له"[1].

وفي أول أقسام المعنى عند ابن النقيب[2] (698هـ)، في مقدمة تفسيره، عرّف التناسب بقوله: 'هو ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر"[3]. ثم زاد: "والقرآن الكريم كله متناسب، لا تنافر فيه ولا تباين"[4]، وهذا تعريف النويري[5] (733هـ) نفسه[6].

وقد أوضح هذا التعريف ملامح التناسب بجلاء. وعلَّق د.أحمد يحيى عليه قائلاً: "ومما يَلفت النظر في هذا التحديد وصفه المعاني بالمتآخية المتلائمة، وهي صفة توحي بخلوِّها مما يَعتريها من صفات تُخرجها عن طبقة البلاغة، ونراه أغفَل ذِكر الألفاظ، وهذا الإغفال متعمَّد ومقصود؛ إذ إن المعاني هي

مراكش، ومنها إلى تونس فاشتهر وعمّر، وتوفي بها. من كتبه (سراج البلغاء المعروف بـ: مناهج البلغاء وسراج الأدباء) وله (ديوان شعر) صغير. يراجع: الزركلي، **الأعلام**، (2/ 159).

(1)- القرطاجني: حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم ، أبو الحسن (684هـ)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تقد وتح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار العربية للكتاب-تونس، ط3، 2008م، (ص 221).

(2)- **ابن النَّقِيب (611-698 هـ/1214-1298م)**: محمد بن سليمان بن الحسن البلخي، المقدسي، أبو عبد الله، جمال الدين ابن النقيب: مفسر، من فقهاء الحنفية. أصله من بلخ، ومولده في القدس. انتقل إلى القاهرة وأقرأ في بعض مدارسها. وعاد إلى القدس، فتوفي بها. له (تفسير) كبير حافل، سماه (التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير) قال المقريزي في سبعين مجلدة، الزركلي، **الأعلام**، (6/ 150).

(3)- ابن النقيب: أبو عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان بن الحسن البلخي، المقدسي، مقدمة **ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن**، كشف عنها وعلق حواشيها: زكريا سعيد علي، دار العلوم-القاهرة، مكتبة الخانجي-القاهرة، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 177). وذكر محقق المقدمة أن تسمية التشابه بالتناسب هو للزنجاني: عبد الوهاب بن إبراهيم (655هـ) في المعيار ولكن لم يوقف عليه.

(4)- ابن النقيب، **م.س**، (ص177).

(5)- **النُّوَيْري (677-733هـ/1278-1333م)**، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري: عالم بحاث غزير الاطلاع. ومولده ومنشأه بقوص بمصر... كان ذكيّ الفطرة، حسن الشكل، فيه أريحية وود لأصحابه. وله نظم يسير ونثر جيد.ويكفيه أنه مصنف (نهاية الأرب في فنون الأدب) ...توفي بالقاهرة. الزركلي، **الأعلام**، (1/ 165).

(6)- النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين (733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب والوثائق القومية-القاهرة، ط1، 1423هـ، (7/ 107)، وذكر محقق المقدمة أنه للزنجاني: عبد الوهاب بن إبراهيم (655 هـ) في المعيار ولكن لم يوقف عليه .

التي تتطلب الألفاظ، وكثيرًا ما نرى من أهل البلاغة مَن يشير إلى مصطلح المعاني ويريد به التركيب، على اعتبار أن بناء الكلام يحتاج إلى ركنين، هما المفردات والمعاني المراد توصيلُها"(1).

ويرى د. طارق مصطفى محمد: أنه إن كان أكثر البلاغيين والمفسرين؛ كالجرجاني(471هـ) وصاحب الكشاف، وصاحب التحرير والتنوير، وغيرهم ؛ انشغل بالنظم داخل الآية القرآنية المفردة غالبًا، أو بين الآيات المتجاورة، فإن علم التناسب ينظر إلى "النظام" الرابط بين أجزاء السورة جميعها، بل يمتد إلى القرآن كله، ومِن ثَم فإن من تمام بلاغة القرآن وبلاغه المبين أن يُتعامل معه باعتباره وَحدةً واحدة؛ ولذلك تؤكد بعض التعريفات السابقة أن السورة وحدة واحدة، بل إن آيات القرآن الكريم لترتبط حتى تكون كالكلمة الواحدة، وهو تعبير غاية في تأكيد الوحدة العضوية للقرآن، فكما أن الكلمة يتهدَّم بُنيانها من أي تغيير في حروفها أو زيادة أو حذف، فكذلك القرآن (2).

وهذا الرأي ما هو إلا تأثر بما ذهب إليه الفراهي قبله.

وخلاصة القول في جملة هذه التعريفات: أن البلاغيين يربطون مفهوم التناسب بدلالته على المعنى سواء من حيث الوحدة الواحدة وهي المفردة، أو الجملة القرآنية أو أكثر...

ثالثا:دلالة المناسبة في علم أصول الفقه:

بعد معرفة معنى المناسبة عند أهل اللغة وأهل البلاغة، والذي يدور حول وجود رابط أو علاقة بين الكلام بأي وجه من الوجوه، يحسن النظر إلى تعريف المناسبة عند الأصوليين.

عرفها الفخر الرازي (606هـ) رحمه الله بأنها: "الملائم لأفعال العقلاء في العادات فإنه يقال: هذه اللؤلؤة تناسب هذه اللؤلؤة. أي: الجمع بينهما متلائم، وهذه الجبّة تناسب هذه العمامة. أي: الجمع بينهما متلائم"(3).

يقول الآمدي (631هـ)(1): "المناسب عبارة عن وصف ظاهر منضبط يلزم من ترتيب الحكم على وفقه حصول ما يصلح أن يكون مقصوداً من شرع ذلك الحكم"(2).

---

(1)- أحمد يحيى علي محمد وأحمد محمد علي، **"التناسب في سورة محمد -دراسة بلاغية-"**، (ص 6).

(2)-.طارق مصطفى محمد حميدة، **التناسب في سورة البقرة**، رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة-جامعة القدس، 1428هـ/2007م، (ص 14).

(3)- الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري (606هـ)، **المحصول**، تح: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418هـ/1997م، (5 / 158).

وسواء أكان ذلك الحكم نفياً أم إثباتاً، وسواء كان ذلك المقصود جلب مصلحة أو دفع مفسدة، وهو أيضاً غير خارج عن وضع اللغة لما بينه وبين الحكم من التعلق والارتباط، وكل ما له تعلق بغيره وارتباط فإنه يصح لغة أن يقال: إنه مناسب له، ولا يخفى إمكان إثبات مثل ذلك في مقام النظر على الخصم بما لو أعرض عنه الخصم وأصر معه على المنع كان معانداً[3].

ويعبر عنها بالإخالة، والمصلحة، والاستدلال، ورعاية المقاصد، .وهي ملائمة الوصف المعين للحكم. وسميت مناسبة الوصف للحكم بالإخالة لأن بها يخال أي يظن أن الوصف علة للحكم..واستخراج المناسبة الحاصل بإبداء الوصف المناسب يسمى تخريج المناط.[4].

ويكون مرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب، والعلة، والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه [5].

وذكر الزركشي (794هـ) رحمه الله في البحر المحيط قيداً آخراً للمناسبة وهو: **"**ما لو عُرِضَ على العقول تلقته بالقبول**"**[6].

---

(1)- **سَيْف الدِّين الآمِدي (551-631هـ/1156-1233م)**: علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين: أصولي، باحث. أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها، وتعلم في بغداد والشام. وانتقل إلى القاهرة، فدرّس فيها واشتهر. وحسده يبعض الفقهاء فتعصبوا عليه ونسبوه إلى فساد القعيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة، فخرج مستخفياً إلى حماة ومنها إلى دمشق فتوفي بها.له نحو عشرين مصنفا، منها (الإحكام في أصول الأحكام) أربعة أجزاء، ومختصره (منتهى السول) و (أبكار الأفكار) (لباب الألباب) و(دقائق الحقائق) وغيرها. يراجع: الزركلي، **م.س**، (4/ 332).

(2)- الآمدي: سيف الدين، **الإحكام في أ صول الأحكام**، دار الكتب العلمية-بيروث-لبنان، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (2/ 237).

(3)- الآمدي، م.ن، (2 / 237). ويراجع أيضاً: عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (756هـ)، **شرح مختصر المنتهى الأصولي للإمام أبي عمرو عثمان ابن الحاجب المالكي (646 هـ)**:تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، ط1، 1424هـ-2004م، (3/ 414).

(4)- الإيجي: عضد الدين عبد الرحمن (756هـ)، **شرح مختصر المنتهى الأصولي للإمام أبي عمرو عثمان ابن الحاجب المالكي (646 هـ)**،(3/ 414).

(5)- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (794هـ)، **البحر المحيط في أصول الفقه**، دار الكتبي، ط1، 1414هـ-1994م، (7/ 262).

(6)- الزركشي، **البحر المحيط**، (5/ 206)، وهو في **البرهان** (1/ 35).

ثم قابل هذا المعنى بما هو موجود في أجزاء القرآن فقال:" المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول ،وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها. "[1]

فالتناسب عند الأصوليين متعلق بالحكم المستنبط من النص، بأن يكون بينه وبين الوصف الذي ترتب على تشريع الحكم عنده، جلب مصلحة أو دفع مفسدة. فهو مسلك من مسالك الكشف عن علة الحكم

كما أن بعضَ الأصوليين أضافوا معنىً آخرَ للمناسبة، يضاف للترابط الذي قاله أهل اللغة والبلاغة، هو: قبول العقل لهذا المعنى.

رابعا:المناسبة في اصطلاح المفسّرين:

لقد بَنَا علماء علوم القرآن تعريفهم للمناسبة على ما تقدم من تعريفات علماء اللغة والبلاغة، وعلماء الأصول للمناسبة. والتمايز بين القدامى والمعاصرين منهم كالآتي:

1. **عند القدامى:**

يصرّح القاضي ابن العربي (543هـ)[2] في كتابه سراج المريدين فيقول: "ارتباط آي القُرآن بعضها ببعض –حتّى تكون كالكلمة الواحدة، متّسقة المعاني، مُنتظِمة المباني– علمٌ عظيم،لم يتعرض له إلاّ عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَلة، ورأينا الخلق بأوصاف البَطَلَة؛ ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه[3]. ولعل هذا أقدم تعريف للمناسبة، وقد نقله السيوطي (911هـ) في الإتقان[4].

---

(1) –الزركشي،**البرهان في علوم القرآن** ،(1/ 35)

(2)- **أبو بكر ابن العَرَبي (453–468هـ/1076–1148م)**: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربيّ: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية وولي قضاءها، برع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. مات بقرب فاس، ودفن بها. من كتبه (العواصم من القواصم) و(عارضة الأحوذي في شرح الترمذي) و(أحكام القرآن) وغيرها...الزركلي، **الأعلام**، (6/ 230).

(3)- أبو بكر ابن العربي (543هـ)، **سراج المريدين في سبيل الدين ،سلسلة مؤلفات أبي بكر بن العربي**، ضبطه وخرّج أحاديثه ووثّق نقوله: عبد الله التوراني، دار الحديث الكتانية–طنجة–المغرب، ط1، 1438هـ/2017م، (4/ 144–145).

(4)- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ): **الإتقان في علوم القرآن**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب–مصر، 1394هـ/1974م، (3/ 369).

وأورد ابن النقيب (698هـ) في مقدمة تفسيره تعريفا للتناسب قال: "التناسب: ويسمى التشابه: وهو ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر"(1).

وعند الزّركشي (794هـ) في كتابه البرهان -بعد تعريفه المناسبة لغةً- يعرفها فيقول: "المناسبة أمرٌ مَعْقُولٌ، إذا عُرِضَ على العقول؛ تَلَقَّتْهُ بالقَبول"(2).

وعَرَّفَها البقاعي (885هـ)(3) في مقدمة تفسيره: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه بعضها ببعض؛ فهو علم يعنى ببيان ترابط الآيات والسور.وفيه سر البلاغة"(4).

2. عند بعض المعاصرين:

يعمد كثير من المعاصرين، عند تعريف المناسبة، إلى الاكتفاء بذكر تعريفات القدامى وبخاصة: تعريف الزركشي (794هـ) أو البقاعي (885هـ)، وفي المقابل تجد قلة منهم يصيغ اصطلاحاً لها بنفسه.

تعريف الشيخ مناع القطان: "وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة"(5).

تعريف أ.د .مصطفى مسلم: "هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني. وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"(6).

وعند د. محمد بازمول: "معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض"(1).

---

(1)- ابن النقيب، **مقدمة ابن النقيب في التفسير**، (ص 177)، وهذا الكتاب مطبوع خطأ باسم الفوائد المشوقة...لابن القيم .

(2)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 635).

(3)- **البقاعي**: هو إبراهيم بن عمر حسن الرُباط -بضم الراء وتخفيف الباء- بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين. مؤرخ، أديب، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة ، وتُوفِّيَ بدمشق سنة: 885هـ... الزركلي، **الأعلام**، (1/ 56).

(4)- البقاعي (885هـ): برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه:عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، دار الكتاب الإسلامي-القاهرة- (د.ر.ط). ط1، 1415هـ/1995م، (1/ 5).

(5)- مناع القَطَّان، **م.س**، (ص97).

(6)- مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**، دار القلم، ط4، 1426هـ/2005م ، (ص 58).

وهذه جملة من التعريفات التي وردت لها:

- علم تُعرَفُ منه علل ترتيب أجزاء القرآن[2]. وقولُه: "أجزاء القرآن" شامل للآية مع الآية، والحكم مع الحكم، والسورة مع السورة، والقصة مع القصة، وكل جزء من القرآن مع ما قارنه.
- تَلَمُّسُ أوجه الترابط والانسجام في القرآن العظيم.
- بيان وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعدِّدة، أو بين السورة والسورة[3].
- علم يُعرف منه ارتباط آي القرآن وسوره فيما بينها، حتى يَتَّحِدَ أول كل منها بآخره، في نسق معجز مؤلَّف من آيات وسور آخذٍ بعضُها بأعناق بعض، في بناء محكم مترابط.
- علم عقليٌّ بَحْت، يَعتمِدُ على فهمٍ كامل للنسق القرآني، وتدبُّرٍ عميق للآيات وسور القرآن الكريم.
- علم يُؤَكِّدُ على الترابط والتلاحم الوثيق بين سور القرآن الكريم وآياته، من بدئه إلى نهايته.
- علم النِّظَام[4].

والقدر المشترك بين هذه التعريفات اتفاقها على جوهر الربط الكائن في المناسبة، مع وجود عنصر التناسق أو الانسجام في نيّف منها.

خامسا:العلاقة بين المعنى اللغوي والمعاني الاصطلاحية الأخرى:

يبدو جلياً توافق المعنى اللغوي للمعنى الاصطلاحي للمناسبة، فكلاهما يعني أن الآية –أو السورة– وجارتها شقيقتان، يربط بينهما رباط من نوع ما،كما يربط النسب بين المتناسبين، غير أن ذلك لا يعني أن تكون الآيتان أو الآيات متماثلة كل التماثل، بل ربما يكون بينها تضاد، أو تباعد في المعنى.و المهم أن هناك صلة، أو رابط ما يربط بين الآيتين، أو يقارب بينهما، سواء توصل إليها العلماء أم لا فقد تظهر أحياناً، وتختفي أحياناً أخرى، وفي هذا مجال لتسابق الأفهام.

---

(1)- محمد بن عمر بازمول، **علم المناسبةفي السور والآيات**، المطبعة المكية، ط1، 1423هـ/2002م، (ص 27).

(2) – البقاعي؛ **نظم الدرر**، (1/ 5).

(3)- منَّاع القَطَّان،م .س ،(ص 97)

(4)- وهذا المصطلح أَطْلَقه عليه حميد الدين عبد الحميد الأنصاري الفراهي، حين قال: "ومرادنا بالنظام أن تكون السورة وحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، وعلى هذا الأصل، ترى القرآن كله كلاماً واحداً، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر". ينظر: الفراهي عبد الحميد، دل**ائل النظام**، الدائرة الحميدية ومكتبتها–الهند: 1388هـ.(د.ر.ط)، (ص 75).

ويتّضح كذلك، أن هناك تقاربًا شديدًا بين علم المناسبة وعلم البلاغة؛ مما حدا بالبقاعي (885هـ) أن يجعله سرَّ البلاغة فبعد تعريفه للعلم قال: "وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني إلى ما اقتضاه الحال"[1]؛ إذ إن البلاغة -كما هو معروف عند أهل الفن- هي ترتيب المعاني المتآخية والمتشابهة والمتسقة، وعلم المناسبة -كما مرَّ- هو معرفة علل ترتيب الأجزاء، ومن هنا فإن علم المناسبة بالنسبة لعلم البلاغة، كأصول الفقه بالنسبة للفقه، فهو حاضنُها، ومُعلل ترتيبها، ومُقنِّن لها. فالبلاغة الترتيب والاتساق والتآخي، وعلم المناسبة هو معرفة علل وأسباب هذا الترتيب والتآخي.

ومنه يخلص إلى القول بأن علم المناسبة هو علم يبحث في الارتباط بين أجزاء الآيات، ويُعنى كذلك بترابط السور بعضها ببعض، مبيّنا إتحاد معانيها، واتساق مبانيها، فكما يوجد ترابط بين النسب والنسيب، فكذلك بين الآيات والسور هناك ترابط وتناسق، غايته :" الاطلاع على المرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلق، الذي هو كلحمة النسب".[2]و في ذلك كله إظهار بلاغة القرآن وإحكام سبكه وإعجازه.

وخلاصة القول في التعريف بالتناسب هو ما ذكره أحمد عبد الغفار في كتابه حول القرآن الذي يقول فيه: "هو توارد الكلام في سياق دلالته من وراء تناسق النظم وتعانقه، سواء في نظم الكلمات القرآنية، أو ترابط الآيات، أو ترتيب السور"[3].

ومن خلال هذا العرض لكلام أهل فنون من العلم؛ يخلص إلى التعريف الآتي:

المناسبة هي عِلمٌ يعنى بالبحث في أسرار ترابط الآيات وأجزائها، وترابط السور ببعضها، انطلاقًا من مقاصدها وأغراضها للوصول إلى اتساق معانيها، وانتظام مبانيها، تحقيقاً للإعجاز.

المطلب الثاني: موضوع علم المناسبة وحكم دراسته:

أولا: موضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية؛ كجسم الإنسان بالنسبة لعلم الطب، واللفظ العربي بالنسبة لعلم النحو. ومن هنا؛ يُعلم أن موضوع علم المناسبة هو آيات القرآن الكريم وسوره، من

---

(1)- البقاعي، **نظم الدرر**، (1/ 5).

(2)- البقاعي ،**مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، (1/ 142).

(3)- أحمد عبد الغفار، **حول القرآن**، دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية. 2003م، (د.ر.ط)، (ص 99).

حيث بيان اتصالها وتلاحمها، بما يظهر أجزاء الكلام متصلة، آخذا بعضها بأعناق بعض، مما يقوى بإدراكه إدراك الارتباط العام بين أجزاء الكتاب الكريم، ويصير حال التأليف الإلهي كحال البناء المحكم المتناسق الأجزاء[1].

ثانيا: حكم دراستها:

لا ريب أن إدراك إعجاز القرآن المجيد واجب على المسلمين؛ ليقيموا الحجة على حقيقة كتابهم، وكونه تنزيلاً من حكيم حميد. ولما كان النفاذ إلى أسرار الإعجاز الغامضة، ومعاني المناسبة العميقة، لا يتأتى لكل أحد، فقد صار واجباً على الأمة أن تنتدب إلى إدراك ذلك طائفة منها تقوم عنها بالواجب الكفائي، فإذا فعلت سقط الإثم عن الأمة كلها، وإلاّ أصاب الإثم كل قادر ولم ينهض إليه؛ قال تعالى: **"وَمَا كَانَ ٱلْمُومِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآيِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ "** [التوبة: 123].

المطلب الثالث: أقوال العلماء فيها:

قال الحرالي (637هـ)[2] في جزء سماه: "مفتاح الباب المقفل، لفهم القرآن المنزل": "لله تعالى مواهب جعلها أصولاً للمكاسب، فمن وهبه عقلاً يسر عليه السبيل، ومن ركب فيه خرقاً نقص ضبطه من التحصيل، ومن أيده بتقوى الاستناد إليه في جميع أموره علمه وفهمه". قال: "وأكمل العلماء من وهبه الله تعالى فهماً في كلامه، ووعياً عن كتابه، وتبصرة في الفرقان، وإحاطة بما شاء من علوم القرآن، ففيه

(1)- عادل بن محمد أبو العلاء، **مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور**، الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة ،ع129 ،س37، 1425هـ، (ص 18).

(2)- **الحَرَالي (000-638هـ/000-1241م)**: علي بن أحمد بن الحسن الحرالّي التجيبي، أبو الحسن: مفسر، من علماء المغرب. أطال الغبريني في الثناء عليه وإيراد أخباره، وقال: ما من علم إلاّ له فيه تصنيف. أصله من حرالة من أعمال مرسية. ولد ونشأ في مراكش. ورحل إلى المشرق وتصوف، ثم استوطن بجاية.وعاد إلى المشرق، فأخرج من مصر. وتوفي في حماة (بسورية) من كتبه (مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل) في التفسير، قال ابن حجر: جعله قوانين كقوانين أصول الفقه، و(المعقولات الأول) في المنطق، و(الوافي) في الفرائض، و(تفهيم معاني الحروف) ...يراجع: الزركلي، **الأعلام**، (4/ 256).

تمام شهود ما كتب الله لمخلوقاته من ذكره الحكيم؛ بما يزيل بكريم عنايته من خطأ اللاعبين؛ إذ فيه كل العلوم..."(1).

ويشيد به –ضمنا– ابن النقيب (698هـ) في مقدمة تفسيره، عند كلامه عن الفك والسبك فيقول: "وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت أو الرسالة أو الخطبة بعضها ببعض من أوله إلى آخره، ولهذا قيل: خير الكلام المسبوك المحبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض والقرآن كله آياته كلها كذلك فاعرفه..."(2).

ويكفي علم المناسبة شرفاً كونه جنس من فهم وتدبر هذا الذكر الحكيم.

يقول الحق تبارك وتعالى: "**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**" [النساء:81]. وقال: "**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**" [محمد: 25].

يورد الزركشي (794هـ) في برهانه أقوالاً لمن سلف، في قيمة الفهم والتدبر المستنبط من القرآن فيذكر: قال الشافعي(3) (204هـ): "جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن، وجميع القرآن شرح أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا –زاد غيره: وجميع الأسماء الحسنى شرح لاسمه الأعظم– وكما أنه أفضل من كل كلام سواه، فعلومه أفضل من كل علم عداه"(4).

---

(1)– الحرالي؛ أبو الحسن علي بن أحمد المراكشي، **مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل من سلسلة تراث الحرالي**، تح: محمادي بن عبد السلام الخياطي، مطبعة النجاح الجديدة–الدار البيضاء، ط1، 1418هـ/1997م، (ص 24).

(2)– ابن منقذ: أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر الكناني الكلبي الشيزري (584هـ)، **البديع في نقد الشعر**، تح: أحمد أحمد بدوي–حامد عبد المجيد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي–الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة–الجمهورية العربية المتحدة، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 163).

(3)– **الإمَام الشَّافِعي (150–204هـ/767–820م**: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله: أحد الأئمة الأربعة، ولد في غزة (بفلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين. وقصد مصر سنة 199 فتوفي بها، برع في الشعر واللغة وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث، وأفتى وهو ابن عشرين سنة. وكان ذكيا مفرطا. له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب (الأم) و(أحكام القرآن) و(الرسالة) وغيرها...الزركلي، **م،س**، (6/ 26).

(4)– الزركشي، **البرهان**، (1/ 6).

قال سبحانه تعالى: "أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ" [الرعد:21].

وقال عزّ وجلّ: "يُؤتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً" [البقرة: 268]، قال مجاهد[1]:" الفهم والإصابة في القرآن"[2]. وقال مقاتل[3]: يعني علم القرآن[4].

وقال سفيان بن عيينة(198)هـ [5] في قوله سبحانه تعالى: "سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ" [الأعراف:146]، قال: أحرمهم فهم القرآن. وقال سفيان الثوري(161 هـ): لا يجتمع فهم القرآن والاشتغال بالحطام في قلب مؤمن أبدا"[6]. قال ذو النون المصري(245هـ) [7]: "أبى الله -عز وجل- أن يكرم قلوب البطالين مكنون حكمة القرآن".

---

(1)- **مجاهد بن جبر (21-104هـ/642-722م)**: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكيّ، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف =كانت؟ وتنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة. ...أما كتابه في (التفسير) فيتقيه المفسرون، وسئل الأعمش عن ذلك، فقال: كانوا يرون أنه يَسأل أهل الكتاب، يعني النصارى واليهود. ويقال: أنه مات وهو ساجد. الزركلي، **الأعلام**، (5/ 278).

(2)- يراجع: مجاهد: أبو الحجاج بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (104هـ)، **تفسير مجاهد**، تح: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة-مصر، ط1، 1410هـ-1989م، (ص 245).

(3)- **مقاتل بن سُلَيْمان (000-150هـ/000-767م)**: ابن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن: من أعلام المفسرين. أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدّث بها. وتوفي بالبصرة. كان متروك الحديث. من كتبه (التفسير الكبير) و (متشابه القرآن) و(الناسخ والمنسوخ) و(القراءات) و(الوجوه والنظائر)...االزركلي، **الأعلام**، (7/ 281).

(4)- يراجع: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (150هـ)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث-بيروت، ط1، 1423هـ، (1/ 223).

(5)-**سُفْيَان بن عُيَيْنَة (107-198هـ/725-814م)**: سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد: محدّث الحرم المكيّ. من الموالي. ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها. كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر، قال الشافعيّ: لولا مالك سفيان لذهب علم الحجاز. وكان أعور. وحج سبعين سنة. .. له (الجامع) في الحديث، وكتاب في (التفسير)، الزركلي، **الأعلام**، (3/ 105).

(6)- الزركشي، **البرهان**، (1/ ص 6).

(7)-**ذُو النُّون المِصْري** (000 - 245 هـ = 000 - 859 م):ثوبان بن إبراهيم الإخميميّ المصري، أبو الفَيَّاض، أو أبو الفيض: أحد الزهاد العباد المشهورين.من أهل مصر. نوبيّ الأصل من الموالي. كانت له فصاحة وحكمة وشعر. وهو أول من تكلم بمصر في

وقال الحسن البصري (110هـ)[1]: "علم القرآن ذكر لا يعلمه إلا الذكور من الرجال"[2]. وقد كان الصحابة –رضي الله عنهم– علماء؛ كل منهم مخصوص بنوع من العلم: كعلي –رضي الله تعالى عنه– بالقضاء، وزيد بالفرائض، ومعاذ بالحلال والحرام، وأبي بالقراءة، فلم يسمى أحد منهم بحراً إلاّ عبد الله بن عباس لاختصاصه دونهم بالتفسير وعلم التأويل؛ وقال فيه علي بن أبي طالب: "كأنما ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق". وقال فيه عبد الله بن مسعود: نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس"[3].

فعلم المناسبة علم جليل القدر، قد نبّه إلى أهميته عدد من العلماء ،من أبرزهم الفخر الرازي (606هـ) حيث قال: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[4].

قال السيوطي (911هـ) في معترك الأقران: "علم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته"[5].

وقال البقاعي (885هـ): "وهو سر البلاغة ؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجازة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك في معرفة

(ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية) فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم. واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة، فاستحضره إليه وسمع كلامه. ثم أطلقه، فعاد إلى مصر. وتوفي بجيزتها .(الزركلي،**الأعلام** ،(2/ 102).)

(1)- **الحسن البَصْري (21–110هـ/642–728م)**: الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه.وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب، سكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء...وله أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة وكتاب في (فضائل مكة) توفي بالبصرة. الزركلي، **الأعلام**، (2/ 226).

(2)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 8).

(3)- الزركشي، **م.س**، (1/ 8).

(4)- فخر الدين الرازي (606هـ) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، **مفاتيح الغيب: التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي–بيروت، ط3، 1420هـ، (10/ 110).

(5)- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (911هـ)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)**، دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان، ط1، 1408هـ/1988م.

المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير كنسبة علم البيان من النحو"[1].

و العز بن عبد السلام (660هـ) فيه: "المناسبة علم حسن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره"[2].

المطلب الرابع: أبرز من اعتنى بعلم المناسبة من العلماء:

- أبو بكر النيسابوري[3]: حيث كان كثير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي في بغداد إذا قرئت عليه الآية: لمَ جعلت الآية جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة في جنب هذه السورة؟.

وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة. وقد نسب الزركشي(794هـ) ومعه السيوطي (911هـ) إليه أنه أول من سبق إلى هذا العلم.

ذكر أ.د نور الدين عتر في مذكرته (علم المناسبات) أن أول ما بدأ به هذا العلم شذرات على لسان السلف رضي الله عنهم، يستأنسون بها في تفسير القرآن، ولاسيما في اجتهاداتهم وحواراتهم، وذكر أيضًا أن أول ظهور هذا الفن مسجلاً كان عند الإمام أبي جعفر الطبري (310هـ)[4].

فالصحيح أن أولية علم المناسبة القرآنية غير واضحة تمام الوضوح إلى الآن، ولاسيما مع بقاء كثير من مصادر التفسير وعلوم القرآن مخطوطة بعيدة عن أيدي الباحثين. وقد كتب الدكتور الفاضل عبد الحكيم الأنيس في مسألة نشأة علم المناسبة بحثاً ضافياً في مجلة (الأحمدية) التي تصدر عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث في دبي بالإمارات العربية المتحدة في العدد الحادي عشر -

(1)- البقاعي، **نظم الدرر**، (1/ 5)، وفي **مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السّوَرِ ويُسَمَّى: المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (885هـ)، مكتبة المعارف-الرياض، ط1، 1408هـ/1987م، (1/ ص 142).

(2)- العز عبد العزيز بن عبد السلام، **الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز**، تح: رمزي سعد الدين دمشقية، دار البشائر، ط1، (ص 221).

(3)- لمعرفة ترجمته ينظر بحث الدكتور عبد الحكيم أنيس المشار إليه أدناه.

(4)- ينظر الموقع: http://www.tafsir.org/vb/showthread.php?threadid

جمادى الأولى 1423هـ- بعنوان: (أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية) بين فيه أقول العلماء في نشأة هذا العلم، وخلص إلى عدم وضوح الرؤية في هذه المسألة، وبين صواب ما ذكره السيوطي (911هـ) وأكثر الباحثين من بعده. فليراجعه من أراد الاستزادة في هذه المسألة[1].

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (420هـ) درة التنزيل وغرة التأويل.

- فخر الدين الرازي (606هـ) رحمه الله، حيث تميز بالإكثار من التماس المناسبة في تفسيره.

- أبو الحسن الحرالي المغربي (638هـ) ويُتهم البقاعي (885هـ)بأنه قد أخذ كل ما في كتابه (نظم الدرر) من كتابه؛ يقول المناوي (1031هـ) في الكواكب الدرية في ترجمة الحرالي: "وصنف تفسيراً ملأه بحقائقه، ودقائق فكره، ونتائج قريحته، وأبدى فيه من مناسبات الآيات والسور ما يبهر العقول، وتحار فيه الفحول، وهو رأس مال البقاعي، ولولاه ما راح ولا جاء، ولكنه لم يتم، ومن حيث وقف :وقف حال البقاعي في مناسباته"[2].

- أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (708هـ) رحمه الله وله في ذلك كتاب البرهان في ترتيب سور القرآن، وهو كتاب ثمين.وكذلك ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل.

- ابن النقيب الحنفي (698هـ) حيث تصدى في تفسيره: التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير لذكر المناسبات.

- البقاعي (885هـ) رحمه الله في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور وكتابه مؤلف مستقل لتلمس المناسبة بين الآيات والسور وهو كتاب نفيس في بابه، وكذا مصاعد النّظر للإشراف على مقاصد السّور ويسمّى: "المقصد الأسمى في مطابَقةِ اسمِ كلِ سورة للمسمّى".

---

(1)- عرض عبد الحكيم الأنيس في مسألة نشأة علم المناسبةبحثاً ضافياً في مجلة (الأحمدية) التي تصدر عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث في دبي بالإمارات العربية المتحدة في العدد الحادي عشر-جمادى الأولى 1423هـ- بعنوان: (أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية) لاشتراك، وخلص إلى أن الرجل يبقى مجهولاً مع أنه لمح في الأخير أنه عاش في حدود المائة السابعة ودخل بغداد سنة 632هـ، وكان غزير العلم في االشريعة والأدب...تراجع المجلة ع11، ص15 وما بعدها.

(2)- المناوي: زين الدين محمد عبد الرؤوف (1031هـ)، **الكواكب الدرية في ترجمة السادة الصوفية:الطبقات الكبرى**، تح: محمد أديب الجادر، دار صادر-بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (2/ 465).

– السيوطي(911هـ) رحمه الله فقد ألف كتابه تناسق الدرر في تناسب السور، وكتاب أسرار التنزيل.

ومن المعاصرين:

– الشيخ محمد عبده (1323هـ) رحمه الله في تفسير المنار الذي جمعه وأتمه رشيد رضا حيث كان له عناية بعلم المناسبة.

– من المعاصرين الأستاذ سيد قطب (1385هـ) رحمه الله في كتابه في ظلال القرآن، وفي كتابه الآخر التصوير الفني في القرآن وقد أبدع في إبراز ألوان من التناسق الفني في التصوير القرآني.

– الشيخ مصطفى المراغي رحمه الله في تفسيره.

– الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه جواهر البيان في تناسب سور القرآن.

– الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله حيث تكلم عنه وعن أهميته وفوائده في كتابه التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن.

– الفراهي في تفسيره نظام الفرقان.

– د. فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي في كتابه أسرار البيان في التعبير القرآني وغيرهم.

العلماء بيّنوا بجلاءٍ أهميَة هذا العلم وجليل قدره، وعظيمَ الفائدة بمعرفته، وقد نبه إلى أهميته عدد منهم ومن أشهرهم فخر الدين الرازي ((ت 606هـ) حيث قال: "أكثرُ لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[(1)].

وقال السيوطي (ت 911هـ) في معترك الأقران: "علمُ المناسبة علمٌ شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته"[(2)].

ويرى الإمام إبراهيم بن عمر البقاعي (885هـ) في كتابه نظم الدرر أن: "نسبة علم المناسبة من علم التفسير، نسبة البيان من علم النحو"[(3)]. وقال الزركشي: "اعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول"[(1)].

(1)– الرازي، فخر الدين، **التفسير الكبير**، دار الفكر–بيروت، (د.ت.ط)، (10/ 145).

(2)– السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، دار الكتاب العربي–بيروت، 1988م.

(3)– البقاعي، **نظم الدرر**، (1/ 6).

أما القاضي أبو بكر بن العربي (543هـ) قد كشف عن منزلة هذا العلم بقوله: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني علمٌ عظيم لم يتعرض له إلاّ عالم واحد عَمِل فيه سورَة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَلَّة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"[2].

وقال فخر الدين الرازي (606هـ)في ختام تفسيره لسورة البقرة:: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضًا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز حسب أسلوبه أرادوا ذلك، إلاّ أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب إلاّ كما قيل"[3].

والنجمُ تستصغرُ الأبصارُ رؤيتَه[4] والذنبُ للطرْف لا للنجمِ في الصِّغَرِ[5]

وقال الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (1367هـ): "إن القرآن تقرؤه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكمُ السّرد، دقيقُ السبك، متينُ الأسلوب، قويُّ الاتصال، آخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه،كأنه سبيكةٌ واحدٌة، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل، كأنه حلقٌة مفرغة،أو كأنه سمط وحيد وعقدٌ فريد يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته، وجاء آخره مساوقًا لأوله، وبدا أوله مواتيًا لآخره."[6].

وقال الشيخ محمد عبد الله دراز (1378هـ): "أجل إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حُشيت حشوًا وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا؛ فإذا هي –لو تدبرت– بنيٌة متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسسٍ وأصولٍ، وأقيم على كل أصلٍ منها شُعبٌ وفصول، وامتد من كل شعبةٍ منها فروعٌ تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية

---

(1)- الزركشي، **م.س**، (1/ 35).

(2)- الزركشي، **م.س**، (1/ 36)، السيوطي، **معترك الأقران**، (.3/ 369)

(3)- قائل هذا البيت هو أبو العلا المعري كما جاء في **وفيات الأعيان** لابن خلكان، دار صادر–بيروت، (1/ 162).

(4)- جاء في بعض الكتب (صورته) أو (طلعته) بدلاً من (رؤيتَه) كما في **نظم الدرر** للبقاعي، **والإتقان** للسيوطي (323/3).

(5)- الرازي، **التفسير الكبير**، (7/ 139)

(6)- لزرقاني، **م.س**، (1/ 44).

فيبنيانٍ واحدٍ قد وضع رسمه مرَّة واحدَّة: لا تحسُّ بشيءٍ من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيءٍ من الانفصال في الخروج من طريقٍ إلى طريقٍ؛ بل ترى بين الأجناس المختلفة تمامَ الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام، والالتحام، كل ذلك بغير تكلفٍ ولا استعانةٍ بأمرٍ من خارج المعاني أنفسها، إنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرضٍ ومقطعه وأثنائه يريك المنفصل متصلا والمختلف مؤتلفًا"(1).

المطلب الخامس: تقسيماتها:

وردت عدة تقسيمات لأنواع المناسبة في كتب المهتمين بهذا العلم، واختلفت تلك التقسيمات من حيث عددها ومسمياتها.

ومن هذه التقسيمات ما ذكره ابن أبي الإصبع المصري (654هـ) في كتابيه (بديع القرآن) و(تحرير التحبير) ،إذ قسّمها إلى نوعين: مناسبة في المعاني، ومناسبة في الألفاظ. والمعنوية: هي أن يبتدئ المتكلم بمعنى، ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ(2).

أما المناسبة اللفظية: فهي عبارة عن الإتيان بلفظات متزنات مقفاة وغير مقفاة، فالمقفاة مع الاتزان مناسبة تامة، والمتزنة من غير التقفية مناسبة ناقصة. أي أن المناسبة اللفظية على ضربين وهي: المناسبة اللفظية الناقصة تفسح المجال للتنويع اللفظي والمعنوي، والمناسبة اللفظية التامة وهي من قبيل التقارب التام الذي هدفه التأثير في المتلقي(3).

والمناسبة بين معنيين، تقسم على قسمين: أحدهما: أن يشمل الكلام على معنى يصح معه معنيان أحدهما ملائم بحسب نظر دقيق، والآخر ليس كذلك فيقرن بالملائم حسب الأسباب التي تؤدي إلى اقترانهما(4).

(1)- دراز، محمد عبد الله، **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن،** الشركة المتحدة للتوزيع-بيروت، 1970م، (ص 155).

(2)- ابن أبي الإصبع، **بديع القرآن،** (ص 145). **وتحرير التحبير،** (ص 363-364)، وهذا التقسيم نفسه موجود في مقدمة ابن النقيب في التفسير : يراجع: **مقدمة تفسير ابن النقيب،** (ص 178 وما بعدها).

(3)- ينظر: ابن أبي الإصبع، **البديع،** (ص 146).

(4)- الطيبي: شرف الدين، **البيان في التبيان،** تح: عبد الستار حسين زموط، جامعة القاهرة،1397هـ/1977م، (ص 200).

ومن هذا الباب قسم سماه السيوطي (911هـ) تشابه الأطراف: وهو أن يختم الكلام بما يناسب ابتداءه في المعنى[1]، والقسم الثاني أن يكون للمعنى وصفان ملائمان فيختار الأحسن. أي يختار الأفضل في التأثير على المتلقي[2].

وعلى العموم: فالمناسبات، بوصف مجمل،تنقسم إلى قسمين رئيسين، ولكل قسم صور تندرج تحته. إضافة إلى قسم آخر يدخل ضمن القسمين الآخرين ،هذا على النحو الآتي:

القسم الأول[3]: المناسبة الداخلية، وهي الأنواع التالية:

- **الأول**: مناسبات ترتيب آيات السورة الواحدة، واعتلاق بعضها ببعض، وارتباطها وتلاحمها وتناسقها.
- **الثاني**: مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له، وذلك براعة الاستهلال.
- **الثالث**: مناسبة ختام السورة لمطلعها.
- **الرابع**: مناسبة فواصل الآي للآية التي ختمت بها، كمناسبة أسماء الله الحسنى في أواخر بعض الآي.

القسم الثاني: **المناسبة الخارجية**: وتشمل:

- مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها.
- مناسبة ختام السورة لمطلع السورة التالية لها.
- مناسبة مطلع السورة لمطلع السورة التي تليها.

القسم الثالث: هو نوع يدخل في القسمين السابقين ، فلا ينظر فيه إلى سورة بمفردها مع سورة أخرى، ولا إلى آية بمفردها مع آية أخرى، وهو مناسبة موضوع مجموعة من السور مجموعة أخرى من السور، أو لسورة واحدة، ومناسبة موضوع مقطع من الآيات في السورة لمقطع آخر. من مثل سورة الفاتحة فهي تسمى أم الكتاب ، وتناسب في موضوعها أية سورة أخرى.[4]

---

(1)- السيوطي: جلال الدين (911هـ)، **التحبير في علم التفسير**، تح: عبد الفتاح فريد، دار العلوم-السعودية، ط1 1402هـ/1982م، (ص 289).

(2)- الطيبي، **م.س**، (ص 202)، والسيوطي، **التحبير في التفسير**، **م.ن**، (ص 289).

(3)- ينظر: الدكتور محمد بن عمر بازمول، **م.س**، (ص 108). وتم اختيار تصنيفه لأنه أكثر دقة وتفصيلاً.

(4)- بازمول، **م.ن**، (ص 29).

القسم الأول: المناسبة الداخلية: وتفصيل صوره خمسة:

- ✓ تناسب كلمات الآية الواحدة.
- ✓ تناسب ترتيب الآيات.
- ✓ تناسب مطلع السورة مع مقاصدها.
- ✓ تناسب خاتمة السورة مع مقاصدها.
- ✓ تناسب مطلع السورة مع خاتمتها.

وهذه نماذج من القسم:

✓ **في تناسب كلمات الآية الواحدة:** ويقصد به الترابط بين أجزاء الآية الواحدة وتناسب ألفاظها لمقصودها وغرضها. ومن أمثلته:

قوله تعالى: **"لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ"** [البقرة:285] أتى بلفظ الاكتساب المشعر بالكلفة والمبالغة في جانب السيئة لثقلها[1].

قوله تعالى: **"وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ"** [هود: 113] فإنه سبحانه لما نهى عن الركون إلى الظالمين، وهو الميل إليهم والاعتماد عليهم، وكان دون ذلك مشاركتهم في الظلم، أخبر أن العقاب على ذلك دون العقاب على الظلم؛ وهو مسُّ النار الذي هو دون الإحراق والاضطرام؛ وإن كان المس قد يُطلق ويراد به الإشعار بالعذاب[2].

قوله سبحانه وتعالى: **"فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ"** [الشعراء: 94] فإنه أبلغ من كبوا للإشارة إلى أنهم مكبون كباً عنيفاً فظيعاً[3].

---

(1)- **الإتقان في علوم القرآن**، (2/ 172).

(2)- الزركشي، **م.س**، (3/ 433).

(3)- السيوطي، **الإتقان**، (2/ 172).

✓ **تناسب ترتيب الآيات:** ويقصد منه ترابط الآيات بعضها مع بعض، حيث تكون كلُحمة واحدة.

فالتناسب بين كل آية وجارتها يقتضي أن السورة القرآنية وحدة واحدة، فالقرآن الكريم كالبناء الواحد، أو الجسم الواحد، بل وحتى الكلمة الواحدة.

وقد استخدم المعاصرون :كالفراهي، وسيد قطب، والدكتور مصطفى مسلم، والدكتور صلاح الخالديوسعيد حوى، وأسد سبحاني، ومحمود البستاني، وطه جابر العلواني، وصبحي الفقي، وغيرهم... مصطلحات حديثة من مثل الوحدة الموضوعية في السورة، أو الوحدة العضوية، وكذا التماسك، والوحدة البنائية، وعمارة السورة، والتفسير البنائي، فضلاً عن النظام والتناسق، والترابط والتناسب والنظم. كلها تواضعات تشير إلى التماسك الموجوع بين آيات السورة الواحدة[1].

ومن أمثلة هذا الضرب: قوله سبحانه وتعالى في سورة النساء: **"وَلاَ تُوتُواْ أْلسُّفَهَآءَ امْوَالَكُمُ أْلتِے جَعَلَ أْللَّهُ لَكُمْ قِيَماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفاً "** [النساء:5] مع قوله سبحانه وتعالى: **"وَابْتَلُواْ أْلْيَتَامِيٰ حَتَّيٰٓ إِذَا بَلَغُواْ أْلنِّكَاحَ فَإِنَ ـانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمُۥٓ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَاكُلُوهَآ إِسْرَافاً وَبِدَاراً اَنْ يَّكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَاكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمُۥٓ إِلَيْهِمُۥٓ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَيٰ بِاللَّهِ حَسِيباً"** [النساء:6].

قد يقال أن مقتضى الظاهر على هذا الوجه أن يقدم هنالك حكم منع تسليم مال اليتامى لأنه أسبق في الحصول.

والمناسبة أنه قدم حكم التسليم، لأن الناس أحرص على ضده، فلو ابتدأ بالنهي عن تسليم الأموال للسفهاء لاتخذه الظالمون حجة لهم، وتظاهروا بأنهم إنما يمنعون الأيتام أموالهم خشية من استمرار السفه فيهم، كما يفعله الآن كثير من الأوصياء والمقدمين غير الأتقياء، إذ يتصدون للمعارضة في بينات ثبوت الرشد لمجرد الشغب وإملال المحاجير من طلب حقوقهم.

---

(1)- طارق مصطفى محمد حميدة، **التناسب في سورة البقرة**، (ص 66).

والخطاب في قوله: ولا تؤتوا السفهاء كمثل الخطاب في وآتوا اليتامى وآتوا النساء هو لعموم الناس المخاطبين بقوله: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ" [الحج: 1] ليأخذ كل من يصلح لهذا الحكم حظه من الامتثال.

والسفهاء يجوز أن يراد به اليتامى، لأن الصغر هو حالة السفه الغالبة، فيكون مقابلاً لقوله: وآتوا اليتامى لبيان الفرق بين الإيتاء بمعنى الحفظ والإيتاء بمعنى التمكين، ويكون العدول عن التعبير عنهم باليتامى إلى التعبير هنا بالسفهاء لبيان علة المنع. ويجوز أن يراد به مطلق من ثبت له السفه، سواء كان عن صغر أم عن اختلال تصرف، فتكون الآية قد تعرضت للحجر على السفيه الكبير استطراداً للمناسبة، وهذا هو الأظهر لأنه أوفر معنى وأوسع تشريعا[1].

✓ تناسب مطلع السورة مع مقاصدها:

وهذا من براعة الاستهلال: "وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله"[2].

ومن أمثلته ما ذكره ابن الزّمْلكَاني(727هـ) [3]: "سورة سبحان" لما اشتملت على الإسراء الذي كذب المشركون به النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبه تكذيب لله سبحانه وتعالى، أتى "بسبحان" لتنزيه الله تعالى عما نسب إلى نبيه من الكذب وسورة الكهف لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخر الوحي نزلت مبينة أن الله لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن المؤمنين بل أتم عليهم النعمة بإنزال الكتاب فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة"[4].

✓ تناسب خاتِمة السورة مع مقاصدها.

---

(1)- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (4/ 234).

(2)- السيوطي، **الإتقان**، (3/ 363).

(3)- **ابن الزَّمَلْكاني (667-727هـ-1269م-1327م)**: محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري، كمال الدين،: فقيه، انتهت إليه رياسة الشافعية في عصره. ولد وتعلم بدمشق. وتصدر للتدريس والإفتاء، وولي نظر ديوان (الأفرم) ونظر الخزانة ووكالة بيت المال. وكتب في ديوان الإنشاء ... توفي في بلبيس ودفن بالقاهرة. له رسالة في الرد على ابن تيمية في مسألتي (الطلاق والزيارة) وتعليقات على (المنهاج) للنووي، وكتاب في (التاريخ) ...(الزركلي، **الأعلام**، (6/ 284)).

(4)- نقلا عن: السيوطي: **الإتقان**، (3/ 378).

"جميع خواتم السور الفرقانية في غاية الحسن ونهاية الكمال، لأنها بين أدعية، ووصايا، وفرائض، وتحميد، وتهليل، ومواعظ، ومواعد، إلى غير ذلك من الخواتيم التي لا يبقى للنفوس بعدها تشوّف إلى ما يقال"[1].

ومن أمثلة تناسب خاتمة السورة مع مقاصدها ما ذكره البقاعي (885هـ) رحمه الله في ختام سورة آل عمران في قوله سبحانه و تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" [آل عمران: 200] حيث قال: "ولما كثر في هذه الآيات الأمر بمقاساة الشدائد وتجرع مرارات الأذى واقتحام الحروب واستهانة عظائم الكروب، والحث على المعارف الإلهية والآداب الشرعية من الأصول والفروع انخلاعاً من المألوفات إلى ما يأمر به سبحانه من الطاعات، وختم بتجرع فرقة من أهل الكتاب لتلك المرارات كانت نتيجة ذلك لا محالة قوله سبحانه و تعالى منبهاً على عظمة ما يدعو إليه لأنه شامل لجميع الآداب: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ" أي بكل ما ذكرنا في هذه السورة.[2].

✓ تناسب مطلع السورة مع خاتمتها:

من الراسخ في الذهن أن فواتح السور القرآني تحمل براعة استهلال معجزة، فهي أول شيء يقع في السمع، ومن ثَمَّ فخاتمة السور كذلك لا تقل عنها إذ هي آخر ما يقرع الأسماع لذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد[3]. وقد ألف بعض العلماء، منهم السيوطي(911هـ) في كتابه: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع،كتباً مستقلة في مناسبة بداية السورة بخاتمتها، كما ورد بعضها متناثرا عند بعض المفسرين.

ومن أمثلته: ما ذكره الزمخشري (794هـ) في آخر تفسير سورة المؤمنون حيث قال: "تفسير جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وأورد في خاتمتها إنه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة

(1)- ابن أبي الإصبع، **البديع**، (2/ 346).

(2)- البقاعي، **نظم الدرر**، (5/ 168).

(3)- السيوطي، **الإتقان**، (3/ 366).

والخاتمة..."[1]. وهنا التناسب هو التضاد، فعندما ذكر فوز أهل الإيمان، ذكر بعده خسارة أهل الكفر والعصيان.

ومن أمثلته ما ذكره السيوطي (911هـ) في الإتقان حيث قال: "وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بدِئت بأهوال القيامة وخُتمت بقوله: "**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُۥ**" [الزلزلة: 8-9][2].

✓ **القسم الثاني: التناسب بين السور**: وتسمى أيضاً المناسبة الخارجية: وهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي، وهذا الراجح كما سبق. وله ثلاث

- تناسب مطلع السورة مع مطلع ما قبلها.
- تناسب مطلع السورة مع خاتمة ما قبلها.
- تناسب مقاصد السورة مع مقاصد السورة التي قبلها.

وبناء على هذا التقسيم سوف يكون الحديث عنها، مع إيراد الأمثلة عليها لبعضها... وهذه نماذج عن هذا القسم من التناسب:

✓ **تناسب مطلع السورة مع مطلع ما قبلها**: من أمثلته: قال الإمام ابن الزبير (708هـ)[3] في البرهان، ونقله عنه البقاعي (885هـ) في نظم الدرر[4]: "لما افتتحت سورة الأنبياء بقوله سبحانه وتعالى: "**ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ**" ا[الأنبياء:من 1] وكان في معرض التهديد، وتكرر في مواضع (أخرى) ... إلى ما تخلل هذه الآي من التهديد وتشديد الوعيد حتى لا تكاد تجد أمثال هذه الآي في الوعيد والإنذار بما في الساعة وما بعدها وما بين يديها في نظائر هذه السورة، وقد ختمت من ذلك بمثل ما به ابتدأت، اتصل بذلك ما يناسبه من الإعلام بهول الساعة وعظيم

(1)- الزمخشري (538هـ)؛ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي-بيروت، ط3، 1407هـ. (3/ 207).

(2)- السيوطي، **الإتقان**، (3/ 367).

(3)- هو أحمد بن إبراهيم بن الزُّبَيْر الثقفي الغَرْناطِيّ ، أبو جعفر ، مُحَدِّث ، مؤرخ ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس . انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول ، وُلِدَ في جَيان ، وأقام بِمَالَقَة فحدثت له شؤون ومنغصات فغادر إلى غَرْنَاطة وتوفي فيها، الزركلي، **الأعلام**، (1/ 86)

(4)- البقاعي، **نظم الدرر**، (5/ 130).

أمرها فقال سبحانه و تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ" [الحج:من 1]، إلى قوله سبحانه وتعالى: "وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ" [الحج:من2]، ثم أتبع هذا ببسط الدلالات على البعث الأخير وإقامة البرهان... "(1).

✓ **تناسب مطلع السورة مع خاتمة ما قبلها**: يقول الزركشي (794هـ): "وإذا اعتبرت افتتاح كل سوره وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى كافتتاح سورة الأنعام بالحمد فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء كما قال سبحانه {وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين}، وكافتتاح سورة فاطر بـ {الحمد} أيضاً فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله {وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل} وكما قال سبحانه و تعالى: {فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين} وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح فإنه مناسب لختام سورة الواقعة من الأمر به وكافتتاح البقرة بقوله {الم ذلك الكتاب لا ريب فيه} إشارة إلى {الصراط} في قوله {اهدنا الصراط المستقيم} كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب"(2).

ومن أمثلته أيضاً ما ذكره البقاعي (885هـ) في تفسيره مطلع سورة الضحى أن هناك ترابطاً بين مقدمتها مع خاتمة سورة الليل فقال: "ولما حَكَمَ في آخر الليل بإسعاد الأتقياء، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أتقى الخلق مطلقاً، وكان قد قطع عنه الوحي حيناً ابتلاء لمن شاء من عباده، وكان به صلى الله عليه وسلم صلاح الدين والدنيا والآخرة، وكان الـمَلَوَان(3) سبب صلاح معاش الخلق وكثير من معادهم، أقسم سبحانه وتعالى بهما على أنه أسعد الخلائق دنيا وأخرى، فقال مقدماً ما يناسب حال الأتقى الذي قصد به أبو بكر رضي الله عنه قصداً أولياً من النور الذي يملأ الأقطار، ويمحو كل ظلام يرد عليه ويصل إليه، مفهماً بما ذكر من وقت الضياء الناصع حالة أول النهار وآخر الليل التي هي ظلمة

---

(1)- أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (708هـ)، **البرهان في تناسب سور القرآن**، تح:محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب، 1410هـ-1990م، (ص 256)، **نظم الدرر**، (5/ 129).

(2)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 38).

(3)- **المَلَوَان**: الليل والنهار، الواحد مَلاً مقصورُ، (زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية-بيروت-صيدا، ط5، 1420هـ/1999م، (ص 298).

ملتف بساقها ساق النهار عند الإسفار: والضحى فذكر ما هو أشرف النهار وألطفه وهو زهرته، وأضوأه وهو صدره، وذلك وقت ارتفاع الشمس لأن المقسم لأجله أشرف الخلائق، وذلك يدل على أنه يبلغ من الشرف ما لا يبلغه أحد من الخلق"(1).

- ✓ **تناسب مقاصد السورة مع مقاصد السورة التي قبلها.**

ومن أمثلته ما ذكره السيوطي (911هـ) في الإتقان حيث قال: "ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها لأن السابقة وصف الله فيها المنافق بأربعة أمور: البخل وترك الصلاة والرياء فيها ومنع الزكاة فذكر فيها في مقابلة البخل: {إنا أعطيناك الكوثر} أي الخير الكثير وفي مقابلة ترك الصلاة: {فصل} أي دم عليها وفي مقابلة الرياء: {لربك} أي لرضاه لا للناس وفي مقابلة منع الماعون: {وانحر} وأراد به التصدق بلحم الأضاحي"(2).

وما ذكره السيوطي هنا مماثل لما فصّله الرازي (606هـ) حيث قال: "اعلم أن هذه السورة على اختصارها فيها لطائف: إحداها: أن هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة، وذلك لأن في السورة المتقدمة (وهي الماعون)، وصف الله سبحانه و تعالى المنافق بأمور أربعة: أولها: البخل... الثاني: ترك الصلاة... والثالث: المراءاة في الصلاة... والرابع: المنع من الزكاة... فذكر في مقابلتها صفات أربعة (من سورة الكوثر)، فذكر في مقابلة البخل قوله: "**إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ**"، أي: إنا أعطيناك الكثير، فأعط أنت الكثير ولا تبخل، وذكر في مقابلة: "**ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**" قوله:"**فَصَلِّ**" أي دم على الصلاة، وذكر في مقابلة: "**ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ**" وقوله: "**لِرَبِّكَ**" أي ائت بالصلاة لرضا ربك، لا لمراءاة الناس، وذكر في مقابلة: "**وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ**" قوله: "**وَانْحَرْ**" وأراد به التصدق بلحم الأضاحي، فاعتبر هذه المناسبة العجيبة، ثم ختم السورة بقوله: "**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ**" أي المنافق الذي يأتي بتلك الأفعال القبيحة المذكورة في تلك السورة سيموت ولا يبقى من دنياه أثر ولا خبر، وأما أنت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل، وفي الآخرة الثواب الجزيل"(3)

(1)- البقاعي، **نظم الدرر**، (8/ 452-453).

(2)- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (3/ 381).

(3)- الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، (32/ 307).

وبهذا ينتهي المبحث الأول المتعلق بحد المناسبة وما اندرج تحته. وبعده عرض لأهمية هذا العلم وفائدته ثم القواعد المتعلقة به.

المبحث الثاني: فوائد علم المناسبات، أهميتها وقواعد معرفتها:

المطلب الأول: فوائد المناسبة:

المطلب الثاني: أهمية علم المناسبة في القرآن الكريم:

المطلب الثالث: طرق معرفة علم المناسبة وقواعدها:

لعل سائلاً يسأل ؛ما الفرق بين الفوائد والأهمية؟

أهمية الشيء هي مدى حاجة الآخر له، وأما الفائدة فهي المردود أو النتاج الذي يعود منه، غير أنه في هذا العلم قلة من الباحثيين من فرق بينهما: فهناك من يذكر الفوائد مع الأهمية أو العكس، وهناك من لم يفصل بينهما.

و يمكن التمييز بينهما في كون الأهمية تظهر ابتداءً، أما الفائدة فهي ما يتجلى بعد النظر...

المطلب الأول: فوائد العلم بالمناسبة:

علم المناسبة يعتني بالكشف عن الفوائد والحِكم في ترتيب ونظم الآيات القرآنية وترتيب سور القرآن على النحو الذي يوجد اليومَ في المصاحف قال بعض الأئمة: "من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعاً. وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم وفوائده غزيرة"[1].

إذا كان لمعرفة سبب النزول أثر في فهم المعنى، وتفسير الآية، فمعرفة المناسبة بين الآيات تساعد كذلك على حسن التأويل، ودقة الفهم، وإدراك اتساق المعاني بين الآيات، وترابط أفكارها، وتلاؤم ألفاظها.[2] وإظهار أن القرآن رغم نزوله مفرقا فهو محافظ على وحدة نظمه وتماسكه.

وها هنا أقوال بعض الباحثين في هذا المجال إشارة لتلك الفوائد:

يرى الإمام البقاعي (885هـ) في كتابه مصاعد النظر: "أن كل سورة لها مقصد واحدٌ يدار عليه أولها وآخرها، ويُسْتَدَل عليه فيها، فترتب المقدمات الدَّالة عليه على أتقن وجه وأبدع نهجٍ، وإذا كان فيها شيءٌ يحتاج إلى دليل استدل عليه...، فإذا وصل الأمر إلى غايته ختم بما منه كان ابتداء، ثمَّ انعطف الكلام إليه، وعاد النظر عليه، على نهج بديع، ومرقى غير الأول منيع، فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية والدوحة البهيجة الأنيقة الحالِية، المُزَيَّـــنَة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدرّ، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل

(1)- الزركشي، **م.س**، (1/ 21).

(2)-مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن،(ص96).

سورة كدائرة كبرى مشتملة على دوائر الآيات الغرّ البديعة النظم، العجيبة الضَمّ،بلين تعاطفِ أفنانها وحسن تواصل ثمارها وأغصانها"(1).

في موضع آخر يبيّن فائدة جليلة من فوائد معرفة هذا العلم: "وبهذا العلم يرسَخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب. والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولاً، وأسهل تذوقًا..."(2).

ويقول الزركشي (794هـ) في فائدة علم المناسبة بين الآيات: "فائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"(3).

وعبارة الزركشي (794هـ) هذه قد توحي أن علم المناسبة هو الذي يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، في حين أن الارتباط قائم وموجود في الأصل، ولكن علم المناسبة هو الذي يكشف هذا الارتباط ويميط عنه اللثام فيبدو بعد أن كان خافياً.

يقول محمد رشيد رضا: "وقد خطر لي وجه، وهو الذي يطرد في أسلوب القرآن الخاص، في مزج مقاصد القرآن بعضها ببعض، من عقائد، وحكم، ومواعظ، وأحكام تعبدية ومدنية، وغيرها، وهو نفي السآمة عن القارئ والسامع من طول النوع الواحد منها، وتجديد نشاطهما وفهمهما واعتبارهما في الصلاة وغيرها"(4).

وقال الشيخ ولي الدين محمد (5) الملوي (744هـ): "قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب: أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، مرتبة سوره كلها، وآياته بالتوقيف..."(1).

---

(1)-البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (885هـ)، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، مكتبة المعارف-الرياض، 1408هـ-1987م، (1/ 31).

(2)- البقاعي، **م.ن**، (1 /10-11).

(3)- الزركشي، **م.س**، (21/1).

(4)- رشيد رضا، **تفسير المنار**، دار المعرفة-بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 13).

(5)- نقلاً عن السيوطي، **الإتقان**، (3/ 370)، وعند الزركشي قال: "قال: بعض مشايخنا المحققين: قد وهم..."، يراجع: الزركشي، **البرهان**، (1/ 37).

ويزيد هذا الكلام إيضاحًا الشيخ محمد عبد الله دراز (1378هـ) فيقول: "إن كانت -أي الآيات- بعد تنزيلها جُمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع، كمثل بنيان كان قائمًا على قواعده، فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قدرت أبعاده ورقمت لبناته ثم فرِّق أنقاضًا، فلم تلبث أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصًا يشد بعضه بعضًا كهيئته أول مرة"(2).

المطلب الثاني: أهمية علم المناسبة في القرآن الكريم:

لقد أبان العلماء فيما سطروه بجلاء عن أهمية هذا العلم، صراحة أو ضمناً، ومنهم كما سبق الإمام البقاعي(885هـ)، وأبو جعفر بن الزبير (708هـ)، وقد تشابهت أقوالهم في الحديث عن ذلك، وكان بينها قواسم مشتركة...

ومن ملامح أهمية علم المناسبة: الوقوف على علاقة الآية بما قبلها وما بعدها، وما يشير إليه ذلك من معاني ودلالات تزيد فهم الآية فهماً، إضافة إلى ما تخبئه الآيات من معاني جليلة تقود إلى فهم كتاب الله سبحانه وتعالى فهماً صحيحاً، يقول الإمام البقاعي(885هـ): "الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق هو كلحمة النسب، ويترتب على ذلك معرفة مقصود السورة كاملة، ومقصود آياتها وجملها، ونسبته على علم التفسير كنسبة على البيان إلى النحو"(3).

ولتفسير القرآن الكريم علاقة وثيقة بهذا العلم، حيث نص جمع من علماء التفسير على أنه لابد لمفسر القرآن الكريم أن يراعي السياق والسباق واللحاق عند تفسير الآية، ليستطيع تفسير الآية تفسيراً

(1)- **محمد بن أحمد بن إبراهيم**، الشيخ وليّ الدين، أبو عبد الله، الملويّ، المنفلوطيّ، الديباجيّ (774هـ) الفقيه، الشافعيّ، العارف، ذو الفنون.ولد [...] وبرع في الفقه والتفسير والأصول والتصوّف، وسلك وتجرّد وأفتى ودرّس وألّف وجمع. وولي تدريس المنصوريّة والسلطانيّة حسن.وتوفّي ليلة الجمعة خامس عشرين ربيع الأوّل سنة أربع وسبعين وسبعمائة -ودفن بالقرافة- عن بضع وستّين سنة، وشهد جنازته عالم كثير، يقال:بلغت عدّتهم نحو الثلاثين ألفا.يتظر:المقريزي تقي الدين (845 هـ)، **المقفى الكبير**، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي-بيروت-لبنان، ط2، 1427هـ/2006م، (5/ 79).

(2)- محمد بن عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، (ص 188).

(3)- البقاعي، **نظم الدرر**، (1/ 5).

صحيحاً ؛بل هو ضرب من التفسير، غايته: "الاطلاع على المرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلق، الذي هو كلحمة النسب"(1).

وها هنا توجيهات في بيان أهمية هذا العلم، من خلال هذه الفروع المتلاحقة، وإن كان بين بعضها تداخل ظاهر.

1. **التناسب عامل فعَّال في إظهار الإعجاز القرآني وأحد ركائزه**(2):

التناسب كما مرَّ وجه أصيل من وجوه الإعجاز القرآني، ودليل آخر على ربانية هذا الكتاب العظيم، وأنه معجز كله؛ يقف المرء حائرا عنده: سواء أأدرك بعض أسراره أم غفل، يقول البقاعي (885هـ): "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع تاليتها بالنظر إلى الترتيب. والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً. فإن كل من سمع القرآن، من ذكي وغبي، يهتز لمعانيه، وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط، مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره، ثم إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمُّل ربط كل جملة بما تلته وما تلاها، خفي عليه وجه ذلك، ورأى أن الجمل متباعدة الأغراض متنائية المقاصد، فظن أنها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما حصل له بالسماع من الهزّ والبسط، ربما شككه ذلك وزلزل إيمانه. فإذا استعان بالله وأدام الطرق لباب الفرج بإنعام التأمل وإظهار العجز والوقوف بأنه في الذروة من إحكام الربط كما كان في الأوج من حسن المعنى، فانفتح له ذلك الباب، ولاحت له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار رقص الفكر منه طرباً وشاط لعظمة ذلك جنانه، ورسخ من غير مرية إيمانه(3).

فعلم التناسب: "هو الذي يجعل القرآن بحرا لا يسبر غوره ولا ينفد كنزه"(4).

2. **أن المناسبة في أحايين كثيرة تكون مفتاح معرفة حِكَم القرآن ودُرره**(5):

---

(1)- البقاعي: (885هـ)، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور** (1/ 142)....

(2)- يراجع: محمد عناية الله أسد سبحاني، **إمعان النظر في نظام الآي والسور**، دار عمار، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 145)، محمود حسن عمر، **المناسبة في القرآن الكريم**، مكتبة الألوكة،1437هـ/2016م، (ص 25).

(3)- البقاعي، م.س، (1/ 11-12).

(4)- سبحاني، **إمعان النظر في نظام الآي والسور**، (ص 145).

(5)- محمود حسن عمر، **م.س**، (ص 24).

والدليل على ذلك قول الرازي (606هـ): "إن أكثر لطائف القرآن مُودعة في الترتيبات والروابط"(1).

وقد أكد البقاعي (885هـ) أن المقصود بالترتيب معان جليلة الوصف، بديعة الرصف، عالية الأمر، عظيمة القدر(2).

وقال الشيخ عبد الحميد الفراهي: "ولَمَّا كان أكثر الحِكَم ومعالي الأمور مَخبوءة تحت دلالات النظم، فمَن ترك النظر فيه ترَك من معنى القرآن مُعظمَه"(3).

وهذا ملاحظ عند الاضطلاع على كثير من كتب التفسير قديماً وحديثاً، حيث يقف أكثر الدارسين على بعض أسرار ذلك الترتيب العجيبة. ومن مثل ذلك استباط بعض[4] الأحكام الشرعية ،كما في قوله: **"إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"** [المائدة: 36]

استنبط بعض العلماء منها سقوط الحد عن المحارب التائب لمناسبة ختم الآية بالغفران(5).

3. **فَهْم مراد الله سبحانه وتعالى في كتابه، بالسلامة من عدم الوقوع في اللبس أو الخطأ أو التأويلات المغالى فيها(6):**

يشير الدكتور صلاح الخالدي في كتابه القصص القرآني أن بعض الدارسين قد عمّم في هذا الجزء من قوله تعالى على لسان العزيز: **"فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ"**[يوسف:28]، في القول بأن ذلك تقرير إلهي بأن كيد النساء عظيم؛ والصواب أن القرآن لم يعتمد هذا القول الصادر منه ،ولم يقرره ،بل ورد في سياق إخبار عن الواقعة. وكون القرآن أورد

---

(1)- الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي بفخر الدين خطيب الري (606هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط3، 1420هـ، (10/ 110).

(2)- البقاعي، **نظم الدرر**؛ (1/ 8).

(3)- عبد الحميد الفراهي، **دلائل النظام**، المطبعة الحميدية، ط1، 1388هـ، (ص 38). وفي هذا القول إشارة إلى أهمية النظام لا المناسبة فقط، حيث أنه يفرق بينهما في موضع آخر إذ يقول: "...التناسب جزء من النظام...فمرادنا بالنظام أن تكون السورة كلاما واحدا، ثم تكون ذات مناسبة ...فتبين أن النظام شيء زائد عن المناسبة" ينظر المؤلف نفسه (ص 74-75).

(4)- ينظر: القرطبي، **جامع الأحكام**، (6/ 158)، والبعض يرى خلاف ذلك.

(5)- المطيري، **دلالة السياق**، (ص 265).

(6)- سبحاني، **إمعان النظر في نظام الآي والسور**، (ص 107)، محمود حسن عمر، **المناسبة**، (ص 23)

قوله لا يعني بالضرورة موافقته عليه، وهذا وارد في اقتباس القرآن الكثير من أقوال الكفار والمنافقين. كما يفهم القارئ من الآيات استنكار واستهجان موقفه القبيح[1].

وملاحظة ورود القول مع سباقه ولحاقه يشر إلى صحة القول بأنه قول العزيز فقط.

4. ومن أهمية علم المناسبة دفْع ما يُتوهَّم أنه تَكرار في القرآن[2]:

تحدث كثير من المفسرين والبلاغيين عن التكرار[3]، وذكروا أن القرآن خال من التكرار، وأن ما به مما يُوهِم وجود التكرار، فإنما هو تشابه، وقد تحدث البقاعي عن التناسب وأهميته في دفع توهُّم التكرار بقوله: "وبه يتبيَّن لك أسرار القصص المكررات، وأن كل سورة أُعيدت فيها قصة، فلمعنى ادُّعِي في تلك السورة، استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سِيقت له ،في السورة السابقة..."[4].

يقول الشيخ سيد قطب: "ويحسب الناس أن هناك تَكرارًا في القصص القرآني؛ لأن القصة الواحدة يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت في سورة واحدة -من ناحية القدر الذي يساق وطريقة الأداء في السياق- وأنه حيثما تكررت حلقة، كان هناك جديد تُؤديه ينفي حقيقة التكرار"[5].

5. المناسبة تكشف أهمية الأمور وقدرها[6]:

وقد مثَّل الدكتور طارق مصطفى لذلك بقوله: "ومثال ذلك: معرفة سر اقتران طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بطاعة الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات، ومغزى مجيء الزكاة بعد الصلاة في عدة مواطن من كتاب الله، وأهمية الإحسان بالوالدين؛ إذ جاء تاليًا للأمر بالتوحيد في أكثر من موطن"[7].

وينقل الدكتور محمد عناية الله سبحاني عن الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي قوله: "وقد عظُم بيان الجمعة عندي حين علِمت كيف مهَّد الله قبلها من ذِكر تسبيح ما في السموات والأرض، وصفاته

---

(1)- صلاح الخالدي، **القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث**، دار القلم-دمشق، الدار الشامية-بيروت، ط1، 1419هـ/1998م، (2/ 127-128).

(2)- سبحاني، **إمعان النظر في نظام الآي والسور**، (ص 168)، محمود حسن عمر، **المناسبة**، (ص 26-27).

(3)- ينظر المبحث الثالث من الفصل الرابع من هذا البحث.

(4)- البقاعي، **نظم الدرر**، (1،/ 8).

(5)- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق-مصر، (1/ 55).

(6)- سبحاني، **إمعان النظر**، (ص 159)، وعند محمود حسن عمر، **المناسبة في القرآن الكريم**، (ص 26).

(7)- **التناسب في سورة البقرة**؛ للدكتور طارق مصطفى، (ص 58)

الحسنى، وفضله على الأمة، وخُسران اليهود على استخفافهم بحُكم الله، فقد رغَّب، ثم رغَّب، ثم رهَّب، ثم ذكَر أحكام الجمعة"[1].

6. الإرشاد إلى التأويل الصحيح عند كثرة الاحتمالات[2]:

وذلك أن كثيراً من المفسرين قد يأتون ،في تفسير كلمة أو آية واحدة، بوجوه مختلفة متباينة، ويذكرون لها احتمالات عديدة متعارضة، وتلك الآية أو الكلمة لا تحتمل في سياقها أكثر من معنى، فالصواب ليس متعدداً والحق واحد؛ فيلزم من ذلك البحث عما يقوي احتمالاً ما من تلك الاحتمالات ويرجحه، ومن مسالك ذلك البحث عن المناسبة، يقول الفراهي: "العلماء الذين نقلوا أقوالاً مختلفة في تفسيرهم، أرادوا أن يخلوا بيننا وبين كل ما قيل في توجيه الآيات، فنختار منها ما يرجح عندنا. ولكن ليس لنا أن نحفظ الأقوال من غير ترجيح عندنا فنبقى حيارى جاهلين ..."[3].

7. التأكيد على حفظ القرآن مدى العصور، وأنه أمر نابع من داخله؛ قد لا يحتاج ما يقويه من روايات تاريخية، مما يورث اليقين بصدقه:

وهذا واضح عند تقديم العلماء لهذا العلم عن أسباب النزول في حالات، يقول د.صبحي الصالح: "...مما لا ريب فيه أن المفسرين المحققين جنوا أطيب الثمر لما ضربوا صفحا عن كل تعسف، ووسعهم أن يقتنعوا ويقنعوا الدارسين بأن هذا القرآن الذي نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب متباينة، قد تناسقت الآيات في كل سورة من سوره أكمل تناسق وأوفاه، حتى أغنى تناسقها في مواطن كثيرة عن التماس أسباب نزولها، وعوض انسجامها الفني واقعها التاريخي... ولتجدن علماءنا المحققين أحرص الدارسين على اقتناص أسرار تناسقه: فقد يعوض بوجوه المناسبة بين آياته أسباب نزولها إن لم تعرف، أو عرفت ولم تحفظ، أو حفظت ولم تشتهر، وقد يثبت بهذه الوجوه أسباب نزولها ويزيدها اتصالاً، وارتباطاً، ويشيع في سياقها كله حركة ونشاطاً، وفي هذا كله ألوان من التناسق تتلاقى جميعا في علم المناسبة"[4].

(1)- وهذا في مخطوط مذكرات القرآن للفراهي: يراجع: سبحاني، **إمعان النظر في نظام الآي والسور**، (ص 167).

(2)- سبحاني، **م.س**، (ص 129).

(3)- الفراهي، **نظام القرآن**، (ص39).

(4)- صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، (ص157).

المطلب الثالث: طرق معرفة علم المناسبة وقواعدها:

علم المناسبة كغيره من العلوم له قواعد وضوابط ينطلق منها جل الخائضين فيه، وله طرقاً لمعرفته قد تسهل تلك المكاشفات:

أولاً: طريقة معرفة المناسبة:

معرفة المناسبة وربط بعض الآيات ببعض ليست أمرًا توقيفيًّا، ولكنها تعتمد على اجتهاد المفسر ومبلغ تذوقه لإعجاز القرآن وأسراره البلاغية وأوجه بيانه الفريد، فإذا كانت المناسبة دقيقة المعنى، منسجمة مع السياق، متفقة مع الأصول اللغوية في علوم العربية، كانت مقبولة لطيفة[1].

يرى الإمام السيوطي (911هـ) أن هذا العلم لا يكون إلاّ اجتهادات ومستنتجات فكرية حيث يقول: "وقد أردت أن أفرد جزءاً لطيفاً في نوع خاص من هذه الأنواع، وهو مناسبات ترتيب السور ليكون عُجالة لمريده، وبغيةً لمستفيده، وأكثر ذلك من نتاج فكري، وولاد نظري، لقلة من تكلم في ذلك أو خاض في هذه المسالك. وما كان فيه لغيري صرحت بعزوه إليه، ولا أذكر منه إلاّ ما استُحسِن ولا انتقاد عليه، وقد كنت أولاّ سميته نتائج الفكر في تناسب السور كونه من مستنتجات فكري كما أشرت إليه، ثم عدلت وسميته تناسق الدرر في تناسب السور لأنه أنسب بالمسمى وأزيد"[2]

فهو علم اجتهادي دقيق. ومن المعلوم أيضاً أنه ليس هناك ما يمنع شرعاً عن صحة علم المناسبات، ومما يدل على ذلك إقبال أكثر المفسرين عليه في تفاسيرهم وإفرادُهم هذا العلم بالتأليف.

"فإن الرأي بعد الأثر ما دام لم يلتبس بعدُ بنزعة هوى فهو تحقيق لمسار الاستمداد من مدد البيان، الثلاثي الأقطاب: العبارة، والإشارة، والمناسبة. فيتمخض عن دلالة العبارة فقه الاستنباط، ويتحصل بالإشارة سداد السلوك ومتانة الارتباط، وتنشد المناسبة تحقيق سر الإعجاز وتقريب المناط."[3]

قال الزركشي (794هـ): "مرجع المناسبة في الآيات وغيرها والله أعلم إلى معنىً ما رابط بينهما عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب

(1)- مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، (ص 97).

(2)- السيوطي، **تناسق الدرر في تناسب السور**، عالم الكتب، (ص 54-55).

([3])- د. عبد الله عبد المومن، إيحاءات المطالع في الآي وأثرها في التفسير والبيان،الرابطة المحمدية،المغرب، https://www.arrabita.ma/blog 20.6.2018

والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه، أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر"(1).

والشيء المرفوض في هذا البحث هو التكلف في إيجاده، لأنه مما تنفر منه العقول، يقول د.صبحي الصالح: "ومعيار الطبع أو التكلف فيما لمح من ضروب التناسب بين الآيات والسور يرتد في نظرنا إلى درجة التماثل أو التشابه بين الموضوعات، فإن وقع في أمور متحدة مرتطبة أوائلها بأواخرها فهذا تناسب معقول مقبول، وإن وقع على أسباب مختلفة وأمور متنافرة فما هذا من التناسب في شيء. وما أصدق قول القائل: المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول"(2).

وهذه الطرق(3) هي التي قد تحقق المراد من خلال الأحوال الآتية:

1. في كيفية التعرف على المناسبة في السورة جملة:

وهذا عن طريق البحث عن المقصد الكلي لها أو ما يسميه البعض الوحدة الموضوعية. ويتحقق بالنظر العام للسورة واستنباط ما يجمع أحكامها ومعانيها في الجملة.

قال الحرالي المغربي (638هـ): "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل، بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها؛ فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك ـ إن شاء الله ـ وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة"(4).

والطريق عنده هو النظر في الغرض الذي سيقت له السورة، والنظر فيما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، ومراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، والنظر عند انجرار الكلام في

---

(1)- الزركشي، **م.س**، (1/ 35).

(2)- صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، دار العلم للملايين، ط24، 2000م، (ص 152).

(3)- https://alkhaderi.com /

(4)- نقله السيوطي في **الإتقان** (3/ 376). بقوله: "قال بعض المتأخرين..."، ويراجع: الحرالي: أبو الحسن علي بن أحمد المراكشي، **مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل**، من سلسلة تراث الحرالي، (ص 24).

المقدمات إلى ما تستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغةُ شفاءَ الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها

فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعله القارئ تبين له – إن شاء الله سبحانه و تعالى– وجه النظم مفصلًا بين كلّ آية وآية، وبين كلّ سورة وسورة.

وقد لخّص البقاعي (885هـ) تجربته في التعرف على المناسبة فقال: "تتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان ذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو"(1).

والمتأمل لما كتبه سيد قطب في ظلاله، يجده سار على هذا المنوال في بيان أوجه الربط بين مقاطع السورة. فيقول مثلاً في بداية تفسيره لسورة (فصلت): "قضية العقيدة بحقائقها الأساسية هي التي تعالجها هذه السورة... الألوهية الواحدة. والحياة الآخرة. والوحي بالرسالة. يضاف إليها طريقة الدعوة إلى اللّه وخلق الداعية. وكل ما في السورة هو شرح لهذه الحقائق ، واستدلال عليها. وعرض لآيات اللّه في الأنفس والآفاق، وتحذير من التكذيب بها، وتذكير بمصارع المكذبين في الأجيال السابقة، وعرض لمشاهد المكذبين يوم القيامة. وبيان أن المكذبين من الجن والإنس هم وحدهم الذين لا يسلمون بهذه الحقائق ولا يستسلمون للّه وحده بينما السماء والأرض والشمس والقمر والملائكة... كلهم يسجدون للّه ويخشعون ويسلمون ويستسلمون"(2). فبيان حقائق العقيدة هو المقصد الكلي من السورة وعليه يسير المنوال في كل جزئياتها.

2. في معرفة عادة القرآن في سرد الأحكام والوقائع:

قال الزركشي (794هـ): "وعادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً ووعيداً؛ ليكون ذلك باعثاً على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه؛ ليُعلم عظم الآمر والناهي، وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة وغيرها تجده كذلك"(3).

3. في الكشف عن وجه الجمع بين المتضادين من خلال السياق:

(1)– البقاعي؛ **نظم الدرر**، (1/ 5).

(2)– سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (5/ 3105).

(3)– االزركشي؛ **م.س**، (1/ 40).

وهو قريب من الأول غير أن فيه البحث عن علة الجمع تلك. مثل: المزاوجة بين الوعد والوعيد، والبشارة والنذارة، والترغيب والترهيب؛ وفي ذلك من الحكمة والمناسبة ما هو بيّن لكل متأمل.

قال السيوطي (911هـ): "إن عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد؛ حيث يعرض يوم القيامة أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية في الدنيا التي تنشأ عنها المحاسبة عملاً وتركاً، كما قال [1]في سورة الكهف: "**وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ**" [الكهف: من48] إلى أن قال: "**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ**" [الكهف: من34]".

4. في معرفة أسباب النزول:

إذ يرتبط علم المناسبة ارتباطاً واضحاً بأسباب نزول القرآن، وبالبيئة التي نزل بها القرآن، وبطبيعة المخاطبين بالخطاب القرآني، ولابد من معرفة المكي والمدني من الآيات، لأن علم المناسبة يتطلب الإحاطة بكل ما يتعلق بالخطاب. ولا بد من توفر شروط أهمها:

- معرفة جيدة بالقرآن، لأن ذلك هو الأساس في إدراك أوجه الترابط بين الآيات والسور.
- معرفة بأساليب اللغة العربية، لأن القرآن نزل بلغة العرب، وراعى ما كان سائدا عندهم من أوجه البيان والتعبير.
- معرفة السيرة النبوية، لأنها هي الأساس في تفسير القرآن، وفي فهم ما ورد فيه من أحكام، وما اشتمل عليه من معان وتوجيهات.
- قدرة ذاتية على التماس أوجه التشابه والترابط والتناسب بين الآيات، وهذه القدرة تحتاج لاستعداد ذاتي.

وفسر السيوطي(911هـ) في الإتقان[2] والزركشي (794هـ) في البرهان[3] معنى المناسبة بين الآيات بأن ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلم بعضه على بعض على وجه التفسير والتأكيد، وإما ألاّ يكون ظاهر الارتباط، فعندئذ لا يخلو الأمر من وجود عطف مؤكد لوجود جهة جامعة

---

(1)- السيوطي، الإتقان، (3/ 377).

(2)- السيوطي، **م.ن**، (3/ 371).

(3)- الزركشي؛ **البرهان**، (1/ 35).

أو لا يكون هناك عطف، وعندئذ لابد من البحث عن قرائن معنوية تؤكد، وتعلم بوجود رابط بين الآيات، وعلى هذا وضعت القرائن التالية من أجل استشافتها.

ثانياً: قواعد معرفة الروابط بين الآيات:

القاعدة لغة: الأساس، قال ابن فارس (395هـ): "قواعد البيت أساسه، وقواعد الهودج: خشبات أربع معترضات في أسفله..."[1].

وفي الاصطلاح عُرِّفت بتعريفات كثيرة، متنوعة بتنوع العلوم، فهناك قواعد أصولية، وفقهية ونحوية وقانونية، وهندسية... وهي مرادفة للأصل والقانون والمسألة والضابطة والمقصد. وعلى وجه الإجمال:فهي كل أمر كلّي منطبق على جميع جزئياته عند تعرّف أحكامها منه[2].

وقد عرّفها التفتازاني[3] (793هـ) بأنها: "حكم كلي ينطبق على جزئياته ليتعرف أحكامها منه"[4]. وعرّفها الجرجاني (816هـ) بأنها: "هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها"[5]. وعرّفها الكفوي (1094هـ) بأنها: "قضية كلية من حيث اشتمالها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها، وتسمى فروعاً"[6].

وكثيراً ما يتداخل معنى القواعد مع معنى الضوابط ،كما ورد عند الفيومي[7] (770هـ): "والقاعدة في الاصطلاح بمعنى الضابط وهي الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته"[1].

---

(1)- ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (5/ 109).

(2)- التهاوني، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، (2/ 1295).

(3)- **السعد التفتازاني (712-793هـ/1312-1390م)**: مسعود بن عمر بن عبد الله ، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق.ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفى فيها، ودفن في سرخس. كانت في لسانه لكنة.من كتبه (تهذيب المنطق) و(المطول) في البلاغة، و(مقاصد الطالبين) و(النعم السوابغ) و(إرشاد الهادي)...الزركلي، **الأعلام**، (7/ 219).

(4)- التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر (793هـ)، **شرح التلويح على التوضيح وهو (التَّوْضِيح فِي حَلِّ غَوَامِضِ التَّنْقِيحِ) للمحبوبي**، مكتبة صبيح-مصر، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (1/ 34).

(5)- الشريف الجرجاني، **التعريفات**، (ص 171).

(6)- الكفوي، **الكليات**، (ص 728).

(7)- **الفيومي**: **أحمد بن محمد بن علي ثم الحموي**، أبو العباس: لغوي، اشتهر بكتابه (المصباح) ولد ونشأ بالفيوم (بمصر) ورحل إلى حماة (بسورية) فقطنها. قال ابن حجر: كأنه عاش إلى بعد 770هـ وتوفي سنة 770هـ. له أيضاً (نثر الجمان في تراجم الأعيان) ، و(ديوان خطب)، الزركلي، **الأعلام**، (1/ 224).

إلاّ أن صاحب التعريفات ميّز بينهما بأن الضابط: يجمع فروعا من باب واحد؛ أما القواعد فتجمع فروعا من أبواب شتى [(2)].

والقاعدة التي يرتكز عليها علم التناسب هي، أساساً، المعنى الذي يربط بين المتناسبين، سواء أكان هذا الارتباط حسياً أم عقلياً[(3)]. وأحوال[(4)] تعلق الكلام بعضه ببعض لا يخرج عن الحالات الآتية:

1. **ظهور الارتباط**: لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل؛ وهذا القسم لا كلام فيه.

2. **عدم ظهور الارتباط**: كأن تكون كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء به، وله أحوال أيضاً:

أ. أن تكون الجملة الثانية معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم أو لا،فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة، حسية أو عقلية كما سبق؛ كالتضاد بين القبض والبسط، والولوج والخروج، والنزول والعروج، وشبه التضاد بين السماء والأرض. "ومما فيه التضاد: ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب، والرغبة بعد الرهبة؛ وقد جرت عادة القرآن إذا ذكر أحكامًا ذكر بعدها وعدًا ووعيدًا، ليكون باعثًا على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الآمر والناهي، وتأمل سورة (البقرة) و(النساء) و(المائدة) تجده كذلك"[(5)].

ب. ألاّ تكون معطوفة: وهنا لا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام؛ وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط. ذكرها الزركشي وغيره[(6)]، من مثل:

---

(1)- الفيومي: أحمد بن محمد بن علي ثالحموي، أبو العباس (نحو 770هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية-بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (2/ 510).

(2)- الكفوي، **م.س**، (ص 728).

(3)- طاهر الجزائري الدمشقي، **التبيان في بعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان**، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية-حلب، دار البشائر الإسلامية-بيروت-لبنان، ط3، 1412هـ، (ص 294).

(4)- يراجع:الزركشي، **البرهان**، (1/ 36)، السيوطي، **الإتقان**، (3/ 371)، **والمعترك**، (1/ 45)، مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، (1/ 96)، ابن عقيلة، **الزيادة والإحسان**، (6/ 305).

(5)- ابن عقيلة، **م.س**، (6/ 305).

(6)- وقد ذكرها الزركشي في **البرهان** (1/ 47 وما بعدها)، والسيوطي في **الإتقان** (2/ 213).

- **التنظير**: لأن إلحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء.
- **المضادة:** وهو إتباع آية الحديث عن المؤمنين بآية تصف حالة الكافرين، لبيان أوجه التضاد، وهو أسلوب واضح في التشويق.
- **الاستطراد**: والحكمة منه الانتقال من ذكر حال إلى بيان حكم أو حكمة مناسبة للمقام، ثم العودة إلى الموضوع الأول، وهذا الاستطراد يؤدي غايته في بيان ما قصد إليه القرآن من الإشارة إلى حكمة أو عبرة أو لفت نظر إلى مقاربة أو إقرار حقيقة أو تذكير بأمر. إلى غير ذلك من الروابط، والتي سيأتي تفصيلها لاحقاً[1].

وقد أفاض العلماء في ذكر أمثلة من القرآن الكريم، وبيّنوا وجه المناسبة في اقتران الآيات والسور، ملتمسين استكشاف أوجه التشابه والتقارب، باحثين عن القرائن التي يمكن أن تفيدهم في معرفة ذلك. ولعل كلمة الإمام الرازي (606هـ) هي أوضح كلمة وأدلها تعبيرا عن عظمة علم المناسبة: **"**إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط**"**[2].

ومن أجل الوصول إلى تلك اللطائف، وضعت شروط لهذا الاجتهاد حتى يسلم من كل اعوجاج، وحتى لا يتجرّأ على كلام الله كل من هبّ ودبّ، ويمكن[3] حصرها في الآتي:

بالنسبة للمجتهد فيها:

لأن البحث عن التناسب نوع من كشف مراد الله عزّ وجل من كلامه فلا بد لمن يتصدى لها أن تتوافر فيه شروط المفسّر[4]:

- ✓ **صحة الاعتقاد:** فإن العقيدة لها أثرها في نفس صاحبها، وكثيرًا ما تحمل ذويها على تحريف النصوص والخيانة في نقل الأخبار، ومثل هذا لا يطلب الحق فكيف يُطلب منه! كما أن صحة المعتقد منار للوصول إلى أسرار القرآن، ومع صحة الاعتقاد الالتزام بتقوى الله :"**وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** " [البقرة:281]

---

(1)- في المبحث الأول من الفصل الثالث.

(2)- الرازي، **التفسير الكبير**، (10/ 110).

(3)- يراجع: محمد بن عمر بن سالم بازمول، **علم المناسبة في السور والآيات**، (ص 37).

(4)- يراجع: السيوطي، **الإتقان**، (4/ 200 وما بعدها)، مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، (ص 340)، فهد الرومي، **دراسات في علوم القرآن**، (ص 168).

- ✓ **التجرد عن الهوى:** فالأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذهبهم، ولو كان باطلاً، فيغرون الناس بلين الكلام ،ويقع اللحن في القول والمعنى.
- ✓ **أن يكون عالماً بأصول التفسير وقواعده:** وذلك أن أصول التفسير بمثابة المفتاح لعلم التفسير، فلا بد للمفسر أن يكون عالماً بالقراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ونحوها. وأن يبدأ أولًا بتفسير القرآن بالقرآن، ثمّ يطلبه من السُّنَّة فإنها شارحة للقرآن موضحة له، فإذا لم يجد التفسير من السُّنَّة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح. أو أقوال التابعين، والمعتمد في ذلك كله النقل الصحيح.
- ✓ **دقة الفهم:** التي تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة.
- ✓ **أن يكون عالماً بأصول الدين:** حتى لا يقع في محظور في باب العقيدة والتوحيد،كآيات الأسماء والصفات في التشبيه أو التمثيل أو التعطيل.
- ✓ **أن يكون عالماً بأصول الفقه:** إذ به يعرف كيف تستنبط الأحكام من الآيات، ويستدل عليها، ويعرف الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والمطلق المقيد، ودلالة النص وإشارته ودلالة الأمر والنهي... وغير ذلك.
- ✓ **أن يكون عالماً باللغة وعلومها:** كالنحو والصرف والاشتقاق، والبلاغة بأقسامها الثلاثة "المعاني والبيان والبديع". ذلكم أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وهذه العلوم مما يتوصل بها إلى معرفة المعنى وخواص التركيب ووجوه الإعجاز فيه. وهذا هو المعوّل عليه الأول بعد المأثور. ومن هنا مست الحاجة إلى اعتبار علم النحو. والتصريف الذي تُعرف به الأبنية، والكلمة المبهمة يتضح معناها بمصادرها ومشتقاتها. وخواص تركيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، ومن حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها. ثم من ناحية وجوه تحسين الكلام وهذه من أعظم أركان المفسِّر. إذ لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يُدرك الإعجاز بهذه العلوم.
- ✓ ألاّ يجزم المفسر أنه هي مراد كلام الله عزّ وجلّ.
- ✓ أن يعلم وجودها، وإن لم يتمكن من إظهارها لشدة خفائها.

بالنسبة للاجتهاد فيها(1)

- ✓ حصول الانسجام والتناسق بين السياق والسباق واللحاق.
- ✓ عدم تعارضها مع الشرع.
- ✓ أن تكون متوافقة مع تفسير الآية غير مخالفة له مخالفة تضاد.
- ✓ ألاّ تكون متعارضة مع اللسان العربي الذي نزل به القرآن.

وعلى العموم يشترط فيها ما يشترط لصحة الرأي في التفسير

وبعد هذا يُرجى أنه قد تبيّن للقارئ، مدى أهمية هذا العلم وفوائده، والقواعد الخاصة به، والضوابط التي تجعله بعيدا عن كل شطط. وحتى تتجلى صورة هذا العلم عن كثب؛ لابد من البحث في بداية ظهوره، وكيف كان التأليف فيه، وموقف العلماء منه، وذلك من خلال المبحث الآتي.

---

(1)- بازمول، **م.س**، (ص 37).

المبحث الثالث: تاريخ علم المناسبة

المطلب الأول: المراحل التي مر بها مصطلح (المناسبات):

المطلب الثاني: أبرز المؤلفين في علم المناسبة قديماً وحديثاً:

المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبة:

كلام

الله، من

نظر فيه من أوله إلى آخره نظرة متعمقة، آمن إيماناً لا يخالجه شك، أن هذا القرآن آخذ بعضه بحجز بعض في تناسق تام وانسجام فريد، يشهد على ذلك العدو قبل الصديق، وما شهادة[1] الوليد بن المغيرة[2]، وهو أحد كبراء قريش وأحد عظمائهم وأعلمهم بالشعر والنثر وكلام العرب حيث قال: **"وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى.."** إلاّ دليلٌ قوي على ذلك: إنها شهادة كل منصف له فهم ثاقب بأسرار البلاغة وأساليب البيان. ومما حمله أن يقول ما يقول منبهراً بما يسمع؛ ذلك التناسق والترابط بين الآيات.

لقد أدرك فصحاء العرب جمال وتناسب هذا القرآن، سورا وآيات، كَسِرٍ من أسرار بلاغته وإحكام سبكه. وعليه، فإن إدراك المناسبة ليس وليد التآليف والتصانيف، بل هي سر الإعجاز القرآني المصاحب لنزول الوحي.

المطلب الأول: المراحل التي مرّ بها هذا المصطلح (المناسبات):

لا بد من معرفة تطور هذا المصطلح من خلال المراحل الآتية: بدايةً بعصر الصحابة ثم مَن جاء بعدهم إلى الوصول إلى المرحلة التي اتضحت فيها ملامح هذا العلم.

المرحلة الأولى: في عصر الصحابة:

(1)- والرواية بتمامها أخرجها الحاكم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمُّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا. قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِتُعْرِضَ لِمَا قِبَلَهُ قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا. قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ «فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ» قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ. قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: " هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ فَنَزَلَتْ {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}** [المدثر: 11] وقال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" يراجع: الحاكم: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه (405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1411هـ- 1990م، (2/ 550).

(2)- **الوليد بن المُغيرة (95ق.هـ-1هـ/530-622م)**: بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. يقال له (العدل) لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو (البيت) جميعها، والوليد يكسوه وحده. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاما على شربها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته.قال... وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. وهو والد سيف الله خالد ابن الوليد...الزركلي، **الأعلام**، (8/ 122).

لقد عرف الصحابة رضي الله عنهم المناسبةبين الآيات وتداولوه وإن لم يصرحوا باللفظ. وهذا ما يصرّح به البقاعي (885هـ) في مصاعد النظر: "وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا، بما في سليقتهم من أفانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص العلم حتى انعجم على الناس، وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون"[(1)].

وهذه نماذج عن أثار مروية عن جمع من الصحابة تشير إلى ذلك التداول:

عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: **"إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ: كَيْفَ يَقْرَأُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَلْيَسْأَلْهُ عَمَّا قَبْلَهَا"**[(2)].

وأخرج ابن كثير[(3)](774هـ) في تفسيره عن جابر بن عبد الله؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ قَوْمٌ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ"** قَالَ: **فَقُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: يَقُولُ اللَّهُ: "يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا "** [المائدة:39] قَالَ: **اتْلُ أَوَّلَ الْآيَةِ: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ"** [المائدة: 38] الْآيَةَ، **أَلَا إِنَّهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا**. ثم زاد بن كثير: وهذا أبسط سياقاً"[(4)].

المرحلة الثانية: عصر التابعين:

ثم جاء عصر التابعين ومَن بعدهم من الذين استخدموا المناسبةفي فهمهم لكتاب الله سبحانه وتعالى، ولكن لم يُصَرِّحوا باسمها، وكانت موجودة في ثنايا كلامهم عن فهمهم لكلام الله سبحانه وتعالى.

---

(1)- البقاعي، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، (1/ 153).

(2)- عبد الرزاق بن همام: أبو بكر بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (211هـ)، **المصنف**، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي-الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي-بيروت، ط2، 1403هـ، (3/ 365).

(3)- **ابن كثير القرشي (700-774هـ)**: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي صاحب التفسير المشهور والمعروف بتفسير ابن كثير. ولد بالبصرة، ثم رحل إلى دمشق مع أخيه سنة 706هـ بعد وفاة أبيه. وتتلمذ على كبار علماء عصره، فنشأ عالمًا محققًا ثقة متقنًا، وكان غزير العلم واسع الاطلاع إمامًا في التفسير والحديث والتاريخ، ترك مؤلفات كثيرة قيمة أبرزها البداية والنهاية في التاريخ وكتاب تفسير القرآن العظيم،.توفي ابن كثير بعد أن كُفَّ بصره، ودفن في دمشق. الزركلي، **الأعلام**، (1/ 320).

(4)- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (3/ 106).

وذكر الرازي (606هـ) في تفسيره قصة ابن قريب[1] (216هـ) المشهورة مع الأعرابي بقوله: "قال الأصمعي كنت أقرأ سورة المائدة ومعي أعرابي، فقرأت هذه الآية فقلت (والله غفور رحيم) سهوا، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ فقلت كلام الله. قال أعد، فأعدت: (والله غفور رحيم) ، ثم تنبهت فقلت والله عزيز حكيم فقال: الآن أصبت، فقلت كيف عرفت؟ قال: يا هذا عزيز حكيم فأمر بالقطع فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع..."[2]. فهذا الأعرابي قد عرف الخطأ الذي وقع فيه الأصمعي -مع أنه لم يكن حافظاً لهذه السورة- لأنه ربط مناسبة ختم الآية وموضوعها.

كما أورد القاسم بن سلام (224هـ)[3]، في كتابه: فضائل القرآن قوله: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِيهِ مُسْلِمٍ قَالَ: **إِذَا حَدَّثْتَ عَنِ اللَّهِ حَدِيثًا فَقِفْ حَتَّى تَنْظُرَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ"**[4].وها هنا إشارة بيّنة لعلم المناسبة.

المرحلة الثالثة: التصريح بالمصطلح:

جاءت مرحلة تالية أخذت صورة المناسبةوالكلام فيها يأخذ لوناً أكثر وضوحاً، وظهر التصريح بالمناسبةوارتباط الآي بعضه ببعض، لكن لم يفرده أحدٌ من أهل العلم بالتأليف.

وقد مرّ آنفا ما ذكره القاضي ابن العربي (543هـ) في سراج المريدين -ونقله عنه السيوطي (911هـ) في الإتقان- عن: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة

---

(1)- **ابن قريب**: **الأصمعي** (**122-216هـ/740-831م**): عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي: راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان.نسبته إلى جده أصمع.ومولده ووفاته في البصرة.كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة.أخباره كثيرة جدا.وكان الرشيد يسميه: شيطان الشعر، وتصانيفه كثيرة، منها (الإبل) و(الأضداد) مشكوك في أنه من تأليفه و(خلق الإنسان) و(المترادف وغيرها... الزركلي، **الأعلام**، (4/ 162).

(2)- الرازي، **التفسير الكبير**، (11/ 357).

(3)- **أَبُو عُبَيْد** (**157-224هـ/774-838م**): القاسم بن سلاَّم الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي، أبو عُبيد: من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. من أهل هراة. ولد وتعلم بها. وكان مؤدبا. ورحل إلى بغداد فولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة. ورحل إلى مصر سنة 213 وإلى بغداد، فسمع الناس من كتبه. وحج، فتوفي بمكة... من كتبه: (الغريب المصنف) و(الطهور) و(أدب القاضي) و(فضائل القرآن) وغيرها... الزركلي، **الأعلام**، (5/ 176).

(4)- القاسم بن سلاّم :أبو عُبيد بن عبد الله الهروي البغدادي (224هـ)، **فضائل القرآن**، تح: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير-دمشق-بيروت، ط1، 1415هـ/1995م، (ص377).

المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلاّ عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"[(1)].

كما نقل الزركشي (794هـ) عن أبي الحسن الشهراباني (672هـ)[(2)] قوله: "أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري[(3)] وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة"[(4)].

المرحلة الرابعة: التوسع في التدوين:

ثم جاءت مرحلة كان الكلام فيها عن المناسبةقد أخذ بالتوسع في تفاسير كثير من العلماء ومن بينهم:

- محمد بن جرير الطبري (310هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن.
- محمد بن عمر الزمخشري (538هـ) في كتابه الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.
- أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي (542هـ). لمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
- القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي (543هـ) في كتابه أحكام القرآن.

المرحلة الخامسة: التخصص في التناسب:

(1)- ابن العربي، **سراج المريدين،** (4/ 144-145) والسيوطي، **الإتقان،** (3/ 369).

(2)- **الشهراباني**:كمال الدّين أبو الحسن عليّ بن محمّد بن محمد بن وضّاح ا ثم البغداديّ الفقيه المحدّث المدرّس. مولده في رجب سنة تسعين وخمسمائة.. كان منوّر الوجه كيّسا طيّب الأخلاق عارفا بمذهب الإمام أحمد، وبالأحاديث النبويّة، من تصانيفه كتاب الدّليل الواضح إلى اقتفاء نهج السلف الصالح، وكتاب الردّ على أهل الإلحاد، وكتاب مدح العلماء وذمّ الغناء... وكتب الكثير بخطّه الرائق من الكتب المطوّلة والمختصرة. وتوفّي سنة اثنتين وسبعين وستّمائة. يراجع: كمال الدين ابن الفوطي أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (723 هـ): مجمع الآداب في معجم الألقاب، تح: محمد الكاظم،، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي-إيران، ط1، 1416هـ، (4/ 204-205)،لم يوقف على ترجمته عند الزركلي.

(3)- وقد سبق الحديث عنه: يراجع هذا البحث ص107.

(4)- االزركشي، **البرهان،** (1/ 36).

وفي هذه المرحلة أخذ هذا العلم صورة متسقة وواضحة، وأخذ من العلماء كثير اهتمام، وقد جعلوه من أسس تفاسيرهم التي كتبوها وألفوها. ومِن هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر:

- محمد بن عمر الفخر الرازي (606هـ) في كتابه التفسير الكبير: (مفاتيح الغيب).
- ابن الزبير الغرناطي (708هـ) وله في ذلك كتاب البرهان في ترتيب سور القرآن، وهو كتاب ثمين. وكذلك ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل.
- برهان الدين عمر البقاعي (885هـ) في كتابيه نظم الدرر مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. وغيرهم

المرحلة السادسة: جمع الشتات في المناسبات:

وذلك من خلال مختلف الأبحاث المعاصرة القريبة: من دراسات أكاديمية، وغير أكاديمية سواء أكانت للمصطلح ككل، أم تطبيقاً له في بعض السور والآيات، قد وصل بعضها إلى درجة اجتهادلم يدركه السابقون –على ما هو مضطلع عليه في تراثهم–.

ومن خلال ما مرّ: يتضح أن نشأة علم المناسبةلم تكن حديثة، بل كانت مع بدايات نزول القرآن الكريم، ولكن لم ترد بهذا المصطلح وبهذا الاسم (المناسبات) بل في ثنايا تطبيقات وفهم المفسرين لكتاب الله سبحانه وتعالى، فلا يكاد يخلو تفسير من ذكر لمناسبة بين الآيات والسور، فمن مكثر لها ومقل ومتوسط في ذكرها إلى الآن. وهذا استقراء جزئي لبعض الباحثين في هذا المجال.

المطلب الثاني: أبرز المؤلفين في علم المناسبة قديماً وحديثاً:

ظهرت الإرهاصات الأولى لعلم المناسبة—كما سبق– منذ بداية التفسير، حتى أن البعض يزعم في بعض تفاسير النبي صلى الله عليه وسلم إشارة إليه[1] ثم الصحابة بعده والتابعين كما مر.

وعلى دقة هذا العلم وصعوبة مسلكه، صرف له علماء أجلاء جُلَّ أوقاتهم، وأدركوه باهتمامهم، فألفوا فيه المؤلفات، منها ما استقل بمفرد، وقام بذاته، ووقف على سوقه، فأفرد بالتأليف والتصنيف، ومنها ما

(1)– في حديث جابر بن عبد الله أنه حين حجّ النبي صلى الله عليه وسلّم... فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: **"إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَّطَّوَّفَ بِهِمَاۤ"** (البقرة/ 157) (أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ) فَبَدَأَ بِالصَّفَا.أخرجه مسلم في باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم تحت رقم: 1218: يراجع: مسلم ، **المسند الصحيح** ، (2/ 886).

كان مختصراً، ومنها ما اقتصر على تناسب الآيات دون السور، وبعضها غلب عليه تناسب السور فقط، فاختلف المؤلفات باختلاف أهدافها، وتنوعت بين كتب تفسير أو كتب إعجاز أو غيرها.

وكانت حظوظهم في التوفيق إلى ذلك متفاوتة، بحسب فتح الله سبحانه وتعالى على كل منهم. ولكن حسبهم شرف المحاولة، ونية خدمة الكتاب العزيز وإظهار إعجازه. "وتكمن قيمة هذه المحاولات جميعاً -قويها وضعيفها- في أنها تمهد السبيل للاحقين؛ لينسجوا على ذات المنوال، أو ليطوروا من المنهج -تقويماً، وإضافة، وإبداعاً- فيكون لهم منوالهم الخاص، الذي يلائم أعصارهم، ويواكب تطور العلوم والمعارف المستمر. فكتاب الله -عز وجل- لا تفنى عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا يمكن أن يحيط بجميع جوانبه إنسان، أو يستقل بجميع معارفه أهل عصر ما ..."[(1)].

وفي هذه الجزئية من البحث عرض عام لجهود أهم الأعلام في هذا الباب، قديماً وحديثاً.

جاء في "أبجد العلوم"[(2)] أن من الذين صنّفوا في هذا العلم، أبا جعفر إبراهيم بن الزبير الغرناطي الأندلسي (ت708هـ) في كتاب سمّاه "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن"، ثم جاء بعده كمال الدين بن الزملكاني (727هـ)[(3)]، صاحب "البرهان في إعجاز القرآن"، الذي اهتَمَّ اهتماماً كبيراً بالترتيب المصحفي وبيّن أسراره، فقال: "عند التأمل يظهر أن القرآن كلَّه كالكلمة الواحدة". وهذا يعني التصنيف المستقل المتخصص، أما أوّلية العلم فقد سبق تفصيله.

غير أن أقدم من ذكر الترابط صراحة في مصنفه أبو مسلم الأصفهاني (322هـ) في كتابه جامع التأويل، ونقل عنه الرازي (606هـ) في مفاتيح الغيب الكثير من أقواله. يقول مثلاً في تفسير قوله تعالى:

"وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ

---

(1)- عادل بن محمد أبو العلاء، **مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور**، (ص 58).

(2)- القِنَّوجي: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (1307هـ)، **أبجد العلوم**، دار ابن حزم، ط1، 1423هـ/2002م، (ص 518).

(3)- **ابن الزَّمَلْكاني (667-727هـ/1269-1327م)**: محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري، كمال الدين، المعروف بابن الزملكاني: فقيه، انتهت إليه رياسة الشافعية في عصره. ولد وتعلم بدمشق. وتصدر للتدريس والإفتاء، وولي نظر ديوان (الأفرم) ونظر الخزانة ووكالة بيت المال. وكتب في ديوان الإنشاء ثم ولي القضاء في حلب فأقام سنتين، وطلب لقضاء مصر، فقصدها، فتوفي في بلبيس ودفن بالقاهرة. له رسالة في الرد على ابن تيمية في مسألتي (الطلاق والزيارة) وتعليقات على (المنهاج) للنووي، وكتاب في (التاريخ)...الزركلي، **الأعلام**، (6/ 284).

ﭐلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُۖ قُلِ اِنِّيَ أُمِرْتُ أَنَ اَكُونَ أَوَّلَ مَنَ اَسْلَمَۖ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ﭐلْمُشْرِكِينَ " [الأنعام: 14-15]: "اعلم أن أحسن ما قيل في نظم هذه الآية ما ذكره أبو مسلم فقال: ذكر في الآية الأولى السموات والأرض، إذ لا مكان سواهما. وفي هذه الآية ذكر الليل والنهار إذ لا زمان سواهما، فالزمان والمكان ظرفان للمحدثات، فأخبر سبحانه أنه مالك للمكان والمكانيات، ومالك للزمان والزمانيات، وهذا بيان في غاية الجلالة"[1].

ولم يفت الباقلاني (405هـ) في إعجازه أن يشير إلى التلاحم والترابط الموجود بين آيات القرآن وأنه وجه من عجائبه: "القرآن على اختلاف فنونه، وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة، والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد إلى حد الآحاد.وهذا أمر عجيب، تبين به الفصاحة وتظهر به البلاغة، ويخرج معه الكلام عن حد العادة، ويتجاوز العرف"[2]. بل ويصرح إلى التلاحم والارتباط في بعض السور، فيقول عن قوله سبحانه وتعالى: "فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ﭐلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ﭐللَّهِ رَبِّ ﭐلْعَٰلَمِينَ" [النمل:8] "فانظر إلى ما أجرى له الكلام، من علو أمر هذا النداء، وعظم شأن، وكيف انتظم مع الكلام الأول، وكيف اتصل بتلك المقدمة، وكيف وصل بها ما بعدها من الأخبار"[3].

أما الطبري (310هـ) فهو أول من أسهب في تفسيره في ذكر مراعاة السياق[4] في تفسيره بالنظر إلى ما ترتبط به الآيات من قبل أو من بعد إذ يقول: "فتوجيهُ الكلام إلى ما كان نظيرًا لما في سياق الآية، أولى من توجيهه إلى ما كان مُنعدِلاً عنه"[5] غير أنه لم يصرح باللفظ في كتابه.

كما تصدى بعض علماء المتشابه إلى توجيهه اعتماداً على فكرة التناسب، ومن أوائل هؤلاء الخطيب الإسكافي[1] (420هـ) في كتابه درة التنزيل وغرة التأويل، وكذلك برهان الدين الكرماني

(1)- الرازي، **مفاتيح الغيب**، (12/ 490). ويمكن مراجعة **ملتقط جامع التأويل لأبي مسلم بن بحر الأصفهاني**، جمعه ورتبه: سعيد الأنصاري، مطبعة البلاغ-كلكتا-الهند، 1330هـ/1920م، (ص 50).ن صوص مجموعة من التفسير الكبير للرازي.

(2)- الباقلاني، **إعجاز القرآن**، (ص 70).

(3)- الباقلاني، **م.س**، (ص 189-190).

(4)- ولهذا ارتباط وثيق بعلم التناسب كما سيأتي.

(5)- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ /2000م، (6/ 91).

(505هـ) في كتابيه: عجائب التفسير وغرائب التأويل، وأسرار التكرار في القرآن (البرهان في متشابه القرآن).

وجعل الزمخشري (538هـ) لهذا العلم حظاً في كشافه، مشيراً إليه في غير موضع منه، ولكن دون تصريح منه بالاسم؛ وذلك في معرض الحديث عن بلاغة النظم القرآني وبراعة ترتيبه، فيقول –مثلاً– في تفسيره للآيات الأولى من سورة البقرة: "وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض. فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها، وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة"[2].

وقد مر الحديث عن كلام ابن العربي (542هـ) في سراج المريدين أنه كتب كتاباً في التناسب ثم عدل عنه[3].

وفخر الدين الرازي (606هـ)، فقد أَكْثَرَ من التماس المناسبةفي تفسيره: مفاتيح الغيب، بل يعد من أوائل التفاسير الذي كان هذا العلم فيها جلياً. وقد قال في تفسير أواخر سورة البقرة: "ومَنْ تأَمَّل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها عَلِمَ أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشَرَفِ معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه، أرادوا ذلك، إلاَّ أني رأيت جمهور المفسرين مُعْرِضِين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب إلّا كما قيل:

والنجمُ تستصْغِرُ الأبصارُ رُؤْيَتَهُ   والذَّنْبُ للطَّرْفِ لا للنجمِ في الصِّغَرِ[4]

كما أنه قد يذكر للآية الواحدة مناسبات عدة.

ونقل عنه نظام الدين النيسابوري[1] (850هـ) في تفسيره: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الكثير من أقواله؛ بل وأثنى على تفسيره فقال: "اسمه مطابق لمسماه وفيه من اللطائف والبحوث ما لا يحصى، ومن

---

(1)- **الخَطِيب الإِسْكافي (000-420هـ/000-1029م)**: محمد بن عبد الله، أبو عبد الله: عالم بالأدب واللغة، من أهل أصبهان. كان إسكافياً، ثم خطيبا بالريّ. من كتبه (مبادئ اللغة) و(نقد الشعر) و(درة التنزيل وغرة التأويل) في الآيات المتشابهة، و(غلط كتاب العين) وغيرها...الزركلي، **الأعلام**، (6/ 227).

(2)- الزمخشري، **تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (1/ 37).

(3)- ابن العربي، **سراج المريدين**، (4/ 144-145).

(4)- الرازي، **مفاتيح الغيب**، (4/ 140).

الزوائد والغثوث ما لا يخفى، فإنه قد بذل مجهوده ونثل موجوده حتى عسر كتبه على الطالبين وأعوز تحصيله على الراغبين، فحاذيت سياق مرامه، وأوردت حاصل كلامه، وقربت مسالك أقدامه، والتقطت عقود نظامه، من غير إخلال بشيء من الفرائد أو إهمال لما يعدّ من اللطائف والفوائد..."[(2)].

أبو الحسن الحرالي المغربي (638هـ)، الذي يُتهم البقاعي بأنه قد أخذ كل ما في كتابه "نظم الدرر" من كتابه.

أبو عبد الله محمد بن عبد الله المرسي[(3)] السلمي (655هـ)، وكتابه: "ري الظمآن في تفسير القرآن"، قال معاصره ياقوت الحموي[(4)] (626هـ) عنه: "كبير جداً، قصد فيه ارتباط الآي بعضها ببعض"[(5)].

---

(1)- **النيسابوري (بعد 850هـ/بعد 1446م)**: الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوريّ، نظام الدين، ويقال له الأعرج: مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات. أصله من بدلة (قم) ومنشأه وسكنه في نيسابور. له كتب، منها (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) ، يعرف بتفسير النيسابوريّ، ألفه سنة 828 هـ و(أقاف القرآن) و(لبّ التأويل) و(شرح الشافية) في الصرف، يعرف بشرح النظام، وغيرها... وله نظم بالتركية والعربية. الزركلي، **الأعلام**، (2/ 216).

(2)- النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (850هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1416هـ، (1/ 6).

(3)- **المُرْسي (570-655هـ/1174-1257م)**: محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي، أبو عبد الله، شرف الدين: عالم بالأدب والتفسير والحديث. ضرير. أصله من مرسية. ومولده بها. تنقل في الأندلس، وزار خراسان وبغداد، وأقام مدة في حلب ودمشق، وحج وعاد إلى دمشق. وسكن المدينة، ثم انتقل إلى مصر (سنة 624) وتوفي بها. من كتبه (التفسير الكبير) يزيد على عشرين جزءا، سماه (ريّ الظمآن) و(التفسير الأوسط) عشرة أجزاء، و(التفسير الصغير) ثلاثة، و(الكافي) في النحو، و(الإملاء على المفصل) انتقد فيه نحو سبعين خطأ...الزركلي، **الأعلام**، (6/ 233).

(4)- **ياقوت الحَمَوي (574-626هـ/1178-1229م)**: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين: مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب. أصله من الروم. أسر صغيرا، ثم أعتق:سنة 596 هـ ...رحل رحلة واسعة انتهى بها إلى مرو (بخراسان) ثم رحل إلى حلب وأقام في خان بظاهرها إلى أن توفي.أما نسبته فأرجح أنها انتقلت إليه من مولاه عسكر الحموي. من كتبه (معجم البلدان) و(إرشاد الأريب) ويعرف بمعجم الأدباء، وفي النسخة المطبوعة نقص استدرك بتراجم ملفقة دست فيه، و(المبدأ والمآل) في التاريخ، وغيرها... الزركلي، **الأعلام**، (8/ 131).

(5)- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (626هـ)، **معجم الأدباء -إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط1، 1414هـ/1993م، (6/ 2547).

وتصدَّى ابن النقيب الحنفي (698هـ) في تفسيره (ذي الستين أو السبعين مجلداً) لذكر المناسبات، كما نص عليه البقاعي (885هـ) وقال: "فرأيته كذلك بالنسبة إلى الآيات لا جملها وإلى القصص لا جميع آياتها"(1).

ويعد ابن الزبير الغرناطي (708هـ) أول من أفرد كتاباً جامعاً في هذا الباب وهو: "البرهان في تناسب سور القرآن"، ذكر فيه مناسبة كل سورة لما قبلها، وفي كتابه الثاني: "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل"، عرض الكثير من أحوال التناسب في الآيات المتشابهة.

أما أبو حيان (745هـ)(2)، -تأثرا بأستاذه ابن الزبير- والذي اقتبس كثيراً من تفسير الكشاف وتفسير المحرر الوجيز، فقد أبان عن منهجه في التفسير في مقدمته، مصرحاً باجتهاده في بيان مناسبات الآيات، وارتباطها ببعضها البعض يقول: "...ثم أشرع في تفسير الآية، ذاكراً سبب نزولها، إذا كان لها سبب، ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها..."(3).

أما الزركشي (794هـ) ففي كتابه: "البرهان في علوم القرآن"، بسط في النوع الثاني (من أنواع علوم القرآن) الحديث عن علم المناسبةبين الآيات، وفي النوع الثالث أشار إليها كذا مرة في حديثه عن الفواصل القرآنية.

بعده البقاعي (885هـ) الذي أطال النفس في كتابه: "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور" في وصف علم المناسبات، فذكر أصله وسره، وحقيقته، وبيان الداعي إليه، وتعريفه، ونسبته، وكيفيته، والإجادة فيه، وعرّج على كتابة: "نظم الدرر" فربط بينه وبين علم المناسبةفقال: "هذا؛ وإن العلم الذي أفاض الله ـ وله الحمد ـ عليّ، أصله: بذل الرقة والانكسار، والتضرع والافتقار لأدق العلوم أمراً، وأخفاها

---

(1)- يراجع: البقاعي، **نظم الدرر**، (1/ 7).

(2)- **أَبُو حَيَّان النَّحْوي (654-745هـ/1256-1344م)**: **محمد** بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حَيَّان الغرناطي الأندلسي الجياني، النِّفْزي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة. وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفي فيها، بعد أن كف بصره.واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه. من كتبه (البحر المحيط) في تفسير القرآن، ثماني مجلدات و(النهر) اختصر به البحر المحيط، و(مجاني العصر) في تراجم رجال عصره، و(منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك) ...وله شعر في ديوان...الزركلي، **الأعلام**، (7/ 152).

(3)- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر-بيروت، 1420هـ، (د.ر.ط)، (1/ 12).

سراً، وأعلاها قدراً؛ لأنه في الحقيقة إظهار البلاغة من الكتاب العزيز، وبيان ذلك في كل جملة من جمله؛ فإن البلاغة مناسبة المقال لمقتضى الحال. وهذا الكتاب لبيان الداعي إلى وضع كل جملة في مكانها، وإقامة حجتها في ذلك وبرهانها؛ لأن هذا العلم تعرف منه علل الترتيب"[1].

وبعده لا مناص من الحديث عن خزانة الكتب: السيوطي (911هـ)، الذي يعد أكثر من صنّف في هذا العلم، إجمالاً أو تفصيلاً. فعني بهذا العلم في كتابه الذي صنفه في أسرار التنزيل وهو "قطف الأزهار في كشف الأسرار" توسّع فيه بذكر المناسبةبين السور والآيات، وربما ذكر للآية الواحدة عدة مناسبات؛ إما باجتهاده الخاص، وإن قلّ، أو بنقل كلام غيره من العلماء[2]، وقال: "وإن مما ألفت في تعلقات القرآن كتاب "أسرار التنزيل" الباحث عن أساليبه، المبرز أعاجيبه، المبين لفصاحة ألفاظه وبلاغة تراكيبه، الكاشف عن وجه إعجازه، الداخل إلى حقيقته من مجازه، المطلع على أفانينه، المبدع في تقرير حججه وبراهينه"[3]، ثم لخص منه مناسبات السور خاصة في جزء وسميته: "تناسق الدرر في تناسب السور". وخَصَّ النوع الثاني والستِّين[4] من كتابه: "الإتقان في علوم القرآن" بالحديث عن مناسبات الآيات والسور ذكر فيه أغلب ما ذكره الزركشي في "البرهان"، وزاد عليه في الأمثلة. وقد اعتبر في كتابه: معترك الأقران في إعجاز القرآن، مناسبة آيات القرآن وسوره، وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، وجهًا من وجوه إعجاز القرآن[5]، وأعاد الإشارة إليها في كذا موضع من كتابه. وله أيضا: "مراصد المطالع في المقاطع والمطالع" عني فيه بذكر مناسبة أوائل السور بأواخرها. وكتاب: "أسرار ترتيب سور القرآن".

وأفرد برهان الدين البقاعي (885هـ)، هذا العلم، في كتاب سمّاه "نظم الدرر في تناسب الآي والسور"، قام فيه بجمع مناسبات السور والآيات مع ما تضمّنها من بيان جميع وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة، وقد اشْتُهِر هذا الكتاب بكتاب المناسبات، وصفه صاحب كشف الظنون بقوله: "وهو: كتاب لم

(1)- البقاعي، **نظم الدرر**، (1/ 5).

(2)- السيوطي، **قطف الأزهار في كشف الأسرار**، تح: أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية- قطر، ط1، 1414هـ/1994م، تراجع: مقدمة المحقق، (ص 69-71).

(3)- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (911هـ)، **أسرار ترتيب القرآن**، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، (ص 38).

(4)- السيوطي، **الإتقان**، (3/ 369).

(5)- السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، (1/ 43).

يسبقه إليه أحد ،جمع فيه: من أسرار القرآن، ما تتحير منه العقول.وذكر في آخره: أنه فرغ منه في: سابع شعبان، سنة: 875هـ، خمس وسبعين وثمانمائة.وكان ابتداؤه: في شعبان، سنة 861، إحدى وستين وثمانمائة.فتلك: أربع عشرة سنة"(1).

وغير هؤلاء المتقدمين الذين، قل جهدهم أو كثر،كثير؛ قد وضعوا صرحاً لهذا العلم، متين، تبعهم فيه ثلة من المعاصرين، لعل في مقدمتهم سيد قطب (1389هـ) في الظلال فقد أبدع في إبراز ألوانٍ من التناسق الفني في التصوير القرآني في كتابَيْه: "في ظلال القرآن"، و"التصوير الفني تفي القرآن"، وضَارَعَهُ الشيخ مصطفى المراغي (1364هـ) في ذلك.

ومن قبلهما الشيخ محمد عبده (1323هـ) الذي كانت له عناية كبيرة بهذا العلم في تفسير المنار، الذي جمعه وأتَمَّه رشيد رضا، في تفسيره.ومدحه الرافعي (1356هـ) بقوله: "وكان نابغة عصرنا الإمام الشيخ محمد عبده -رحمه الله- كثيرًا ما يعنى في تفسيره بحقائق غريبة من تناسب الآيات وتعلق نظم القرآن بعضه ببعض. وله في ذلك فكر ثاقب ونفاذ عجيب"(2).

أما الإمام عبد الحميد الفراهي (1349هـ) فيرى(3) أن الكلام لا يفهم بمعزل عن إدراك سر ترابط أجزائه، بل أن جل اختلاف الآراء في التأويل ناشئ عن عدم التزام رباط الآيات. وأشاد بهذا العلم الماتع الضروري، وأشار إلى أهميته في غير موضع من كتابه فيقول في أحدها: "إن كنت ممن يوقن بأن الله راعى النظام الحكيم في كلامه، ورأيت أمرا قد قرن بأمر فلابد لك أن تطلب المناسبة، فهذا الطلب يهديك إلى أمور خفية لا يهتدي إليها من مر عليه ولم يتدبر، فإن الأمر الواحد له جهات مختلفة واعتبارات شتى: فمن جهة هو يناسب بأمر، ومن جهة أخرى بأمر"(4).

كما أبدع الأستاذ مصطفى صادق الرافعي (1356هـ) في وصف هذا العلم الجليل، قائلاً: "وبالجملة فإن هذا الإعجاز في معاني القرآن وارتباطها أمر لا ريب فيه وهو أبلغ في معناه الإلهي إذا

---

(1)- مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (1067هـ)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مكتبة المثنى-بغداد، 1941م، (د.ر.ط)، (2/ 1962).

(2)- الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر (1356هـ)، **تاريخ آداب العرب**، دار الكتاب العربي-بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (2/ 161).

(3)- تراجع مقدمته في كتابه: **دلائل النظام**، (ص17 وما بعدها).

(4)- الفراهي، م.س، (ص 43).

انتبهت إلى أن السور لم تنزل على هذا الترتيب، فكان الأحرى أن لا تلتئم وأن لا يناسب بعضها بعضًا وأن تذهب آياتها في الخلاف كل مذهب؛ ولكنه روح من أمر الله تفرق معجزًا، فلما اجتمع له إعجاز آخر ليتذكر به أولو الألباب.."[1].

ويشير في موضع آخر أن هذا التناسب لا يكون في الجمل وحدها، بل حتى في الكلمات والحروف ومعانيها: "إن طريقة نظم القرآن تجري على استواء واحد في تركيب الحروف باعتبار من أصواتها ومخارجها، وفي التمكين للمعنى بحس الكلمة وصفتِها، ثم الافتنان فيه بوضعها من الكلام، وباستقصاء أجزاء البيان وترتيب طبقاته على حسب مواقع الكلمات، لا يتفاوت ذلك ولا يختل"[2].

ومن العلماء المُحدثين الذين بَيَّنُوا لطائف علم المناسبة ومزاياه وأشادوا به: الشيخ الزرقاني (1367هـ)، إذ يقول: "القرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى آخره،فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال آخذ بعضه برقاب بعض، في سورة وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه،كأنه سبيكة واحدة. ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل،كأنه حلقة مفرغة، أو كأنه سمط وحيد وعقد فريد ،يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته، وجاء آخره مساوقا لأوله وبدا أوله مواتيا لآخره"[3].

وقال في موضع رده على شبهة تنجيم القرآن وترتيبه:" وهنا دقيقة أحب ألاّ تعزب عن علمك. وهي أن هذا الروض الرباني اليانع القرآن الكريم يقوم بين جمله وآيه وسوره تناسب بارع وارتباط محكم وائتلاف بديع ينتهي إلى حد الإعجاز خصوصاً إذا لاحظنا نزوله منجما على السنين والشهور والأيام..."[4].

وعبد الله دراز (1377هـ)، الذي أشار في كتابه: "النبأ العظيم" إلى قريب من قضية النظام التي قال بها الفراهي، وبأن تنجيم القرآن لم يمنعه أن يكون بنية متماسكة ،فيه من الترابط والتنسيق من غير تكلف، "إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حشيت حشوًا، وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا؛ فإذا هي -لو تدبرت- بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول؛ فلا تزال

(1)- الرافعي: مصطفى صادق، **تاريخ آداب العرب**، (2/ 161).

(2)- الرافعي: مصطفى صادق، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، دار الكتاب العربي-بيروت، ط8، 1425هـ/2005م، (ص 167).

(3)- الزرقاني، **م.س**، (1/ 60).

(4)- الزرقاني، **م.ن**، (1/ 80).

تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضامّ والالتحاق. كل ذلك بغير تكلفة ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه..."(1).

ومن المعاصرين الذي لم يفتهم تبيين هذا العلم وفضله: الطاهر بن عاشور (1393هـ) في تفسيره "التحرير والتوير"، حيث يقول في مقدمته: "قد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى: "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" إلاّ أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفضل القول تتطلع"(2).

ومن المعاصرين أيضاً، عبد الله محمد بن الصديق الغماري المغربي الذي أفرد كتاباً خاصاً عن هذا العلم سماه: "جواهر البيان في تناسب سور القرآن" ابتدأه بمنظومة جامعة له، يقول فيها(3):

علم التناسب للسور ... علم جليل ذو خطر
قد قل فيه الكاتبون ... كما قد عز المستطر
وابن الزبير في برهانه ... قد كان أول من سطر
إذ جاء فيه مجليا ... يتلوه بحر قد زخر
أعف السيوطي الذي ... كتب التناسق للدرر
وكتبت مثل كتابهم ... بحثا يؤيده النظر
أعملت فيه قريحتي ... واخترت أنسب الفكر

(1)- محمد بن عبد الله دراز (1377هـ)، **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ.د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، 1426هـ/2005م، (د.ر.ط)، (ص 188).
(2)-الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، (1/ 8).
(3)- الغماري: عبد الله محمد بن الصديق، **جواهر البيان في تناسب سور القرآن**، مكتبة القاهرة لصاحبها علي يوسف سليمان، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 2).

وفتحت بعض المغلقات من آي الكتاب و السور
وأتيت من عين المســـا ئل بالبدائع والغـــــرر
ألهـــمت من فيض الإله بفيض فضل مدخـــر
حـــــمدا لواهب فضله وله التطول إذ ستـــر
وصـــــــلاته دوما على خير البــرية من مضر.

وبعد هذا العرض لهذه التصانيف، الآنفة الذكر، يبدر سؤال مهم: هل كان هذا العلم محل اتفــاق بين العلماء، هل حظي بالقبول دوماً، أم أن هناك من أنكره، وأعاب على غيره القول به؟.

المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبة:

كحال كل اجتهاد، إن وجد له مؤيدون، فإن الضرورة تقتضي ظهور من يعارضه الذي قد يمتلك من الأدلة والبراهين ما لا يملك مخالفه. وإذا تمّ تأمل ما كتبه العلماء حول المناسبةأمكن تمييز اتجاهات أربعة: القائلون بوجود وقبول التناسب بين الآيات والسور، المعارضون لوجوده، ومن يقول بالمناسبة في حال دون حال، ومن يقول بأكثر من المناسبة. وسوف تُعرض آراؤها مع ذكر أدلة الفريق المانع لها والردّ عليها، ثم الراجح بإذن الله تعالى:

الاتجاه الأول: القائلون بوجود التناسب بين الآيات والسور:

وهو قول جمهور من صنّف فيه؛ إذ يرون أن هذا العلم قد خفي على كثير من المفسرين لدقته، وامتدحه وأشاد به الكثير منهم-كما مر-، يقول الفخر الرازي (606هـ) في تفسيره: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[1] وقال بعض الأئمة: "من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعاً وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم، وفوائده غزيرة"[2].

ولذلك كان من أهم جوانب التفسير للكتب التي عنيت بذكر الروابط والأسرار البلاغية للقرآن.ومن أهم هذه التفسير:

- الزمخشري في كتابه الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل

(1) - فخر الدين الرازي، **م.س**، (10/ 110).
(2)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 36).

- ابن عطية في كتابه المحرر الوجيز.
- والرازي في كتابه التفسير الكبير (مفاتيح الغيب).
- والقرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن.
- والخازن في كتابه لباب التأويل في معاني التنزيل.
- وأبو حيان في كتابه البحر المحيط.
- وابن كثير في كتابه تفسير القرآن العظيم.
- أبو بكر ابن القُمّيّ النيسابوري في كتابه غرائب القرآن ورغائب الفرقان.
- والبقاعي في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.
- والآلوسي في كتابه روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.
- والقاسمي في كتابه محاسن التأويل.

ومن المتأخرين:

- عبد الرحمن السعدي في كتابه تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.
- الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير.
- أبو بكر الجزائري في كتابه أيسر التفاسير.
- محمد عبده في تفسير المنار.
- سيد قطب في الظلال.
- أبو زهرة في تفسيره زهرة التفاسير.

ومن خلال ما سبق يتبين أن عددًا لا يستهان به من العلماء، المفسرين بخاصة، المتقدمين والمتأخرين يقولون بوجود التناسب بين الآيات والسور.

الاتجاه الثاني: المعارضون لوجود التناسب:

خالف بعض العلماء في قبول المناسبةبين الآيات والسور وعارضوه، وقالوا إنه تكلّف محض وأبرزهم الشوكاني[1] (1250هـ)، الذي أنحى باللائمة على المفسرين الذين يقولون بالمناسبة في تفسيره **"فتح**

(1)- **الشَّوْكَاني (1173-1250هـ/1760-1834م)**: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة 1229 ومات حاكماً

القدير".لاوتبعه الغزنوي (1296هـ) حيث نقل رأيه بكامله في حاشيته على تفسير الإيجي[(1)] (905هـ) دون أن يذكر نسبة الكلام له[(2)].

ويمكن تفصيل رأي الشوكاني (1250هـ) والردود عليه على النحو الآتي:

– **حجته الأولى**: البحث في علم المناسبة ضرب من التكلف، ولا فائدة منه، وهو من قبيل التكلم بمحض الرأي المنهي عنه.

وينعى على البقاعي (885هـ)، وغيره، عنايتهم بهذا العلم، حيث يقول: "اعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة؛ بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه، في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات وتعسفات يبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء، فضلاً عن كلام الرب سبحانه، وحتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه ... "[(3)].

والحجة نفسها يستفيض فيها في آخر كلامه: "وأنت تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة، بين ما قاله رجل من البلغاء من خطبه، ورسائله، وإنشاءاته، أو إلى ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد التي تكون تارة مدحاً وأخرى هجاء وحيناً نديباً وحيناً رثاء، وغير ذلك من الأنواع المتخالفة، فعمد هذا المتصدي إلى ذلك المجموع فناسب بين فقره ومقاطعه ثم تكلف تكلفاً آخر فناسب بين

بها. وكان يرى تحريم التقليد. له 114 مؤلفاً، منها (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار) و(فتح القدير) في التفسير، و(إرشاد الفحول) في أصول الفقه...يراجع: الزركلي، **الأعلام**، (6/ 298).

(1)- الإيجي (832-905هـ/1429-1500م): محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ: مفسر، من أهل (إيج) بنواحي شيراز. من كتبه (جامع البيان في تفسير القرآن) ورسالة في (بيان المعاد الجسماني والروح). الزركلي، **الأعلام**، (6/ 195).

(2)- يراجع: الغزنوي: محمد بن عبد الله (1296هـ)، **حاشية الغزنوي على جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الإيجي الشيرازي الشافعي**، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، 1424هـ/2004م، (1/ 42-45).

(3)- الشوكاني محمد بن علي بن محمد الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق-بيروت، ط1، 1414هـ، (1/ 85-86).

الخطبة التي خطبها في النكاح ونحو ذلك ...لعد هذا المتصدي لمثل هذا مصاباً في عقله متلاعباً بأوقاته عابثاً بعمره... وإذا كان مثل هذا بهذه المنزلة وهو ركوب الأحموقة في كلام البشر، فكيف تراه يكون في كلام الله سبحانه الذي أعجزت بلاغته بلغاء العرب، وأبكت بفصاحته فصحاء عدنان وقحطان...

فدَعْ عَنكَ نَهباً صِيحَ في حَجَرَاتِهِ وَلَكِنْ حديثاً ما حديثُ الرّوَاحِلِ[1]."[2]

الرد عليها: الأمر المسلم به أن التكلف منهي عنه في التفسير أو في غيره، وأنه لا يجوز التكلم بمحض الرأي المنهي عنه، فعلم المناسبةيحتاج إلى تدبر وتفكر لا إلى تكلف وتعسف، وهو علم لا بد منه ولا غنى عنه لأي مفسر، لأنه يعين على فهم المعنى والترجيح بين الآراء ومعرفة المقاصد العامة للآيات والسور وغير ذلك من فوائد، والمناسبة قد تكون واضحة جلية، وقد تحتاج إلى تأمل دقيق وتدبر عميق، فإذا خفيت المناسبة فلا ينبغي إنكارها ونفيها.

كما أن علم التناسب مسلك مهم لمعرفة وجه من أوجه الإعجاز التي تحدث عنها عديد العلماء[3] وهو تناسب آياته وتناسق وتعانق سوره، فالقرآن الكريم وحدة موضوعية واحدة وآياته وسوره بناء واحد.

وقد يكون عناية سبحاني مدافعا عن الشوكاني حين قال: "وإنما الذي حداه إلى تسجيل تلك الكلمات القاسية اللاذعة، هو أن الذين تبنوا هذه الفكرة،لم يتعاطوها على وجهها، ولم يراعوا طبيعتها... إنهم بدأوا مسيرهم قبل أن يضعوا الأساس... فالمطالع على تلك الجهود يجدها كثيرا ما تخطئ الهدف ونجد جزءا كبيراً منها يغلب عليه التكلف والتعسف"[4].

---

(1)- البيت لامرئ القيس، والفاء زائدة من الشوكاني، يراجع: امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، (545م)، **ديوان امرِئ القيس**، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة-بيروت، ط2، 1425هـ/2004م، (ص 140).

(2)- الشوكاني، **م.س**، (1/ 86).

(3)- يراجع الفصل التمهيدي من هذه الأطروحة

(4)- عناية الله سبحاني، **إمعان النظر**، (ص 39).

والمعنى أن الاجتهادات في هذا الباب كثيراً ما يخطئ أصحابها، أو تصبغ بصبغة التكلف[1]، وهذا بسبب غياب الأسس والضوابط التي تعدّل ذلك النهج ،وتقيم أصحابه على الجادة...وهذا الذي هيّج الشوكاني وأثار حميّته.

– **حجته الثانية**: نزول القرآن مفرقاً يجعله متخالفاً في الاعتبار، لاختلاف أسباب نزوله، حيث لا يسير معه ائتلاف، وهنا عين التكلف والتعسف، فلا يصح القول بوجود التناسب؛ فيقول: "وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال مفرقاً ينزل حسب الحوادث المقتضية... وكل عاقل فضلاً عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث... متخالفة باعتبار نفسها بل وقد تكون متناقضة؛ كتحريم أمر كان حلالاً، وتحليل أمر كان حراماً، وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله، وتارة يكون الكلام مع المسلمين، وتارة مع الكافرين، وتارة مع من مضى وتارة مع من حضر، وحيناً في عبادة وحيناً في معاملة... وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف ومتباينة هذا التباين الذي لا

(1)-يضرب أمثلة عن مثل ذلك التكلف بما أورده البقاعي في نظم الدرر: "شرعت التسمية أول كل شيء فصدرت بها الفاتحة. وقدم التعوذ الذي هو من درء المفاسد تعظيما للقرآن بالإشارة إلى أن يتعين لتاليه أن يجتهد في تصفية سره وجمع متفرق أمره، لينال سؤله ومراده =مما أودعه من خزائن السعادة بإعراضه عن العدو الحسود وإقباله على الولي الودود، ومن هنا تعرف مناسبة المعوذتين بالفاتحة. ولما افتتح التعوذ بالهمزة أشارة إلى ابتداء الخلق وختم بالميم إيماء إلى المعاد جعلت البسملة كلها للمعاد لابتدائها بحرف شفوي، وختام أول كلماتها ومآخرها بآخر إشارة إلى أن الرجوع إليه في الدنيا معنى بتدبير الأمور وإن كان أكثر الخلق غافلا عنه، وفي البرزخ حسا بالموت، وفي الآخرة كذلك بالبعث، كما أشار إلى ذلك تكرير الميم المختتم بها في اسمها بذكرها فيه مرتين إشارة إلى المعادين الحسّيين والله أعلم" فالتكلف هنا ظاهر والا حاجة لبيانه.يراجع: البقاعي، **نظم الدرر**، (1/ 12-13).

وفي موضع آخر ،من الكتاب نفسه، يقول: "ولما كان اسم الجلالة علما وكان جامعا لجميع معاني الأسماء الحسنى أولية الرحمن من حيث أنه كالعلم في أنه لا يوصف به غيره ومن حيث أنه أبلغ من الرحيم فأولى الأبلغ، وذلك موافق لترتيب الوجود، الإيجاد ثم النعم العامة ثم الخاصة بالعبادة، وذكر الوصفان ترغيباً، وطويت النقمة في إفهام اختصاص الثاني لتمام الترغيب بالإشارة إلى الترهيب. والمراد بهما هنا أنه سبحانه يستحق الاتصاف بهما لذاته، وكررهما بعهد تنبيها عل وجوب ذلك للربوبية ،والملك وللدلالة على أن الرحمة غلبت الغضب، وفيهما إلى ما ذكر من الترغيب الدلالة على سائر الصفات الحسنى، لأن من عمت رحمته امتنع أن يكون فيه شوب نقص وفي آخر سبحان لهذا المكان مزيد بيان، وكونها تسعة عشر حرفا خطية وثمانية عشر لفظية إشارة إلى أنها دوافع النقمة من النار التي أصحابها تسعة عشر، وجوالب للرحمة بركعات الصلوات الخمس وركعة الوتر اللاتي من أعظم العبادات الكبرى. ولما كانت البسملة نوعاً من الحمد ناسب كل المناسبة تعقيبها باسم الحمد الكلي الجامع لجميع أفراده فكأنه قبل: احمدوه لأنه المستحق لجميع المحامد، وخصوا هذا النوع من الحمد في افتتاح أموركم لما ذكر من استشعار الرغبة إليه والرهبة منه المؤدي إلى لزوم طريق الهدى، والله الموفق" يراجع البقاعي، **نظم الدرر**، (1/ 13-14).

يسير معه الائتلاف، فالقرآن النازل فيها هو باعتبار نفسه مختلف كاختلافها، فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادي"[1]

الرد عليها: سبق تفصيل[2] مسألة ترتيب الآيات والسور وأنها ليس من قبيل الاجتهاد. ولعل أقوى دليل على ذلك الأحاديث التي تسرد معارضة النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام القرآن في كل شهر رمضان: منها ما روته عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلّم أسر إليها قائلاً: "إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ..."[3].

كما أن في كلامه هنا اجتماع لوجوه الربط التي ذكرت سابقاً[4]، مع أنه أراد إبطالها، وكثيراً ما في القرآن جمع بين المتناقضات في آية أو جملة واحدة، فلا يمكن إنكار أجزائها بحجة ضمها لمختلفين[5].

– **حجته الثالثة**: أن التكلف في القول بالمناسبة مسلك للشك عند ضعاف القلوب أو العقول حيث يصرح: "وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض، أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور، فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن بليغاً معجزاً إلاّ إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة، وتبين الأمر الموجب للارتباط فإن وجد الاختلاف بين الآيات، فرجع إلى ما قاله المتكلمون في ذلك ،فوجده تكلفاً محضاً وتعسفاً بيّناً، انقدح في قلبه ما كان عنه في عافية وسلامة"[6].

الرد على هذا بسابقه وهو أن التكلف أمر بغيض في كل شيء.

– **حجته الرابعة**: إنكاره أن يكون ترتيب القرآن –الذي يرتكز عليه علم التناسب– في المصحف توقيفياً بل محض اجتهاد فيقول: "... وكل من له أدنى علم بالكتاب وأيسر حظ من معرفته، يعلم علماً

(1)- الشوكاني، **م.س**، (1/ 86).

(2)-يراجع هذا الأطروحة في الفصل التمهيدي.

(3)- أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام برقم: 3224، يراجع: البخاري: **صحيح البخاري**، (4/ 203).

(4)- في مطلب قواعد معرفة المناسبة.

(5)- يراجع: سبحاني، **م.س**، (ص 55-56)، وفيه استرسال في ذكر الأمثلة عن الجمع بين المختلفين مع ظهور التناسب.

(6)- يراجع: الشوكاني، **م.س**، (1/ 86).

يقيناً، أنه لم يكن كذلك، ومن شك في هذا -وإن لم يكن مما يشك فيه أهل العلم- رجع إلى كلام أهل العلم العارفين بأسباب النزول... فإنه يثلج صدره ويزول عنه الريب بالنظر في سورة من السور المتوسطة، فضلاً عن المطولة، لأنه لا محالة يجدها مشتملة على آيات نزلت في حوادث مختلفة وأوقات متباينة، لا مطابقة بين أسبابها وما نزلت فيها في الترتيب، بل يكفي المقصر أن يعلم أن أول ما نزل: "ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ".وبعده "يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ .يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ" وينظر أين موضع هذه الآيات والسور في ترتيب المصحف؟. وإذا كان الأمر هكذا فأي معنى لطلب المناسبة... بل هو عند من يفهم ما يقول وما يقال له، من تضييع الأوقات وإنفاق الساعات في أمر لا يعود بنفع ،على فاعله ولا على من يقف عليه من الناس"(1).

ويرد عليه هنا بقول الزركشي (794هـ): "وقال بعض مشايخنا المحققين: وقد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبةٌ، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً، مصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبةً سوره كلها وآياته بالتوقيف"(2).

وقد انعقد الإجماع على أن الترتيب الموجود في المصحف هو نفسه الموجود في اللوح المحفوظ.وهو ما يؤكده الإمام البغوي (516هـ) في شرح السنة: "...الواضح أن الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير أن زادوا فيه، أو نقصوا منه شيئا... فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن قدموا شيئا أو أخروا، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم..."(3).

وزاد في موضع آخر: "ثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد، لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على الترتيب الذي هو في مصاحفنا، أنزله الله تعالى جملة واحدة في شهر رمضان ليلة القدر إلى السماء الدنيا"(4).

---

(1)- يراجع: الشوكاني، **م.ن**، (1/ 87).

(2)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 37).

(3)- البغوي، **شرح السنة**، (4/ 521).

(4)- البغوي، **م.ن**، (4/ 522).

من استعراض رأي الشوكاني يتبين أنه ينكر القول بالمناسبة ويرى من يقول بها متكلفاً متعسفاً متكلماً برأيه فاتحا لأبواب الشك مُوسّعا لدائرة الرّيب، مُضَيّعا وقته فيما لا يفيد، غير أن الباحث في تفسيره يجد له نماذج لا يستهان بها تشير إلى "أنه يشد آزر القائلين بها"(1)، وهذا يظهر عند بحثه أوجه اتصال الآيات مع بعضها البعض في عدة المواضع، منها:

في قوله سبحانه: "**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّآءُ رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ**" [آل عمران: 38]، يقول: "والمعنى: أنه دعا في ذلك المكان الذي هو قائم فيه عند مريم، أو في ذلك الزمان: أن يهب الله له ذرية طيبة، والذي بعثه على ذلك: ما رآه من ولادة حنة لمريم وقد كانت عاقراً، فحصل له رجاء الولد، وإن كان كبيرا، وامرأته عاقرا، أو بعثه على ذلك: ما رآه من فاكهة الشتاء في الصيف والصيف في الشتاء عند مريم، لأن من أوجد ذلك في غير وقته يقدر على إيجاد الولد من العاقر، وعلى هذا يكون هذا الكلام قصة مستأنفة سيقت في غضون قصة مريم لما بينهما من الارتباط"(2).

في قوله سبحانه: "**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ**" [المائدة:29]، يقول: "وجه اتصال هذا بما قبله التنبيه من الله على أن ظلم اليهود ونقضهم المواثيق والعهود هو كظلم ابن آدم لأخيه..."(3).

و في تفسيره قوله عز وجل: "**إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ**" [النحل: 124] يقول: "ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن اليهود كانوا يزعمون أن السبت من شرائع إبراهيم، فأخبر الله سبحانه أنه إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ولم يجعله على إبراهيم ولا على غيره..."(4).

فهذه النماذج، وغيرها، حجة دامغة أنه لا مناص من الإقرار بأن الشوكاني يؤمن بوجود التناسب بين الآيات وإن لم يكن الرباط بينها ظاهرا..وأن ما ينكره هو التكلف والتعسف في إيجادها.

---

(1)- سبحاني، **أمعان النظر**، (ص 37)

(2)- الشوكاني، **فتح القدير**، (1/ 386).

(3)- الشوكاني، **م.ن**، (2/ 36).

(4)- الشوكاني، **م.ن**، (3/ 242).

الاتجاه الثالث: اتجاه يقول بالمناسبة في حال دون حال:

ويمثل هذا الاتجاه العز بن عبد السلام[1] (660هـ) حيث يقول: "المناسبة علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر"[2].

قال: "ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه، إلاّ بربط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، إذ لا يحسن أن تربط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب،كتصرف الملوك والحكام، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها"[3].

كما نُقل عن أبي حيان في البحر المحيط كلامٌ شبيه بكلام الشيخ عز الدين عبد السلام إذ يقول: "وربما ألممت بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ، وتجنبت كثيرا من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ، وتركت أقوال الملحدين الباطنية المخرجين الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة"[4].

وأنكر[5] أبو العلاء محمد بن غانم (553هـ) المعروف بـ: "الغانمي"[1] اشتمال القرآن الكريم على أحد أنواع الارتباط بين الآيات القرآنية وهو المسمى بـ: "حسن التخلص"[2]، وقال: إن القرآن إنما وقع على الاقتضاب الذي هو طريقة العرب في الانتقال إلى غير ملائم.

---

(1)- **ابن عبد السَّلام (577-660هـ/1181-1262م)**: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق... فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي.ولاّه نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكّنه من الأمر والنهي. ثم اعتزل ولزم بيته...توفي بالقاهرة.من كتبه (التفسير الكبير) و(الإلمام في أدلة الأحكام) و(قواعد الشريعة) و(الفوائد) و(قواعد الأحكام في إصلاح الأنام)... الزركلي، **الأعلام**، (4/ 28).

(2)- العز عبد العزيز بن عبد السلام، **الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز**، (ص 221).

(3)- العز بن عبد السلام، **م.ن**، (ص 221).

(4)- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر-بيروت، 1420هـ، (1/ 3).

(5)- نقلاً عن: الزركشي، **البرهان**، (1/ 43). وهو عند: السيوطي، **الإتقان**، (3/ 373).

والمتأمّل لرأي العز بن عبد السلام (660هـ)، وابن حيان (745هـ) أنه ينكر التناسب في انعدام الرباط، من أول الكلام إلى آخره، والجهل بالرباط لا يعني عدم وجود المناسبة،كما أن حجته في نزول القرآن مفرقاً مردودة بما سبق.

الاتجاه الرابع:

هو الذي يقول بأكثر من المناسبة (بالنظام) الذي تعتبر المناسبة جزءاً من أجزائه وفرعاً من فروعه، ويمثل هذا الاتجاه عبد الحميد الفراهي الهندي، ويوافقه عناية الله سبحاني في كتابه (إمعان النظر)، ويقرب منهما د. محمد عبد الله دراز في كتابه (النبأ العظيم).

يقول الفراهي في معرض بيان الفرق بين المناسبة والنظام: "قد صنف بعض العلماء في تناسب الآي والسور وأما الكلام في نظام القرآن فلم أطلع عليه، والفرق بينهما أن التناسب إنما هو جزء من النظام فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئاً واحداً مستقلاً بنفسه، وطالب التناسب ربما يقنع بمناسبة ما وربما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام فيصير شيئاً واحداً، وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالها، فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بعد منها، ولولا ذلك لما عجز الأذكياء عن إدراك التناسب فأنكروه، فإن عدم الاتصال بين آيات متجاورة يوجد كثيراً ،ومنها ما ترى فيه اقتضابا بيناً وذلك إذا كانت الآية أو جملة من الآيات متصلة بالتي على بعد منها، وبالجملة فمردانا بالنظام أن تكون السورة كلاماً واحداً ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة أو بالتي قبلها أو بعدها على بعد ما، كما قدمنا في نظم الآيات بعضها مع بعض فكما أن الآيات ربما تكون معترضة فكذلك ربما تكون السور معترضة. وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلاماً

---

(1)- **الغانِمي**، وهو اسم لجد المنتسب إليه، وهو الأديب محمد بن غانم الغانمي، كان من أفاضل عصره، وديوان شعره سائر في الآفاق، وهو من مداحي نظام الملك، ولد بنيسابور، كان إماما، فاضلا، عالما، ورعا، حسن السيرة، كثير المحفوظ، حسن الشعر، بديع النظم، له أبيات سماها «السحرية» يعنى مقولة في وقت (السحر)، كانت ولادته في شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وأربعمائة بنيسابور، ووفاته بهراة في شهر ربيع الأول سنة 553هـ. يراجع: السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي، أبو سعد (562هـ)، **الأنساب**، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية-حيدر آباد، ط1، 1382هـ/1962م، (10/ 13). ولم يوقف على ترجمته عند الزركلي.

(2)- يراجع السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، 1408هـ/1988م، (1/ 47).

واحداً ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر فتبين مما تقدم أن النظام شيء زائد على المناسبة وترتيب الأجزاءصص[1].

ويوضح الفراهي هذه الفكرة في كتابه الذي ألفه لهذا الغرض والمسمى (دلائل النظام) حيث يثبت أن للترتيب والنظام حظاً وافراً في كل مركب لاسيما في الكلام البليغ ولاسيما في هذا القرآن الكريم والذين يزعمون خلاف ذلك فإنهم قد أخطئوا في زعمهم ولم ينصفوا كتاب الله. ثم صرح بعد ذلك بأن القرآن الحكيم كلام منظم ومرتب من أوله إلى آخره على غاية حسن النظم والترتيب وليس فيه شيء من الاقتضاب لا في آياته ولا في سوره بل آياته مرتبة في كل سورة كالفصوص في الخواتم وسورة منظمة في سلك واحد كالدرر في القلائد حتى لو قدم ما أخر أو أخر ما قدم لبطل النظام، وفسدت بلاغة الكلام بل ربما يعود إلى قريب من الهذيان[2].

لكن عناية الله سبحاني لا يرى فرقا بين النظام والمناسبة فيقول –عند كلامه عن تعريف الرباط والمناسبة–: "... وبذلك يظهر أن النظام والرباط والمناسبة شيء واحد، والكل يدل على معنى متقارب..."[3].

- **خلاصة آراء العلماء في المناسبات:**

هذا العلم لم يكن بدعاً من العلوم بل إن له أصلاً قديماً عمل به بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين –كما مرّ–.

فالقول بأن التناسب بين الآيات والسور هو تكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة في كتاب الله تعالى .فيُرَدّ عليه: بأنه كيف يكون قولاً بمحض الرأي المنهي عنه وقد قال به بعض الصحابة رضوان الله عليهم.

قال الإمام أبو إسحاق الشاطبي (790هـ): "إن إعمال الرأي في القرآن جاء ذمه، وجاء أيضاً ما يقتضي إعماله...، فما كان موافقا كلام العرب، والكتاب والسنة، فهذا لا يمكن إهمال مثله لعالم بهما،

(1)– الفراهي عبد الحميد الهندي (1349هـ)، **دلائل النظام**، مطبعة الحميدية، ط1، 1388هـ، (ص 74).

(2)– هذه الفكرة متكررة عدة مرات في كتابه ترجى مراجعته...

(3)– سبحاني، **إمعان النظر**، (ص 26).

أما الرأي غير الجاري على موافقة العربية، أو غير الجاري على الأدلة الشرعية، فهذا هو الرأي المذموم، المنهي عنه"(1).

كما أن ذكر المناسبة بين الآيات والسور: ليس تكلماً بمحض الرأي، بل هو يبرز الوحدة المعنوية بين آيات وسور الكتاب العزيز، ويرسخ الاعتقاد بإعجاز القرآن الكريم، لما يبديه هذا العلم من لطائف القرآن وأسراره، و يعزّز رأي العلماء الذين يرون بأن ترتيب السور توقيفي، لا اجتهاد فيه. أما قول الشوكاني: "فجاءوا بتكلفات، وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء، فضلاً عن كلام الرب سبحانه...الخ "ففيه حيف على المفسرين"(2).

وأيضاً قد يُحمل ذلك المنع والمخالفة على المقاطع المنفصلة، أما المقطع الواحد فلا ينكر أحد وجود المناسبة فيه، فإن ظهر في بعض ولم يظهر في البعض الآخر لا يمكن أن ننكره بالكلية. وهذا العلم ليس تكلفاً، وإنما هو نتيجة التدبر للقرآن الكريم، فمن تدبره وتفكر فيه أوصله هذا إلى القول بتناسبه، بل إن الله كلفنا أن نتدبر كتابه، وعاب على من لا يفعل ذلك، فقال: سبحانه: "**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ**" [محمد:27].

ثم لو وجد فيه من تكلف، فلا ينبغي التعسف ورد هذا الاجتهاد بكامله، لأنه لا يوجد علم وإلاّ وفيه متكلفون.

ثم إن القول بأن هذا بمحض الرأي ليس بصحيح على إطلاقه، بل هو مبني على القول بأن القرآن في ترتيبه توقيفي –موافقاً لما كان في اللوح المحفوظ–، وهذا الأمر لا بد فيه من سر ما، عرفه من عرفه وجهله من جهله.

والشوكاني نفسه الذي نقد البقاعي (885هـ) في رده للمناسبة، مدحه في كتابه: "البدر الطالع" بأنه كان بارعاً في جميع العلوم وفاق الأقران، وهو من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف، ومن

(1)- الشاطبي، أبو إسحاق، **الموافقات**، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة–بيروت، (3/ 51).
(2)- سامي عطا حسن، **م.س**، (ص 13).

محاسنه التي نُقلت عنه، أنه قال عن نفسه أنه لا يخرج عن الكتاب والسنة بل هو متطبع بطباع الصحابة، وهذه مزية له وليست نقيصة"[1].

وأشاد أيضا بتفسيره فقال ما نصه: "من أمعن النظر في كتاب المترجم له –وهو البقاعي– في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور، علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء، الجامعين بين علمي المعقول والمنقول، وكثيراً ما يشكل على شيء في الكتاب العزيز، فأرجع إلى مطولات التفاسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي، وأرجع إلى هذا الكتاب فأجد ما يفيد في الغالب..."[2]، فمن نقد علما ًأو صاحب علم، ثم ترى ثناءه عليه وعلى علمه علمت تناقضه، وهذا ما حصل عند الشوكاني، وما ذكره في البدر هو الحقيق بأن يقال.

إن سر هذا الخلاف كامن في تنزيه علم المناسبة عما لا يليق به. وهو يزيد من جودة هذا العلم ومتاعته.

وبهذا يتضح أن الراجح في هذه المسألة هو صحة القول بقبول المناسبةبين الآيات والسور شرط أن يكون قد وافق الكتاب والسنة، ولم يخالف أصول الدين المتفق عليها، وانضبط عموماً بضوابط التفسير بالرأي التي سبق ذكرها، والله أعلم.

ويتوقع من خلال هذا الفصل أنه قد تبين أن علم المناسبة من أجلِّ علوم القرآن، وأدلها على إعجاز بيانه، وارتباط آياته وسوره .والمراد به في اللغة: المقاربة والمشاكلة وأما المناسبة في الآيات والسور فمرجعها إلى معنى رابط بينهما، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني.

إنه علم يعرف منه علل الترتيب، وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال.

أن نشأة علم المناسبةالقرآنية وربط الآيات ببعضها كان معمولا به منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم.

---

(1)– وإشارة التنقيص له هذه من شمس الدين السخاوي –وكان غريما له– يراجع: الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (1250هـ)، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، دار المعرفة–بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط). (1/ 20–22)، ويمكن الاضطلاع على كلام السخاوي عن البقاعي في كتابه: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (902هـ). من منشورات دار مكتبة الحياة–بيروت

(2)– الشوكاني، **م.ن**، (1/ 19–20).

وتتنوع وجوه التناسب في سور القرآن، فهناك تناسب يجمع بين السورة واسمها، وآخر بين فاتحة السورة وخاتمتها، وثالث بين السورة وما قبلها وبعدها من السور.

ولهذا العلم فوائد وأهمية كبرى تجلت في إظهار إعجاز القرآن، وأن أسراره لا تنقضي.ولذلك اهتم به العلماء قديماً وحديثاً، رغم وجود من يعارضه، وهم قلة، تم تفنيد زعمهم.

الفصل الثاني

ارتباط علم المناسبات بفنون علوم القرآن

المبحث الأول: علم التناسب والتفسير الموضوعي:

المبحث الثاني: بين علم المناسبة وعلم السياق:

المبحث الثالث: علم المناسبة والمقاصد القرآنية:

علوم القرآن بحر لفنون لا تنحصر، ومعانٍ لا تستقصى... والمتفق عليه بين الدارسين أنه: جملة المباحث التي تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه، جمعه وكتابته، قراءته، تفسيره، إعجازه، ناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه عنه ونحو ذلك[1].

وعلم المناسبة من جملة هذه العلوم التي ترتبط ببنية النص القرآني[2] ذاتها، شأنه شأن الوجوه والنظائر، والفواصل، والقراءات، والمتشابه والغريب... إلى آخر هذه المباحث التي تتعلق ببنية وكذلك تتعرض لما يتعلق بالقرآن من أمور خارجة عنه، كأسباب النزول، والمكي والمدني، ومعرفة جمعه وحفظه.وترتيبه وما إلى ذلك -كما سبق بيان نيّف منه-.

والبحث فيها غمس في "دقائق وأسرار؛ طريق العلم بها الروية والفكر. ولطائف مستقاها العقل، وخصائص معان ينفرد بها قوم قد هدوا إليها، ودلوا عليها، وكشف لهم عنها، ورفعت الحجب بينهم وبينه ،وأنها السبب في أن عرضت المزية في الكلام، ووجب أن يفضل بعضه بعضا، وأن يبعد الشأو في ذلك، وتمتد الغاية، ويعلو المرتقى، ويعز المطلب، حتى ينتهي الأمر إلى الإعجاز، وإلى أن يخرج من طوق البشر"[3].

إنها باب عظيم من أبواب إعجاز القرآن، يرتبط في موضوعه بعلوم شتى... منها: أسباب النزول، والوقف والابتداء وغيرها... واختار البحث تحديد العلاقة بينه وبين كل من: التفسير الموضوعي وعلم السياق، وعلم مقاصد القرآن، وذلك للتداخل العجيب بينها، كما أن الدراسات فيها -على ما وُجد- شحيحة.

(1)- ينظر على سبيل المثال: الزرقاني، **المناهل**، (1/ 27).

(2)- ينظر عادل أبو محمد بن العلاء، **مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور**. (ص 26).

(3)- الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، (1/ 7).

المبحث الأول: علم التناسب والتفسير الموضوعي:

المطلب الأول: مفهوم التفسير الموضوعي

المطلب الثاني: نشأة التفسير الموضوعي:

المطلب الثالث: دواعي ظهور مصطبح التفسير الموضوعي المعاصر وفوائده:

المطلب الرابع: ألوان التفسير الموضوعي:

المطلب الخامس: مدى ارتباط علم المناسبات بالتفسير الموضوعي:

الحديث عن الإعجاز القرآني لا يختص فقط بدراسة المعاني والتراكيب في حدود الجمل وحدها؛ بل بربط ذلك كله في السياق الكلي للسور، وارتباط الآيات بعضها ببعض، وتناسبها لدرجة قد تظهر فيها أسرار ذلك الترتيب التوقيفي لها، وهذا الذي يسعى إليه علم التناسب مع نظيره التفسير الموضوعي.

وقبل البحث عن علاقة علم التناسب بالتفسير الموضوعي، يلزم الخوض في بيان هذا الأخير بعرض مفهومه، نشأته، دواعي ظهوره وفوائده ثم ألوانه في المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم التفسير الموضوعي:

أولا:التأصيل اللغوي: ويختص ببيان معنى مصطلح: "الموضوعي". لأنه سبق في التمهيد تعريف التفسير[1].

يُقَال: وضعت الشَّيْء أَضَعهُ وضعا، وَهُوَ ضدّ رفعته. وَرجل وضيع، وَقد وضُع يَوْضُع وَضَاعة وضَعَةً. وَهُوَ ضدّ الشريف[2]. ووُضِع فلَان فِي تِجَارَته فَهُوَ مَوْضُوع فِيهَا إِذا خسِر فِيهَا، ووَضَعَ منه فلانٌ، أي حطَّ من درجته[3].

يقول ابن فارس (395هـ): "الواو والضاد والعين: أصل واحد يدل على الخفض (للشيء) وحطه. ووضعته بالأرض وضعا، ووضعت المرأة ولدها. (و) وضع في تجارته يوضع: خسر. والوضائع: قوم ينقلون من أرض إلى أرض يسكنون بها"[4].

الحاصل أن الوضع لغة يطلق على الولادة: "وضعت المرأة حملها"، ويطلق على الإسقاط، وضعت عنك الدين "إذا أسقطته، ويطلق على الترك يقال: "وضعت الشيء بين يديه" إذا تركته. وهو جعل الشيء في مكان ما وتثبيته، سواء أكان ذلك الوضع بمعنى: الحط أو الإلقاء...

(1)- ينظر:ص52 وما بعدها

(2)- الأزهري: محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (370هـ)، **تهذيب اللغة**، تح، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط1، 2001م، (3/ 48).

(3)- الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، ط4، 1407هـ/1987م، (3/ 1300).

(4)- ابن فارس، **معجم المقاييس**، (6/ 117).

وفي القرآن:قال الله تعالى: **"يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ "** [النساء: 45]، ويقال ذلك في الحمل... وضعت الحمل فهو موضوع، قال تعالى: **"وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ"** [الغاشية: 14]. **"وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ "** [الرحمن: 8]، فهذا الوضع عبارة عن الإيجاد والخلق. ووضعت المرأة الحمل وضعاً، قال تعالى: **"فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ "** [آل عمران:36].

ولمصطلح "موضوعي" دلالة معاصرة: فهو كل مُجرَّد عن غاية شخْصيَّة، عكسه ذاتيّ، وأيضا: تعني الموضوعية: حياديّة وعدم تحيُّز، ويقال رأيٌ موضوعيّ "دراسة موضوعيَّة" وغير موضوعيّ: خارج عن محور البحث[1]، وهذا المعنى غير مقصود في هذه الدراسة...

أما الدراسة الموضوعية: هي جمع المعلومات والأدلة حول لفظ أو موضع ما في القرآن الكريم من خلال البحث والتتبع لها من مظانه بغرض استكمال صورته وبيان متعلقاته وتجليته.

والمعنى السابق ملحوظ في التفسير الموضوعي لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره ويثبت كلَّ آية في موضعها من ذاك المعنى الكلي للقضية التي يبحثها حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به[2].

ثانيا:المعنى الاصطلاحي: لمصطلح موضوعي، ثم للتفسير، ثم للمركب المزجي:

للوضع اصطلاح عند المناطقة والمحدثين وعند علماء التفسير وغيرهم.

ففي اصطلاح أصحاب العربية: "تخصيص شيء بشيء بحيث متى أطلق أو أحس الشيء الأول فهم منه الشيء الثاني والمراد بالإطلاق: استعمال اللفظ وإرادة المعنى، والإحساس: استعمال اللفظ، أعم من أن يكون فيه إرادة المعنى أولًا"[3].

وعند المناطقة: "هيئة تعرّض للشيء بسبب نسبة بعض أجزائه إلى بعض منها إلى الأمور الخارجة عنه كالقيام والقعود"[4]. أو :تعيين الشيء للدلالة على شيء .والشيء الأول هو الموضوع لفظا كان أو

(1)- أحمد مختار عبد الحميد عمر (1424هـ) بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، ط1، 1429هـ/2008م، (3/ 2457).

(2)- مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**، دار القلم، ط4، 1426هـ/2005م، (ص 16).

(3)- الجرجاني، **التعريفات**، (ص 252-253)،

(4)- التهاوني، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، (2/ 1794-1795).

غيره كالخطّ والعقد والنصب والإشارة والهيئة، والشيء الثاني هو المعنى الموضوع له. وهذا تعريف لمطلق الوضع لا لوضع اللفظ. وأمّا وضع اللفظ إنّه مشترك بين معنيين أحدهما تعيين اللفظ للدلالة على المعنى[1].

عند علماء الحديث: هو المختلق المصنوع... ولا تحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى كان إلاّ مقروناً ببيان وضعه لأنه كذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم[2].

أما عند علماء التفسير: فالموضوع عند عبد الستار سعيد: "القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن ولها جهة واحدة تجمعها عن طريق المعنى الواحد أو الغاية الواحدة"[3]. وعند د. مصطفى مسلم: "هو قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم"[4]. وذكر صاحب الكليات معنى له قريباً من اصطلاح المعاصرين فقال: "الموضوعُ هو عبارة عن المبحوث بالعلم عن أغراضه الذاتية"[5].

وعلى هذا يمكن تعريف الموضوع بأنه: مبحث علمي مختص بعرض جوانب لقضية قرآنية تعدد وتنوع ذكرها فيه.

التفسير في الاصطلاح قد تنوعت عبارات المفسرين ،وكثرت أقوالهم في بيان حدّه[6] .

فحدّه البعض بقوله: "علم جليل يفهم به كتاب الله سبحانه المنزل على نبيه محمد صلي الله عليه وسلم". وهذا التعريف ذكره الزركشي (794هـ)[7] في البرهان وأدرج تحته تعريفات أخرى...ويُختار أن يعرّف بأنه: "علم يُبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"[8].

---

(1)- الشريف الجرجاني، **التعريفات**، (ص 253)، التهاوني، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، (2/ 1795).

(2)- يراجع: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (643هـ)، **معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح**، تح: نور الدين عتر، دار الفكر-سوريا، دار الفكر المعاصر-بيروت، (د.ر.ط)، 1406هـ/1986م، (ص 98).

(3)- عبد الستار سعيد فتح الله، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، دار التوزيع والنشر الإسلامية-مصر، ط2، 1411هـ/1991م، (ص 20).

(4)- مصطفى مسلم، **التفسير الموضوعي** ، (ص 16).

(5)- الكفوي، **م.س**، (ص 868).

(6)- يمكن مراجعة الفصل التمهيدي لهذه الأطروحة ص53

(7)- الزركشي، (1/ 13).

(8)- الزرقاني، الإتقان، (2/ 3).

وعن التفسير الموضوعي: تعددت تعريفات الباحثين المعاصرين له،و منها:

تعريف عبد الستار فتح الله سعيد حدّه بقوله: "هو علم يبحث في قضايا القرآن، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة، لبيان معناها واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع"[1].

يقول أ. أحمد رحماني عنه: "هو منهج مستحدث في القرآن يستهدف سبر أغوار السور القرآنية لكشف وحدتها الموضوعية والخروج بنظرية حول الموضوع أو بتصور كامل حوله"[2]. وهذا التعريف لا يشمل ضروب التفسير الموضوعي كلها –كما سيأتي– بل يختص بما سماه التفسير الموضوعي الكشفي الذي فرّق بينه وبين التجميعي وعرّفه بقوله: "التفسير الذي يرمي إلى جمع الآيات التي تتناول موضوعاً واحداً، ثمّ العمل على ترتيبها للخروج بموضوع واحد.."[3].

الأستاذة وافق صونيا ذكرت تعريفاً أدخلت بين ثناياه علم المناسبات فقالت: "التفسير الموضوعي منهج في تفسير القرآن يعمد إلى إبراز المناسبات بين النصوص القرآنية في السورة أو أكثر للخروج بوحدة موضوعية واضحة المعالم توصل إلى نظرية فيه أو على الأقل إلى تصور قرآني حوله يصب في مقصد أو أكثر من مقاصد القرآن ويحل مشاكل واقعية"[4].

ما ذكره الكومي: أنَّه جمع الآيات القرآنية المتفرقة في سور القرآن والمتعلقة بالموضوع الواحد لفظًا أو حكمًا وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية[5].

وعرفه الفرماوي بما عرفه به الكومي ولكنه توسع في التعريف، حيث قال: "جمع الآيات القرآنية ذات الهدف الواحد، والتي اشتركت في موضوع واحد وترتيبها حسب نزولها، ما أمكن مع الوقوف على أسباب نزولها وتناولها بالشرح والبيان والتعليق والاستنباط وإفرادها بالدرس المنهجي الموضوعي"[2].

---

(1)– عبد الستار سعيد فتح الله، المدخل إلى التفسير الموضوعي، (ص 20)..

(2)– أحمد رحماني، جهد الشاطبي (790هـ): **"في التفسير الموضوعي الكشفي"**، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية– الإمارات، ع27، ربيع الآخر 1425هـ/ جوان 2004م، (ص 55).

(3)– أحمد عثمان رحماني، **م.س**، (ص 48).

(4)– صونيا وافق، **دروس في التفسير الموضوعي التنظير للمنهج**، مكتبة اقرأ–قسنطينة–الجزائر، ط1، 1426هـ/2006م، (1/ 9).

(5)– أحمد سيد الكومي، محمد أحمد يوسف القاسم، **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، ط1، 1402هـ/1981م، (ص 17). وهذا التعريف مستقى من كلامهما وليس نقلاً حرفياً.

ورجّح مصطفى مسلم –بعد أن ذكر تعريفات أخرى– التعريف التالي: "علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر"[1]. وقيل: "هو إفراد الآيات القرآنية التي تعالج موضوعاً واحداً وهدفاً واحداً، بالدراسة والتفصيل، بعد ضم بعضها إلى بعض، مهما تنوعت ألفاظها، وتعددت مواطنها – دراسة متكاملة مع مراعاة المتقدم والمتأخر منها–، والاستعانة بأسباب النزول، والسنة النبوية، وأقوال السلف الصالح المتعلقة بالموضوع"[2]. واختار فهد الرومي هذا التعريف: "جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن قضية أو موضوع واحد ،وتفسيرها مجتمعة واستنباط الحكم المشترك منها ومقاصد القرآن فيها"[3].

وذكر الدكتور عبد المنعم القصاص عدة تعريفات منها [4]:

– **التفسير الموضوعي**: "هو جمعُ ما تكرر في القرآن الكريم في موضوع واحد أو هو تفسير القرآن بالقرآن".

– **التفسير الموضوعي**: "هو عبارة عن الكشف عن معاني آيات القرآن الكريم والغوص في أعماقها للوصول إلى مراد الله تعالى منها بقدر الطاقة البشرية".

– **التفسير الموضوعي**: "هو جمعُ الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد مشتركة في الهدف، وترتيبها على حسب النزول كلما أمكن ذلك، ثم تناولها بالشرح والتفصيل، وبيان حكمة الشارع في شرعه وقوانينه، مع الإحاطة التامة لكل جوانب الموضوع كما ورد في القرآن الكريم، والكشف عن أهدافه ومقاصده".

– **التفسير الموضوعي**: "هو تقسيمُ آيات القرآن الكريم إلى مجموعات كل مجموعة منها تندرج تحت عنوان يشملها جميعاً، فهذه الآيات المتفرقة تكوِّن بحثاً مستقلاً متميزاً عن غيره ذات موضوع واحد وهدف واحد".

---

(1)– مصطفى مسلم، **م.س**، (ص 16).

(2)– أحمد بن عبد الله الزهراني، **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه**، الجامعة الإسلامية–المدينة المنورة، الأعداد 85–100، السنوات 22–25 المحرم 1410هـ – ذو الحجة 1413 هـ، (ص 12).

(3)– فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**، مكتبة التوبة–السعودية، ط4، 1419هـ، (ص 62).

(4)– يراجع: عبد المنعم علي إبراهيم القصاص، **دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، مطبعة الحسين الإسلامية–القاهرة، ط1، 1411هـ/1990م، (ص 27).

هذه التعريفات، أو التعاريف، قد تنوعت حدودها، بين مجمل ومفصل لحقيقة العمل في التفسير الموضوعي، كما أنها متداخلة مع بعضها البعض، ولا تضبط في مجملها المفهوم العلمي الدقيق له، فالبعض يصفه بأنه :" علم" ، البعض الآخر يرى أنه فقط منهج للبحث-وهو الغالب على ما يلاحظ -.

واختلاف الدارسين له في حده-وفي مبادئ أخرى منه- هو الذي يخرجه من دائرة العلم ،وقد يؤكد أنه منهج لتدبر القرآن،سلكه كثير من علماء العصر، وليس علماً مستقلاً بذاته، فالعلوم تحتاج إلى ما يضبطها، ابتداءً من ماهيتها فقواعدها وأسسها ومناهجها وغير ذلك مما يمتاز به كل علم...

وعليه، وبالاعتماد على كون مصطلح (موضوعي) يراد به قضية، أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم،إذا أضيف له التفسير صار: **منهجاً من مناهج البحث لبيان المراد من كلام الله عزّ وجل لقضايا محددة بطريق خاص.**

المطلب الثاني: نشأة التفسير الموضوعي:

اختلف الباحثون في نشأة التفسير الموضوعي، فهناك من قال بحداثتها، وهناك من يرى قدمها، والفريق الأخير انقسم إلى اتجاهين: من يضيّق في النشأة، ومن يوسّع فيها.

أولا: تفصيل الاتجاهات فيه:

الاتجاه الأول: فيرى أصحابه أن التفسير الموضوعي هو منهج جديد في فهم القرآن الكريم، لتجلية هداياته وإعجازه وقدرته على التعامل مع الواقع المعيش. ويتصدر هذا الاتجاه الأستاذ أمين الخولي[1] (1385هـ)[2]. وأشارت زوجه د. عائشة عبدالرحمن إلى معالم منهجه، ونظرته حول التفسير الموضوعي للقرآن الكريم وقالت عنه: "كان المنهج المتبع في درس التفسير -إلى نحو ربع قرن من الزمان- تقليدياً

(1)- **أمِين الخَوْلي** (**1313-1385هـ/1895-1966م**): من أعضاء المجمع اللغوي بمصر. ولد في قرية شوشاي بالمنوفية وتعلم بالأزهر تخرج بمدرسة القضاء الشرعي.وعين للشؤون الدينية في السفارة المصرية ثم نقل إلى برلين، ثم عاد إلى مصر. وعين أستاذا في الجامعة المصرية (القديمة)، ثم وكيلا لكلية الآداب الى سنة 1953 فمديرا للثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم الى سنة 1955 ..ومثّل مصر في عدة مؤتمرات. وتوفي بالقاهرة.له (البلاغة العربية) و(كناش في الفلسفة) و(فن القول) وغيرها...الزركلي، **الأعلام**، (2/ 16).

(2)- أمين الخولي، **مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير**، دار المعرفة، ط1، 1961م، (ص 300 وما بعدها).

أثرياً، لا يتجاوز فهم النص القرآني على نحو ما كان يفعل المفسرون من قديم. حتى جاء شيخنا الإمام "الأستاذ أمين الخولي" فخرج به عن ذلك النمط التقليدي، وتناوله نصا لغويا بيانيا على منهج أصله، وتلقاه عنه تلامذته وأنا منهم..."[1]. وسار على ذات الطريقة الأستاذ محمد باقر الصدر[2].

كما أنكر زياد الدغامين –أيضاً– أن تكون البذور الأولى عائدة للقرن الأول؛ لأن تلك الإشارات لا تثبت وحدة الموضوع في القرآن، أو في السورة، وغاية الأمر أن هذا المسلك يشبه في صورته صورة الجمع الموضوعي لآيات القرآن التي تعالج قضية معينة على نطاق محدود. وكذلك المصنفات التي وضعت بعد ذلك عن الناسخ والمنسوخ ومجاز القرآن وغريبه وإعجازه وما إلى ذلك. فهي وإن عالجت موضوعاً معيناً لكنها تفتقر إلى الرابط بين مفردات ذلك الموضوع وعناصره وأهدافه ومقاصده فضلاً عن كون المنهج الذي يحكمه أليس منهجاً تفسيرياً، ومنهجية البحث فيها لا تختلف عن منهجية البحث في العلوم الأخرى دون التطرق إلى الواقع أو مستجدات العصر[3].

الاتجاه الثاني: يرى أصحاب هذا الاتجاه أن البذور الأولى للتفسير الموضوعي نشأت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال تفسير القرآن بالقرآن، ثم من خلال التفاسير التي اهتم أصحابها بجمع المتشابه اللفظي للقرآن، وما هو من قبيل المشكل فيه ، وغير ذلك...

ثم نمت بذوره من خلال بعض المصنفات في مجاز القرآن ومفرداته، وناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله، وغيرها... وأن منهج التفسير الموضوعي ليس بجديد على بساط الدراسات القرآنية، وإنما هو فقط قد استوى على سوقه في القرن الرابع عشر من الهجرة.

وممن ذهب إلى هذا: محمد حسين الذهبي[4] (1398هـ) الذي عدّ بداياته من خلال المصنفات المختلفة في أقسام القرآن ومجازه ومفرداته وغيرها، ووافقه الرأي كل من: عبد الحي الفرماوي، وأحمد الكومي وزاهر الألمعي، وعبد الستار سعيد، وأحمد جمال العمري، ومصطفى مسلم، وعبد الجليل عبد الرحيم وصلاح الخالدي وفضل حسن عباس وفهد الرومي وأحمد رحماني وغيرهم...

---

(1)– عائشة محمد علي عبد الرحمن بنت الشاطئ (1419هـ)، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، دار المعارف–القاهرة، ط7، (د.ت.ط)، (1/ 13).

(2)– يمكن مراجعة رأيه في مؤلفه –المدرسة القرآنية– المطبوع بمطبعة بيروت.

(3)– زياد خليل الدغامين، **التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه**، دار البشير–الأردن، ط1، 1416هـ/1995م، (27 وما بعدها)

(4)– الذهبي: محمد السيد حسين (1398هـ)، **التفسير والمفسرون**، مكتبة وهبة–القاهرة، (1/ 110).

فعند هؤلاء[1] كانت بواكير التفسير الموضوعي في تاريخ الإسلام عند الجاحظ (255هـ) حين كَتَبَ عن النار في القرآن الكريم، ثم كتب ابن تيمية (728هـ) رسالة عن لفظة "السنة" في القرآن الكريم، ثم نضج على يد أصحاب الوجوه والأشباه، ومن أوائل من كتب في هذا العلم: عكرمة[2] مولى ابن عباس (105هـ)، ويحيى بن سلام[3] (200هـ)، وكتابه: "التصاريف"، أبو العباس المِبْرد[4] (286هـ) وكتابه: "ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد"، الحكيم الترمذي[5] (255هـ)، وكتابه: "تحصيل نظائر القرآن"،أو الأشباه والنظائر في القرآن الكريم الذي يدرس مفردات القرآن الكريم في كل وجوه استعمالها في إطار القرآن نفسه.

بالرغم من كل تلك الجهود، إلاّ أنّ المنهج الموضوعي ما كان واضحاً إلى درجة يمكن فيها التنظير العلمي له[6] ، إلى أن ظهر جيل المفسرين[1] الذين عُنيوا في تفاسيرهم بالوحدة الموضوعية للقرآن الكريم.

---

(1)-ينظر: زهراء خالد سعد الله العبيدي، **"بين علم المناسبة والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة منهجية مقارنة"**، المجلة العالمية لبحوث القرآن، ع2،م1،س2012م،(ص 75).

(2)- **عِكْرمة البَرْبَري (25-105هـ/645-723م)**: عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس: تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعياً... وكانت وفاته بالمدينة... الزركلي، الأعلام، (4/ 244).

(3)- **يحيى بن سَلَّام (124-200هـ/742-815م)**: بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي: مفسر، فقيه، عالم بالحديث واللغة، أدرك نحو عشرين من "التابعين" وروى عنهم. ولد بالكوفة، وانتقل مع أبيه إلى البصرة، فنشأ بها ونسب إليها. ورحل إلى مصر، ومنها إلى إفريقية فاستوطنها. وحج في آخر عمره، فتوفي في عودته من الحج، بمصر. من كتبه (تفسير القرآن)...الزركلي، **الأعلام**، (8/ 148).

(4)-**المِبْرَد (210-286هـ/826-899م)**: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس،: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. من كتبه (الكامل) و(المذكر والمؤنث) و(المقتضب) و(التعازي والمراثي) وغيرها... قال الزبيدي في شرح خطبة القاموس: المبرّد بفتح الراء المشددة عند الأكثر وبعضهم يكسر. الزركلي، **الأعلام**، (7/ 144).

(5)- **الحَكِيم التِّرْمِذِي (000- نحو 320هـ/000- نحو 932م)**: محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله،: باحث، صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين... اضطرب مؤرخوه في تاريخ وفاته، فمنهم من قال سنة 255 وسنة 285هـ ...أما كتبه، فمنها (نوادر الأصول في أحاديث الرسول) و(غرس الموحدين) و(الرياضة وأدب النفس) و(غور الأمور) و(المناهي) و(شرح الصلاة) (العقل والهوى) وغيرها...الزركلي، **الأعلام**، (6/ 272).

(6)- عبد الرحمن الحاج إبراهيم، **المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم وتأويله، رسالة المسجد**، ع1، 1424هـ/2003م، (ص 6).

ثانيا: من صور جهود القدامى في التفسير الموضوعي:

تعدد صور جهود القدامى في هذا المجال، والجامع لها أنها تشير إلى قدم الفكرة التي يقوم عليها التفسير الموضوعي.

✓ **منها تفسير القرآن بالقرآن:** من خلال جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد وتفسير بعضها ببعض، وهذا أعلى درجات التفسير الموضوعي...[2]. وهذا –بداية– كان فعل النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة من بعده كما هو معروف في حقيقة التفسير بالمأثور.

كما اعتمده بعض قدامى المفسرين من مثل[3]: هود بن محكَّم الهوَّاري[4] (حوالي280هـ)[5] في تفسيره فقد استخدم هذا النمط في مواضع عديدة من كتابه، مثلاً عند تفسيره قوله تعالى: ﴿قُل لِّلذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: 12]، يذكر بعدها كل آية ورد

---

(1)– من هؤلاء المفسرين: الزمخشري في (الكشاف) ، والرازي في (مفاتيح الغيب) ، ومحمد عبده في (تفسيرا لمنار) ، وسعيد حوى في (الأساس في التفسير) ، وسيد قطب في (في ظلال القرآن) ، محمد درّاز في (النبأ العظيم) ، ومحمد الغزالي في نحو(تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم) ، وأمين الخولي في (من هَدْيِ القرآن).

(2)– فهد الرومي، **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**، (ص 63)

(3)– يقول محقق الكتاب ما نصه: "واليوم، وبعد أكثر من عشر سنوات من التحقيق والمقارنة والاستقراء، أستطيع أن أقول بدون تردد إن الشيخ هود الهواري اعتمد اعتمادا كثيرا ،إن لم أقل اعتمادا كليا، على تفسير ابن سلام المصري.ولو جاز لي أن أضع للكتاب عنوانا غير الذي وجدته في المخطوطات لكان العنوان هكذا:تفسير الشيخ هود الهواري (مختصر تفسير بن سلاّم البصري)..."، ولكن، يُعتقد أن المحقق قد استعجل في حكمه هذا، والقطع فيه غير جازم، وذلك بملاحظة مسألتين مهمتين:الأولى: أن مذهب الشيخ الإباضي يحتّم عليه أن يؤول عدة آيات بما يوافق مذهبه، فيخرج به بما قد لا يراه يحيى بن سلاّم البصري، كما أن تفسير هذا الأخير مفقود في معظمه، وهذا = ما صرّح به المحقق نفسه حيث قال: "... فتمّ لي بذلك جمع ما يقرب من ثلثي تفسير بن سلام" (هامش ص24)، فكيف يكون الاستقراء يقينياً وهو مبني على البعض، وليس الكل؟.

(4)– **هود بن محكّم الهواري (ق3هـ/9م)**: الأوراسي: مفسرو فقيه إباضي، من أقدم مفسري كتاب الله العزيز في المغرب الأوسط. نشأ وتعلم بتيهرت، عالم متقن، كان والده قاضياَ، وأخذ العلم عنه وعن غيره، قيل في الأندلس، وقيل في تيهرت، وقيل في القيروان. من آثاره (تفسير القرآن الكريم)، يراجع: عادل نويهض، **مُعجَمُ أعلام الجزائِر –مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر–**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر–بيروت–لبنان، ط2، 1400هـ/1980م، (ص 338)، ويراجع:محمد بن موسى بابا عمي و د.مصطفى بن صالح باجو وآخرون، **معجم أعلام الإباضية–من القرن الأول هجري إلى العصر الحاضر–قسم المغرب العربي**، دار الغرب الإسلامي–بيروت، المطبعة العربية–غرداية–الجزائر، ط1، 1421هـ/2000م، (2/ 443).

(5)– رجّح هذا التاريخ محقق التفسير بالحاج شريفي: ينظر، **م.س**، (ص 18).

فيها لفظ "مهاد" أو ما يقربه ،يقول: "و في آية أخرى: **"لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَاد"** [الأعراف: من 40]. وقال في آية أخرى: **"لَهُم مِّن فَوْقِهِم ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِم ظُلَلٌ"** [الزمر:من 15]، وهو واحد كله..."[1].

إن المثال السابق، وأمثلة أخرى كثيرة ذكرها المفسر، لتدل وبشكل واضح على النهج الذي نهجه المفسر، والذي يؤكد مدى اهتمامه بهذا اللون من التفسير، وهذا يجعله من أوائل من وضعوا اللبنات الأولى لبدايات التفسير الموضوعي.

✓ **منها تفسير آيات الأحكام:** وهذا منهج قديم أيضاً، انتهجه بعض المفسرين بتتبع آيات الأحكام الفقهية دون غيرها، كما فعل الجصّاص[2] (370هـ) وابن العربي (543هـ) والقرطبي (671هـ)...[3].

✓ **منها الأشباه والنظائر:** وهو [4] علم جليل، وعلاقته بالتفسير الموضوعي واضحة وقد اعتنى به الأقدمون والمتأخرون وألفوا فيه كتبا قيمة.

يقول الحافظ ابن الجوزي (597هـ): "وقد نسب كتاب في الوجوه والنظائر إلى عكرمة، وكتاب آخر إلى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وممن ألف في الوجوه والنظائر الكلبي، ومقاتل بن سليمان، وأبو الفضل العباسي بن الفضل الأنصاري، وروى مطروح بن محمد بن شاكر عن عبد الله بن هارون الحجازي عن أبيه كتاباً في الوجوه والنظائر، وأبو بكر محمد بن الحسن النقاش، وأبو عبد الله الحسن بن محمد الدامغاني، وأبو علي بن البناء من أصحابنا، وشيخنا أبو الحسن علي بن عبيد الله ابن الزاغوني، ولا أعلم

(1)- هود بن محكم، **تفسير كتاب الله العزيز**، تح: بالحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي-بيروت-لبنان، ط1، 1990م، (1/ 270).

(2)- **الجصّاص (305-370هـ/917-980م)**: أحمد بن علي الرَّازي، أبو بكر: فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها. انتهت إليه رئاسة الحنفية. وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع. وألف كتاب (أحكام القرآن) وكتابا في (أصول الفقه)، الزركلي، **الأعلام**، (1/ 171).

(3)- فهد الرومي، **م.س**، (ص 64).

(4)- وهو-كما ذكر ابن الجوزي: "أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه..ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ)، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة-بيروت-لبنان، ط1، 1404هـ/1984م، (ص 83).

أحدا جمع الوجوه والنظائر سوى هؤلاء"[1]. زاد الزركشي (794هـ): وأبو الحسن بن فارس وسمى كتابه: "الأفراد"[2]. وزاد السيوطي(911هـ): ومحمد بن عبد الصمد المصري، ثم قال: وقد أفردت في هذا الفن كتابا سميته: "معترك الأقران في مشترك القرآن"[3].

وقد سبق السيوطي(911هـ) في التأليف :ابن العماد[4](887 هـ) وعنوان كتابه "كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر".

وبيّن أهل العلم معنى أو المقصود بالوجوه والنظائر، فقال ابن الجوزي[5] (597هـ): "واعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضوع الآخر. وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الآخر هو الوجوه، فإذن النظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعاني، فهذا الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر. والذي أراده علماء كتب الوجوه والنظائر أن يعرفوا السامع لهذه النظائر أن معانيها تختلف، وأنه ليس المراد بهذه اللفظة ما أريد بالأخرى"[6].

---

(1)- ابن الجوزي (597هـ)، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، (ص 82-83).

(2)- الزركشي، م.س، (1/ 102).

(3)- السيوطي، **الإتقان**، (2/ 121)، الزهراني، **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه**، (ص 16).

(4)- **ابن العِمَاد (825-887هـ/1422-1482م)**: محمد بن محمد بن علي البلبيسي ثم القاهري، شمس الدين المعروف بابن العماد، وهو لقب جد والده: فاضل، من الشافعية. ولد وتعلم في (بلبيس) بمصر، وانتقل إلى القاهرة. وتكرر تمجاورته بمكة، وجاور بالمدينة أيضا. وتكسب بالنساخة فكتب بخطه عدة كتب، قيد على بعضها (حواشي) نافعة، واختصر (تفسير البيضاوي) مع زيادات حسنة. وتوفي بالقاهرة وله:كتاب (كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر) ..الزركلي، **الأعلام**، (7/ 50).

(5)- **ابن الجَوْزي (508-597هـ/1114-1201م)**: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها. له نحو ثلاث مئة مصنف، منها (تلقيح فهوم أهل الآثار، في مختصر السير والأخبار) و(الأذكياء وأخبارهم) و(مناقب عمر بن عبد العزيز) و(روح الأرواح) و(فنون الأفنان في عيون علوم القرآن)، (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر) وغيرها...الزركلي، **الأعلام**، (3/ 316-317).

(6)- ابن الجوزي، **م.س**، (ص 83).

وعلى هذا المنوال مشى الزركشي (794هـ) في البرهان فقال: "فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ "الأمة". والنظائر كالألفاظ المتواطئة". وذكر غير هذا وتبعه السيوطي في الإتقان[1].

ومن جهود القدامى في هذا الفن : مقاتل بن سليمان الأزدي[2] (150هـ)؛ حيث ألّف فيه كتاباً قيما سماه: "تفسير الخمسمائة آية في الأمر والنهي والحلال والحرام" جعل ترتيبه على طريقة الفقهاء في تأليفهم، بدأه بتفسير الإيمان، ثم ذكر أبواب الصلاة، ثم الزكاة، ثم الصيام، ثم الحج، ثم المظالم، ثم المواريث، ثم الربا، ثم الخمر، ثم النكاح، ثم الطلاق، ثم الزنا، ثم ذكر بعض الآداب والمعاملات في دخول البيوت، ثم ذكر أبواب الجهاد. وهو وإن لم يستقص ذكر الآيات ذات الموضوع الواحد في مكان واحد؛ فهو بحق من أوائل العلماء الذين كتبوا فيما هو متعلق بالتفسير الموضوعي[3]. والغالب على هذا اللون من التفسير الناحية اللغوية للكلمات التي اتحدت مادتها واختلفت دلالاتها.

✓ **ومنها: الدراسات التفسيرية**[4]: التي عنيت بما اتفق في موضوع واحد أو مسألة مشتركة مثل النسخ، القسم، المثل، المشكل وغيرها وتناولتها بالبحث والدراسة... ومن مثل تلك المؤلفات:

-الناسخ والمنسوخ لأبي عبيدة القاسم بن سلام.

-تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة.

-التبيان في أقسام القرآن لابن القيم... وغيرها.

✓ **ومنها: الدراسات المهتمة بالتقعيد الكلي**: الذي يقوم على فكرة الإدراك الشمولي، والنظرة الكلية للأشياء، والأفكار والقضايا، للتوصل إلى فهم الجزء الواحد، أو الأجزاء المتماثلة، في ظل ذلك السياق الكلي للنص.

---

(1)- الزركشي، **م.س**، (1/ 102).

(2)- **مقاتل بن سُلَيْمان (000-150هـ/000-767م)**: بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، أبو الحسن: من أعلام المفسرين. أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدّث بها. وتوفي بالبصرة. كان متروك الحديث. من كتبه (التفسير الكبير)، (نوادر التفسير)، (الرد على القدرية)، (متشابه القرآن)، (الناسخ والمنسوخ)، (القراءات)، (الوجوه والنظائر).الزركلي، **الأعلام**، (7/ 281).

(3)- الزهراني، **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه**، (ص 15).

(4)- فهد الرومي، **م.س**، (ص 65).

هذا الأسلوب في التفكير قديم، تمتد جذوره إلى الجاحظ (255هـ) في كتابه: "نظم القرآن"، وكذا الحاتمي(388هـ)[1] في: "حلية المحاضرة"، مرورا إلى الجرجاني (471هـ)[2] ونظرية النظم التي تعتمد على فكرة ترابط الأجزاء بعضها ببعض، بانتظام واتساق وتوافق[3].

ثم نضجت الفكرة واستوت لتتبلور في منهج يقترحه بعض العلماء في تفسير القرآن يرتكز بالخصوص على الاستعانة بمقاصد الشريعة بصورة أوضح. وهذا ما كان جلياً في اجتهادات أعلام مثل: الشاطبي (790هـ) في الموافقات، حين كتب في التأصيل للكليات وأهميتها في البناء الفكري، وما يستلزمه من تيسير طرائق الفهم[4]، ومن بعده السيوطي (911هـ) في عدة مؤلفات منها: أسرار ترتيب السور، والبقاعي (885هـ) في نظم الدرر وغيرهم[5].

✓ **ومنها:** يندرج في التفسير ما يدعى بالتكشيف الموضوعي ويراد به تحليل آية تحليلا موضوعيا وفق دلالاتها ومن تم التعبير عنها برؤوس الموضوعات [6]، ومشكلته أنه خاضع لفهم النص ووسائل التعبير عنه، الشيء الذي يتفاوت فيه الناس.[7]

ولم يكن الاهتمام بهذا اللون قاصراً على الباحثين المسلمين، بل حتى المستشرقين منهم؛ حيث كتب المستشرق الفرنسي جول لابوم[1] (Jules La Beaume) (1876م)كتابه:" Le Koran Analyse" "تفصيل آيات القرآن" ذكر فيه 350 موضوعاً من مواضيع القرآن...[2].

---

(1)- **الحاتِمي (000-388هـ/000-998م)**: محمد بن الحسن بن المظفر، أبو علي: أديبنّقاد، من أهل بغداد.له (الرسالة الحاتمية) و(حلية المحاضرة) في الأدب والأخبار، و(سر الصناعة) في الشعر، و(الحالي والعاطل) أدب، و(مختصر العربية) وغير ذلك.الزركلي، **الأعلام**، (6/ 82).

(2)- حيث يقول في دلائل الإعجاز: "أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس"، الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، (1/ 55).

(3)- أحمد عثمان رحماني، **جهد الشاطبي في التفسير الموضوعي الكشفي**، (ص 49-51).

(4)- وهذا التيسير هو الدافع الأول لاستحداث منهج التفسير الموضوعي في هذا العصر الحالي.

(5)- يراجع: أحمد عثمان رحماني، **م.س**، (ص 48-51).

(6)-أ.د. مساعد الطيار،، كشافات آيات القرآن الكريم -دراسة للاتجاهات النوعية والعددية وطرائق الترتيب-،مكتبة شبكة التفسير والدراسات القرآنية،(ص5)،www.tafsir.net

7-يراجع:د.أحمد بن محمد البريدي، تفصيل آيات القرآن الحكيم للمستشرق الفرنسي جول لابوم،-قراءة وصفية و نقدية-،جامعة الشارقة، مؤتمر التفسير الموضوعي واقع وآفاق،2010م- 1431هـ،(ص9-10.)

وقد اشتهر عند بعض الباحثين [3] أن أول من وضع كتبا على هذا النمط بنوعيه[4]: اللفظي والموضوعي هم المستشرقون وعلى رأسهم جول لابوم(1876م) إلا أن الواقع خلاف ذلك حيث [5] إن العالم التركي محمود الوارداري[6](1054هـ) ، كان سباقا لذلك في كتابه :ترتيب زيبا[7]" .

ويظهر مما سبق أنه: إذا كان التفسير الموضوعي قد استوى على سوقه في العصر الحديث، بكونه منهجاً مستحدثاً لفهم القرآن؛ إلاّ أن نواته الأولى كانت مصاحبة لبداية التفسير ككل، وبعديد أشكاله، وطرقه.

ومن رواد هذا الفن في هذا العصر:الأستاذ محمدعبده[8] (1323 هـ)، ومعه الأستاذ محمد رشيد رضا[1] (1354هـ) وسيد قطب[2] (1387هـ)، المراغي[3] (1371هـ)، محمد فريد وجدي[4]

---

(1)-جول لابوم: مستشرق فرنسي ولد سنة 1806م وتوفي سنة 1876م، ويبدو أنه من المستشرقين المغمورين لأنه لم يوقف على ترجمته في تراجم المستشرقين المعروفة منها معجم أسماء المستشرقين د.يحيى مراد، موسوعة المستشرقين د.عبد الرحمن بدوي، المستشرقون لنجيب عقيقي.ينظر:تفصيل آيات القرآن الحكيم للمستشرق الفرنسي جول لابوم، قراءة وصفية و نقدية،(ص10)،

(2)- كتاب تفصيل آيات القرآن: ألفه باللغة بالفرنسية المستشرق "جول لابوم" ونقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي من المعاصرين. رتب واضعه موضوعات القرآن الكريم في ثمانية عشر بابًا، وجعل تحت كل باب ما ورد فيه من آيات القرآن العظيم، وقد بلغت هذه الفروع "350" ثلاثمائة وخمسين فرعًا. ويذكر إلى جانب كل آية رقمها ورقم السورة في المصحف الشريف هذه الأبواب هي: التاريخ،محمد(صلى الله عليه وسلّم)، التبليغ، بنو إسرائيل، التوراة، النصارى، ما وراء الطبيعة، التوحيد، القرآن، الدين، العقائد، العبادات، الشريعة، النظام الاجتماعي، العلوم والفنون، التجارة، علم تهذيب الأخلاق،النجاح. ينظر: محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب،**لمحات في المكتبة والبحث والمصادر**، مؤسسة الرسالة،ط19 ، 1422 هـ - 2001م،(ص130) وكذا:أ.د.مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**، (ص 21).

(3)- وهو حسين، السايح في كتابه:علي. سبيل الهدى: دراسة تاريخية وتبويب موضوعي لآيات من القرآن الكريم طبعته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا سنة :1999.

(4)-ذكر أ .د الطيار أنواعا أخرى له يمكن مراجعتها في المرجع أدناه.

(5)-أ.د. مساعد الطيار، **كشافات آيات القرآن الكريم** ،(ص10)،وكذا: أحمد بن محمد البريدي،**م.س**،(ص10)

(6)- الوارداري (000 - 1061 هـ؟ = 000 - 1651 م):محمود بن عبد الله الوارداري: فرضي، مدرس. رومي حنفي من أهل (واردار) في تركيا. له تصانيف عربية وتركية، منها (ترتيب زيبا) فهرس للآيات القرآنية، وضعه بالتركية سنة 1054 هـ وترجم إلى العربية. منه نسخ في التيمورية ودمشق وصوفية، و (بحر المسائل) و (معين المنتهي) كلاهما في الفرائض (فهرس للآيات .ينظر: للزركلي، الأعلام ،(7 /176)

(7)-ويعني الترتيب الجميل:باللغة الفارسية .

(8)- **محمد عبده (1266-1323هـ/1849-1905م)**: بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، تصوف وتفلسف. وعمل في التعليم، وكتب في الصحف، وتولى منصب القضاء، ثم مستشاراً في

(1373هـ)، محمود شلتوت[5] (1383هـ)، أمين الخولي (1385هـ) وعبد القادر المغربي[6] (1375هـ) وغيرهم... وقد أخذت هذه المدرسة الأدبية الاجتماعية على عاتقها موضوعي: الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

محكمة الاستئناف، فمفتياً، توفي بالإسكندرية، ودفن في القاهرة. له (تفسير القرآن الكريم) لم يتمه، و(رسالة التوحيد) و(الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) ...الزركلي، **الأعلام**، (6/ 252-253).

(1)- **محمَّد رَشِيد رِضا (1282-1354هـ/1865-1935م)**: د بن علي بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير ،كتب في بعض الصحف، لازم الشيخ محمد عبده أنشأ مدرسة (الدعوة والإرشاد). أشهر آثاره مجلة (المنار) ، و(تفسير القرآن الكريم)، و(تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده)، و(الوحي المحمدي) وغيرها...الزركلي، **الأعلام**، (6/ 126).

(2)- **سَيِّد قُطْب (1324-1387هـ/1906-1967م)**: ابن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري،تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) وعمل في جريدة الأهرام. وكتب في مجلتي (الرسالة) و(الثقافة) وعين مدرساً للعربية، فموظفاً في ديوان وزارة المعارف. ثم (مراقبا فنيا) للوزراة. وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا، ولما عاد انتقد البرامج المصرية... عكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن أعدم، من كتبه: (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه) و(العدالة الاجتماعية في الإسلام) و(التصوير الفني في القرآن)، وغيرها... الزركلي، **الأعلام**، (3/ 147-148).

(3)- **المَراغي (000-1371هـ/000-1952م)**: أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء. تخرج بدار العلوم سنة 1909 ثم كان مدرّس الشريعة الإسلامية بها. وولي نظارة بعض المدارس. وتوفي بالقاهرة. له كتب، منها (الحسبة في الإسلام) و(الوجيز في أصول الفقه) و(تفسير المراغي) ...الزركلي، **الأعلام**، (1/ 258).

(4)- **محمَّد فَرِيد وَجْدي (1295-1373هـ/1878-1954م)**: ابن مصطفى: مؤلف (دائرة المعارف) من الكتاب الفضلاء الباحثين.ولد ونشأ بالإسكندرية. أنشأ مطبعة أصدر بها جريدة (الدستور) يومية، مدة، ثم (الوجديات)، و(صفوة العرفان) وهو تفسير موجز للقرآن، و(الإسلام في عصر العلم) مجلدان، و(كنز العلوم واللغة) وغيرها. تولى تحرير مجلة (الأزهر) نيفا وعشر سنين وتوفي بالقاهرة. الزركلي، الأعلام، (6/ 329).

(5)- **شَلْتُوت (1310-1383هـ/1893-1963م)**: محمود: فقيه مفسر مصري. وتخرج بالأزهر (1918) وتنقل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي ،وكان داعية إصلاح ويقول بفتح باب الاجتهاد. وعمل في المحاماة كان من أعضاء مجمع اللغة العربية ثم شيخاً للأزهر إلى وفاته. وكان خطيباً موهوباً جهير الصوت. له 26 مؤلفاً مطبوعاً، منها (التفسير) أجزاء منه في مجلد، ولم يتم، (القرآن والمرأة)، (والقرآن والقتال) و(هذا هو الإسلام) وغيرها...الزركلي، **الأعلام**، (7/ 173).

(6)- **المَغْرِبي (1284-1375هـ/1868-1956م)**: عبد القادر بن مصطفى المغربي الطرابلسي: نائب رئيس المجمع العلمي العربيّ بدمشق.من العلماء باللغة والأدب. أصله من البلاد التونسيية من بيت "درغوت" ومولده في اللاذقية، انصرف إلى الصحافة فكتب كثيرا في كبريات الجرائد.وأصدر جريدة "البرهان"، وتولى التحرير في جريدة "الشرق"...من كتبه: (الاشتقاق والتعريب)، و(البيّنات)، و(الأخلاق والواجبات)، و(تفسير جزء تبارك – ط)، و(على هامش التفسير)...الزركلي، **الأعلام**، (4/ 47).

ويرى أ. فضل حسن عباس أن أول من دعا صراحة إلى هذا الاتجاه من أعلام هذه المدرسة الشيخ محمود شلتوت (1383هـ) في كتابيه:" القرآن والمرأة" و"القرآن والقتال": حيث جمع الآيات المتعلقة بكلا الموضوعين وفق مفردات رأى أن يبحثها[1].

المطلب الثالث: دواعي ظهور مصطلح التفسير الموضوعي المعاصر وفوائده:

القرآن نزل للناس جميعاً منذ مبعثه صلى الله عليه وسلم وإلى قيام الساعة، فلا بد أن يظهر في كل عصر، ومع كل جيل مدى شموله وكماله وصلاحيته وتلائمه مع جميع المعطيات والمستجدات. ولذلك كان انتشار التفسير الموضوعي في هذا الزمن له دواعيه وأسبابه ومنها تنبثق فوائده

أولا: بالنسبة للدواعي والأسباب: يمكن حصرها في:

- ✓ وجود أمور مستجدة جاءت بعد أن لم تكن في العصور الماضية فلا بد من بيان حكم القرآن في هذه القضايا، وهذا لا يكون إلاّ من خلال البحث في القرآن ذاته لاستخلاص الأحكام التي تتعلق بهذه القضايا والمستجدات على اختلاف تنوعها.
- ✓ بُعد الناس عن زمن التنزيل وجهلهم بكثيرٍ من قضايا القرآن وأحكامه المتعلقة بشئونهم الخاصة والعامة، وبالتالي هم في حاجة ماسة لمثل هذه الموضوعات القرآنية التي تجمع كل ما يتعلق بالموضوع الواحد من آيات متفرقة في سور القرآن، فيتعرفون مثلاً على الأخلاق في القرآن الكريم، وعلى أحكام البيوع في القرآن الكريم، وعلى أحكام السلم والحرب في القرآن الكريم، وغيرها من الأحكام والموضوعات المتعددة.
- ✓ حاجة الناس إلى دراسات متخصصة ومتعمقة في الموضوعات القرآنية مع وجود علماء قد تخصصوا في تفسير القرآن وعلومه خاصة، كل ذلك دعم وسهّل وجود هذا النوع من التفسير، بخاصة وأنه ليس من السهل أن يوقف على هذا الهدف من خلال كتب التفسير التحليلي: التي تحوي بين ثناياها التفسير وغيره من علوم لها علاقة بالنص القرآني[2].

(1)- فضل حسن عبَّاس، **التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث**، دار النفائس للنشر والتوزيع- الأردن، ط1، 1437هـ/2016م، (1/ 651).

(2)- يراجع: د. عبد الستار فتح الله سعيد، **المدخل إلى التفسير الموضوعي** ، (ص 34). وفي هذا المعنى أيضاً سيد الكومي ومحمد أحمد القاسم، **م.س**، (ص 17 وما بعدها)

- ✓ وجود شبهات وطعونات ضد الإسلام والمسلمين، أثارها أعداء الإسلام من منصرين ومستشرقين، وحتى بعض الحداثيين، وانطلقوا في شبهاتهم من خلال دراسات ومعاجم وفهارس وضعوها لتعينهم وتسهل عليهم اختلاق الشبهات، فكان لا بد من وجود ردود حاسمة تحمل نفس المنهج الموضوعي لدفع تلك الشبهات وإثبات بطلانها، وأهم تلك الشبهات كانت تدور حول أحكام المرأة في القرآن الكريم في الميراث وفي عدم مخالطتها للرجال والتزامها بالحجاب وإباحة التعدد وغيرها من قضايا، فكان لزاماً أن تظهر عدالة الإسلام واستقامة أحكام القرآن في هذه القضايا وأمثالها من خلال دراسات موضوعية قرآنية[1].
- ✓ الوضع المتردي المؤلم الذي حلّ بالمسلمين في هذا الزمان؛ حيث ازدادت الهجمة الشرسة على

ديار المسلمين ومقدساتهم ،وضاعت الخلافة الإسلامية بسبب ما حل بالمسلمين من ضعف وهوان، مما جرأ أعداء الله على مزيد من التآمر والكيد للإسلام والمسلمين مستغلين ظاهرة الضعف العام، والهزائم التي حلت بديارهم ونفوسهم، فاقتضى ذلك التفكير في الخلاص الجاد؛ بالعودة إلى دين الله المتمثل في: كتاب الله وسنة نبيه دراسةً واستنارةً واهتداءً، وهذا يقتضي دراسة متعمقة في أحكامه وموضوعاته لفهم معانيه وأهدافه وغاياته، والتي منها عزة الأمة وقوتها وانتصارها، ونفض غبار الذل والهوان عن كاهل الأمة. فقد أعز الله الأمة بهذا الدين فلا عزة لها في غيره، بل إن ابتغت العزة في غيره، أذلها الله ذلاً لا يندفع عنها إلاّ بالعود إلى دين[2].

- ✓ أن لكل عصر ولكل جيل متطلبات خاصة به تتناسب مع ظروفه، وأحواله، وتتناسب مع

معطياته، والتطور العلمي والتكنولوجي والحضاري له، فلا بد أن يرتقي البحث في الدراسات القرآنية بما يلائم معطيات الواقع ومتطلباته، سواء فيما يتعلق بمواكبة التقدم العلمي، أو فيما جدَّ في حياة الناس من قضايا، أو فيما جدَّ من وسائل البحث والدراسات الإحصائية الجامعية، ومن أهم ما برز ليخدم الدراسات القرآنية الموضوعية ويساعد على ظهورها وبروزها في العصر الحاضر، تلك المعاجم والفهارس التي سهلت الوقوف على الآيات المتعلقة بالموضوعات المتخصصة مع سهولة جمعها والتنسيق بينها ليكتمل منها

(1)- يراجع: عبد الستار سعيد، **م.ن**، (ص 35-36).

(2)- يراجع: صلاح الخالدي، صلاح عبد الفتاح الخالدي، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، دار النفائس-عمان-الأردن، ط3، 1433هـ/2012م، (ص 47).

الموضوع ناضجاً محققاً للهدف والغاية التي وُجِدَ لأجلها[1]. "فالدراسات الموضوعية تعطي مداً جديداً لانتشار تعاليم القرآن... فالتركيز على موضوع واحد وتتبع مآخذه في القرآن كله يهيّء له من العناية والبيان والدراسة مالا يتهيّأ له لو درس في أثناء التفسير العام"[2].

✓ اهتمام الجامعات الإسلامية، ومراكز البحث ،وبالذات أقسام التفسير والدراسات الإسلامية، فيها بهذه البحوث القرآنية الموضوعية باعتبارها حاجة العصر وحاجة المستقبل، فالكتابة فيها ضرورة تقتضيها ظروف الواقع وظروف الناس في هذا الزمان ،لما يترتب عليها من فوائد عديدة.

هذا فيما يتعلق بالأسباب والدواعي ويمكن جمعها في سببين رئيسين : الأول متعلق بلوازم العصر وحاجاته المستجدة مهما تنوعت ، والثاني :الرد على الخصوم وإبطال كل نعيق كاذب يثار حول القرآن .

ثانيا:بالنسبة :للفوائد فتتمثل في:

✓ أن التفسير الموضوعي يندرج في إطار تفسير القرآن بالقرآن، فما أطلق في مكان منه قيد في مكان آخر وما ذكر موجزا في موطن منه ذكر مفصلاً في آخر.

✓ الوقوف على عظمة القرآن من خلال مواضيعه المتنوعة والتعرف على تشريعاته النيرة والمتعددة[3].

✓ بيان ما تضمنه القرآن الكريم من أنواع الهداية الربانية من خلال تلك المواضيع المتنوعة.

✓ التخلق بأخلاق القرآن والانتفاع به من حيث زيادة الإيمان.

✓ التمكن من فهم القرآن الكريم فهماً جيداً.

✓ الاطلاع على أساليب القرآن الكريم المتنوعة.

✓ جمع الآيات المتناثرة في القرآن ذات الموضوع والهدف الواحد في مكان واحد ثم دراستها دراسة

متكاملة.

---

(1)- **م.ن**، (ص 48).

(2)- زاهر بن عواض الألمعي، **دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط4، 1428هـ/2007م، (ص 19).

(3)- ينظر: د. عبد الحي الفرماوي، **البداية في التفسير الموضوعي "دراسة منهجية موضوعية"**، مطبعة الحضارة العربية، ط2، 1397هـ/1977م، (ص 68-70)، عبد الستار سعيد، **المدخل إلى التفسير الموضوعي** ، (ص 40 وما بعدها).

- ✓ الرد على أهل الأهواء والشُّبه قديماً وحديثاً لكون دراسة مثل هذا النوع من التفسير يجمع شتات

الموضوع الواحد ويحيط بجميع أطرافه فيمكن دراسته والرد على الآخرين.

- ✓ إزالة ما قد يوهم التعارض بين آيات القرآن الكريم وتوجيه ذلك توجيهاً سليماً.
- ✓ التفسير الموضوعي عامل من عوامل حل مشكلات العصر.
- ✓ تم عرض أبعاد جديدة لموضوعات القرآن ويوسع دلالاتها ومضامينها مما يزيد في إقبال المسلمين

عليه [1].

المطلب الرابع: ألوان التفسير الموضوعي:

على اختلاف في عدّها وتسميتها: توجد ألوان أربعة تختلف فيما بينها في المنهج المتبع في البحث وهي:

أولا:اللون الأول: الموضوع القرآني (التفسير الموضوعي التجميعي):

وهو قضية يلحظها الباحث، من خلال تعرض الآيات القرآنية لها بأساليب متعددة: فيقوم بجمع هذه الآيات التي اشتركت في هذا الموضوع، ويرتبها حسب النزول، ويقف على أسباب نزولها، ثم يتناولها بالشرح والبيان والتعليق ،ويستنبط عناصر الموضوع من خلال الآيات نفسها، وينسق الموضوع، ويقسمه إلى أبواب وفصول ومباحث، حسب حجم الموضوع الذي يتناوله، مع ربط ذلك كله بواقع الناس ومشاكلهم، مع محاولة حلها، ووضع علاج قرآني لها[2].

وهذه هي الطريقة المشتهرة للتفسير الموضوعي، والعمل فيها هو الذي يراه أغلب الدارسين يصدق على مفهوم التفسير الموضوعي.

وقد تكون هذه الآيات مكية وقد تكون مدنية، فإذا أراد الباحث الحديث عن البر والأبرار مثلاً، يلزم عليه تتبع الموضوع بداية في سورة الانفطار وسورة الإنسان، وغيرهما من السور المكية، ثم في السور

(1)- د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، (ص 57). وذكر فوائد أخرى يرجع إليها

(2)- يراجع عبد الحي الفرماوي، **م.س**، (ص 52). مصطفى مسلم، **م.س**، (ص 23).

المدنية، في الزهراوين وغيرهما، والوقوف عند كلّ نجم في السور القرآنية الكريمة. وهكذا... في باقي المواضيع المنتخبة للدراسة[1].

ثانيا: اللون الثاني: التفسير الموضوعي للسورة القرآنية (التفسير الموضوعي الكشفي):

لقد اختلفت كلمة الباحثين في هذا المجال، فذهب بعضهم إلى أن هناك وحدة موضوعية[2]. في كلّ سورة من سور القرآن الكريم. فالسورة مهما تعددت القضايا التي تحدثت عنها إلا أنَّها ينتظمها جميعها موضوع واحد، وهذه هي التي تسمى الوحدة الموضوعية[3].

ويكون المنهج بتناول واحدة من سور القرآن مستقلة عن غيرها فيجعل منها وحدة موضوعية متكاملة مهما تعددت القضايا المطروحة فيها، وذلك بالبحث عن الهدف الأساسي في السورة الواحدة بما يمثل محورها الرئيسي ثم يربط بين قضايا السورة ومقاطعها من جهة ثم بينها وبين محور السورة من جهة أخرى بما يثبت صحة محورها وتناسبه مع قضايا السورة، ويُعد علم المناسبات هو الأسلوب البارز والأداة الفاعلة للربط والسبك لتظهر بذلك وحدة السورة الموضوعية المتناسقة رغم كثرة قضاياها وموضوعاتها الفرعية والجزئية، كل ذلك بعيداً عن طبيعة التفسير التحليلي[4].

ويفصّل د.مصطفى مسلم طريقة البحث في هذا اللون فيقول: "أن يستوعب الباحث هدف السورة الأساسي، أو أهدافها الرئيسية، ثم يبحث عن سبب النزول للسورة أو الآيات التي عرضت الموضوع الأساسي للسورة، ثم ينظر إلى ترتيب نزول السورة من بين السور المكية أو المدينة، ثم يدرس الأساليب القرآنية في عرض الموضوع والمناسبات بين مقاطع الآيات في السورة. وسيجد الباحث أن لكل سورة شخصيتها المستقلة وأهدافها الأساسية. فمن المعلوم مثلاً: أن السور المكية قد عرضت أسس العقيدة الإسلامية الثلاثة بشكل مفصل: الألوهية، الرسالة، البعث بعد الموت، لذا يمكن أن يتناول الباحث في كل سورة مكية أحد الجوانب الثلاثة من العقيدة، كما اشتمل كثير منها على الحث على أمهات الأخلاق والتنفير من مرذولها"[5].

---

(1)- فضل عباس، **م.س**، (1/ 646).

(2)- وهذه تسمية الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي ينظر، **م.س**، (ص 59).

(3)- فضل عباس، **م.س**، (1/ 647).

(4)- صلاح الخالدي، **م.س**، (ص 56).

(5)– أ.د. مصطفى مسلم، **م.س**، (ص 29).

وهناك من ذهب غير هذا المذهب، فرأى أن هذا الاتجاه، قد يشوبه شيء من التكلف؛ رأى أن كلّ سورة من سور القرآن، وإن لم يكن فيها وحدة موضوعية، فإن فيها وحدة عضوية قد يكون فيها التفسير موضعياً[1]، بمعنى أن ما فيها من موضوعات وقضايا يتمم بعضه بعضاً، ولعل هذا أقرب إلى الحق. على أن توجد سورًا قرآنية كريمة ليس من الصعب أن ندرك الوحدة الموضوعية فيها كسورة يوسف عليه الصلاة والسلام وقصار السور[2].

وسورة الكهف مثلًا: القصص فيها هو العنصر الغالب ،ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف، وبعدها قصة الجنتين، ثم إشارة إلى قصة آدم وإبليس. وفي وسطها تجيء قصة موسى مع العبد الصالح. وفي نهايتها قصة ذي القرنين.ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة... وإلى جوار القصص بعض مشاهد القيامة، وبعض مشاهد الحياة التي تصور فكرة أو معنى... أما المحور الموضوعي للسورة الذي ترتبط به موضوعاتها، ويدور حوله سياقها، فهو تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر والفكر. وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة[3].

ويصرّح أ.د مصطفى مسلم: أن هذا اللون لم يلقى عناية المفسرين القدماء ،بل جاء على شكل إشارات في بعض أهداف السور، وبخاصة القصيرة منها، وكذلك عند من اعتنى بالبحث عن وجه المناسبة بين مقاطع بعض السور، كما فعل الفخر الرازي (606هـ) في تفسيره الكبير، وكذا فعل البقاعي (885هـ) في نظم الدرر، وعبد الحميد الفراهي (1349هـ) في كتابه نظام القرآن.

أما في العصر الحديث فقد كان سيد قطب مولعًا بعرض أهداف وأساسيات كل سورة، قبل البدء في تفسيرها، وبيان شخصية كل سورة وملامحها المتميزة عن البقية والأساليب المتبعة في عرض أفكارها[4]. فيقول مثلاً: في بداية تفسيره لسورة إبراهيم: "هذه السورة –سورة إبراهيم– مكية، موضوعها الأساسي هو موضوع السور المكية الغالب: العقيدة في أصولها الكبيرة: الوحي والرسالة والتوحيد والبعث والحساب والجزاء. ولكن السياق في السورة يسلك نهجاً خاصاً بها في عرض هذا الموضوع وحقائقه الأصيلة.

(1)- **التفسير الموضعي**: يتناول الآية أو الطائفة من الآيات في شرح الألفاظ والتراكيب والأحكام: يراجع: محمد الغزالي، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**، (ص 5).

(2)- فضل عباس، **م.س**، (1/ 647).

(3)- سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، (4/ 2256-2257).

(4)- مصطفى مسلم، **م.س**، (ص 29).

نهجاً مفرداً يميزها -كالشأن في كل سورة قرآنية- عن السور غيرها. يميزها بجوها وطريقة أدائها، والأضواء والظلال الخاصة التي تعرض فيها حقائقها الكبرى"[1].

وحدا حدوه محمد الغزالي[2] (1416هـ) في كتابه: نحو تفسير موضوعي للقرآن، فيقول في مقدمته: "والهدف الذي سعيت إليه أن أقدم تفسيرا موضوعيا لكل سورة من الكتاب العزيز... رسم صورة شمسية لها تتناول أولها وآخرها، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها وتجعل أولها تمهيدا لآخرها، وآخرها تصديقا لأولها"[3].

والجدير بإعادة الذكر أن هذا اللون وثيق الصلة بعلم المناسبة، إذ لابد عند تفسير السورة تفسيراً موضوعياً من الإلمام أولاً بعلم المناسبات بين الآيات في السورة الواحدة، وبين السور بعضها ببعض كما ذكره البعض.

ثالثا: اللون الثالث: المصطلح القرآني أو "اللفظة القرآنية":

و يختص بالمصطلحات والمفردات القرآنية، حيث يختار الباحث لفظة وردت كثيراً في السياق القرآني، فيتتبعها الباحث من خلال الآيات والسور جامعاً لكل اشتقاقاتها وتصاريفها المختلفة، ثم يحيط بتفسيرها مستنبطاً الدلالات واللطائف والحقائق من خلال استعمال القرآن الكريم لها.

وتعد كتب غريب القرآن[4]، والأشباه والنظائر[5]، والمعاجم اللغوية[1]، والمعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن[2]، هي منطلق هذه الدراسة والعمدةُ في إحصاء استقراء الاشتقاقات والتصريفات للمصطلح القرآني

---

(1)- سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، (4/ 2077).

(2)- **محمد الغزالي (1335-1416هـ/1917-1996م)**: عالم ومفكر إسلامي مصري كبير، ولد بمحافظة البحيرة بمصر. حفظ القرآن الكريم في كُتّاب القرية. التحق بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر سنة 1937م وتخرج فيها سنة 1941م متخصصًا في مجال الدعوة، كما حصل على درجة التخصص في التدريس من كلية اللغة العربية عام 1943م. عمل في وزارة الأوقاف المصرية ثم وكيلاً أول للوزارة، و محاضرًا في عدة جامعات كان له دور في إنشاء جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة. تصدى لتيارات الغزو الفكري في العالم الإسلامي. ومن مؤلفاته: فقه السيرة؛ الإسلام والأوضاع الاقتصادية نظرات من القرآن؛ حاز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام 1409هـ/1989م.

(3)- محمد الغزالي، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**، دار الشروق-بيروت-لبنان، ط4، 1420هـ/2000م، (ص 5)

(4)- مثل كتاب: **"المفردات في غريب القرآن"** للراغب الأصفهاني.

(5)- مثل كتاب: **"إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن"** للخطيب الدامغاني، وكتاب: **"الأشباه والنظائر في القرآن الكريم"** لمقاتل بن سليمان البلخي، وكتاب: **"كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر"** لابن العماد.

المراد تفسيره تفسيراً موضوعياً[3]. غير أن هناك من ينكر أن يعد هذا منهجاً من مناهج التفسير الموضوعي -كما سبق-.

رابعا: اللون الرابع: القرآن في جملته:

و أشار إليه الدكتور عبد السلام حمدان اللوح حيث يقول عنه: "وهذا اللون حديث النشأة والولادة ولعل له مستقبلاً زاهراً يضاهي الألوان الثلاثة السابقة، وذلك أن القرآن في ترابط سوره وآياته وتناسبها وإحكامها يظهر في جملته وحدة موضوعية واحدة يغطي قضايا وموضوعات موجودة في كل سورة بل في كل آية من آياته، فعلى سبيل المثال موضوع الهداية، فالقرآن كله هداية لا تستثني من ذلك سورة ولا آية تخرج عن هذا المقصد العام، وكذلك الإعجاز فليس هناك سورة إلاّ ويتحقق فيها هذا المقصد أيضاً، وهكذا المقاصد العامة للقرآن تؤخذ من جملته باعتباره كلٌ لا يتجزأ "[4].

ولعل الإشكال المطروح في هذا النوع صلاحية الموضوع للطرح القرآني العام، وكذا صعوبة إيجاده. كما أشار إلى الفكرة نفسها -أو على الأقل قريب منها- سعيد حوى[5] (1409هـ) في مؤلفه الأساس في التفسير إذ يقول: "ورأيتني بعد استعراضات كثيرة لكتاب الله قد عثرت فعلا على مفتاح من مفاتيح الوحدة القرآنية، وتفتحت لدي من آفاق الفهم معان كثيرة بخصوص السياق العام للقرآن والسياق الخاص داخل السورة الواحدة. وكلما سرت في عرض القرآن الكريم تبين لي من الأدلة على سلامة سيري الكثير.

---

(1)- مثل كتاب: **"معجم مقاييس اللغة"** لأبي الحسين أحمد بن فارس، وكتاب: **"معجم لسان العرب"** لابن منظور ، وكتاب: **"عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ"** للسمين الحلبي، وكتاب: **"الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"** لأبي البقاء.

(2)- مثل كتاب: **"المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم"** لمحمد فؤاد عبد الباقي، وكتاب: **"معجم ألفاظ القرآن الكريم"** أعدته لجنة من كبار العلماء بالقاهرة، وكتاب: **"معجم الأدوات والضمائر في القرآن"** لإسماعيل عمايرة وفؤاد السيد، وهو مكمل ومتمم لمعجم عبد الباقي.

(3)- يراجع: مصطفى مسلم، **م.س**، (ص 23)، للدكتور صلاح الخالدي، **م.س**، (ص 52).

(4)- عبد السلام حمدان اللوح، **"وقفات مع نظرية التفسير الموضوعي"**، مجلة الجامعة الإسلامية-غزة، المجلد12، ع1، 2004م.

(5)- **سعيد حوَّى (1354-1409هـ/1935-1989م)**: سعيد بن محمد ديب بن محمود حوَّى النعيمي: ولد في مدينة حماة بسورية ،عمل مدرسًا للغة العربية والتربية الإسلامية، سافر إلى الأردن بعد سجنه وخروجه منه، وأقام فيها إلى نهاية حياته وفاته: بالأردن. كان من أنجح الدعاة ،و مات وعمره لم يتجاوز الثالثة والخمسين، وترك من المؤلفات العدد الكبير. منها: (الله جل جلاله). و(الأساس في التفسير) في 11 مجلدًا. و(الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص).وغيرها.

وليست هذه المقدمة هي محل عرض هذا الاتجاه في موضوع فهم الوحدة القرآنية، ولكنها نموذج على عملي في التفسير أكملت فيه بناء أو حققت فيه أملا... ولقد فصلت فيه تفصيلاً استوعب الآيات في السورة الواحدة والسور في القرآن كله على ضوء نظرية شاملة أثبت البحث صحتها، وهي تعطي الجواب على كثير من الأمور مما له صلة بوحدة السورة، ووحدة المجموعة القرآنية، ووحدة القسم القرآني، ثم في الوحدة القرآنية كلها. وبدون هذه النظرية فإن كثيراً من الصلات التي تحدث عنها المتحدثون، إنما تتحقق بنوع من الاستكراه"[1]. فهو يرى أن الحديث عن أية وحدة موضوعية للسورة، لا يكون مجدياً بمعزل عن الوحدة القرآنية كلها.

المطلب الخامس: مدى ارتباط علم المناسبات بالتفسير الموضوعي:

يتفق جل الباحثين في هذا المقام على صلة علم المناسبات الوثيقة بالتفسير الموضوعي -وبخاصة التفسير الموضوعي للسورة الواحدة- وذلك لأنه يُلاحظ أن الآية أو مجموعة الآيات تنزل في أسباب مختلفة وحوادث متفرقة، ثم توضع في سورة واحدة ،وقد تكون بين الآيات التي وضعت في موضع ما من السورة والآيات التي وضعت عقبها فترة زمنية قصيرة لا تتعدى الأيام، وقد تكون فترة طويلة تتجاوز عدة سنوات -كما في سورة النساء في قوله تعالى: "﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾" [النساء:57] والآيات التي قبلها والتي بعدها- ولكن عند القراءة تجد أن وحدة الموضوع يجمعها ومرمى الهدف والغاية من سياقها جميعها شيء واحد[2].

يقول الشيخ محمد عبد الله دراز (1377هـ) بهذا الصدد: "... إن كانت بعد تنزيلها جمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع، كمثل بنيان كان قائمًا على قواعده فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قدرت أبعاده ورقمت لبناته، ثم فرق أنقاضًا فلم تلبث كل لبنة من أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصًا بشد بعضه بعضًا كهيئته أول مرة"[3].

ويؤكد صاحب مصابيح الدرر على ذلك: "ثمة علاقة وثيقة بين علم المناسبة وبين التفسير الموضوعي بمعناه الأول؛ إذ إنهما يجتمعان في بيان مناسبة آيات السورة الواحدة، وتلاحم فقراتها، وترابط

(1)- سعيد حوّى، **الأساس في التفسير**، دار السلام-القاهرة، ط6، 1424هـ، (1/ 23).

(2)- مصطفى مسلم، **م.س**، (ص 57).

(3)- عبد الله دراز، **م.س**، (ص 154-155).

أجزائها... حتى تظهر السورة ذات شخصية مستقلة، وذات موضوع رئيس تدور حوله، وذات نظام يرد إليه مختلف موضوعاتها"[1].

وفي مقابل ذلك لا يعتبر عبد الستار فتح الله سعيد علم المناسبات من التفسير الموضوعي نهائياً، قال: "ليس من التفسير الموضوعي الكتب التي عنيت ببيان المناسبات بين الآيات والسور، لأن هذه المناسبات هي أمور إلتماسية اجتهادية، فهي -إن صحت- صفة للنصوص، ولست نصوصاً ولذلك لا يصح إدراجها في كتب لتفسير الموضوعي"[2]. ويعلّل ذلك أن بعض تلك الكتب فيها تعسف وتكلّف، أو نقل عن أهل الباطل ...[3].

ولعل هذا الخلاف قد يكون منطلقاً للزوم التمييز بينهما اصطلاحاً ومنهجاً في التفسير القرآني. من خلال بيان مواطن الاختلاف ومواطن الاتفاق.

أولاً: مواطن الافتراق:

✓ علم المناسبة: بدأ شذرات على لسان السلف في معرفتهم المناسبات بين الآيات وانتهى علماً عند العلماء يكشف الروابط والصلات بين الآيات والسور، وهنا تكمن أهميته في كونه مبحثاً من مباحث إعجاز القرآن ودعامة من دعائم تفسيره يدعو إلى ارتباط آي القرآن وسوره بعضها بالبعض الآخر.

أما التفسير الموضوعي: فهو طريقة من طرق التفسير لم يرد مصطلحه بكثرة، إلاّ في العصور الأخيرة تلبيةً لحاجات المجتمع ومشكلاته، والتي أمكنت معالجتها بإبراز آيات متعلقة بها من المنظور القرآني، ثم تنوَّعت طرائق البحث فيه ليقف عند كل سورة من سور القرآن الكريم ويحدد أهدافها الرئيسة بغية تفسيرها وإجلاء وحدتها الموضوعية[4]، أو البحث عن قضية ما من خلال آيات القرآن كله -مكيّها ومدنيها-.

✓ علم المناسبة قد استقر مصطلحه كعلم من علوم القرآن، جمع فيه العلماء ما استنبطوه من

(1)- عادل بن محمد أبو العلاء، **مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور**، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع129، السنة 37، 1425هـ. (ص27).

(2)- عبد الستار فتح الله سعيد، **المدخل إلى التفسير الموضوعي** ، (ص 33).

(3)- عبد الستار فتح الله سعيد، **م.ن**، (ص 33).

(4)- زهراء العبيدي: **بين علم المناسبة والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم: دراسة منهجية مقارنة**، قسم اللغة العربية، كلية الآداب- جامعة الموصل،العراق، (ص 79).

مناسبات الآيات ثم أضافوا إليه مناسبات السور، وهو ركن أساسي للمنهج الأدبي في تفسير القرآن وهو (التفسير الموضوعي) القائم على مقصد السورة الأساسي ومراعاة وحدة موضوعها. أما مصطلح (التفسير الموضوعي) فاقترانه بالتفسير الأدبي الفني جعل المصطلح ينصرف إلى مسميات عدّة منها: (الوحدة الموضوعية) و(الوحدة العضوية) و(الوحدة البنائية)، ذات مفاهيم قد لا تكون متماثلة كليا[1].

✓ كثير من المفسرين ممن وقف على معالم ارتباط الآيات والسور حمل تصنيفه مصطلحي (المناسبة

والتناسب) كأبي جعفر بن الزبير (708هـ) في كتابه: "البرهان في تناسب سور القرآن"، والعالم برهان الدين البقاعي (885هـ) في كتابه: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، والإمام جلال الدين السيوطي (911هـ) في مؤلفاته: "تناسق الدرر في تناسب السور" و"مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع"، وغيرهم كثير ممن اهتم بهذا العلم في منهجه التفسيري فذكر بأنها (مناسبة) أو (تناسب).

ولم يظفر التفسير الموضوعي بمصنف خاص عند المفسرين، القُدامى والمحدثين، حمل العنوان نفسه؛ بل وردت عندهم إشارات إلى بعض أهداف السور، وتوخي أوجه الربط بينها وبين الآيات في شروحاتهم التفسيرية.

✓ علم المناسبة تثبت به حكمة توقيفية الآيات والسور على وجه من التآلف والتعالق وأنها وحي من الله تعالى، فيتلاحم المكي مع المدني لإعجاز في الترتيب.

التفسير الموضوعي يمكن أن تفسر الموضوعات في ضوئه على طريقة الترتيب النزولي[2] ولا يقف في بحثه على بيان مناسبة الآيات ببعضها وفق الترتيب المصحفي.

✓ من خطوات منهج التفسير الموضوعي اعتماده على تفسير من سبق وعلى طرق التفسير بالمأثور

في مرحلة البدء، أما علم المناسبة فهو اجتهادي محض.

ثانياً: مواطن الاتفاق:

---

(1)- وأول من استعمل مصطلح الوحدة الموضوعية هو الأستاذ محمد عبده ثم توسع غيره في استعماله فأطلق حيناً على القرآن كله، وأطلق حين آخر على تكامل الموضوع الواحد في القرآن، وأطلق على القطعة من السورة ذات الموضوع الواحد. يراجع زيد عمر العيص، **التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل**، دار مودة، ط2، (د.ت.ط)، (ص 28).

(2)- زاهر بن عواض الألمعي، **م.س**، (ص 26).

✓ كلاهما منهج من مناهج التفسير؛ تثبت بهما الوحدة القرآنية، والإعجاز القرآني.

✓ كلاهما يقف على أهداف السورة وأغراضها.

✓ ارتباطهما بالأنواع الأخرى من التفاسير: كالتفسير التحليلي والمقارن والإجمالي[1]، ويتعاضد الجميع في إثبات أهمية دراسة القرآن الكريم، والكشف عن مُراد الله تعالى. ويحقق الأمر بلزوم تدبره.

✓ اتفاق منهجية كل منهما في الاعتماد على أسباب النزول والوقوف على مقاصد الآيات ومعرفة مكيّها ومدنيّها ثم تناولها بطريقة تحكم الروابط بينها وبين أغراضها بما يحقق الانسجام فيها وضمن مواضعها من السورة.

✓ اتجاه كل من التفسيرين (التناسبي والموضوعي) في تحديد معالم السورة إلى تقسيمها مقاطع وفقرات، واستنباط مقاصد الآيات القرآنية في ضوئها.

وتضيف د.زهراء العبيدي كلمة مهمة في هذا المقام تقول: "إنَّ أغلب من بحث التفسير الموضوعي منذ انطلاقته الأولى وحتى نضجه، على أيدي المفسرين قد تناولها بأنها التفاتة قرآنية تستجلي الوحدة الموضوعية للسورة في القرآن الكريم، وفاتهم أن يبرزوا الفرق بين التفسير الموضوعي للسورة القرآنية والمناسبات بين الآيات والسورة، إذ يتناول الأخير: الربط الجزئي بين كل آية وآية أوسورة وسورة؛ أما التفسير الموضوعي فيقف على تحديد عناصر السورة القرآنية بحيث أنّ كل عنصر يناسبه مجموعة من الآيات قد تختلف في موضوعاتها الجزئية، لكنها تنتظم في سلك واحد تحت عنصر عام"[2].

---

(1)- **التفسير التحليلي**: هو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني والسير معه سورةً سورةً وآيةً آيةً. وهو النمط الذي سلكه سائر المفسرين القدامى إلاّ القليل النادر. وأما **التفسير الإجمالي**: فهو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني أيضا سورةً سورةً، إلاّ أنه يقسم السورة إلى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعة بتفسير معانيها إجمالاً، مبرزاً مقاصدها موضحاً معانيا مظهراً مراميها، ويجعل بعض "ألفاظ" الآيات رابطاً بين النص وبين تفسيره، فيورد بين الفينة والأخرى لفظاً من ألفاظ النص القرآني لإشعار القارئ أو السامع بأنه لم يبعد في تفسيره عن سياق النص القرآني ولم يجانب ألفاظه وعباراته ومشعرًا بما انتهى إليه في تفسيره من النص. يراجع: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية برقم 951/ 5 وتاريخ 1406/8/5، ط1، 1407هـ/1986م، (3/ 862)، وكذلك: **الموسوعة القرآنية المتخصصة**، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية–مصر، 1423هـ/2002م، (1/ 278-279).

2- د. زهراء العبيدي، **م.س**، (ص 80).

وخلاصة المسألة: أن لعلم المناسبة علاقة وثيقة بالتفسير الموضوعي، فهو وسيلة من وسائله؛ حيث يعتمد المفسر فيه على تلك اللطائف أو تلك المعاني أو تلك العلل التي يستنبطها المفسر، للربط بين وحدات القرآن سواء على مستوى الألفاظ أو على مستوى الآيات أو على مستوى السور.

ولما كان علم المناسبة مسلكاً من مسالك الكشف عن المقاصد الشرعية كان كذلك باعتباره أولا مسلكاً من مسالك الكشف عن الموضوع الإجمالي للسورة الواحدة وربما للعدد من السور أو بين آيات متفرقة المواضع المشتركة في المعنى. كما أنه يكشف عن وحدة القرآن الكريم الموضوعية ككل.

ويظهر الارتباط جلياً في اللون الذي يعنى بموضوع السورة الواحدة، وهو ما يسمى بالتفسير الكشفي حتى أنكر بعض الباحثين أن يعد هذا اللون من التفسير الموضوعي[1]؛ وذلك بسبب التكلف في إيجاد الوحدة الموضوعية :أي التكلف في البحث عن المناسبات ،الشيء الذي ينكره الجميع –كما مر– .وستغدو غايته البحث عن الموضوع بين ثنايا الآيات، وليس الكشف عن مراد كلام الله منه، وهو المناط الأول من أي لون من ألوان التفسير.

(1)– وهو الدكتور سليمان الدقور مؤيدا لرأي زياد الدغامين، يراجع رأيه في مجلة: دراسات علوم الشريعة والقانون، **"التفسير الموضوعي:إشكالية المفهوم والمنهج"**، عمادة البحث العلمي–الجامعة الأردنية، م41، ع1، 2014م، (ص 118).

المبحث الثاني: بين علم المناسبة وعلم السياق:

المطلب الأول: مفهوم السياق:

المطلب الثاني: موقف علماء التفسير من دلالة السياق وأولية الاهتمام به:

المطلب الثالث: أهمية السياق القرآني:

المطلب الرابع: أنماط السياق:

المطلب الخامس: الصلة بين السياق والمناسبات:

لقد اهتم جل الباحثين في شتى الفنون، واللغويين على وجه خاص، بعلم السياق بوصفه موجها نحو المعنى الصحيح من الكلم.

فها هو فندريس [1](Vendryes Joseph) (1380هـ)، اللغوي الفرنسي، يصرح في كتابه: "اللغة" بأن: كل الكلمة قد توجد، في كل مرة تستعمل فيها، في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا؛ والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على تلك الكلمة، بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة "حضورية"[(2)].

أما علم السياق القرآني، فهو علم عظيم المنزلة رفيع القدر، وهو من أهم ما يوصل للفهم الصحيح لكتاب الله تعالى؛ إذ هو الطريق الأسلم لجعله متناسباً منتظماً، وهذا هو الأنسب لكتاب الله المعجز المحكم. وهو من أعظم دلائل الإعجاز القرآني وقواعده الأساسية المنتظمة في بناءٍ محكم السبك، والعجيب أن الائتلاف بين السياقات القرآنية ليس بينها تعارضاً البتة، بل ينتج عنها معانٍ متعددةٌ وأغراض جمّة.

وإن من أعظم ما يبين منزلة هذا العلم أنه مرتبط حقيقة بالقرآن نفسه؛ من حيث أنه تفسير للقرآن بالقرآن، ذلك أنه تفسير للآية بما تضمنه نصها، أو بما سبقها ولحقها من الآيات، وهذا من أعلى درجات التفسير، بل هو أقوى مراتب هذا النوع، وذلك أن تفسير القرآن بالقرآن قد يكون في محل واحد وسورة واحدة، وقد يفترقان، وأقوى النوعين وأسلمهما ما كان في محل واحد وسورة واحدة، وهذا هو السياق؛ فهو: الغرض الذي ينتظم به جميع ما يرتبط بالنص من القرائن اللفظية والحالية. وإذا علم فضل هذا العلم ومنزلته في التفسير، فإنه من أعظم ما ينبغي على المهتمين بتفسير القرآن ملاحظته ومراعاته. لذا كان هذا المبحث الخاص ببيان ماهيته وارتباطه بعلم التناسب.

---

(1)-13 يناير 1875 - 30 يناير 1960م) (Joseph Vendryes) لغوي فرنسي، بعد دراسته مع أنتوان ميبه، كان رئيسًا للأدب واللغات الكلتية في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا (باريس). أسس مجلة (Études Celtiques). كان عضوًا في أكاديمية النقوش والآداب ومستشارًا مع جمعية اللغة الدولية المساعدة...https://ar.wikipedia.org /

(2)- جوزيف فندريس Vendryes Joseph (1380هـ)، **اللغة**، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م، (ص 231).

المطلب الأول: مفهوم السياق:

السياق أصالة لغوية، وضرورة بيانية، تجعل الكلام منتظماً منسقاً، كما تظهر للنص القرآني إعجازه. وعند القدماء على وجه خاص –فمع تعويلهم عليه والإفادة منه في فهم النصوص أو بنائها– إلاّ أنه لم يعتد به مصطلحاً قائماً بذاته، فلم يوضع له تعريف معين، كما لم يجر له في كتب الاصطلاح (مثل كتب التعريفات، أو الكليات وغيرها) ذكر[1].

وعلى العموم؛ فبالنظر إلى أقوال العلماء في تحديد مفهوم السياق تجد أنهم متفاوتون في التعبير عنه وهذا استعراض لشيء من أقوالهم في ذلك ليتبين المراد:

أولاً: تعريف السياق:

يُستعرض هنا الدلالة اللغوية للمصطلح ثم الإصلاحية، ومن تم تعريف السياق القرآني

وردت مادة السياق في اللغة العربية للدلالة على معنى السرد ، والسلسلة والإيراد ،ومجيء الشيء متتابعاً.

قال ابن فارس (395هـ): "السين والواو والقاف: أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيء، يقال: ساقه يسوقه سَوقًا[2] السياق لغة من الجذر اللغوي (س و ق) ، وأصله سِوَاق، فقُلبت الواو ياءً؛ لكسرة السين... يشير إلى دلالة الحدث وتتابعه[3]. وقيل: انساقَت وتَساوَقَت الإبلُ تَساوُقًا: إذا تتابعت، والمُساوَقة: المُتابعة، كأنَّ بعضَها يسُوق بعضًا"[4].

وفي القرآن:"**وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا** "[مريم:87] قال القرطبي(671هـ):" السوق الحث على السير."[5]

وبهذا يتضح أن السياق في اللغة يدور حول معنى التتابع والاتصال، فسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه.

---

(1)– ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، **دلالة السياق**، جامعة أم القرى مكتبة فهد–المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ، (1/ 41).

(2)– ابن فارس، **المقاييس**، (3/ 117).

(3)– ابن منظور، **لسان العرب** ، (3/ 369)، مادة: (سوق)، الفيروز آبادي، م.س، (ص 825).

(4)– ابن منظور، **م.س**، (6/ 435).

(5)–القرطبي،**الجامع لأحكام القرآن**،(11/ 152)

واعتور المصطلح كثيرا من الأوساط العلمية وغير العلمية ،و عُني به العلماء على اختلاف اهتماماتهم وتخصصاتهم ،ومع هذه الكثرة الكاثرة :فإن تقديم تعريف دقيق له يعد من الأمور الصعبة الشائكة ،وهو الذي دفع بعض الدارسين إلى القول: "وقد يشيع المصطلح العلمي بين الدارسين إلى درجة... يتوهم البعض –بها– أن هذا المصطلح واضح ومفهوم فإذا ما حاولوا تحديد المعنى الذي ظنوا أنهم يفهمونه بدا عسيرا غاية العسرة وغامضا أشد الغموض، ومن تلك المصطلحات اللغوية الشائعة الاستعمال العصية على التحديد الدقيق بشكل متفق عليه بين الدارسين مصطلح الكلمة ومصطلح الجملة ومصطلح السياق"[1].

يقول آخر: "... مع تعويل القدماء على السياق والإفادة منه في فهم النصوص أو بنائها، إلاّ أنه يستعمل استعمالات (سياقية) مختلفة وقابلة للتعدد"[2].

وسيتم الاقتصار في هذا الفرع على علماء اللغة وعلماء الأصول، على سبيل التمثيل لا الحصر، أما علماء التفسير وعلوم القرآن فلم تخرج تعريفاتهم عن حدود هؤلاء...

حدّه السلجماسي (704هـ) في تعريف السياق بأنه: "ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول"[3].

وعرفه بعض المحدثين من أهل اللغة بأنه: "ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى داخل النص من خلال دلالته المعجمية أو تراكيبه وحتى من خلال خارج النص"، فهو كما يقول إبراهيم فتحي: "بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه"[4]. ثم بيّن أنه بناء متكامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة. بحيث يلقي الضوء على معاني الكلمات المفردة وعلى معنى وغاية الفقرة بأكملها"[5].

وانطلاقاً من هذا يرى الدكتور تمام حسان أن مفهوم مصطلح السياق هو: "توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، وهو ما يسمى بسياق النص، وتوالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال، وهذا ما يسمى بسياق الموقف[6].

(1)- محمد يوسف حبلص، **البحث الدلالي عند الأصوليين**، عالم الكتب، ط1، 1411هـ/1991م، (ص 28).

(2)- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، **دلالة السياق**، منشورات جامعة أم القرى-السعودية، 1418هـ، (1/ 32).

(3)- السجلماسي: أبو محمد القاسم الأنصاري (704هـ)، **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**، (ص 188)

(4)- إبراهيم فتحي، **معجم المصطلحات الأدبية**، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر-صفاقس-تونس، ط1، 1986م، (ص 201).

(5)- إبراهيم فتحي، **م.س**، (ص 201-202).

(6)- تمام حسان، **مقالات في اللغة والأدب**، عالم الكتب-القاهرة، ط1، 1427هـ/2006م، (2/ 65).

يعطي د. تمام حسان بياناً أوسع لقرينة السياق، بل يصفها بروح النص،في كتابه: "البيان في روائع القرآن": "تمتد قرينة السياق على مساحة واسعة من الركائز، تبدأ باللغة من حيث مبانيها الصرفية وعلاقاتها النحوية ومفرداتها المعجمية، وتشمل الدلالات بأنواعها من عرفية إلى عقلية إلى طبيعية، كما تشتمل على المقام بما فيه من عناصر حسية ونفسية واجتماعية... وكذلك العناصر الجغرافية والتاريخية..."[1].

وعند الغرب، فقد عرفت مدرسة لندن ما يسمى بالمنهج السياقي Contextual approach. وكان زعيمه فيرث [2](Firth)، وتبعه غيره، الذي صرّح بأن المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات متباينة[3]. ومعنى اللفظ عند هؤلاء: هو استعماله في اللغة، أو الطريقة التي يستعمل بها، أو الدور الذي يؤديه[4]ـ أو المحيط اللساني الذي أُنتجت فيه العبارة، ولا تشترط أن تكون في العناصر التي تحف تلك العبارة أن تكون قريبة، بل يمكن أن تكون بعيدة في متن الخطاب[5].

كما تجد كلمة السِّياق "contexte"، في معاجمهم اللّغوية العامّة، تشير إلى أنه: البيئة أو الظروف أو الحقائق والوقائع المحيطة التي تساعد على إعطاء صورة شاملة عن شيء ما، أو تؤثر على شيء ما، أو إِنَّهُ: الموقف الذي فيه يحدث شيءٌ ما أو الذي يتسبَّبُ في حدوث شيء ما[6]. وقد

(1)- تمام حسان، البيان في روائع القرآن -دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني-، عالم الكتب-القاهرة، ط1، 1413هـ/1993م، (ص 221).

(2)-جون روبرت فيرث (17 يناير 1890 - 14 ديسمبر 1960) (بالإنجليزية: John Rupert Firth) لغوي بريطاني وشخصية رئيسية في تطوير علم اللغة ببريطانيا خلال خمسينيات القرن العشرين.كان أستاذًا للغة الإنجليزية في جامعة البنجاب من 1919 إلى 1928. ثم عمل في قسم الصوتيات في كلية لندن الجامعية، قبل أن ينتقل إلى مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية، حيث أصبح أستاذًا في اللسانيات العامة، وهو منصب شغله حتى تقاعده في عام 1956م.https://ar.wikipedia.org /

(3)- أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، عالم الكتب-بيروت-لبنان، ط5 ،1998م، (ص 68).

(4)- أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، (ص 68).

(5)- محمد إقبال عروي، **دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية -مراجعة منهجية-**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مكتبة الكويت الوطنية، ط1، 1428هـ/2007م،ة(ص 25).

(6)- إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة، **قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه**، رسالة دكتوراه، إشراف: أ. د: أميرة أحمد يوسف، أ.د: حسنة الزهار، قسم اللغة العربية، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية-جامعة عين شمس، 2016م، (ص 32).

عمدت بعض التعريفات إلى إضافة عنصر التأثير إلى مفهوم السياق كقولهم: هو مجموع الوحدات اللسانية التي تحيط بعنصر معين داخل سلسلة الخطاب وتؤثر فيه[1].

أما علماء أصول الفقه، وعلى اختلاف اتجاهاتهم وانشغالاتهم،كانوا السباقين في تناولهم هذا المصطلح فقد اعتمدوا على فكرة السياق في بيان المعنى في النصوص الشرعية[2]. دون أن يُعْنَوْا بتعريفه، فيقولون مثلاً: سياق الكلام، وسياق النَّظم، واللفظ الواضح فيما سِيق له، وما كان الكلام مَسُوقًا لأجله، وما أوجبه نفسُ الكلام وسياقُه، والنكرة في سياق الشرط، والفعل في سياق الشرط، إلى غير ذلك من استعمالات الأصوليين لكلمة السِّياق[3].

فهذا الشافعي[4] (204هـ) يعنوِن أحد أبواب رسالته الأصولية بقوله: "باب الصنف الذي يبين سياقه معناه"[5].

كما تناول هذا المصطلح الإمام الزركشي (794هـ) في مسألة خاصة بعنوان: "دلالة السياق" ضمن باب الأدلة المختلف فيها فقال: "أنكرها بعضهم، ومن جهل شيئا أنكره. وقال بعضهم: إنها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى"[6].

---

(1)- محمد إقبال عروي، **دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية**، (ص 26).

(2)- أما علماء علوم القرآن اعتمدوا في دراستهم للنص القرآني وفهم معانيه ودلالاته على جانبي السياق اللغوي الكلي أو ما يسمى بسياق النص، وسياق الموقف ويتمثل سياق الوقف عندهم في أسباب النزول.ولم يذكر تعريفات لهم هنا لأن لها موضعاً خاصاً.

(3)- أشرف بن محمود بن عقلة الكناني، **الأدلة الاستئناسية عند الأصوليين**، دار النفائس-عمان-الأردن، ط1، 1425هـ/2005م، (ص 218).

(4)- **الإمَام الشَّافِعي (150-204هـ/767-820م)**: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة.وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة (بفلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. قال المبرد: كان الشافعيّ أشعر الناس وآدابهم وأعرفهم بالفقه والقراءات. أفتى وهو ابن عشرين سنة. وكان ذكياً مفرطاً. له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب (الأم) في الفقه، (أحكام القرآن) و(الرسالة) في أصول الفقه، وغيرها...الزركلي، **الأعلام**، (26/6).

(5)- الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (204هـ)، **الرسالة**، تح: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، ط1، 1358هـ/1940م، (1/ 62).

(6)- الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (794هـ)، **البحر المحيط في أصول الفقه**، دار الكتبي، ط1، 1414هـ/1994م، (8/ 54).

وأيضاً الإمام الشوكاني (1250هـ): في المسألة الثامنة والعشرين، عندما تحدث عن إمكان التخصيص بالسياق[1]، فيقول: "أن دلالة السياق إن قامت مقام القرائن القوية المقتضية لتعيين المراد، كان المخصص هو ما اشتمل عليه من ذلك..."[2].

كما لا يمكن تجاهل جهود الشاطبي (790هـ) في هذا المقام ؛فقد صرّح في الموافقات أن تجاهله في دلالة الصيغ أضحوكة في قوله:إن: "كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ، وإلاّ صار ضحكة وهزءة"[3].

وعلى العموم: فإن الأصوليين قد استحضروا السياق في مسائل مختلفة، ومباحث متعددة فصاروا بذلك أكثر من استخدمه في التفسير والبيان، لإيمانهم بأهمية السياق في الكشف عن مراد الشارع. وهذا الاستحضار القوي، يجعل من الصعب تتبع مختلف استعمالاته ومعرفة المدلول الذي اعتمدوه بشأنه في هذا الموضع أو ذاك خصوصاً مع تعدد المصادر وغزارة المباحث، وتباين مذهب الحنفية مع مذهب الجمهور في تقسيمات دلالات الألفاظ.

والمتتبع لأقوالهم يلاحظ أن كلمة سياق ترادف عندهم كلمة سوق، وكلمة مساق، فيقولون: سياق الكلام ومساق الكلام وسوق الكلام ...[4]، وغالبية إطلاقاتهم تدور حول الغرض الذي ورد الكلام بسببه. قال البناني[5] (1198هـ): "هي ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه"[6].

---

(1)- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (1250هـ)، **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول**، تح: الشيخ أحمد عزو عناية-دمشق -كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، ط1، 1419هـ/1999م، (1/ 397).

(2)- الشوكاني، **م.ن**، (1/ 398).

(3) -الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (790هـ)، **الموافقات من أصول الشريعة**، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/1997م، (4/ 419).

(4)- ينظر فاطمة بوسلامة، **"السياق عند الأصوليين: المصطلح والمفهوم"**، مجلة الإحياء، مجلة فصلية تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء،-الرباط-المغرب، ع25، 2007م، (ص 40).

(5)- **البَنَّاني (000-1198هـ/000-1784م)**: عبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي: فقيه أصولي. والبناني نسبة إلى بنانة (من قرى منستير. إفريقية)، قدم مصر وجاور بالأزهر.له (حاشية على شرح المحلى) في أصول الفقه.الزركلي، **الأعلام**، (3/ 302).

(6)- البناني، **حاشية البناني على شرح الجلال شمس الدين محمد المحلي على متن جمع الجوامع للإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي وبهامشه تقريرات عبد الرحمن الشربيني**، دار الفكر، 1402هـ/1982م، (د.ر.ط)، (1/ 20).

ويوضح السرخسي[1] (483هـ) في أصوله ،ارتباط السياق بالفصل بين ضروب المعنى في دلالة الألفاظ عند الأحناف بين الظاهر والنص، فيقول: "أما الظاهر فهو ما يعرف المراد منه بنفس السماع من غير تأمل وهو الذي يسبق إلى العقول والأوهام لظهوره موضوعاً فيما هو المراد... موقوفاً عل سماع الصيغة. وأما النص –فهو– ما يزداد وضوحاً بقرينة تقترن باللفظ من المتكلم ليس في اللفظ ما يوجب ذلك ظاهراً بدون تلك القرينة..."[2]. فالسياق عنده هو هي الفيصل بين النص والظاهر[3].

وهذا قريب مما ذكره ابن دقيق العيد[4] (702 هـ) وإن لم يفصّل –قال–: "أما السياق والقرائن، فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه"[5].

بالنظر لمجموع ما ذكر، يمكن القول بأن السياق مؤلف من عدة عناصر أو أركان:

- ✓ الغرض والمقصود ومراد المتكلم.
- ✓ تآلف الكلام وتتابعه وجريانه على نمط واحد.
- ✓ الملابسات المحيطة بالنص.
- ✓ معرفة حال المتكلم.
- ✓ معرفة أحوال المخاطبين.

---

(1)- **ابن سَهْل السَّرَخْسي (000–483هـ/000–1090م)**: محمد بن أحمد بن سهل، أبو بكر، شمس الأئمة: قاض، من كبار الأحناف، مجتهد، من أهل سرخس (في خراسان). أشهر كتبه: (المبسوط) في الفقه والتشريع، و(الأصول) في أصول الفقه، و(شرح مختصر الطحاوي). وكان سبب سجنه كلمة نصح بها الخاقان ولما أطلق سكن فرغانة إلى أن توفي... الزركلي، **الأعلام**، (5/ 315).

(2-)يراجع: السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (483هـ)، **أصول السرخسي**، دار المعرفة–بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (1/ 163–164).

(3)- كما يجعله الفاصل أيضاً: بين دلالة العبارة ودلالة الإشارة في موضع آخر.فيقول: "أما الثابت بالعبارة فهو ما كان السياق لأجله ويُعلم قبل التأمل أن ظاهر النص متناول له، والثابت بالإشارة ما لم يكن السياق لأجله لكنه يعلم بالتأمل في معنى اللفظ من غير زيادة فيه ولا نقصان...". ينظر: السرخسي، **م.ن**، (1/ 236).

(4)- **ابن دَقِيق العِيد (625–702هـ/1228–1302م)**: محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقيّ الدين القشيري، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد: قاض، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد، نشأ بقوص، وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة. وولي قضاء الديار المصرية، سنة 695هـ فاستمر إلى أن توفي (بالقاهرة). له صانيف، منها (إحكام الأحكام) (الاقتراح في بيان =الاصطلاح) و(تحفة اللبيب في شرح التقريب)...وغيرها. وكان مع غزارة علمه، ظريفاً، له أشعار وملح وأخبار.الزركلي، **الأعلام**، (6/ 283).

(5)- تقي الدين بن دقيق العيد، **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، تح: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية–القاهرة، 1953م، (2/ 21).

- ✓ معرفة أحوال المتكلم عنهم.
- ✓ أركان الخطاب ودلالاته[1].

وهذه العناصر هي مجموعة من مختلف الإطلاقات التي ورد لذلك المصطلح العام. وللسياق ألفاظ مرادفة تؤدي معناه نفسه؛ كألفاظ المقام، ومقتضى الحال، والقرينة، وغيرها.

ويمكن القول كذلك أن: السياق هو ما يعين على فهم الغرض من النص أو الكلام، باستصحاب كل العوامل المعينة على ذلك.

وبهذا الحد قد يتوافق المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي؛ ولذا فإنه يمكن أن يطلق على عنصر من عناصر السياق بأنه السياق باعتبار أنه جزء منه، وعليه يحمل إطلاق بعض المفسرين للسياق، وغالب إطلاقهم للسياق مقصود به الغرض الذي ورد الكلام لأجله.

وقد اجتهد بعض الباحثين في جمع مختلف هذه الإطلاقات -لو صح الجمع- وعرّف السياق بقوله: "هو عبارة عن شبكة العلاقات اللغوية والبيانية والنفسية القائمة بين الألفاظ والمعاني، أو العبارات والجمل في إطار نص ما"[2].

هذا عن السياق ، أما: دلالة السياق عامة، أنها الكلام المتتابع إثره على إثر بعض، المقصود للمتكلم، والذي يلزم من فهمه فهم شيء آخر[3]، أوفهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده.

ثانيا:تعريف السياق القرآني:

السياق القرآني هو جزء من السياق العام، وهو الآيات التي تسبق موضع الشاهد وتتبعه أو القرائنُ الدالة على المقصودِ في الخطاب الشرعي.

أو هو: "ما يحيط بالنص القرآني من عوامل داخلية وخارجية تؤثر في فهمه من سابق أو لاحق به، والغرض الذي سيق له والحال التي نزل فيها"[1].

---

(1)- د.محمد بن عبد الله الربيعة، **أثر السياق القرآني في التفسير –دراسة نظرية تطبيقية لسورتي الفاتحة والبقرة–**، رسالة دكتوراه، إشراف: أ. د: محمد بن عبد الرحمن الشايع، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، كلية أصول لدين، 1427هـ، (ص 18)،د. فهد بن شتوي عبد المعين الشتوي، **دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام**، رسالة ماجستير. جامعة أم القرى-مكة، 1446هـ/2004م، (ص 31-36).

(2)- حسن حميد فياض، **العدول في السياق القرآني**، إصدار وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-جامعة الكوفة-كلية التربية الأساسية، 1429هـ/2008م، (ص 7).

(3)- أبو قدامة الكناني، **م.س**، (ص 220).

أو هو: "تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى"[2].

أو هو: "الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته"[3].

أو: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال"[4].

واقتباساً من هذه التعريفات كلها يمكن الخلوص إلى التعريف الآتي: السياق القرآني هو: **تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ والمفردات القرآنية والجمل والتراكيب وما يحيط بها من عوامل داخلية وخارجية تؤثر في الفهم، وفي إدراك الأغراض والمقاصد التي تدور عليها معاني القرآن.**

وأما دلالة السياق في القرآن هي: بيان اللفظة أو الجملة القرآنية، بما لا يخرجها عن السابق واللاحق إلاّ بدليل صحيح يجب التسليم له[5].

وهذا البيان في الآية هو تفسير لغوي وليس بياناً لدلالة السياق، وكذلك بالنسبة إلى بيان الجملة في الآية فهو بيان لظاهرها من خلال تركيبها أما فهم سياقها فلا يتضح إلاّ إذا نظر إلى هذه الجملة من خلال العبارات التي جاء أسلوب الخطاب بها.

---

(1)- يراجع: الشهراني: سعد بن محمد بن سعد، **السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة –دراسة نظرية تطبيقية–**، وكرسي القرآن الكريم-جامعة الملك سعود-كلية التربية، ط1، 1436هـ، (ص 29).

(2)- وهذا التعريف للدكتور المطيري ذكره لدلالة السياق القرآني وهو يصلح لتعريف السياق القرآني فقط،يراجع: عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، **السياق القرآني وأثره في التفسير –دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير–**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إشراف الدكتور: خالد بن عبد الله القرشي، جامعة أم القرى-المملكة العربية السعودية، 1429هـ/2008م، (ص 71).

(3)- الشتوي، **م.س**، (ص27)، وهذا التعريف لصاحب، **رسالة دلالة السياق منهج ممون لتفسير القرآن**، عبد الوهاب رشيد أبو صفية الحارثي، دار عمار للنشر والتوزيع، 2012م، (ص 88).

(4)- المثنى عبد الفتاح محمود محمود، **السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي**، أطروحة دكتوراه، تخصص التفسير وعلوم القرآن، إشراف: أ.د.فضل حسن عباس، جامعة اليرموك-إربد-الأردن، قدمت:1426هـ/2005م، (ص 14).

(5)- يراجع: عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، **دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير –دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير–**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الرياض، ط1. 1420هـ/1999م، (ص 92).

وعلى هذا فإن تعريف دلالة السياق –في القرآن– هو:" معنى مفهوم ،غير مصرح به في النص، يشير إليه عموم ارتباط السياق بالسباق واللحاق ،في أسلوب الخطاب الذي يبحث فيه عن ذلك المعنى من ذي علم بالعربية ودُربة بأساليبها"[1].

ويكون السياق القرآني مؤتلفاً من ثلاثة عناصر أساسية هي[2]:

- ✓ الأغراض والمقاصد التي بني عليها النص.
- ✓ النظم والأسلوب القرآني المؤتلف من مجموع الكلام والتعبير فيه.
- ✓ الأسباب والأحوال التي نزلت فيها الآية، والمخاطبون بها فيها.

وقد جمع ابن تيمية (728هـ) هذه العناصر جميعاً فقال: "وتختلف دلاليته (أي الكلام) تارة بحسب اللفظ المفرد، وتارة بحسب التأليف، وكثير من وجوه اختلافه قد لا يبين بنفس اللفظ بل يرجع فيه إلى قصد المتكلم، وقد يظهر قصده بدلالة الحال،وقد لا يظهر..."[3].

المطلب الثاني: موقف علماء التفسير من دلالة السياق وأولية الاهتمام به:

لقد اهتم علماء الغرب بنظرية السياق كثيراً، حتى صارت عندهم الركن الرئيس في تحليل الخطاب، وفهم النص، حين أدركوا أهمية السياق في هذا المجال، ولو متأخراً، وفي هذا يقول (براون) و(يول) في كتابيهما: "تحليل الخطاب": "إن الفكرة القائلة بإمكان تحليل سلسلة لغوية (جملة مثلاً) تحليلاً كاملاً بدون مراعاة السياق قد أصبحت في السنين الأخيرة محل شك"[4].

وإذا كان بروز هذا الاهتمام متأخراً عند الغير –كما يفهم من العبارة السابقة– فإن عناية علماء الأمة الإسلامية بالسياق كانت مصاحبة لنزول القرآن الكريم، وكان له استحضار مؤثر في فهم النص العربي

(1)– هذا التعريف للدكتور عويد المطرفي، ينظر: فهد بن شتوي عبد المعين الشتوي، **م.س**، (ص 29).

(2)– د.محمد الربيعة، **م.س**، (ص 22).

(3)– ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (728هـ)، **الفتاوى الكبرى**،دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ/1987م، (6/ 123).

(4)– ج.ب. براون يول، **تحليل الخطاب**، ترجمة وتعليق: د.محمد لطفي الزليطني، د. منيرالتريكي، مكتبة الملك فهد–المملكة السعودية، 1418هـ/1997م، (ص 32).

بعامة[1]، وهم بذلك لم يخرجوا عن ما ألفته العرب من سننها في كلامها، وفيه يقول الشافعي (204هـ): "وتبتدئ -أي العرب- الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره. وتبتدئ الشيء يبيّن آخر لفظها منه عن أوله."[2].

فدأب جل المفسرين، ومنذ الصدر الأول، على اعتماد دلالة السياق ،في بيان معاني النصوص والألفاظ أو ترجيح بعضها على بعض العلماء فبيّنوا ،بذلك، أهميتها، وجعلوها عمدة للتأويل والاستنباط ويمكن تفصيل أولية الاعتماد عليها كما يأتي:

✓ **أولاً**: النبي صلى الله عليه وسلّم[3] ففي الحديث[4] الذي روته أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: **"وَالذِينَ يُوتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَه أَنَّهُمْ إِلَىَ رَبِّهِم رَاجِعُون"** [المؤمنون:61] قَالَتْ عَائِشَةُ: **أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: "لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ "أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُون"**[المؤمنون:62]، فبيّن هاهنا صلى الله عليه وسلم الآية بسياقها، وبمعزل عن هذا السياق يقع الإشكال في فهم المراد.

✓ **ثانياً**: الصحابة رضوان الله عليهم:فعلى الرغم من أن التفسير في عهدهم كان ذا طابع تجزيئي يُعني بتفسير المفردة القرآنية، إلا أنه لم يكن يغفل سياقها؛ ولهذا جاء تفسيرهم سليماً خالياً من الخلل بعامة، وإن لم يكن قد ورد عنهم صراحة ما يعد توصيفاً للسياق وتأصيلاً له، عدا إشارات قد تدل عليه[5]، كما في الأثر الذي ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **"إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَضَعُوهُ عَلَى مَوَاضِعِهِ، وَلَا تَتَّبِعُوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ"**[6].

---

(1)-د.زيد عمر عبد الله، **"السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني"**، مجلة جامعة الملك سعود، م15، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية 2، (ص 840).

(2)- الشافعي (204هـ)، **الرسالة**، (1/ 52)

(3)- يمكن مراجعة مرجع المطيري السابق لملاحظة عدة نماذج عن ذلك: المطيري، **السياق القرآني وأثره في التفسير**، (ص 78-79).

(4)- الحديث أخرجه الترمذي، باب التفسير برقم 3175، ينظر: الترمذي، **سنن الترمذي**، (5/ 327-328)

(5)- زيد عمر عبد الله، **السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني**، (ص 842).

(6)- أخرجه أحمد في كتاب الزهدبرقم:191 ، ينظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (241هـ)، **الزهد**، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1420هـ/1999م، (ص32).

أو قد يتجلى ذلك في إنكار بعضهم على من فهم الآية على غير السياق، والغرض الذي وردت لأجله، مثل عبد اللَّه بن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين اعترض على من فهم قوله تعالى:" **ﱡﱠلاَ يَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسِبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ** " [آل عمران:188] على غير معناها لأنه لم يراع الآيات قبلها، فيما أخرجه مسلم وغيره، أَنَّ مَرْوَانَ، قَالَ: **"اذْهَبْ يَا رَافِعُ –لِبَوَّابِهِ– إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْ لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ مِنَّا فَرِحَ بِمَا أَتَى وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ، مُعَذَّبًا لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ الْآيَةِ؟ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ تَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ: "إِذَ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ"** [آل عمران:من 187] **هَذِهِ الْآيَةَ، وَتَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ: "ﱡﱠلاَ يَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلا تَحْسِبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ"** [آل عمران: 188]، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: **"سَأَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ، إِيَّاهُ وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ، فَخَرَجُوا قَدْ أَرَوْهُ أَنْ قَدْ أَخْبَرُوهُ بِمَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ وَاسْتَحْمَدُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ، وَفَرِحُوا بِمَا أَتَوْا مِنْ كِتْمَانِهِمْ إِيَّاهُ، مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ"**[1].

✓ **ثالثاً:** في الإرهاصات الأولى لتدوين علم التفسير، حيث صرّح ثلة من المفسرين في ما قيّدوه عن اعتمادهم لدلالة السياق، ونوّهوا بأهميتها في رفع الغرابة عن اللفظ، أو إزالة الإشكال أو الترجيح عند الاختلاف.

ومن هؤلاء: ابن جرير الطبري[2] (310هـ) فقد اعتبر السياق فيصلاً في تحديد سبب النزول، وترك الحديث في سبب النزول مع صحة إسناده لما خالف السياق، حيث يصرحه في تفسير في معرض

(1)- أخرجه مسلم برقم : 2778 ، والبيهقي والنسائي، ينظر: مسلم ب، **المسند الصحيح**، (4/ 2143)

(2)- **ابن جَرير الطَّبَري (224–310هـ/839–923م)**: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. وكان مجتهدا في أحكام الدين لا يقلد أحدا، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. وكان أسمر، أعين، نحيف الجسم، فصيحا وهو من ثقات المؤرخين، له (أخبار الرسل والملوك)، (جامع البيان في تفسير القرآن) ، و(اختلاف الفقهاء) وغيرها...الزركلي، **الأعلام**، (6/ 69)، وينظر: الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (626هـ)، **معجم الأدباء–إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي–بيروت، ط1، 1414هـ/1993م، (6/ 2441 ومابعدها).

ترجيح رأي في تفسير آية بقوله:"إنما اخترنا ما اخترنا من التأويل طلب اتساق الكلام على نظام في المعنى"[1].

وقال في موضع آخر: "فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلاّ بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حُجَّة. فأما الدَّعاوى، فلا تتعذر على أحد"[2].

كما يقول عنه المحقق شاكر: "...لم يغفل قط عن هذا الترابط الدقيق بين معاني الكتاب، سواء كان ذلك في آيات الأحكام أو آيات القصص أو غيرها من نصوص هذا الكتاب. فهو يأخذ المعنى في أول الآية من الآيات ثم يسير معه كلمة كلمة وحرفًا حرفا ثم جملة جملة غير تارك لشيء منه أو متجاوز عن معنى يدل عليه سياقها"[3].

ومن أمثلة اعتماده على السياق في الترجيح، ما ذكره في تأويل قوله سبحانه وتعالى: "**وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**" [البقرة/ 117] قال:" اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله: "**وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ**"، فقال بعضهم: عنى بذلك النصارى... وقال آخرون: بل عنى بذلك مشركي العرب... وأولى هذه الأقوال بالصحة والصواب... النصارى دون غيرهم. لأن ذلك في سياق خبر الله عنهم، وعن افترائهم عليه وادعائهم له ولدا. فقال جل ثناؤه، مخبرا عنهم فيما أخبر عنهم من ضلالتهم أنهم مع افترائهم على الله الكذب بقوله: (اتخذ الله ولدا)، تمنوا على الله الأباطيل، فقالوا جهلا منهم بالله وبمنزلتهم عنده وهم بالله مشركون: (لولا يكلمنا الله)، كما يكلم رسوله وأنبياءه، أو تأتينا آية كما أتتهم؟"[4].

ومنهم أيضاً: الراغب الأصفهاني (502هـ) في تفسيره لغريب القرآن، حيث اعتمد منهجاً خاصاً ببيانه، معتمداً بشكل أساسي على دلالة السياق. وقد أشاد الزركشي (794هـ) بعمله في البرهان فقال: "القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره وقسم لم يرد... وما لم يرد فيه نقل عن

(1)- الطبري، **جامع البيان**، (2/ 480).

(2)- الطبري، **م.ن**، (9/ 389).

(3)- أحمد محمد شاكر، **تحقيق تفسير الطبري**، (4/ 536).

(4)- يراجع:الطبري، **م.س**، (2/ 550 وما بعدها).

المفسرين وهو قليل وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب المفردات فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ لأنه اقتنصه من السياق"[1].

وقد يعمد، حتى، إلى ترجيح بعض المعاني عن بعض بقوة السياق، من مثل تفسيره لمعنى الضحك في قوله سبحانه وتعالى: "وَامْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ" [هود: 70]، وضحكها كان للتعجب بدلالة قوله: "قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ" [هود: 72]، ويدل على ذلك أيضا قوله: "فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ" [هود: 71]، وقول من قال: حاضت، فليس ذلك تفسيراً لقوله: فضحكت كما تصوره بعض المفسرين، فقال: ضحكت بمعنى حاضت، وإنما ذكر ذلك تنصيصا لحالها، وأن الله تعالى جعل ذلك أمارة لما بشرت به، فحاضت في الوقت ليعلم أن حملها ليس بمنكر، إذ كانت المرأة ما دامت تحيض فإنها تحبل"[2].

ومنهم أيضاً: أبو بكر ابن العربي (543هـ) رد الاحتجاج بقوله: "هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا" [البقرة:من 28] على أن أصل الأشياء الإباحة[3]، باعتبار سياق ورودها فقال: "...ليس لهذه الآية في الإباحة ودليلها مدخل ولا يتعلق بها محصل. وتحقيق ذلك أن الله تعالى إنما ذكر هذه الآية في معرض الدلالة، والتنبيه على طريق العلم والقدرة وتصريف المخلوقات... وعاتب الله

(1)- الزركشي، **البرهان**، (2/ 172).

(2)- الراغب الأصفهاني، **المفردات**، (ص 502).

(3)- وقد ذكر المسألة في كتابه: المحصول في أصول الفقه، وملخص قوله: اختلف الناس في حكم الأعيان قبل الشرع فمنهم من قال إنها محظورة بالعقل ومنهم من قال إنها مباحة بالعقل ومنهم من قال لا حكم لها إلا في الشرع فما قام من الدليل قضى به ...إنا نقول إن كان العقل يحكم فيها بالحظر على الإطلاق لم يجز أن يرد الشرع بإباحة وإن كان يحكم فيها بالإباحة على الإطلاق لم يجز أن يرد الشرع بحظر لأن الشرع لا يجوز أن يرد بخلاف مقتضى العقل فصح أنه لا حكم للعقل فيها بشيء حتى نوعها الشرع قسمين حظر وإباحة... وحكمها في الشرع بحسب وروده المحظور محظور بدليله والمباح بدليله ويستحيل خلو مسألة عن دليل لأن ذلك إبطال للشرع وتعطيل فما اقتضاه الدليل حكم به والله أعلم. ينظر: أبو بكر بن العربي، **المحصول في أصول الفقه**، تح: حسين علي اليدري، سعيد فودة، دار البيارق-عمان، ط1، 1420هـ/1999م، (ص 134).

تعالى الكفار على جهالتهم...[1]، فخلقه سبحانه وتعالى الأرض، وإرساؤها بالجبال، وإنما كان لبني آدم؛ تقدمة لمصالحهم، وأهبة لسد مفاقرهم، فكان قوله (الآية) مقابلة الجملة بالجملة؛ للتنبيه على القدرة المهيئة لها للمنفعة والمصلحة، وأن جميع ما في الأرض إنما هو لحاجة الخلق؛ والبارئ تعالى غني عنه متفضل به... فإنه لو أبيح جميعه جميعهم جملة منثورة النظام لأدى ذلك إلى قطع الوصائل والأرحام، والتهارش في الحطام"[2].

وليس المقام لعرض جهود كل المفسرين في هذا الباب، ولكن الوقوف على بعض النماذج التي تشير إلى أن

السياق قرينة مميزة في بيان مراد كلام الله عزّ وجل.

غير أنه لا يمكن تجاهل ما ذكره المحاسبي[3] (243هـ) في معرض حديثه عن متشابه القرآن وطريق الاستدلال عليه فقال: "...ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالسنة أو بالإجماع ومنه ما لا يعرف معناه إلا بعد تلاوة ما يأتي في سورته..."[4] أي: بمعرفة سياق الآية.

المطلب الثالث: أهمية السياق القرآني:

السياق القرآني أصل من أصول علم التفسير، لا غنى للمفسر عنه، لما له من أثر ظاهر في فهم كلام الله تعالى، وبيان المعنى الصحيح في الآية.فهو مرتبط حقيقة بالقرآن نفسه من حيث إنه تفسير للقرآن بالقرآن الذي هو أعلى الدرجات إذا كان صريحاً؛ لأنه تفسير الآية بما تضمنته من الدلائل والقرائن

---

(1)- ذكر المفسر آيتين من سورة فصلت ،أما الآية فجاءت عقب قوله سبحانه وتعالى"**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** "[البقرة:27].

(2)- محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (543هـ)، **أحكام القرآن**، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط3، 1424هـ/2003م، (1/ 24).

(3)- **الحارث المُحَاسِبي (000-243هـ/000-857م)**: ابن أسد، أبو عبد الله: من أكابر الصوفية. كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مُبكياً، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد. من كتبه (آداب النفوس) و(المسائل في أعمال القلوب والجوارح) (ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه) و(كتاب التوهم) و(رسالة المسترشدين)...الزركلي، **الأعلام**، (2/ 153).

(4)- الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (243هـ)، **فهم القرآن ومعانيه**، تح: حسين القوتلي، دار الكندي،دار الفكر-بيروت، ط2، 1398هـ، (ص 326).

وبحسب مناسبتها لما قبلها وبعدها ، وذلك يؤكد أهميته، واعتباره أصلاً في التفسير. ويحسن هنا إيراد جمع من أقوال العلماء تشير إلى أهمية السياق عموما ومعه السياق القرآني.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **"إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَضَعُوهُ عَلَى مَوَاضِعِهِ، وَلَا تَتَّبِعُوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ"**(1).

وعن مسلم بن يسار(2) عَنْ أَبِيهِ قَالَ: **"إِذَا حَدَّثْتَ عَنِ اللَّهِ حَدِيثًا فَقِفْ حَتَّى تَنْظُرَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ"**(3).

ووصف عبد القاهر الجرجاني (471هـ) الاهتمام بالسياق بأنه علم شريف وأصل عظيم، يقول: "اعلم أن هاهنا أصلا أنت ترى الناس فيه في صورة من يعرف جانبا وينكر آخر وهو أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها وهذا علم شريف وأصل عظيم"(4).

ذكر عز الدين بن عبد السلام (660هـ) في كتابه: "الإمام في بيان أدلة الأحكام" أمثلة متعددة عن عمل السياق في البيان والترجيح بقوله: "السياق مرشد إلى تبين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال. فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحا وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذما فما كان مدحاً بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذماً واستهزاء وتهكما

(1)- سبق تخريجه في الصفحة:216

(2)- **مسلم بن يسار (000-108هـ/000-726م)**: البصري الأموي المكي أبو عبد الله الفقيه مولى بني أمية وقيل مولى طلحة وقيل مولى مزينة ويقال له مسلم سكرة ومسلم المصبح وكان لا يفضل عليه أحد في زمانه وكان ثقة فاضلاً عابداً ورعاً توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مائة أو إحدى ومائة وقال خليفة بن خياط كان يعد خامس خمسة من فقهاء أهل البصرة،ينظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (852هـ)، **تهذيب التهذيب**، مطبعة دائرة المعارف النظامية-الهند، ط1، 1326هـ، (10/ 140)، الزركلي، **الأعلام**، (7/ 223).

(3)- أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (224هـ)، **فضائل القرآن**، تح: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير-دمشق-بيروت، ط1، 1415هـ/1995م، (ص 377).

(4)- الجرجاني: **م.س**، (ص 539).

بعرف الاستعمال مثاله: "ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ" [الدخان: 46] أي: الذليل المهان لوقوع ذلك في سياق الذم..."[1].

وقال الإمام ابن دقيق العيد[2] (702هـ): "أما السياق والقرائن فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات..."[3].

وعند ابن تيمية (728هـ)، التغاضي عن السياق في التفسير هو منشأ الغلط، يقول: "فمن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن: تبين له المراد وعرف الهدى والرسالة وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج. وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين"[4].

وفي تقعيده لأوجه الترجيح في التفسير ذكر ابن جزي (741هـ) في مقدمة تفسيره من القواعد: "أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده"[5].

وعن أهميته أبدع ابن القيم[6] (751هـ) في"نونيته" فقال:

---

(1)- لمزيد ممن النماذج يراجع: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام: أبو محمد بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (660هـ)، **الإمام في بيان أدلة الأحكام**، تح: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية-بيروت، ط1، 1407هـ/1987م، (ص 159-160).

(2)- **ابن دَقِيق العِيد (625-702هـ/1228-1302م)**: محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقيّ الدين القشيري، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد: قاض، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد. ولي قضاء الديار المصرية سنة 695هـ فاستمر إلى أن توفي (بالقاهرة). له تصانيف، منها (إحكام الأحكام) و(الإلمام بأحاديث الأحكام) و(الإمام في شرح الإلمام)... وغيرها.وكان مع غزارة علمه، ظريفا، له أشعار وملح وأخبار. الزركلي، **الأعلام**، (6/ 283).

(3)- تقي الدين بن دقيق العيد، **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، تح: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية-القاهرة، 1953م، (2/ 19).

(4)- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (728هـ)، **مجموع الفتاوى**، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية-المملكة العربية السعودية، (د.ر.ط)، 1416هـ/1995م، (15/ 94).

(5)- ابن جزي (741هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (1/ 19).

(6)- **ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة (691-751هـ/1292-1350م)**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين: مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله.... وهو الّذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه ... وأهين وعذب بسببه، ... وأطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس وكتب بخطه

"وأصخ لفائدة جليل قدرها تهديك للتحقيق والعرفـــــتان
إن الكلام إذا أتى بسياقـــه يبدي المراد لمن له أذنـــــــان
أضحى كنص قاطع لا يقبل التأويل يعرف ذا أولو الأذهان
فسياقة الألفاظ مثل شواهد ال أحوال إنهما لنا صنـــــــوان
إحداهما للعين مشهـــود بها لكن ذاك لمسمع الإنســان
فإذا أتى التأويل بعد سياقـــة تبدي المراد أتى على استهجان
وإذا أتى الكتمان بعد شواهد ال أحوال كان كأقبح الكتمـــان
فتأمل الألفاظ وانظر ما الـــذي سيقت له إن كنت ذا عرفـــان"[1].

وقال في موضع آخر:

قالوا وإيراد السياق يبين المض ـمون منه بأوضح التبيان[2].

ثم نبّه في كتابه: "بدائع الفوائد" إلى مخاطر إهمال السياق الذي يؤدي إلى الغلط والمغالطة فقال: "السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته فانظر إلى قوله تعالى: **"ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ"** الآية... كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير."[3].

وجعل الشاطبي (790هـ) مراعاته مظهراً من مظاهر التفسير السليم، والفهم الدقيق: "فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم

الحسن شيئاً كثيراً. وألّف تصانيف كثيرة منها: (إعلام الموقعين) و(الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) و(شفاء العليل)... وغيرها. **الزركلي**، الأعلام، (6/ 56).

(1)- ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزية (751هـ)، **متن القصيدة النونية**، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط2، 1417هـ، (ص 74-75).

(2)- ابن القيم، **النونية**، (ص 76).

(3)- الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن القيم الجوزية، **بدائع الفوائد**، تح: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (10/ 9-10.)

المكلف، فإن فرَّق النظر في أجزائه، فلا يتوصل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض..."[1].

وأورد الزركشي (794هـ) في البرهان طرقاً لإزالة الإشكال في النص: منها: رد الكلمة لضدها أو: ردها إلى نظيرها، أو النظر في ما يتصل بها من خبر أو شرط، أو إيضاح في معنى آخر، ومنها: "دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته..."[2].

ومن خلال ما سبق يتبين أن أهمية السياق، عموماً، تعود إلى كونه يحدد معنى الكلمة في الجملة حين لا يكون لها معنى محدد خارجه.

كما تعود أهميته إلى التفريق بين معاني المشترك اللفظي، فالمعنى الدقيق لدلالة الألفاظ إنما يعود إلى السياق.

كما تتركز أهمية سياق الحال أو المقام في الدرس الدلالي في فوائد منها: الوقوف على المعنى، وتحديد دلالة الكلمات، وإفادة التخصيص، ودفع توهم الحصر، ورد المفهوم الخاطئ وغيرها[3]. هذا عن أهمية السياق عموماً.

وتتجلى أهميته في القرآن في ترجيح القول المقبول والرأي الأصح في تفسير آي الكتاب العزيز، أي بالسياق الموضوع الذي تتحدث عنه الآيات الكريمة، أو القضية الكلية التي يعرض لها المقطع القرآني، أو الآية القرآنية، وهذا السياق أمر لابد منه في الحكم على سبب النزول، أو في تفسير الآية الكريمة[4].

---

(1)- الشاطبي، **م.س**، (4/ 266).

(2)- يراجع الزركشي، **البرهان**، (2/ 200-202).

(3)- ينظر فريد عوض حيدر، **سياق الحال في الدرس الدلالي**، مكتبة النهضة المصرية، (ص 30)، نقلاً عن محمد سالم صالح، **أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى**.كلية المعلمين، جامعة جدة- السعودية، (ص 2).

(4)- فضل حسن عباس، **التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث**، دار النفائس للنشر والتوزيع- الأردن، ط1، 1437هـ/2016م، (1/ 213).

ولكون الألفاظ اللغوية لها عدة معان، ولا يحدد أحد معانيها إلاّ سياقها الواردة فيه، فإن لم ينظر في السياق نظرة كلية، وبناء عليه يتم تحديد المراد من اللفظ؛ فإن الخلل سيتطرق إلى تفسير تلك اللفظة؛ وبالتالي الوقوع في الإغراب في التأويل الذي يعد فساداً منهجياً[1]، وهذا من أخطر المحاذير في الشرع. يقول خالد بن عثمان السبت: "سبعة أمور يندفع بها الإشكال عن التفسير:

1. رد الكلمة لضدها.
2. ردها إلى نظيرها.
3. النظر فيما يتصل بها من خبر، أو شرط، أو إيضاح في معنى آخر.
4. دلالة السياق.
5. ملاحظة النقل عن المعنى الأصلي.
6. معرفة النزول.
7. السلامة من التدافع"[2].

ومثال ذلك قول الله تعالى: **"وَاتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا"** [النساء:124]. فقد ذهب البعض[3] إلى أن كلمة "خليلاً" هنا من الخَلة وهي الفقر بمعنى أن الله تعالى جعل إبراهيم فقيرً إليه، واستدلوا على ذلك بقول زهير بن أبي سلمى[4]:

وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائبٌ مَالي ولا حَرَمُ[5].

---

(1)-د. عبد الفتاح المثنى؛ **نظرية السياق القرآني**، (ص 241).

(2)- خالد بن عثمان السبت، **مختصر في قواعد التفسير**، (ص 28).

(3)- ذكره أبو إسحاق الزجاج وغيره، ينظر: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (311هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب-بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، (2/ 112-113).

(4)- **زهير بن أبي سُلْمى (000-13ق.هـ/000-609م)**: ربيعة بن رياح المزني، من مضر: حكيم الشعراء في الجاهلية. وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة... ولد في بلاد (مُزَينة) بنواحي المدينة. قيل: كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة فكانت قصائده تسمى (الحوليّات) أشهر شعره معلقته التي مطلعها: (أمن أم أوفى دمنة لم تكلم) ويقال: إن أبياته التي في آخر هذه القصيدة تشبه كلام الأنبياء. له ديوان مطبوع ترجم كثير منه إلى الألمانية...الزركلي، **الأعلام**، (3/ 52).

(5)- من قصيدة: "قف بالديار"، يمدح فيها بن سنان المري، من البحر البسيط، يقول في مطلعها:

قف بالديار التي لم يعفها القِدَم بلى،وغيّر الأرواح والديم

ينظر: **ديوان زهير بن أبي سلمى**، شرحه وقدّم له: أ. علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1408هـ/1988م، (ص 113 وما بعدها).

وما ذهبوا إليه صحيح لغة، فخليل مشتقة من الخَلّة، ولكن للخلة معنى ثان وهو الصحبة، ولما كان السيّاق سيّاقاً متنان على إبراهيم –عليه السلام– وإظهار لفضله، لم يكن افتقار إبراهيم إلى الله تعالى زية[1]، إذْ كلّ العباد فقراء إليه تعالى، وصار هذا المعنى مُستبعَداً لعدم اتفاقه مع السياق، وتعيّن أنا لمعنى المقصود من باب أي قال عن موسى إنه كليم الله، وعن عيسى إنه روح الله، وليس من باب الافتقار[2]

وهذا مثال آخر[3]، وه و في قوله تعالى: **"وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ"** [يوسف: 53]، حيث اختلف المفسرون في المقصود بهذه الآية، فذهب بعضهم أن هذا من كلام يوسف عليه السلام[4]. وقيل من كلام العزيز[5].

---

(1)–يقول ابن قتيبة في الرد على نفاة الخلة لله: "ونزهوا الله فيما زعموا عن أن يكون خليلاً لمخلوق لأن الخلة الصداقة فقالوا في قوله تعالى: **"وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا"** اتخذه فقيراً إليه وجعلوه من الخَلة بنصب الخاء واحتجوا بقول زهير: (السابق): أي فقير،... أما سمعوا... إجماع الناس جميعاً على أن الخلة بضم الخاء لإبراهيم، وعلى أن موسى كليم الله وإبراهيم خليل الله، وعيسى روح الله، فإن كان معنى خليل الله: الفقير إلى الله، فأي فضيلة لإبراهيم في هذا القول إذ كان الناس جميعاً فقراء إلى الله..." ينظر: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (276هـ)، تح: عمر بن محمود أبو عمر، **الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية**، دار الراية، ط1412،1هـ/1991، (ص 49-50).

(2) – نعمان جغيم، **طرق الكشف عن مقاصد الشارع**، دار النفائس للنشر والتوزيع–الأردن، ط1، 1435هـ/2014م، (ص 142)، ويراجع الشاطبي، الموافقات، (4/ 231).

(3)– أورده أ.د يوسف القرضاوي في كتابه:كيف نتعامل مع القرآن، ينظر: القرضاوي، **كيف نتعامل مع القرآن**، دار الشروق–القاهرة، ط3، 1421هـ/2000م، (ص 239).

(4)– كما حكاه ابن جرير و ابن أبي حاتم، وقال إن جرير: "حدثنا أبو كريب، حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما جمع الملك النسوة فسألهن: هل راودتن يوسف عن نفسه؟ **قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ"** قال يوسف: **"ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ"** قال: فقال له جبريل، عليه السلام: ولا يوم هممت بما هممت به. فقال: **"وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ"** وهكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وابن أبي الهذيل، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، ينظر: ابن جرير، **م.س**، (16/ 143 وما بعدها).

(5)– وقد حكى الأوجه الثلاثة الماوردي في تفسيره، ينظر: الماوردي (450هـ): أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، **تفسير الماوردي –النكت والعيون**، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (3/ 47 وما بعدها).

أما الصواب أن هذا من قول امرأة العزيز، وليس من قول يوسف عليه السلام؛ لأن السياق يفيد أن كلام يوسف عليه السلام قد انقطع، وبدأ كلام امرأة العزيز أمام الملك، ولم يكن يوسف حاضراً وقتئذ، ولكنه استدعي فيما بعد.

وهو ما مال إليه ابن كثير (774هـ)، وغيره، في بيان هذا الوجه: يقول "تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي، فإن النفس تتحدث وتتمنى...؛ ولهذا راودته لأنها أمارة بالسوء وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام"[1].

ونص الآيات: " ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ" [يوسف: 50-53]. فالسياق كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف، عليه السلام، عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك"[2]. فتوجيه الآية وفق سياقها العام حَمَلَ على تفسيرها محملاً يليق بعصمة الأنبياء، فكان الالتفات إلى السياق مهماً في توجيه الآية وتفسيرها بما هو أوفق وأولى.

ومجمل القول في أهمية السياق في القرآن[3] أنه:

- ✓ قد يتوقف معرفة المراد من النص القرآني على دلالته عليه.
- ✓ يدل على صحة التفسير.
- ✓ يعين في الترجيح عند الاختلاف.

---

(1)- وانتدب لنصرته الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية (728هـ) وأفرده بالتصنيف وقال أنه: "من كلام امرأة العزيز كما يدل القرآن على ذلك دلالة بينة لا يرتاب فيها من تدبر القرآن... وقد قال كثير من المفسرين إن هذا من كلام يوسف، ومنهم من لم يذكر إلاّ هذا القول، وهو قول في غاية الفساد، ولا دليل عليه، بل الأدلة تدل على نقيضه"، ينظر: ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، (10/ 298).

(2)- ابن كثير، **م.س**، (4/ 394-395).

(3)- يمكن مراجعة فهد الشتوي لمزيد من التفصيل، (ص 71-74).

- ✓ مهم في بيان التناسب.
- ✓ رفع الإشكال عند توجيه المتشابه اللفظي.

فدلالة السياق طريق من طرق دفع الإشكال. وحتى توجيه المتشابه اللفظي، وبيان المعنى في الوجوه والنظائر والاهتمام بها يوصل إلى المعنى المقصود، ويظهر جمال القرآن في نظمه وإعجازه[1].

المطلب الرابع: أنماط السياق:

سيُبحث هنا عن أن أقسام السياق عموما ثم أنواعه في القرآن.

أولاً: أقسام السياق:

السياق عند اللغويين هو قرينة من القرائن المؤثرة في معنى الخطاب مما له علاقة بالخطاب ذاته، وهو في بعض الأحيان يكون ظاهراً بارزاً لا يحتاج إلى كثير من النظر والتدبر ليظهر، وأحياناً يحتاج إلى شيء من ذلك، وهو إما أن يكون مقالياً أو مقامياً.

وبالاعتبار الأول عند اللغويين، فالسياق ينقسم إلى قسمين هما:

أ. **سياق مقالي أو لغوي (داخلي):** "ويتمثَّلُ في الأصوات والكلمات والجمل كما تتتابع في حدث كلامِيّ معين أو نصّ لغوي"[2]. فالوحدات الدِّلالِيَّة المكونة لكلام أو نصّ ما، تقع في مجاورة وحدات أخرى وهي لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها[3].

ولذلك قال الشاطبي (790هـ) في سياق استدلاله على أهمية أسباب التنزيل في فهم القرآن الذي هو أصل أدلة الأحكام (والتي تعد وحدة من الوحدات المجاورة لنزول القرآن): "والدليل على ذلك أمران: أحدهما: أن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال حال الخطاب من جهة نفس الخطاب أو المخاطب أو المخاطب أو الجميع إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك ...كالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور

(1)- عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، **م.س**، (ص 109 وما بعدها).

(2)- د. حلمي خليل: **الكلمة دراسة لغَوِيَّة معجميَّة**، دار المعرفة الجامعية، ط2، 1998م، (ص 161).

(3)- د. إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة، **قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه**، (ص 33-34).

الخارجة وعمدتها مقتضيات الأحوال وليس كل حال ينقل ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة أو فهم شيء منه، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال"[1].

ب. سياق مقامي أو غير لغوي (سياق الحال): وهو الجو الخارجيّ الذي يحيط بالكلام من ظروف وملابسات، أو البيئة غير اللُّغَوِيَّة لكلام ما. ويشير إلى كُلِّ جوانب هيئة العالم الخارجيّ، التي يجب أَنْ تؤخذ في الاعتبار عند تحليل كلام ما إلى مستوياته الدلالية: صوتية، نحوية... لوثاقة هذه الجوانب بهذا التحليل، يشمل الخلفيَّة غير اللُّغَوِيَّة لنص أو كلام ما كاملة وبكل ما فيها، ويشمل ذلك الموقف الحالي الذي يستخدم فيه النَّصّ أو الكلام، ووعي المُتَكَلِّم والسامع لما قيل قبلُ، وأَيَّة معتقدات أو افتراضات سابقة خارِجِيَّة[2]. فسياق الحال: "يمثِّله العالم الخارج عن اللُّغَة بما له من صلة بالحدث اللغويّ أو النَّصّ، ويتمثل في الظروف الاجتِماعِيَّة والنفسِيَّة والثقافيَّة للمتكلم والمشتركين في الكلام أيضاً"[3].

وهذا ما يؤكده الدكتور تمام حسان في كتابه (البيان في روائع القرآن) قائلاً: "وهكذا تمتد قرينة السياق على مساحة واسعة من الركائز، تبدأ باللغة من حيث مبانيها الصرفية وعلاقاتها النحوية ومفرداتها المعجمية، وتشمل الدلالات بأنواعها من عرفية إلى عقلية إلى طبيعية كما تشتمل على المقام بما فيه من عناصر حسية ونفسية واجتماعية كالعادات والتقاليد ومأثوات التراث، وكذلك العناصر الجغرافية والتاريخية، مما يجعل قرينة السياق كبرى القرائن بحق"[4].

ويقول كذلك: "فالمبنى الواحد متعدد المعنى، ومحتمل كل معنى مما نسب إليه وهو خارج السياق، أما إذا تحقق المبنى بعلامة في السياق، فإن العلامة لا تفيد إلاّ معنى واحداً تحدده القرائن اللفظية والمعنوية والحالية، وهذا التعدد والاحتمال في المعنى الوظيفي يقف بإزائه تعدد واحتمال في المعنى المعجمي أيضاً"[5].

---

(1)- الشاطبي، **الموافقات**، (3/ 225).

(2)- د. إيهاب عبد الحميد عبد الصادق سلامة، **قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه**، (ص 34).

(3)- د. حلمي خليل، **م.س**، (ص 161).

(4)- د. تمام حسان، **البيان في روائع القرآن**، (ص221-222).

(5)- د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة-الدار البيضاء-المغرب، (ص 165).

وفهم مدلول الخطاب وسياقه أمر يتفاوت في فهمه المخاطبون وبحسب ذلك تتفاوت مراتبهم في الفقه والعلم، فعدم إدراك السياق مطلقاً في فهم الخطاب ليس كادراك السياق المقالي وحده أو المقامي وحده، وهذه المرتبة ليست كإدراكهما معاً في فهم خطاب معين، فمن لوازم الفهم السليم للخطاب العلم بالقرائن المرتبطة به جملة وتفصيلا والتي تشكل سياقه[1].

ثانياً: أنواع السياق القرآني:

الدراسات في هذا المجال لم تحدد، أو -تتفق إن حددت- أنواع السياق في القرآن، فهناك من قسمها إلى أربعة أنواع:سياق القرآن كله، سياق السورة، سياق النص أو المقطع أو الآيات، سياق الآية الواحدة[2]، ويقول عنها: "هذه الأنواع الأربعة مؤتلفة ائتلافاً عجيباً فلا تجد بينها تعارضاً، بل إنها متكاملة تكاملاً، ينتج عنه معاني متعددة وأغراض متنوعة، وهذا والله أعلم سر كون القرآن محتملا للوجوه الكثيرة والمعاني المتعددة، كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة"[3].[1]

---

(1)- وهناك أنماط أخرى للسياق زيادة على **النمط الأول**: السياق اللغوي: Linguisticcontext وهي: **النمط الثاني**: السياق العاطفي: Emotionalcontext هو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية -التي تفيد العموم-، ودلالتها العاطفية -التي تفيد الخصوص-، فيحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيداً أو مبالغةً أو اعتدالاً. كما تكون طريقة الأداء الصوتية كافية لشحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية والعاطفية؛ كأن تنطق وكأنها تمثِّل معناها تمثيلاً حقيقياً. دونما إهمال للإشارات المصاحبة للكلام في هذا الصدد.

النمط الثالث: سياق الموقف: Situationalcontext يدل على العلاقات الزمنية والمكانية التي يجري فيها الكلام. وقد أشار اللغويون العرب القدامى إلى هذا السياق، كما عبَّر عنه البلاغيون بمصطلح (المقام) وقد غدت كلمتهم (لكلِّ مقام مقال) مثلاً مشهوراً. و مراعاة المقام تجعل المتكلم يعدل عن استعمال الكلمات التي تنطبق على الحالة التي يصادفها خوفاً أو تأدباً.

النمط الرابع: السياق الثقافي: Cultural context ينفرد هذا السياق بدور مستقل عن سياق الموقف الذي يقصد به عادة المقام من خلال المعطيات الاجتماعية. لكنَّ هذا لا ينفي دخول السياق الثقافي ضمن معطيات المقام عموماً. ويظهر السياق الثقافي في استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدّد .يراجع: أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، (ص 69 وما بعدها).

(2)- يراجع :أبو صفية رشيد عبد الوهاب الحارثي، **دلالة السياق منهج مأمول لتفسير القرآن الكريم**، دار عمار للنشر، ط1، 1433هـ-2012م، (ص 88)، نقلاً عن محمد الربيعة، **م.س**، (ص 33)، ونقل هذه الوجوه كذلك فهد الشتوي في رسالته، تراجع (ص 42 وما بعدها). والمطيري، **السياق والترجيح**، (ص 106 وما بعدها).

(3)- أخرجه أبو داود في كتاب الزهد برقم: 233، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السّجِسْتاني (275هـ)، **كتاب الزهد**، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه:

وهناك من جعلها اثنتين فقط السباق واللحاق، وميّز العطار[2] (1250هـ) في حاشيته على جمع الجوامع بينهما فقال: "قرينة السياق هي ما يؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود أو سابقه. وأما قرينة السباق... فهي دلالة التركيب على معنى يسبق إلى الفهم منه مع احتمال إرادة غيره"[3]. أي أن الأول هو الكلام الذي يبيّن معنى ما بعده، والثاني هو الكلام الذي يبيّن معنى ما قبله[4].

وهناك من قسمها إلى قسمين[5]، باستصحاب أقسام السياق في اللغة، وجعل لكل قسم أنواع، القسم الأول السياق الداخلي، ويندرج تحته: النحوي، الصوتي، الإيقاعي، القصصي، المعجمي. القسم الثاني: السياق الخارجي، ويشمل الاجتماعي، التاريخي، سياق الحال أو المقال[6].

ولعل من أحسن التصنيفات للسياق القرآني هو تقسيمه إلى: مكاني، زماني تاريخي، موضوعي، مقصدي، لغوي فهو جامع لكل التصنيفات السابقة كما أنه يحدد مدى ارتباط السياق بموضوع هذه الأطروحة[7]. وهذا بيان كل صنف.

فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، دار المشكاة للنشر والتوزيع-حلوان، ط1، 1414هـ/1993م، (ص 212)، وينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**. (1/ 193).

(1)- أبو صفية رشيد عبد الوهاب الحارثي، **م.س**، (ص 88)، نقلا عن محمد ربيعة.

(2)- **العَطَّار (1190-1250هـ/1776-1835م)**: حسن بن محمد بن محمود العطار: من علماء مصر. أصله من المغرب، ومولده ووفاته في القاهرة. أقام زمنا في دمشق، وسكن اشكودرة (بألبانيا) واتسع علمه. وعاد إلى مصر، فتولى إنشاء جريدة (الوقائع المصرية) في =بدء صدورها، ثم مشيخة الأزهر سنة 1246هـ إلى أن توفي. وله رسالة في (كيفية العمل بالأسطرلاب والربعين المقنطر والمجيب والبسائط) وكتاب في (الإنشاء والمراسلات) و(ديوان شعر) وحواش في العربية والمنطق والأصول، أكثرها مطبوع.ينظر: الزركلي، **الأعلام**، (2/ 220)

(3)- حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (1250هـ)، **حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع**، دار الكتب العلمية-بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (1/ 30).

(4)- عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، **م.س**، (ص 94-95).

(5)- وقد قسمها الشهراني إلى قسمين كذلك دون هذا التفصيل كله يراجع الشهراني، **م.س**، (ص 24).

(6)- يراجع د. خليل خلف بشير العامري، **"السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني"**، مجلة القادسية، في الآداب والعلوم التربوية، م9، ع2، 2010م.(ص 42 وما بعدها).

(7)- هذا التقسيم اعتمده الباحث علي حميد خضير، وساقه الباحثون في موقع إسلام ويب مع تعديل، يراجع: **دلالة السياق في النص القرآني**، أطروحة ماجستير ، إشراف: أ.د عبد الإله الصائغ، الأكاديمية العربية في الدنمارك، 1435هـ/2014م، (ص 48 وما بعدها). إسلام ويب، https://www.islamweb.net/ar، كما اعتمده أ.د بودرع: ينظر: أ.د. عبد الرحمن بودرع، **"منهج**

1.السياق المكاني: ويصح أن يسمى داخلياً كذلك ويقصد به في القرآن: إما علاقة السورة القرآنية بما قبلها من السور وبما بعدها، أو علاقة الآية الواحدة ضمن السورة بما قبلها وبما بعدها من الآيات. فتُبنى على أساسه العلاقات بين اللفظ وغيره، داخل الجملة أو الآية القرآنية، أو الجملة داخل النص القرآن، أو النص القرآني داخل السورة الواحدة بشكل عام، وذلك بالبحث عن الروابط الموجودة بينها. مدى اتصال

المتقدم بالمتأخر[1]، وهذا النوع من السياق هو (المناسبات).

2.السياق الزمني: أو سياق التّنزيل، ويعني سياق الآية بين الآيات بحسب ترتيب النّزول. أي: بمعرفة ما نزل من القرآن أولاً، وما نزل آخراً، وتفيد معرفة ذلك عند التعارض بين بعض الآيات، فيحكم ما نزل آخرًا على ما نزل أولاً؛ ويتوقف على معرفة الناسخ والمنسوخ. وهو ما يعرف في الدراسات الحديثة بسياق المقام[2]. فمثلاً قوله تعالى: **"وَالذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "** [البقرة:238]، فلا يمكن معرفة المقصود من هذه الآية إلاّ بعد معرفة وقت نزولها، وأنها سابقة في النزول لقوله تعالى: **"وَالذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" "** [البقرة: 232].

قال ابن العربي (543هـ): "المتوفى عنها زوجها كانت بالخيار بين أن تخرج من بيتها وبين أن تبقى بآية الإخراج، ثم نسخها الله تعالى بالآية التي فيها التربص، ثم أكد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

السياق وأثره في فهم النص"، مقال منشور في عدة مجلات إلكترونية منها مجلة مجمع اللغة العربية: http://www.m-a-arabia.com/، و في موقع الرابطة المحدية للعلماء-المملكة المغربية، https://www.arrabita.ma/blog

(1)- علي حميد خضير، **دلالة السياق في النص القرآني**، (ص 48).

(2)- بودرع، **م.س**، وكذا علي حميد خضير، **م.س**، (ص 48).

"[1]. ومثل ذلك في غير ذلك من الآيات المتقدمة والمتأخرة في النزول لا يمكن رفع اللبس عنها إلا بدرك ذلك السياق.

3.السياق التاريخي[2]: بمعنييه العامّ والخاصّ؛ فالعامّ هو سياق الأحداث التّاريخيّة القديمة، التي حكاها القرآن الكريم والمُعاصرة لزمن التّنزيل، والخاصّ هو أسباب النزول، ومعرفته أمر مهم للمفسر، وتتوقف على معرفته فهم الآيات، وما ينبني عليها من أحكام[3]، وفيه يصرح الزركشي (794هـ): "قد تنزل الآيات على الأسباب خاصة وتوضع كل واحدة منها مع ما يناسبها من الآي رعاية لنظم القرآن وحسن السياق فذلك الذي وضعت معه الآية نازلة على سبب خاص للمناسبة إذ كان مسوقا لما نزل في معنى يدخل تحت ذلك اللفظ العام أو كان من جملة الأفراد الداخلة وضعا تحت اللفظ العام..."[4].

الأسباب الفردية الخاصة في نزول الآيات لا يتعارض مع وضع الآيات في مواضع تناسب سياقها، فالقرآن ينزل على الأسباب منجما تبعا لما تفرق من الوقائع، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بكتابة الآية أو الآيات مع ما يناسبها من الآي في المواضع التي علم من الله أنها مواضعها تثبيتا لمفهوم الوحي، ورعاية النظم القرآن وحسن السياق[5] هذا عن المعنى الخاص للسياق التاريخي.

أما المعنى العام فقد أشار القرآن الكريم إلى حقائق تاريخية ذات صلة وثيقة بحياة العرب عند ذكر أماكن وأخبار خارجة عن محيطهم ،فلم يخاطبهم إلاّ بما يفهمونه ويعهدونه لاسيما أن لهم أسفاراً وتجارات واتصالات تربطهم بالعالم الخارجي.

وفي هذا السياق لا يمكن فهم الآيات بمجرد الأدوات اللغوية بل لابد من الإحاطة بأسباب نزولها والوقوف على تفاصيلها الحقيقية. فسورة التوبة مثلا لا تفهم بمعزل عن تفاصيل غزوة تبوك، وسورة الأنفال تكاد تكون مختصة بغزوة بدر، وسورة الحشر فيها تسجيل تفصيلي لغزوة بني النضير، وسورة الفتح مرتبطة

(1)- أبوكر بن العربي القاضي محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي المالكي (543هـ)، **أحكام القرآن**، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط3، 1424هـ/2003م، (1/ 279).

(2)- يميل البحث إلى دمجه مع الزماني لأن معناهما متقارب.

(3)- بودرع، **م.س**، وكذا علي حميد خضير، م.س، (ص 48)، وقد بسط د. بودرع الموضوع في كتاب: **منهج السّياق في فهم النّصّ**، كتاب الأمة، ع111، 1427هـ/2006م.

(4)- الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، (1/ 25).

(5)- صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، دار العلم للملايين، ط24، 2000م، (ص 149).

بصلح الحديبية وفتح مكة، وسورة الأحزاب سميت بإحدى الغزوات المشهورة وهي غزوة الخندق، أما سورة المزمل، والمسد، والمدثّر، والجن، والفيل، والكوثر، والعلق والقلم والتحريم والنور، لا يتأتى فهمها فهماً كاملاً مالم تتم الإحاطة التامة بتفاصيل سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم[1]. فمثلاً قوله تعالى: **"وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ"** [البقرة: 194]، لا يمكن أن يُفهم منه التقاعد والتقاعس عن واجب الجهاد، وعدم اقتحام ميادين القتال، فهذا فهم غير مراد من الآية، بل ينبغي فهم هذا الخطاب القرآني على ضوء سبب النزول الذي نزلت الآية بسببه؛ وإنما المعنى كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس التهلكة

أن يقتل الرجل في سبيل الله، ولكن الإمساك عن النفقة في سبيل الله[2].

4.السياق الموضوعي: وهو السياق الذي يختص بدراسة الألفاظ والجمل وعلاقاتها بحسب الموضوع الذي يجمعها، وهذا ما اهتم به الكثيرون ووضعت له دراسات. وقد اشتهرت الدراسات الحديثة، بدراسة الموضوع، وقد تحصل هذه الدراسات بحسب الاختصاصات، فالفقيه يهتم بالجانب، الفقهي أي بالموضوع الفقهي، ومنهم من يهتم بالموضوع العلمي، ومنهم من يهتم بالجوانب العلمية الحديثة في القرآن الكريم كآيات الجهاد مثلاً، وآيات النفاق، وآيات الدعوة، وآيات الموالاة، ونحو ذلك من الآيات التي ينظمها موضوع واحد: فلا يمكن تفسير آية ما إلا من خلال جمع الآيات التي تشبهها في الموضوع للوقوف على مختلف أسرارها. وهذا النوع من السياقات يرتبط بالتفسير الموضوعي[3] للقرآن. وفيه عدة ضروب:

---

(1)- د. خليل خلف بشير العامري، **"السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني"**، مجلة القادسية، في الآداب وعلوم التربية كلية الآداب-جامعة البصرة، م9، ع2، 2010م، (ص 50)، نقلاً عن: عبد الوهاب أبو صفية الحارثي، **دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم**، (ص 113).

(2)- ابن كثير، **م.س**، (1/ 529).

(3)- وهو التصنيف الذي اختاره جمع من الباحثين منهم المطيري، والشتوي...ولكن دون تخصيص بلفظ الموضوعي. يقول د. محمد ربيعة: وقد حقق هذا التنوع في سياق القرآن صاحب كتاب: "دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم" فقال: "السياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه قد يقتصر على آية واحدة، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها، بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضاف إليه، بمعنى أن هناك: سياق آية، وسياق النص، وسياق السورة، والسياق القرآني، فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى والغرض ما هو إلا الموضوع": ينظر: د. ربيعة، **م.س**، (ص 33).

✓ **السياق الموضوعي للآية الواحدة:** وهذا بالبحث عن خصوصية في غرضها أو مقصدها وإن وجد الخلاف في معناها أو استشكال لها أيا كان نوعه، يصار إلى تدبر سياقها، أي: بالنظر إلى سباقها ولحاقها دون تجاوز ذلك إلى ما سبقها أو لحقها من آيات؛ لتحديد واقتناص المعنى المراد لأحد المفردات من خلال معانيها المتعددة والمحتملة[1]. وقد يوجد فيه إعمال للسياق اللغوي كما سيعرض لاحقاً[2].

وقد تناول المفسرون[3] هذا النوع كثيراً في بيانهم لتفسير كلام الله والترجيح بين المعاني فيه، ومن على الأمثلة في ذلك: فقد وقع خلاف بين المفسرين في المراد بـ: "أمر الله" في قوله تعالى: **"أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ"** [النحل: 1]. "فقال البعض: هو فرائضه وأحكامه، وقال آخرون: بل وعيد من الله لأهل الشرك به، أخبرهم أن الساعة قد قربت، وأن عذابهم قد حضر أجله
فدنا"[4].

ورجح الطبري (310هـ) الرأي الثاني لدلالة السياق عليه، فقد ورد بعده في الآية نفسها تقريع للمشركين، فقال: "وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: هو تهديد من الله أهل الكفر به وبرسوله، وإعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك وذلك أنه عقَّب ذلك بقوله سبحانه وتعالى: **"عَمَّا يُشۡرِكُونَ"** فدلّ بذلك على تقريعه المشركين ووعيده لهم. وبعد، فإنه لم يبلغنا أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل فرائض قبل أن تُفرض عليهم فيقال لهم من أجل ذلك: قد جاءتكم فرائض الله فلا تستعجلوها. وأما مستعجلو العذاب من المشركين، فقد كانوا كثيرا[5]. وذلك التقريع هو الذي صرف معنى الآية إلى جهة العذاب دون القول بأنه الفرائض.

---

(1)- الشتوي، **م.س**، (ص 42)، المطيري، **م.س**، (ص 106).

(2)- يراجع الفصل الثالث لهذه الأطروحة.

(3)- ذكر د.محمد إقبال عروي في كتابه: **"دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية"** نماذج عديدة مناسبة لهذا النوع، تستحق الرجوع إليها.

(4)- الطبري، **جامع البيان**، (17/ 162).

(5)- الطبري، **م.ن**، (17/ 164).

✓ **السياق الموضوعي للنص:** وهو المقطع المتحد في الغرض من جملة السورة، يظهر مترابط المعنى مع اتحاد في المعنى، يؤدي غرضاً واحداً، وهو في الوقت نفسه خدما للغرض العام للسورة. ويظهر النص غالباً في سياق القصص، وبعض التشريعات، والموضوعات. كقصة آدم، وآيات بني إسرائيل، وآيات القبلة، وآيات الحج في سورة البقرة[1].

وفي هذا المقام يبدع الوصف د.عبد الله دراز فيقول: "إن هذه المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحُجُرات في البينان؟ لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعضاء؛ ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضًا خاصًّا، كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية"[2].

من أمثلة[3]: قوله تعالى:"**إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ**" [البروج:13]. ذكر النحاس[4] (338هـ) في كتابه: "إعراب القرآن" قولان في تأويل المعنى أحدها راجح بالسياق لموافقته ما جاء في القصة القول الأول: "يبتدئ خلق الخلق ثم يعيدهم يوم القيامة، وعن ابن عباس يبدئ العذاب في الدنيا ثم يعيده عليهم في الآخرة، (وهذا الثاني)... وهذا أشبه بالمعنى لأن سياق القصة أنهم أحرقوا في الدنيا ولهم عذاب جهنم..."[5].

✓ **السياق الموضوعي للسورة الواحدة:** وحدة السورة أو سياقها العام هو الذي يطلع القارئ على مضمون السورة كلها.

---

(1)- الشتوي، **م.س**، (ص 43)، ربيعة المطيري، **م.س**، (ص 107).

(2)- د.عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، (ص 188).

(3)- الشتوي، **م.س**، (ص 43).

(4)- **النَّحَّاس (000-338هـ/000-950م)**: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس: مفسر، أديب. مولده ووفاته بمصر. كان من نظراء نفطويه وابن الأنباري. زار العراق واجتمع بعلمائه. وصنف (تفسير القرآن) و(إعراب القرآن) و(تفسير أبيات سيبويه) و(ناسخ القرآن ومنسوخه) و(معاني القرآن) و(شرح المعلقات السبع).ينظر: الزركلي، **الأعلام**، (1/ 208).

(5)- النَّحَّاس:أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (338هـ)، **إعراب القرآن**، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية-بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (5/ 121).

ولكل سورة في القرآن الكريم محور عام وغرض رئيسي، أو أكثر، يستخلص بالتدبر والتمحيص في سياقها العام، أما المقاطع ذات الأغراض الخاصة في السورة، فهي خادمة لهذا المحور العام والغرض الرئيسي فيها[1]. وهذا الارتباط بين الوحدات والأجزاء هو من دلائل إعجاز القرآن البياني، فكيف لسور نزلت متفرقة تنتظم لتكون فيما بينها ائتلافاً وانسجاماً عجيباً، قال البقاعي: "إن معرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن، مترتبة على معرفة الغرض أو الأغراض التي سيقت لها السورة"[2].

ويدخل في سياق السورة الاستدلال بما غلب وروده في السورة كلها. وقد برع كثير من المعاصرين في بيان هذا النوع ومن بينهم: سيد قطب الذي سلك هذا المسلك في تفسيره الظلال، وجعل منهجاً عاماً فيه أن يقدم بين يدي كل سورة بوحدتها الموضوعية وسياقها العام، فيقول،مثلاً، في أول كلامه عن سورة البقرة: "يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أن لكل سورة من سوره شخصية متميزة، شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس، ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها؛ ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسب بينها وفق هذا الجو... وهذا طابع عام في سور القرآن جميعاً، ولا يشذ عن هذه القاعدة طوال السور كهذه السورة"[3].

ويشير في موضع آخر أن هذه السورة تضم عدة موضوعات. ولكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطا شديدا .. فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة ، واستقبالهم لها ، ومواجهتهم لرسولها – صلى اللّه عليه وسلم – وللجماعة المسلمة الناشئة على أساسها ... وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض ، وتبصير الجماعة المسلمة وتحذيرها من العثرات التي سببت تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم ..[4]

---

(1)- المطيري، **م.س**، (ص 113).

(2)- البقاعي، **نظم الدرر**، (1/ 17).

(3)- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (1/ 28).

(4)-سيد قطب،م.ن ،(28/1)

5.السياق المقصدي: يُقصد بالسياق المقصدي النظر إلى الآية القرآنية من خلال مقاصد القرآن الكلية، وعلى ضوء الرؤية القرآنية للموضوع المعالَج[1]. وهو يدور حول المعاني الكلية في القرآن، والأساليب المطردة في القرآن التي تسمى بعادة القرآن.

6.السياق اللغوي: هو دِراسةُ النصّ القرآنيّ من خلال علاقاتِ ألفاظِه بعضها ببعض والأدواتِ المستعملة للرّبط بين هذه الألفاظ، وما يترتّب على تلك العلائق من دلالات جزئية وكلّية[2].

وخير مثال هنا لبيان المقصود من السياق اللغوي الألفاظ المشتركة الدلالة، والوجوه والنظائر. فالبحث فيها يتعلق بالنص القرآني مباشرة، حيث يستنبط المفسر معاني الوجوه والنظائر من الآيات مباشرة، ويقتنصها من السياق القرآني الذي وردت فيه اللفظة، ولذا كثرت عندهم الوجوه في بعض الألفاظ بسبب النظر إلى الاستعمال السياقي، دون الاقتصار على أصل المدلول اللغوي[3]

ومن نماذجه: ما ورد[4] من استدراك خالد بن صفوان[5]، وغيره[6] على الحسن البصري[7] (110هـ) في تفسيره لفظ "سريا" في قوله تعالى: **"فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا"** [مريم: 23]. بأن المقصود به عيسى عليه السلام؛ أي أنه سيد شريف. فقالا للحسن: إن العرب تسمي الجدول: السري، فأجاب الحسن (110هـ) بقوله: "صدقت"، وهذا يشعر بعدم قبولهما تفسير الحسن (110هـ)، وإن كان ما قاله من حيث اللغة صحيحاً، إلا أن تفسيرهما أنسب لسياق الآية؛ لقوله

(1)- أ.د. عبد الرحمن بودرع، **أثر السياق في فهم النص القرآني [الحلقة1]**، الرابطة المحمدية، 18-04-2016م.

(2)- **م.ن.**

(3)-أ.د مساعد بن سليمان الطيار، **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**، دار ابن الجوزي،ط1، 1432هـ (ص 95).

(4)- الفسوي: يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي، أبو يوسف (277هـ)، **المعرفة والتاريخ**، تح: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط2، 1401هـ/1981م، (2/ 68).

(5)- **خالد بن صفوان (000- نحو 133هـ/000- نحو 750م)**: ابن عبد الله بن عمرو ابن الأهتم التميميّ المنقريّ: من فصحاء العرب المشهورين. كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار. ولد ونشأ بالبصرة. عاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العباسي وحظي عنده. وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشئ وذمه. وجمع بعض كلامه في (كتاب). وكان يرمى بالبخل. وكف بصره. الزركلي، **الأعلام**، (2/ 297).

(6)- وهو حميد بن عبد الرحمن الحميري البصري.

(7)-سبقت ترجمته.

تعالى: "**فَكُلِي وَاشْرَبِي**" [مريم: 25]؛ أي: كلي من الرطب واشربي من السري؛ أي: النهر، والله أعلم[1]. فإن تلك الألفاظ لا يمكن تحديد معناها المقصود إلاّ من خلال السياق الذي وردت فيه.

هذه هي أنواع السياق القرآني، وهي بمجموعها تنبئ عن عظمة القرآن في ترابطه وبنائه وإحكامه.

المطلب الخامس: نتائج تحليلية في الصلة بين علم السياق والمناسبات:

أورد الجاحظ (255هـ) في "البيان والتبيين" تعريفا للبلاغة ،واصفا إياه بأنه أفضل ما اجتبيناه ودوّنه فقال: "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"[2].

تتفق جل الدراسات، بخاصة الأكاديمية منها، على الارتباط الوثيق بين علم التناسب وعلم السياق لكن لا يوجد فصل في أسبقية أحدها على الآخر. فمنهم من يرى أن معرفة السياق متوقفة على البحث عن المناسبة، ومن منهم من يرى عكس ذلك. ومنهم من لا يضع فرقاً بينهما[3].

وسبقت الإشارة إلى تعلق السياق بعلم المناسبة عند الحديث عن أقسامه في القرآن وهو السياق المكاني الذي يعرف بالترابط بين الآيات أو السور...

(1)- الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، (21/ 527)، والنموذج أشار إليه أ.د مساعد الطيار.ينظر: **التفسير اللغوي**، (ص 88)، و(ص157)، وقد اتفق المفسرون إلا الحسن وعبد الرحمن بن زيد أن السري هو النهر والجدول سمي بذلك لأن الماء يسري فيه وأما الحسن وابن زيد فجعلا السري عيسى والسري هو النبيل الجليل يقال فلان من سروات قومه أي من أشرافهم وروي أن الحسن رجع عنه وروي عن قتادة وغيره أن الحسن تلا هذه الآية وبجنبه حميد بن عبد الرحمن الحميري: قد جعل ربك تحتك سريا فقال: إن كان لسريا وإن كان لكريما، فقال له حميد: يا أبا سعيد إنما هو الجدول فقال له الحسن من ثم تعجبنا مجالستك، واحتج من حمله على النهر بوجهين: أحدهما: أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن السري فقال: هو الجدول.والثاني: أن قوله: فكلي واشربي يدل على أنه نهر حتى ينضاف الماء إلى الرطب فتأكل وتشرب... ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، (21/ 528).

(2)- عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (255هـ)، **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال- بيروت، 1423هـ، (د.ر.ط)، (1/ 113).

(3)- ومن هؤلاء الشهراني في كتابه :**السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة**، وذلك في أثناء عرضه لأثر السياق في علم المناسبة يكتفي بذكر نماذج من التفسير دون بيان لأثر السياق، بل و دون تسميته ،مما يحي بأنه لا يرى وجود فرق بينه وبين علم المناسبة، يراجع الكتاب، (ص 413 وما بعدها).

وممن لا يضع فرقاً بينهما د.شلتاغ عبود ، فهو يرى بأنهما مرتبطان ارتباطاً عضوياً حيث لا يمكن فصل أحدها عن الآخر، ويساعد التأمل في السياق وفهم التناسب على فهم التشابه بين الآيات يقول: "يعني أن الصياغة لهذه الآية تتناسب وتتناسق مع الهدف الذي سيقت من أجله الآية أو المضمون أو المعنى السابق أو اللاحق، وأن الصياغة الأخرى للآية الشبيهة بالأولى... دلالتها المعنوية لسياقها تختلف عن الأولى"[1].

وممن يرى أن معرفة المناسبة متوقف على إدراك السياق مثلاً د. محمد الربيعة الذي صرّح بأن المناسبات جزء أساسي في السياق، وهي لا تظهر إلاّ بمعرفة الرابط بينها وهو الغرض، والغرض هو الركن الأساس في السياق، ولهذا فإن المناسبات جزء من السياق، وهي تمثل عنصراً أساساً فيه وهو النظم، وذلك أن النظم هو الجامع لبناء الآية وتراكيبها والترابط بين جملها في نظام واحد تحت غرض واحد[2]. فالمناسبات عنده لا تظهر إلاّ عند معرفة الغرض وما يحتاجه بالتأمل في السياق، وعليه يكون سابقا عليها. ويصرح الباحث في موضع آخر بأن السياق القرآني هو المعتبر في حل الخلاف والإشكال والتشابه في الآيات، وهو الدال على المناسبات وأسرار التعبير في الآية[3].

ويقرر هذا شيخ البقاعي (885هـ) بما نقله عن شيخه الحرالي (638هـ) هذا المعنى فيقول: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر إلى ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب... وإذا فعلته تبين لك -إن شاء الله- وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة"[4].

ويضيف أن الإجادة فيه -أي في علم المناسبات- تتوقف على: "معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود في جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير، نسبة البيان من علم النحو"[5].

---

(1)- د. شلتاغ عبود، **أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم**، دار المحجة البيضاء-بيروت-لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، (ص 25).

(2)- محمد الربيعة، **أثر السياق القرآني**، (ص 68).

(3)- د. محمد الربيعة، **م.ن**، (ص 27).

(4)- البقاعي، **نظم الدرر**، (1/ 18).

(5)- البقاعي، **الدرر**، (1/ 5).

وهو ما ذهب إليه المطيري حيث بيّن أنه للتوصل للمناسبة مراحل أولها: النظر في السياق وفهم معناه ثم البحث عن الرابط ووجه المناسبة، سواء للكلمة في السياق، أو تتابع الجمل في الآية، أو مناسبة الفاصلة للآية، أو الآية للآية، أو المقطع للمقطع... الخ، فهنا يكمن دور السياق[1]. ويصرح في موضع آخر من رسالته بأن الجمل القرآنية تترابط وتتعانق من خلال المناسبة بينها، لتؤدي المعنى بوضوح،والذي يدل على هذه المناسبة هو السياق القرآني[2].

ويؤكد على هذا الانسجام والتلاحم د. المثنى الذي يرى بأن علم المناسبات هو الترجمان الحقيقي للسياق، يرتبط به كارتباط الرأس بالجسد، فالأول يبحث في بيان وجه ارتباط الآيات بعضها ببعض في سياقها، والثاني هو الضام لتلك الآيات بكل ما تحمله.فبيان وجه المناسبة هو بيان وجه اتساقها وانتظامها في سياق ما، إذ هو الكاشف عن وجهها، والدال على معانيها ومبانيها فوظيفته الكشف عن تتابع تلك المعاني، ووظيفة المناسبة الكشف عن وجه ورود هذا المعنى في هذا الموضع،فبينهما علاقة تكاملية[3].

أما د. زيد عمر عبد الله فيرى أن مراعاة السياق دال على علم المناسبة بصريح العبارة، يقول: "يمكن... أن نتفهم دور السياق القرآني في الكشف عن المعاني ونحن نستحضر أن ترتيب الآيات في السور القرآنية توقيفي، وأن المناسبة في الأصل قائمة بين هذه الآيات، وهذا يحمل على الاطمئنان إلى النتائج التي تسفر عنها مراعاة السياق في نظم معجز تكلم بها لحكيم الخبير..."[4]. فعند أصحاب هذا الرأي لا يتم استجلاء المناسبات إلاّ بعد معرفة سياق المقاطع القرآنية في الآية الواحدة أو أكثر، وحينئذ يتحدد الموضوع أو الغرض وبه يكون إبراز المناسبة أمراً في غاية الوضوح والبيان.

يؤكد أ.د زياد دغامين بأن مقصود السورة- وهو الغرض في السياق-ناتج عن معرفة مناسبات الآيات لا العكس[5].

ويستشهد الدكتور عبد الحكيم القاسم في كتابه: "دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير" برأي زياد دغامين ويزيد عليه بالتصريح باستحالة إدراك السياق دون معرفة المناسبة بين الآيات، حيث يقول:

(1)- المطيري، **م.س**، (ص 266).

(2)- المطيري، **م.س**، (ص 271).

(3)- د. عبد الفتاح المثنى، **السياق القرآني**، (ص 47).

(4)- زيد عمر عبد الله، **"السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني"**، مجلة جامعة الملك سعود، م15، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (2)، 1423هـ/2003م، (ص 841).

(5)- زياد دغامين، **منهجية البحث في التفسير الموضوعي**، (ص 102-103).

"السياقات لا تعرف إلاّ بعد معرفة المناسبات، إذ لا يمكن من أول وهلة أو لمحة أن تعرف سياق السورة، بل بالتأمل الكثير في مرحلة نزولها، وما بين مقاطع السورة وانتقالاتها، وتعقيباتها يظهر ما سيقت له"[1].

أما الدكتور ردة الله الطلحي، فقد أحسن البيان في مدى ارتباط المناسبة بالسياق، حيث ذهب إلى القول بأنه إذا كان مجمل علاقات التناسب غير اللغوية فيما بين الآيات ذهنية، كما أشار إلى ذلك الزركشي (794هـ) في: "البرهان"[2]؛ فإن التناظر والتضاد والاستطراد التي ذكرها- أي الزركشي- هي استنباطات سياقية معتمدة إما: على سياق الموقف؛ في اكتشاف التناظر بين الآيات من خلال سبب النزول... وإما معتمدة على سياق النص؛ من خلال قراءة المفاهيم التي تحملها الآيات من التضاد والاستطراد"[3].

والحقيقة، إذا كانت المناسبات جزءاً من السياق من جهة أنها مبنية على الغرض، فإن لها أثراً ظاهراً في معرفة السياق العام للسورة ومحورها الأساس، وذلك أن تتابع الآيات في السورة يظهر المعنى الجامع لها والرابط بينها وهو السياق العام أو المحور الأساس. فظهر بذلك أن بينهما علاقة مشتركة من هذا الوجه. وبينهما تداخل وارتباط عجيب يحسن فيه ما نقل سابقا من كلام الجاحظ (255هـ)[4].

ولعل التفصيل بأنواع السياق أظهر في بيان الفرق: فالسياق الداخلي بمختلف أنماطه مسلك للدلالة على المناسبات؛ بخاصة أنه نوع من تفسير القرآن بالقرآن وهو ضرب من التفسير بالمأثور، مع الأخذ بعين الاعتبار أن علم المناسبات أمر اجتهادي. أما السياق الخارجي، الذي يحتاج إلى قرائن خارج عن النص، قد يكون أمراً بعيد المنال حتى تدل عليه المناسبات بمختلف أنواعها.والله أعلم. وهذه نماذج[5] عن مدى ارتباط السياق بالعلم المناسبة.

---

(1)- د.عبد الحكيم القاسم، **م.س**، (ص 128).

(2)- ينظر الزركشي ،**البرهان**،(41/1 وما بعدها)

(3)- ردة الله الطلحي، **دلالة السياق**، (1/ 125).

(4)- وهو قوله: "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك".

(5)- سيسوق البحث نماذج عديدة تبين مدى ارتباط السياق بالمناسبة في مواضع مختلفة منه.

وقد يصح الاجتهاد بمقابلة دلالة السياق عبارة النص [1]، والمناسبة إشارة النص[2]-عند الحنفية-.

نماذج عن ارتباط السياق بالمناسبة:

الأنموذج الأول: في مناسبة قوله تعالى: **"حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ"** [البقرة: 238]. جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن أحكام الأسرة، وعلاقات الزوجين عند الافتراق بالطلاق، أو عند التفريق بينهما بالموت وفي بيان مناسبتها أوجه منها:

- ✓ أن الله سبحانه وتعالى دعا إلى العفو والتسامح، وعدم نسيان الفضل عند الافتراق، ومنع المشاحنة والمنازعة حيث تتوقعان؛ ولقد بيَّن سبحانه بعد ذلك ما يربي في النفس نزوع التسامح، والبعد عن التجافي وهو ذكر الله سبحانه وتعالى، والإحساس بالخضوع له والانصراف إليه، ومحبته وطلب رضاه؛ فإن من يحب الله ورضوانه يحب الناس ولا ينازعهم، ولا يكون ذلك كله إلا بالقيام بالصلاة وأدائها على وجهها[3].
- ✓ وأن في هذا التذكير القولي ما يبعث على إقامة تلك الأحكام على وجهها قد يغفل المرء عن تدبره، ويغيب عن الذهن تذكره، بانهماك الناس في معايشهم واشتغالهم بما يكافحون من شدائد الدنيا، فالصلاة، فهي التي تخلع الإنسان من تلك الشواغل التي لا بد له منها، وتوجهه إلى ربه جل وعلا، فتكثر له مراقبته، حتى تعلو بذلك همته، وتزكو نفسه، فترتفع عن البغي والعدوان، و ترتقي في معارج الفضل إلى مستوى الامتنان فتكون جديرة بإقامة تلك الحدود...[4]. قال

(1)-المراد بعبارة النص صيغته المكونة من مفرداته وجملة. والمراد بما يفهم من عبارة النص المعنى الذي يتبادر فهمه من صيغته، ويكون هو المقصود من سياقه، فمتى كان المعنى ظاهرا فهمه من صيغة النص، والنص سيق لبيانه وتقريره، كان مدلول عبارة النص " ويطلق عليه المعنى الحرفي للنص". ودلالة العبارة: هي دلالة الصيغة على المعنى المتبادر فهمه منها، المقصود من سياقها. سواء أكان مقصودا من سياقها أصالة أو مقصودا تبعا أي:سواء كان ذلك المعنى عين الموضوع له أو جزأه أو لازمه المتأخر.يراجع: التفتازاني : سعد الدين مسعود بن عمر (793هـ) ،**شرح التلويح على التوضيح**، مكتبة صبيح، مصر،درط ،دت ط، (1/ 249)،وعبد الوهاب خلاف، **علم أصول الفقه**، مكتبة الدعوة - شباب الأزهر ،ط8، درط ، دت ط،(ص144).

(2)-المراد بما يفهم من إشارة النص المعنى الذي لا يتبادر فهمه من ألفاظه ولا يقصد من سياقه ولكنه معنى لازم للمعنى لازم للمعنى المتبادر من ألفاظه، فهو مدلول اللفظ بطريق الالتزام. عبد الوهاب خلاف،**علم أصول الفقه** ، (ص 145)

(3)- محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (1394هـ)، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (2/ 836).

(4)- ينظر: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم -تفسير المنار-**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ر.ط)، 1990م، (2/ 345).

البيضاوي[1] (685هـ): "لعل الأمر بها في تضاعيف أحكام الأولاد والأزواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها"[2].

الأنموذج الثاني: في قوله قوله تعالى: " **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**" [البقرة:275]، فالملاحظ في هذه الآية أن جملة: "**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**"، معترضة بين أحكام الربا. ولما كان شأن الاعتراض ألاّ يخلو من مناسبة بينه وبين سياق الكلام، كان الإخبار بأن الله لا يحب جميع الكافرين مؤذناً بأن الربا من شعار أهل الكفر، وأنهم الذين استباحوه فقالوا إنما البيع مثل الربا، فكان هذا تعريضا بأن المرابي متسم بخلال أهل الشرك...[3]. فها هنا تأكيد على الارتباط الكائن بين العلمين.

الأنموذج الثالث: قوله سبحانه وتعالى: "**أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ**" [الأنفال: 4-5]. فمناسبة الآية : "**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ**" هاهنا لا تظهر إلاّ إذا تم ربطها بالسياق السابق لها وهو بداية سورة الأنفال في قوله: "**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ**" [الأنفال: 1].

وبغير ذلك لا يظهر أي تناسب بينها وبين ما قبلها، وهو ما أشار إليه الزركشي (794هـ) بقوله: "إن الله سبحانه أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون وذلك أنهم اختلفوا في القتال يوم بدر في الأنفال وحاجوا النبي صلى الله عليه وسلم وجادلوه فكره كثير منهم ما كان من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في النفل فأنزل الله هذه الآية وأنفذ أمره بها وأمرهم أن يتقوا الله ويطيعوه ولا يعترضوا عليه فيما يفعله من شيء ما... يريد أن

(1)- **البَيْضاوي** (**000-685هـ/000-1286م**): عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (فارس-رب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها.من تصانيفه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) و(طوالع الأنوار) و(منهاج الوصول إلى علم الأصول) وغيرها... الزركلي، **الأعلام**، (4/ 110).

(2)- البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط1، 1418هـ، (1/ 147).

(3)- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (3/ 91-92).

كراهتهم لما فعلته من الغنائم ككراهتهم للخروج معك فتأويله: افعل في الأنفال كما فعلت في الخروج إلى بدر وإن كره القوم ذلك"[1].

---

(1)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 47).

المبحث الثالث: علم المناسبة والمقاصد القرآنية:

المطلب الأول: مفهوم المقاصد:

المطلب الثاني: العلاقة بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة:

المطلب الثالث: تصورات تحليلية في الصلة بين علم المناسبة وعلم المقاصد:

أنزل هذا القرآن لهداية الناس، وهذه الهداية لا تتحقق على وجه الكمال إلاّ بالتأمل الدقيق في جزئيات القرآن الكريم وكلياته، ومعرفة ما أُنزلت من أجله، وهذا باعث حثيث للنظر في المقاصد والأغراض التي سيقت لأجلها تلك الآيات... فعلم المقاصد من أعظم العلوم المتعلقة بالتفسير؛ إذ لابد للمفسر أن يراعي مقاصد الشارع، والغرض الذي ورد النص لأجله.والمقصد هو العمدة في كل كلام. وهو وسيلة تحقيق التدبر قال الشاطبي (790هـ) في الموافقات: "فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد..."[1].

المطلب الأول: مفهوم المقاصد:

أولاً: التعريف والتوصيف:

القصد والمقصد مشتقان من الفعل "قصد"، والقصد: استقامة الطريق، والاعتماد، والأَمُّ، والعدل، والتوسط، وإتيان الشيء. يقال: قصده، وله، وإليه، يقصده[2].

وحين يطلق لفظ المقاصد ينصرف الذهن أولاً إلى الدراسات الأصولية والفقهية في هذا المجال ولذلك لا مفر من التعريج إلى بيان المراد من مقاصد الشريعة أولا ،ثم تحديد معنى مقاصد القرآن، وإن كان الثاني هو أصل الأول،فعليه يدور ومنه يُستمد.

تتفق جل البحوث والدراسات الشرعية والأصولية المتقدمة، وحتى المتأخرة، أنه يعز أن تجد تعريفاً محدداً أو دقيقاً للمقاصد يحظى بالقبول والاتفاق من قبل كافة العلماء أو أغلبهم. وإن كان من المسلّم به أنه لم يكن غائباً عن المتقدمين العمل بالمقاصد واستحضارها في اجتهاداتهم وآرائهم، غير أنهم لم يضعوا لها حداً منضبطاً؛ وحتى أب المقاصد: الشاطبي (790هـ) في موافقاته م يحرص على إعطاء حد له، لكونه كان علماً لم تكتمل مباحثه تدويناً[3]، أو لأن ما زهده في ذلك أنه كتب كتابه للعلماء، بل للراسخين في علوم الشرعية، ومن كان هذا وصفه فليس بحاجة لإعطائه أي تعريف[4].

(1)- الشاطبي، **الموافقات**، (4/ 209).

(2)- ينظر: ابنفارس، **مقاييس اللغة**، (5/ 95-96). وابن منظور، **لسان العرب**، (3/ 353-354).

(3)- أ.د. الأخضري: أبو عبد الرحمن الأخضر، **الإمام في مقاصد الأنام**، دار ابن حزم، ط1، 1432هـ/2011م، (ص 59).

(4)- أ.د. أحمد الريسوني، **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي**، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط2، 1412هـ/1992م، (ص 5).

وقد تتبع نور الدين بن مختار الخادمي أغلب التعبيرات والاستعمالات لكلمة: "المقاصد" التي استخدمها العلماء، قديماً وحديثاً، ليعنوا بها مراد الشارع، فوجد أنه يعبر عن المقاصد عندهم بالحكمة المقصودة بالشريعة، ويعبر عنها أيضاً بمطلق المصلحة، ويعبر عنها كذلك بنفي الضرر ورفعه وقطعه، كما يعبر عنها بدفع المشقة ورفعها، ورفع الحرج والضيق، تقرير التيسير والتخفيف، ويعبر عنها كذلك بالكليات الشرعية الخمس الشهيرة، وبالعلل الجزئية للأحكام الفقهية، ما يتفرع عن العلة كالموجب والسبب... ويعبر عنها أيضاً بمعقولية الشريعة وتعليلاتها وأسرارها، كما يعبر عنها بلفظ المعاني، وبالغرض والمراد والمغزى[1].

وحرص بعض الباحثين المعصرين على وضع تعريف محدد للمقاصد، وهذه التعريفات وإن كانت متعددة إلاّ أنها على اتفاق في جوهرها، غايتها بيان مراد الله من كلامه وأحكامه. وبأن المقاصد لا تبحث في الأحكام ولكن في ثمراتها ومآلاتها الشرعية[2].

ومن بينهم: محمد الطاهر بن عاشور في مؤلفه: مقاصد الشريعة بقوله: "مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضا معاني من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"[3].

البسط يختص هنا على المقاصد العامة للشريعة، وفي قسم آخر من الكتاب نفسه أشار إلى تعريف المقاصد الشرعية الخاصة، وبيّن أنها: "الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة، ويدخل في ذلك كل حكمة روعيت في تشريع أحكام تصرفات الناس..."[4].

---

(1)- يراجع: الخادمي، **الاجتهاد المقاصدي: حجيته، ضوابطه، مجالاته،كتاب الأمة**، وزارة الشؤون الإسلامية-قطر، ع65، س18، ط1، 1419هـ، (1/ 48-49-50-51).

(2)- الأخضري، **الإمام في مقاصد رب الأنام**، (ص 21).

(3)- ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (1393هـ)، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-قطر، 1425هـ/2004م، (3/ 165).

(4)- ابن عاشور، **م.ن**، (3/ 402).

أما علال الفاسي (1394هـ) [1] فقد قال في تعريف المقاصد عموماً: "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"[2]. يظهر من هذا التعريف، أنه جمع بين مقاصد الشريعة العامة ومقاصدها الخاصة. ويبدو أن ما انتهى إليه كل من الطاهر ابن عاشور وعلال الفاسي في تعريفهما يعد مرجعا لأغلب التعريفات المتداولة بعدهما في بعض الكتابات المقاصدية المعاصرة.

وهو ما صرّح به، مثلاً، أحمد الريس وأوضح أن تعريفه مبني على التعريفين السابقين، إذ قال: "وبناء على هذه التعريفات والتوضيحات لمقاصد الشريعة لكل من ابن عاشور وعلال الفاسي وبناء على مختلف الاستعمالات والبيانات الواردة عند العلماء الذين تحدثوا عن موضوع المقاصد، يمكن القول: إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"[3].

وقد تعرض الدكتور نور الدين بن مختار الخادمي لتعريف المقاصد في كتابه: "الاجتهاد المقاصدي" بعد أن أورد تعريفات غيره اختار تعريفاً له ضمه بعض الزيادات يسيرة، إذ قال: "المقاصد: هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية والمترتبة عليها سواء أكانت تلك المعاني حكما جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين"[4].

وخلاصة القول إن هذه التعريفات في جملتها تدور على كون المقاصد تمثل مراد الله في أحكامه وتشريعاته مما فيه مصلحة للخلق في العاجل والآجل. أو الأوصاف الكلية والجزئية التي تعكس مراد الشرع[5].

ثانيا: المراد بمقاصد القرآن:

---

(1)- **علال الفاسي (1326-1394هـ/1908-1974م)**: علال (أو محمد علال) بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال بن عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري: زعيم وطني، من كبار الخطباء العلماء في المغرب. ولد بفاس وتعلم بالقرويين. وتنقل في بعض العواصم وتولى وزارة الدولة للشؤون الإسلامية. ودرّس في كلية الحقوق. صدرت له كتب منها (النقد الذاتي) و(المغرب العربيّ منذ الحرب العالمية الأولى) و(مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها). ينظر: الزركلي، **الأعلام**، (4/ 246).

(2)- علاّل الفاسي، **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**، دار الغرب الإسلامي، مؤسسة علال الفاسي، ط5، 1993م، (ص 7).

(3)- الريسوني أحمد، **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي**، (ص 7).

(4)- الخادمي: نور الدين بن المختار، **الاجتهاد المقاصدي: حجيته، ضوابطه، مجالاته**، (ص 52 – 53).

(5)- الأخضري، **الإمام في مقاصد رب الأنام**، (ص 25).

مصطلح مقاصد القرآن جاء شذرات في مؤلفات بعض القدامى[1] منهم الطبري(310هـ) في تفسيره تكرر عنده لفظ المقصود من الآية كذا...[2]. ومنهم الباقلاني (403هـ) في: "كتاب الانتصار" يرى بأنه يُحتاج إلى إدراك إعجاز القرآن في قصار السور "إلى نظر دقيق وفكر وتحر بقدر شرف نظم الكلام ومعانيه، وعدد ما يشتمل عليه من المعاني الصحيحة والمقاصد الكثيرة"[3]. وفي موضع آخر من الكتاب نفسه يصرح بأن دخول الشبهة في تأويل القرآن راجع إلى الجهل بأحوال القرآن ومقاصده[4].

وأول من أفرد الحديث عن مقاصد القرآن هو الغزالي[5] (505هـ) في: "كتابه جواهر القرآن"، حيث عقد في القسم الأول الذي سمّاه: "المقدمات والسوابق" في الفصل الثاني منه في حصر مقاصد القرآن ونفائسه[6]. حيث حصر سور القرآن وآياتُه في ستة أنواع[7]. ويمكن جمعها في:

- ✓ التوحيد.
- ✓ العبادة: بالإقبال على الله والإعراض عن غيره.
- ✓ الوعد والوعيد.

---

(1)- تتبعها بعض الباحثين. يراجع: عبد الرحمن حللي، **"مقاصد القرآن الكريم –دراسة تاريخية–"**، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية الماليزية، م20، ع.أ30، 1438هـ/2016م، (ص 4).

(2)- وذلك في مواضع عديدة يراجع بعضها... الطبري، **جامع البيان**، (1/ 115)، (3/ 218)، (3/ 314)، (5/ 442).

(3)- الباقلاني، **الانتصار للقرآن**، (1/ 276).

(4)- الباقلاني، **م.ن**، (1/ 315-316).

(5)- **الغَزالي (450–505هـ/1058–1111م)**: محمد بن محمد بن محمد الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غَزَالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف.من كتبه (إحياء علوم الدين) و(تهافت الفلاسفة) و(الاقتصاد في الاعتقاد) وغيرها...الزركلي، **الأعلام**، (7/ 22).

(6)- الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (505هـ)، **جواهر القرآن**، تح: د. محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم- بيروت، ط2 ، 1406هـ/1986م، (ص 23 وما بعدها).

(7)- ثلاثة منها: هي السوابق والأصول المُهِمّة وهي:تعريف المدعو إليه. وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه. وتعريف الحال عند الوصول إليه.وثلاثة: هي الرَّوادف والتوابع المُغنِيَة المُتِمَّة وهي:تعريف أحوال المُجيبين للدعوة ولطائف صُنع الله فيهم؛ وسره ومقصوده التشويق والترغيب. وتعريف أحوال الناكبين والناكلين عن الإجابة وكيفية قمع الله لهم وتنكيله لهم؛ وسره ومقصوده الاعتبار والترهيب.حكاية أحوال الجاحدين، وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحاجة على الحق، وسره ومقصوده في جنب الباطل الإفضاح والتنفير، وفي جنب الحق الإيضاح والتثبيت والتقهير. تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد.ينظر: الغزالي أبو حامد، **جواهر القرآن**، (ص 23-24).

- ✓ القصص الأنبياء والأمم الغابرة.
- ✓ محاجة الكفار.
- ✓ معرفة تفاصيل التشريع الخاصة بجلب المنافع ودفع المضار.

ويلاحظ من خلال المقصد الأخير، أنه جعل مقاصد التشريع العامة قسماً من أقسام مقاصد القرآن.

وقريب منه البغوي (510هـ) في مقدمة تفسيره عن سبل إدراك مقاصد القرآن فقال -واصفاً القرآن- : "...أمر فيه وزجر وبشر وأنذر وذكر المواعظ ليتذكر، وقص عن أحوال الماضين ليعتبر، وضرب فيه الأمثال ليتدبر، ودل على آيات التوحيد ليتفكر، ولا حصول لهذه المقاصد إلاّ بدراية تفسيره وأعلامه، ومعرفة أسباب نزوله وأحكامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه، ومعرفة خاصه وعامه...[1].

كما استعمل الزمخشري (538هـ) اللفظ نفسه ليصف آيات من القرآن وذلك في معرض نفسيره الآيـــة: "**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا**" [مريم:73]. حيث قال: "بيّنات مرتلات الألفاظ، ملخصات المعاني، مبينات المقاصد: إما محكمات أو متشابهات، قد تبعها البيان بالمحكمات"[2]. وغير هؤلاء كثير.

ويتداول نفر من الباحثين تعريف العز بن عبد السلام (660هـ) لمقاصد القرآن بقوله: "معظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها"[3]. وعبر عنها البعض بقوله: "بيان المعاني والحِكَم المقصودة من كل آية، وكل جملة وكل لفظة قرآنية، هو غرض المفسر من تفسيره". وهو ينطبق على المقاصد التفصيلية، كما أشار إلى ذلك الريسوني في كتابه: "مقاصد المقاصد"[4].

---

(1)- البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي محيي السنة (510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط1، 1420هـ، (1/ 45).

(2)- الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (3/ 36).

(3)- أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، سلطان العلماء (660هـ)، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة، 1414هـ/1991م، (1/ 8).

(4)- أ.د.الريسوني، أحمد، **مقاصد المقاصد: الغايات العلميّة والعمليّة لمقاصد الشريعة**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر-بيروت، ط1، 2013م، (ص 9).

أما المقاصد العامة كما عرفها عبد الكريم حامدي[1]، ووافقه الريسوني عليها، فهي تلك: "الأغراض العُليا الحاصلة من مجموع أحكام القرآن"[2]. بشكل من التفصيل هي: الموضوعات أو المحاور الأصلية والرئيسة التي يدور حولها القرآن وما يتفرع عنها من فروع، مع مراعاة النظر في الحِكم والغايات والأهداف التي أرادها الشارع من ذكر هذه الأمور.

وقد تباين الدارسون في تحديد عدد هذه المقاصد، فهي عند رشيد رضا عشرة مقاصد، وعند ابن عاشور ثمانية، وعند عبد الكريم حامدي والقرضاوي سبعة،وعند الريسوني ستة، وعند أبي حامد الغزالي خمسة وسماها محاور، وعند النورسي أربعة، وعند علال الفاسي والعلواني وجمال الدين عطية ثلاثة، وعند طه عبد الرحمن واحدة[3]. والتعرف[4] إليها –أي مقاصد القرآن– فيتحقق من خلال مسلكين أو بابين:

✓ **المسلك الأول**: ما جاء التنصيص عليه في القرآن نفسه، من أغراض وأوصاف وتعليلات لهذا الكتاب الكريم وما أنزل لأجله، وما يتحقق بتلاوته واتّباعه من نتائج وآثار وفوائد. في هذا المسلك يكفي استحضار الآيات المتضمنة لهذا الغرض أو المنبهة عليه. وهي آيات لا تحتاج إلى شرح أو تفسير ولكنها قد تتطلب –أحياناً– شيئاً من التأمل والتفكير.

✓ **المسلك الثاني**: هو استقراء مضامينه وأحكامه التفصيلية، واستنباط العناصر المشتركة الجامعة لما تُركزُ عليه وما تدعو إليه.

المطلب الثاني: العلاقة بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة: اختلف الباحثون[5] في تحديد تلك العلاقة؛ فهناك من يرى أن بينهما عموم وخصوص وجهي، حيث يمكن من جهة، عدّ مقاصد القرآن أعم

(1)– ينظر: د. حامدي عبد الكريم، **مقاصد القرآن من تشريع الأحكام**، دار ابن حزم–بيروت، ط1، 2008م، (ص 47)، (تعذر الحصول على الكتاب، ومعلوماته منقولة عن: ماهر حسين حصوة، **"مقاصد القرآن الكريم في بناء الحضارة والعمران"**، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ع89، س23، 1438هـ/2017م، (ص 159).

(2)– أ.د. الريسوني، **مقاصد المقاصد**، (ص 10).

(3)– هذا الاستقراء لماهر حسين حصوة، ينظر: **مقاصد القرآن في بناء الحضارة، م.س**، (ص 160–161)، ويراجع بعضها عند الريسوني، **مقاصد المقاصد**، (ص 13 وما بعدها).

(4)– أ.د. الريسوني، **م.ن**، (ص 11).

(5)– يراجع: عبد الرحمن حللي، **"مقاربات مقاصد القرآن –دراسة تاريخية–"**، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية، م20، ع A 39، 1438هـ/2016م، (ص 6–7).

من مقاصد الشريعة باعتبار الموضوع؛ فالأولى تشمل العقيدة والأخلاق والترغيب والترهيب... ومن جهة أخرى تعد الثانية، أعم باعتبار وسائل تحصيلها إذ تشمل مصادر التشريع كلها على خلاف وسائل تحصيل مقاصد القرآن.

وفرّق البعض بينها على أساس أن مقاصد القرآن هي الأصل وتستنبط من القرآن فقط ،وتشمل كلياته وأما مقاصد الشريعة فتنبثق عن مقاصد القرآن، وتستنبط من القرآن والسنة، وتشمل شرح مقاصد القرآن وتفصيلها، وأن مقاصد الشريعة تُعنى بالمعاني والحكم والغايات التي قصدها الشارع في كل حكم من الأحكام، ومقاصد القرآن هي القضايا العامة والمحاور الكبرى الرئيسية التي جاء القرآن لتقريرها، وعليه فمقاصد الشريعة جزء من مقاصد القرآن، لأن الأحكام والتشريع جزء من القرآن، وليست كل القرآن. وهذا هو الأقرب إلى الصواب –والله أعلم–، إذ أن القرآن هو وعاء المقاصد كلها، فمصادر التشريع التي هي وسائل تحصيل مقاصد الشريعة تستمد حجيتها كلها من القرآن.

المطلب الثالث: تصورات تحليلية في الصلة بين علم المناسبة وعلم المقاصد:

مقاصد القرآن تقع على ثلاث درجات أو ثلاثة مستويات[1]، هي: مقاصد الآيات المقاصد التفصيلية للآيات القرآنية يعنى بها عامة المفسرين، سواء جاء ذلك مقصوداً وصريحاً منهم، أو يفهم ضمناً من كلامهم؛ببيان المعاني والحِكَم المقصودة من كل آية، وكل جملة وكل لفظة قرآنية. ومقاصد السور: وهي الأغراض التي جاءت من أجل تحقيقها كل سورة، ثم المقاصد العامة للقرآن. ويتوقف معرفتها على معرفة بعضها، فكتاب الله يتوقف فهم بعضه على بعض بوجه ما، وذلك أنه يبين بعضه بعضاً؛ حتى إن كثيراً منه لا يفهم معناه حق الفهم إلاّ بتفسير موضع آخر أو سورة أخرى، ولأن كل منصوص عليه فيه من أنواع الضروريات مثلاً مقيد بالحاجيات، فإذا كان كذلك؛ فبعضه متوقف على البعض في الفهم[2].

والعلم بأسلوب الشارع وعادته وطريقته في التعبير عن الأحكام الشرعية ومقاصدها ضروري جداً، إذ أن التخاطب بين المتكلمين ما وضع إلاّ لقصد الفهم والتواصل، فالعلاقة إذاً بين المقاصد والخطاب الشرعي وطيدة جداً، فلابد من ربط الكلام مع بعضه أوله وآخره وسببه وغايته حتى يفهم المراد منه[3].

(1)– أ.د. أحمد الريسوني، **مقاصد المقاصد**، (ص 9).

(2)– الشاطبي، **الموافقات**، (4 /275).

(3)– د. يوسف أحمد محمد البدوي، **المقاصد عند ابن تيمية**، دار النفائس–الأردن، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 219).

ويؤكد أبو حامد الغزالي (505هـ) أن طريق فهم المراد تقدم المعرفة بوضع اللغة التي بها المخاطبة إن كان نصاً لا يحتمل كفى معرفة اللغة، وإن تطرق إليه الاحتمال فلا يعرف المراد منه حقيقية، إلاّ بانضمام قرينة إلى اللفظ، والقرينة إما لفظ مكشوف... وإما إحالة على دليل عقلي، وإما قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات، وسوابق ولواحق،... يختص بدركها المشاهد كلها، فينقلها المشاهدون من الصحابة إلى التابعين بألفاظ صريحة، أو مع قرائن من ذلك الجنس، أو جنس آخر، حتى توجب علماً ضرورياً بفهم المراد، أو توجب ظناً وكل ما ليس له عبارة موضوعة في اللغة، فتتعين فيه القرائن[1]. ويتلخص من كلامه أن مراد الشارع يعرف لمجرد اللغة، وإن كان غير محتمل لمعنى آخر غير لغوي، وإلاّ عرف ذلك بالقرائن العقلية أو المقالية أو الحالية، ومن هذه القرائن معرفة السوابق واللواحق. وهذا جلي في تعلقه بعلم المناسبة.

وجعل الشاطبي (790هـ) طريق معرفة مراد الشارع لمجرد اللغة، والالتفات إلى ترابط الكلام من أوله إلى آخره، مسلكاً من مسالك الكشف عن المقاصد، يقول في الموافقات: "ولمعرفة مقصود الشارع يلزم على الناظر الالتفات إلى أول الكلام وآخره، بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها، فإن القضية وإن اشتملت على جمل؛ فبعضها متعلق بالبعض لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، فإن فرق النظر في أجزائه؛ فلا يتوصل به إلى مراده[2].

وحصر د.نعمان جغيم العناصر التي تتحكم في فهم الخطاب في: [3]

- ✓ فهم لغة الخطاب.
- ✓ فهم اللغة على معهود العرب.
- ✓ معرفة سياق الخطاب: ويقصد به هنا:إما السياق اللغوي: وهو معرفة الجمل والكلمات السابقة واللاحقة،أو السياق الاجتماعي: أي معرفة المقام الذي ألقي فيه الخطاب، ويدخل في ذلك أسباب النزول وأسباب الورود، والظروف الاجتماعية والنفسية السائدة وقت ورود النص الشرعي.
- ✓ معرفة القرائن المحيطة بالخطاب، وقد تكون قرائن مقالية أو حالية.

(1)- أبو حامد الغزالي، **المستصفى**، (ص 498)،

(2)- يراجع: الشاطبي، **الموافقات**، (4/ 266).

(3)-يراجع:د.نعمان جغيم، طرق الكشف عن مقاصد الشارع،(ص78-106)

وعلم المناسبة هو الذي يبحث في الكشف عن علل تتابع ترتيب أجزاء القرآن الكريم، فيكون بذلك من أهم المسالك في الكشف عن المقاصد المبنية في أصلها على التعليل وتنقيح المناط.

وتفصيل هذا الارتباط يتأتى من جوانب هي:

✓ أن علم المناسبة معين على تدبر القرآن، وهو أول خطوات استنباط المقاصد، يقول الشاطبي (790هـ) تعليقا على قوله تعالى: **"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"** [محمد:25]. "التدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن؛ فلم يحصل منهم تدبر"[1].

✓ أنه من المسالك المقررة في الكشف عن المقاصد مسلك الاستقراء (اللغوي) والمقصود به تتبع آيات السورة واحدة واحدة والبحث عن القدر المشترك بينها[2] وهذا البحث ما هو إلا غوص في المناسبات.

وينظر النورسي إلى فكرة تأسيس المناسبة وسيلة للكشف عن المقاصد، نظرة شمولية واسعة المعالم؛ يرى أن باستقراء أجزاء القرآن –قليلها وكثيرها– يتبين أنها الينبوع الذي تتدفق منه المقاصد القرآنية، وذلك بالتأمل في التسلسل والترتيب الواقع فيها، فيقول: "كما تتراءى هذه المقاصد الأربعة في كله، كذلك قد تتجلى في سورةٍ سورة، بل قد يُلْمَح بها في كلامٍ كلام، بل قد يُرْمَز إليها في كلمةٍ كلمة؛ لأن كل جزء فجزء كالمرآة لكلٍ فكلٍ متصاعداً، كما أن الكل يتراءى في جزءٍ فجزءٍ متسلسلاً[3].

✓ أن تحرير المقصود الأعظم للسورة الواحدة أو القرآن كله متوقف على معرفة معاني الكلمات والصيغ الجارية فيها –من خلال تأمل سابقها ولاحقها–. فالمقصود الأعظم –مع أنه له سلطان على السياق وما يدرج عليه من كلماتٍ وتراكيب وصور– إلاَّ أنَّ معرفته وتحريره ينبثقان من معرفة السياق والكلمات والتراكيب والصور؛ لأنَّ ذلك أجلى مظهراً وأقرب إدراكاً. ولذلِكَ لا يَتَأَتَّى تَحْريرُ "المقْصُود

(1)– الشاطبي، **م.ن**، (4/ 209).

(2)– د. شافي سلطان العجمي، **"مقاصد السور القرآنية –عرض ودراسة–"**، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية، إصدار كلية الشريعة والدراسات الإسلامية–الكويت، ع7، س4، (ص 614).

(3)– النورسي بديع الزمان سعيد (1379هـ)، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، تح: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر– القاهرة، ط3، 2002م، (ص 24).

الأعظم" من بادئ النَّظر والتأمّل، بل يكون ذلك من بعد تردِيدٍ للنَّظرِ، وكلّمَا ازداد المرءُ نظرًا فِي السِّياقِ والتراكيب، وانْمَاط التصوير وفنون التحبير ازدادَ قُرْبًا مِن تَحرير (المقصُود الأعظم)[1].

وهذا ما صرّح به البقاعي(885هـ) في مصاعد النظر قال:"مَنْ حقَّقَ المقصودَ (مِنْ كُلِّ سُورَةٍ) عرف تناسبَ آياتها وقصصها وجميع أجزائها"[2].

✓ أن معرفة المقصود معين على معرفة المناسبات –وهو الجلي– فإن تتبع المناسبات والروابط بين الآيات والسور معين على معرفة المقاصد منها، وأشار البقاعي (885هـ) –نقلاً عن شيخه[3]– إلى مثله قال: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سبقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها"[4].

✓ المعاني والأغراض التي سيق من أجلها الخطاب –والتي تدرك من خلال دلالة السياق عليها– دلالتها مسكوت عنها، تعرف بالتأمل والنظر، ودلالة بعض المقاصد مثلها[5] ومنها ما هو غير مباشر لكونه لا يصل إلى تلك الدرجة الدلالية في القوة، ولكنه مادة لتكوينهما. وكلاهما تتضافر على تفسير نظم الكلام، وهذا يعني وجود مساحات مرنة في الدلالتين، تتمثل في كونها أمرًا مسكوتاً عنه. لذا لا غرابة أن تنفتح دلالة كل منهما على دلالة الآخر في تلك المساحة المرنة، ويصبح كل منهما قرينة من القرائن المفيدة في الآخر[6].

---

(1)– يراجع: محمود توفيق محمد سعد، العزفُعلى، **أنوار الذِّكر –معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة–**،كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر الشريف، شبين الكوم، ط1، 1424هـ، (ص 160).

(2)–البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (885هـ)، **مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السّوَرِ ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"**، مكتبة المعارف–الرياض، ط1، 1408هـ/1987م، (1/ 149).

(3)– الحرالي المشدالي:سبقت ترجمته.

(4)– البقاعي، **نظم الدرر**، (1/ 18)، ويراجع: الحرالي:أبو الحسن علي بن أحمد المراكشي، **مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل** –من سلسلة تراث الحرالي–، (ص 24).

(5)– والبعض الآخر مدلول عليه بطرق ومسالك، منها ما هو مباشر له دلالة قطعية أو ظنية قريبة من القطع.

(6)– يراجع: د. نجم الدين قادر كريم الزنكي، **السياق وأثره في فهم مقاصد الشارع**، إسلامية المعرفة، س12، ع48، 1428هـ/2007م، (ص 66)، الباحث قد ربط الفكرة بالسياق وهو قريب من معنى المناسبات.

والحاصل أن التداخل أكيد بين علم المقاصد وعلم المناسبة، كما هو شديد بينه وبينه وبين التفسير الموضوعي، والسياق. وكل واحد منها يعد من أسس فهم النص القرآني واستنباط دلالاته، سواء أكانت داخله أم خارجه، وقد تنبه لها العلماء -كلٌّ في مجال اختصاصه- فعرضوا لها تفصيلاً وتأصيلاً؛ بغية الوصول إلى تفسير للقرآن يسعى للكشف عن المراد الله سبحانه من كلامه.

الفصل الثالث

ضروب توجيه المعنى بالمناسبة في الآيات القرآنية

المبحث الأول: أحوال ارتباط الآيات ببعضها:

المبحث الثاني: المناسبة في خواتم الآيات:

المبحث الثالث: التناسب في مشكلات الفواصل القرآنية:

المبحث الرابع: المناسبة عند مخالفة الفواصل للأصول:

الكلام لا يفهم، حقيقة الفهم، إلا بعد معرفة تناسبه، وأسرار ترابط أجزائه، والتأمل فيما يسبقها ويلحقها ،كما لا يظهر حسنه وانسجامه ومستوى البلاغة فيه إلا من خلال ذلك.

وهو ما صرّح به الفراهي (1349هـ) في كتابه (دلائل النظام) يقول: "الكلام لا يفهم إلاّ بعد معرفة تراكيب أجزائه، وتناسب بعضه، بل معاني الأجزاء أنفسها لا يطلع على المراد منها إلا بعد الاطلاع على جهتها التأليفية... وبالجملة محال أن تفهم كلاما من دون أن تعلم نسبة بعضها إلى بعض، فإن أخذت كل جزءِ طويل على حدته، غاب عنك بعض معانيه، ثم إن قصرت عن فهم نسبة أجزاء هذا الجزء ، غاب عنك طرف آخر، حتى إنك تنقص من فهمك شيئا فشيئا، بقدر ما تقصر عن فهم النسب التي بين أجزائه، فإذا تبين لك هذه النسب والروابط بين أجزائه ورأيت أنه كلام مربوط، مسوق إلى عموده ظهر حسن بيانه"[(1)].

لذا فإن للمناسبة أثرا في توجيه المعنى بين الآيات مع بعضها وبين السور مع بعضها لا ينكره إلا من جانبه الصواب.

ولتعلق موضوع البحث وتخصيصه في الآيات،سيقتصر العمل على أمرين اثنين :الأول هو المناسبة في الآية الواحدة: ويكون فيه البحث عن مناسبة آخر الآية لأولها، وهذا النوع مهم، وأكثر كلام علماء المناسبة فيه كما هو الحال في تصانيفهم التي ذكرت، كما أنه لا يمكن الخوض في الحديث عن التناسب بين الآيات بمعزل عن البحث عنه في الآية الواحدة لوجود التداخل بينهما والتلاحم. والثاني المناسبة بين الآيات: وهو الربط بين الجمل المتجاورة في الآية الواحدة، ومناسبتها للآية التي تقدمتها أو تلتها؛ تخفى المناسبة بينهما أو تظهر.

ويتفرع البحث في هذا الفصل إلى مباحث أولها خاص ببيان أحوال المناسبة في الآية الواحدة من جهة توضيح مختلف الروابط الموجودة بمفرداتها، ثم أحوال إيقاع المناسبة في الفواصل القرآنية، المناسبة في مشكلات الفواصل، ثم المناسبة عند مخالفة القواعد الأصول في الفواصل.

---

(1)- الفراهي، **م.س**، (ص 12).

المبحث الأول: أحوال ارتباط الآيات ببعضها:

المطلب الأول: التنظير والتضاد:

المطلب الثاني: الاستطراد وحسن التخلص:

المطلب الثالث: حسن المطلب والاستئناف:

المطلب الرابع: الفذلكة:

لا شـك أن الآية الواحدة ترتبط مفرداتها بعضـها ببعض بروابط غير متماثلة مع نظيراتها، وذاك الذي يجعل الكلام بعضه أجود من بعض، أو أبلغ من بعض.

تطلق الآية -كما سـبق-[1] في اللغة على معان متعددة منها: المعجزة، والعلامة العبرة، والأمر العجيب، والجماعة، والدليل، والبناء العالي[2].

وأما في الاصـطلاح :فقال الجعبري (732هـ): "حد الآية قرآن مركب من جمل -ولو تقديراً- ذو مبدأ ومقطع مندرج في سـورة وأصـلها العلامة... لأنها علامة للفضـل والصـدق أو الجماعة لأنها جماعة كلمة[3].

وسـميت "آية "لمناسـبات عدة، أولاها: أنها علامة على صـدق من أتى بها، وعلى عجز المتحدّى بها[4]. فهي طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن.

هذا التعريف ينطبق على الآية كما ينطبق على تعريف السـورة، لذا لا بد من إضـافة قيد لينحصـر التعريف بالآية، فيقال: "هي طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها معروفة بالسـماع، مندرجة في السورة"[5].

والمناسـبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصـطلاحي متجلية في كون الآية القرآنية معجزة ولو باعتبار انضـمام غيرها إليها، وهي علامة على صـدق من جاء بها وفيها عبرة وعظة لمن أراد أن يعتبر، وهي دليل وبرهان، على أن هذا القرآن من الله تعالى، وهي من الأمور العجيبة لسـموها وبلاغتها وإعجازها وهي

(1)- يراجع هذا البحث ص 31

(2)- ينظر: ابن فارس، م س، (1/ 168)، والراغب الأصفهاني (502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، مادة (آية)، (14 / 62 وما بعدها).

(3)- الْجَعْبَرِي إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبريّ، أبو إسحاق (732هـ)، **حسن المدد في معرفة العدد -ويعرف أيضا بكتاب المفرد في معرفة العدد-**، (ص 204).

(4)- الزركشي، **م.س**، (1/ 267).

(5)- د. محمد علي الحسن، **المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره**، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، (ص 165).

جماعة من الحروف، فمعانيها في اللغة موجودة في معناها الاصطلاحي[1].

ولارتباط الآي بعضه ببعض لابد من صلة تبيِّن أن الكلام متصل بعضه ببعض، وهذا الاتصال والارتباط له أسباب[2] كما تختلف أحواله من آية لأخرى، إلى حوالي سبعة أوجه، سيتم الجمع بين بعضها، إذا ظهر أي اتصال بينها كما سيأتي:

المطلب الأول: التنظير والمضادة:

وتظهر المقابلة بين ما هو من النظير وما هو من المضادة.

أولاً: التنظير: (مراعاة النظير). في اللغة النظير: المثل[3] وهو أن يجمع المتكلم بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد سواء كانت المناسبة لفظاً لمعنى، أو لفظاً للفظ، أو معنى لمعنى[4]. كقوله تعالى: **ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ** " [الرحمن:3] فإنهما متناسبان، غير متضادين.

ومنه قول البحتري(284 هـ) [5] -يصف الإبل الأنضاء المهازيل، وقيل: الرماح:

كالْقِسِيّ الْمُعَطَّفَاتِ بَلِ الأَسْـ ـهُمِ مَبْرِيَّةً بَلِ الأَوْتَارِ [6].

---

(1)- ينظر الزرقاني، **م.س**، (1/ 331-332).

(2)- وقد ذكرها الزركشي في: **البرهان**، (1 / 47 وما بعدها)، والسيوطي في: **الإتقان**، (3 / 371 وما بعدها).

(3)- ابن منظور ، **م.س**، (5/ 219) مادة (نظر).

(4)- ابن معصوم : صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم (1119هـ)، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، تح: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان النجف،ط1، 1388هـ/1968م، (3/ 119).

(5)-البُحْتُري (206 - 284 هـ = 821 - 898 م):الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري: شاعر كبير، يقال لشعره " سلاسل الذهب ".وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي، وأبو تمام، والبحتري. قيل ل أبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان، وإنما الشاعر البحتري. ولد بمنبج (بين حلب والفرات) ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلى الشام، وتوفي بمنبج. له " ديوان شعر " وكتاب " الحماسة ". الزركلي، **الأعلام**، (8/ 121)

(6)- بهاء الدين السبكي، أحمد بن علي بن عبد الكافي أبو حامد، (773هـ)، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تح: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر-بيروت-لبنان، ط1، 1423هـ/2003م، (2/ 234).

ويسميه أصحاب البديع التناسب والائتلاف والتوفيق والمؤاخاة أيضاً[1]. أي أن ينظر الإنسان بيْن كلامَيْن، إمّا مُتَّفِقي المعاني أو مُخْتَلِفي المعاني، لِيُظهِر الأفضل منهما[2]. يقول الزركشي (794هـ): "إن إلحاق النظير بالنظير من دأب العقلاء"[3]

ومن أمثلته: قوله تعالى: "كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ ٱلْمُومِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ " [الأنفال: 5] عقب قوله: "أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُومِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ " [الأنفال: 4].

فإن الله سبحانه أمر رسوله أن يمضى لأمره في الغنائم على كره من أصحابه، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العِير وهم كارهون، وذلك أنهم اختلفوا في القتال يوم بدر في الأنفال، وحاجوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم وجادلوه، فَكَرِه كثير منهم ما كان مِن فِعْل رسول الله صلى الله عليه وسلم في النفل، فأنزل الله هذه الآية، وأنفذ أمَره بها، وأمرهم أن يتقوا الله ويطيعوه ولا يعترضوا عليه فيما يفعله من شيء ما بعد أن كانوا مؤمنين، ووصف المؤمنين، ثم قال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون يريد أن كراهيتهم لما فعلته من الغنائم ككراهتهم للخروج معك[4].

ومن مراعاة النظير[5] ما يسميه بعضهم: "تشابه الأطراف"، وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى، كقوله تعالى: "لا تُدْرِكُهُ ٱلاَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلاَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ" [الأنعام:104]، فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر ،والخبرة تناسب من يدرك شيئا ، فإن من يدرك شيئا يكون خبيرا به.

ومنه قوله تعالى أيضاً: "لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلاَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ" [الحج: 102]، قال: (الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) على أن ما له ليس لحاجة، بل هو غني عنه جواد به، فإذا جاد به

(1)- بهاء الدين السبكي، **م.ن**، (2/ 234)، و د. عبد العزيز عتيق، **علم البديع**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 179).

(2)- ينظر: د. إنعام فوّال عَكَّاوي، **المعجم المفصّل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني**، دار الكتب العلمية،بيروت،ط2 ، 1417هـ-1996م،(ص437)

(3)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 47).

(4)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 47).

(5)- د. عبد العزيز عتيق، **البديع**، (ص 181).

حمده المنعم عليه. ويقابله قطع النظير عن النظير كما في قوله تعالى: "إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَإِنَّكَ لاَ تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلاَ تَضْحَىٰ" [طه: 115-116].

والمناسب بحسب الظاهر أن يُقرن الجوع بالظمأ لأنهما والعري بالضحاء لأنهما نظيران كذلك، لكن خولف هذا الظاهر. ففي هذا لمحة من لمحات البيان الآسر، سماها البديعيون: "قطع النظير عن النظير" والغرض من ذلك تحقيق تعداد النِعَم.ولو ذاك لظن متوهم أن المعدود نعمتان لا أربع[1].

ثانياً: المُضادَّة: التّضادّ: ضدّ الشّيء، وقد ضادَّه، وهما مُتَضادّان، ويُقال: ضادَّني فُلانٌ، إذا خالَفَني[2]. والمتضادان: الشيئان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد، كالليل والنهار[3]. وتسمّى المطابَقَة والطِّباق وهي: الجَمْع بيْن المتضادَّيْن في الجملة[4]. ومن أمثلته:

ما ذكره الرازي (606هـ) من التناسب في سورة النساء في قوله تعالى: "اِنَّ أَلذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ أَلْعَذَابَۖ إِنَّ أَللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً" [النساء: 55] مع قوله تعالى: "وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ أَلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا أَلاَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداًۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلّاً ظَلِيلاً" [النساء:56]. قال: "اعلم أنه قد جرت عادة الله تعالى في هذا الكتاب الكريم بأن الوعد والوعيد يتلازمان في الذكر على سبيل الأغلب"[5]. لأنه لـمّا ذُكِر حالُ الكافرين وعقابُهم، حَسُنَ أن يُذْكرَ ما هو ضده، وهو حال أهل الإيمان وثوابهم.

المطلب الثاني: الاستطراد وحسن التخلص:

أولاً : الاستطراد: في اللغة: مِن اطّرَدَ الشيء: تبع بعضُه بعضاً وجرى، واطّردَ الكلام إذا تتابع،اطّردَ

(1)- عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (1429هـ)، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، مكتبة وهبة-مصر، ط1، 1413هـ/1992م، (1/ 230-231).

(2)- ينظر: د. أنعام فوال، **م.س**، (ص 437).

(3)- ابن فارس، **م.س**، (3/ 360).

(4)- ينظر: **معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي**، (1/ 314).

(5)- الرازي، **م.س**، (4/ 107).

لي الكلامُ، إِذا اتّسق لي على مَا أريده،تقول: اطَّرَدَ الأمرُ، إذا استقام[1].

وقال ابن فارس (395هـ): "الطاء والراء والدال أصــل واحد صــحيح يدل على إبعاد. يقال: طردته طردا. وأطرده الســلطان وطرده، إذا أخرجه عن بلده. والطرد: معالجة أخذ الصــيد. والطريدة: الصــيد. ومطاردة الأقران: حمل بعضــهم على بعض ؛ وقيل ذلك لأن هذا يطرد ذاك. والمطرد: رمح صـغير. ويقال لمحجة الطريق: مطردة. ويقال: اطرد الشيء اطرادا، إذا تابع بعضه بعضا..."[2].

والاستطراد مصـدر "اسـتطرد الفارس من قرنه في الحرب، وذلك أن يفر من بين يديه يوهمه الانهزام، ثم يعطف عليه على غرة منه، وهو ضرب من المكيدة"[3].

في الاصطلاح: عرّفه ابن المعتز (296هـ)[4] فقال: "وهو ضرب من البديع يظهر الشاعر أنه يذهب لمعنى فيعن له آخر فيأتي به كأنه على غير قصد وعليه يبنى وإليه كان مغزاه[5] وسماه حسن الخروج.

أو هو أن يأخذ المتكلّم في معنى، وقبل أن يتمّه يأخذ في معنى آخر، أو هو نوع من تجميل الكلام، وقد تكون وظيفته الاستعطاف أو إثارة الغضب أو تفنيد حجج المعارضة[6].

وفرّق ابن رشيق[7] بين الخروج والاستطراد فقال: "أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه فذلك اســتطراد، وإن تمادى فذلك خروج، وأكثر الناس يســمي

(1)- الهروي، **جمهرة اللغة**، (2/ 631)، الجوهري، **الصحاح**، (2/ 502).

(2)- ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (3/ 455).

(3)- الحموي، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، (1/ 102).

(4)- **ابن المُعْتَزّ (247-296هـ/861-909م)**: عبد الله بن محمد المعتز باللَّه بن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس: الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة. ولد في بغداد، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم.وصنف كتبا، منها (الزهر والرياض) و(البديع) و(الآداب) و(الجامع في الغناء) و(الجوارح والصيد) وغيرها... الزركلي، **الأعلام**، (4/ 118).

(5)- أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (296هـ)، **البديع في البديع**، دار الجيل، ط1، 1410هـ/1990م، (ص 36).

(6)- د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (1424هـ) بمســاعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصــرة**، عالم الكتب، ط1، 1429هـ/2008م، (2/ 1394).

(7)- **ابن رَشِيق (390-463هـ/1000-1071م)**: الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي: أديب، نقاد، باحث. كان أبوه من موالي الأزدي. ولد في المسيلة (بالمغرب) وتعلم الصياغة، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر... من كتبه (العمدة في صناعة الشعر ونقده) و(قراضة الذهب) في النقد، و(الشذوذ في اللغة) و(أنموذج الزمان في شعراء القيروان) و(ديوان شعره) ، وغيرها الزركلي، **الأعلام**، (2/ 191).

الجميع استطراداً، والصواب ما بينته..."[1]. وقال في موضع آخر: "وأما الخروج فهو عندهم شبيه بالاستطراد، وليس به؛ لأن الخروج إنما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل، ثم تتمادى فيما خرجت إليه..."[2]. ولعله يرى في موضع آخر أن الخروج هو التخلص، قال: "ومن الناس من يسمي الخروج تخلصاً وتوسلاً "[3].

فالمتكلّم في معنى، فبينا يمرّ فيه يأخذ في معنى آخر؛ وقد جعل الأول سبباً إليه؛ كقول الله عز وجل: "وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ " [فصلت:38]، فبينا يدلّ الله سبحانه على نفسه بإنزال الغيث واهتزاز الأرض بعد خشوعها قال: إِنَّ الَّذِي أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى: الآية فأخبر عن قدرته على إعادة الموتى بعد إفنائها وإحيائها بعد إرجائها، وقد جعل ما تقدّم من ذكر الغيث والنبات دليلا عليه، ولم يكن في تقدير السامع لأوّل الكلام، إلاّ أنّه يريد الدلالة على نفسه بذكر المطر، دون الدّلالة على الإعادة، فاستوفى المعنيين جميعاً[4].

ومن أمثلته: ما ذكره الزمخشري (538هـ) من التناسب في سورة الأعراف في قوله تعالى: "يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ" [الأعراف: 25] مع ما سبقها من الآيات، فقال: "وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بُدُو السَّوْآت وخَصْفِ الوَرَقِ عليها، إظهاراً للمِنَّة فيما خلق من اللباس، ولما في العُرِيِّ وكَشْفِ العَوْرَةِ من المَهانَةِ والفضيحة، وإشعاراً بأنّ التستر باب عظيم من أبواب التقوى"[5].

ومنه الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطاً للسامع كقوله تعالى في سورة ص بعد ذكر: "هَٰذَا

---

(1)- ابن رشيق :أبو على الحسن القيرواني الأزدي (463هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1401هـ/1981م، (2/ 39).

(2)- ابن رشيق، **م.ن**، (1/ 234).

(3)- ابن رشيق، **لعمدة في محاسن الشعر وآدابه**، (1/ 236).

(4)- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (نحو 395هـ)، **الصناعتين: الكتابة والشعر**، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية-بيروت، (د.ر.ط)، 1419هـ، (ص 398).

(5)- الزمخشري، **م.س**، (2/ 94).

ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ" [ص:48] ،فإن هذا القرآن نوع من الذكر لما انتهى ذكر الأنبياء وهو نوع من التنزيل أراد أن يذكر نوعا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها فقال:"هَـٰذَا ذِكْرٌ" فأكد تلك الإخباريات باسم الإشارة تقول أشير عليك بكذا ثم تقول بعده هذا الذي عندي والأمر إليك وقال: "هَـٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ" [ص: 48]، كما يقول المصنف هذا باب يشرع في باب آخر ولذلك لما فرغ من ذكر أهل الجنة قال: "هَـٰذَا وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ" [ص: 54]"[1].

ولعل من أجود تفسير للاستطراد[2] ما ذكره أبو زهرة في تفسيره في قوله تعالى: "وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ احْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ .ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلأَلْبَـٰبِ" [البقرة: 165-166].

فيقول: "هاتان الآيتان متصلتان بما قبلهما أوثق الاتصال، وذلك بأن الآيات الكريمة من قوله تعالى: "لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ فِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنَ ـامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلأَخِرِ" [البقرة:من 176]، فيها تنظيم للجماعة الفاضلة؛ ببيان حق الفقير في مال الغني، وبيان المساواة العادلة في تطبيق القوانين الإسلامية، لَا فرق بين قوي وضعيف، ولا شريف ووضيع، وبيان أن العقوبة تكون على قدر الجريمة، وإن في ذلك حياة الجماعة حياة فاضلة عادلة: "وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ" [البقرة: من 176] وفيها تنظيم للأسرة بالتعاون بين آحادها؛ بأن يمد الغني الفقير بالهبات في الحياة، والوصايا بعد الوفاة، وفيها بيان لما يهذب النفس، ويقوى الروح فذكر الصيام، ثم فيه إشارة إلى الحج

(1)- الزركشي، **م.س**، (1/ 5).

(2)- أشار إلى ذلك الزركشي في: **البرهان**، (1/ 45).

الذي يجمع في ثناياه بين إصلاح الآحاد في ذات أنفسهم، وإصلاح الجماعة وتنظيمها، وفي أحكامه تتلاقى ذرائع التنظيم الاجتماعي، والإصلاح النفسي؛ فهو في ذاته رحلة روحية يشارف المؤمن فيها المقام القدسي، إذ يحل في المكان الذي شرفه الله سبحانه بنسبته إليه، ووضع قواعده النبيون الصديقون، وفيه الصدقات وإمداد الفقراء؛ بل في بعض كفاراته الصوم؛ وفيه التنظيم الاجتماعي العام بالتعارف بين المسلمين في كل البقاع؛ فكان حقا أن يجيء الحج بعد الأحكام المنظمة، والعبادات المصلحة للنفس، المهذبة للروح؛ لأنه يجمعها في أحكامه"(1).

ولكن الحج في إبان نزول القرآن كان متعذرًا أو متعسرًا؛ لأن المزار الأكبر وهو البيت الحرام، والمشعر الحرام، كان المشركون قد سيطروا عليه، والأصنام تحيط به من كل جانب، وهم يمنعون المسلمين منه، والعداوة بينهم وبين النبي وصحبه مستعرة؛ فكان لابد من القتال للوصول إليه، وأداء تلك الشريعة الإسلامية؛ لذلك جاء ذكر القتال بين الإشارة إليه بقوله تعالى: "يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ" [البقرة: من 188] وبين بيان بعض أحكامه في قوله تعالى: "وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ"، ثم هناك ارتباط خاص بين أحكام القتال وأحكام الحج، لأن القتال جهاد لحماية الدولة في الخارج، والحج جهاد لتهذيب النفس وحماية الدولة الإسلامية في الداخل، بالجمع بين أقطارها، والتعارف العام بين شعوبها، ونشر المساواة العادلة بين آحادها؛ ولذلك لم يعتبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عبادة تلي الجهاد في سبيل الله غير الحج لله.

ثم هناك مناسبة خاصة بين الآية الأولى وأحكام القتال، لأن فيها بيان حكم من يمنعه عدو من الوصول إلى البيت الحرام، وقد حدث في العام السادس أن منع النبي -صلى الله عليه وسلم- من الوصول إلى البيت الحرام، وهمَّ بأن يمتشق السلاح ويقاتل حتى يصل إليه بقوة السلاح، ولكن كان الصلح على أن يرجع من عامه هذا، ثم عاد في العام السابع وأدى عمرة القضاء. فكانت هذه الآية ذات مناسبة خاصة تربطها بالقتال والجهاد في سبيل الله تعالى"(2).

---

(1)- محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة(1394هـ): **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (2/ 598-599).

(2)- أبو زهرة، **م.ن**، (2/ 598-599).

ثانياً: حُسْن التّخَلّص: (خلص) الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه[1]. وخلص الشيء بالفتح يخلص خُلوصاً، أي صار خالِصاً. وخَلَصَ إليه الشيء: وصل. وخلصته من كذا تَخْليصاً، أي نجّيته فتَخَلَّصَ[2]. وذكر صاحب الفروق اللغوية أن التخلص يكون من تعقيد[3].

عرّفه صاحب المثل السائر فقال: "هو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سببا إليه، فيكون بعضه آخذا برقاب بعض، من غير أن يقطع كلامه، ويستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا"[4] ويسمى حسن الخروج.

وهو أيضاً: "أن يُستطرد من معنى إلى معنى آخر يتعلق بممدوحه، بتخلص سهل يختلس اختلاسًا رشيقًا دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلاّ وقد وقع في الثاني، لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد. ولا يشترط أن يتعين المتخلص منه، بل يجري ذلك في أي معنى كان، فإن الشاعر قد يتخلص من نسيب أو غزل، أو فخر أو وصف روض أو وصف طلل بال أو ربع خال، أو معنى من المعاني يؤدي إلى مدح أو هجو أو وصف في حرب، أو غير ذلك، ولكن الأحسن أن يتخلص الشاعر من الغزل إلى المدح[5].

وعرّفه السيوطي (911هـ) فقال: "ويقرب من الاستطراد، حتى لا يكادان يفترقان، حسن التخلص: وهو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما"[6].

وفرّق بين التخلص والاستطراد أنه في التخلص ترك ما كان فيه بالكلية والإقبال على ما تُخلص إليه وفي الاستطراد مرور بذكر الأمر الذي استطرد إليه مرورا كالبرق الخاطف، ثم تركه والعودة إلى ما كان فيه

(1)- ابن فارس، **مقاييس اللغة**، (2/ 208).

(2)- الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (3 /1037).

(3)- العسكري، **الفروق**، (ص 211).

(4)- ابن الأثير: ضياء الدين، نصر الله بن محمد (637هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع-الفجالة-القاهرة، (د.ر.ط)، (3/ 121).

(5)- ابن حجة الحموي : تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (837هـ)، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، تح: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، 2004م، (1/ 329).

(6)- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (3/ 373).

كأنه ليس مقصوداً، وإنما عرض عروضاً[1]. فالفرق بينهما –إذاً– أن الأول يشترط فيه الرجوع إلى الكلام الأول، أو قطع الكلام، فيكون المستطرد به آخر كلامه، والأمران معدومان في التخلص، فإنه لا يرجع إلى الأول ولا يقطع الكلام، بل يستمر على ما يتخلص إليه[2].

وقال أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي[3]: "إن كتاب الله خال من التخلص"[4] ورد عليه ابن الأثير[5] (637هـ) بأن: "حقيقة التخلص هي الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلطيفة تلائم الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه، وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة كالخروج من الوعظ والتذكير بالإنذار والبشارة بالجنة إلى أمر ونهي ووعد ووعيد، ومن محكم إلى متشابه، ومن صفة لنبي مرسل وملك منزل إلى ذم شيطان مريد وجبار عنيد، بلطائف دقيقة، ومعان آخذ بعضها برقاب بعض"[6].

ويتداخل التخلص مع الاقتضاب وهذا الأخير في اصطلاح أهل البديع: وهو انتقال من كلام إلى كلام من غير رعاية مناسبة بينهما، فإذا بدأ كاتب أو شاعر بكلام قبل مقصوده يسمى هذا الكلام تشبيباً، ثم انتقاله منه إلى مقصوده إن كان بملائمة بينهما يسمى تخلصاً، وإلاّ يسمى اقتضاباً[7].

---

(1)- السيوطي، **م.ن**، (3/ 374).

(2)- ابن حجة الحموي، **م.س**، (1/ 329).

(3)- **الغانِمي**: هذه النسبة إلى غانم، وهو اسم لجد المنتسب إليه، وهو الأديب محمد بن غانم الغانمي (464-553هـ)، كان من أفاضل عصره، وديوان شعره سائر في الآفاق، وهو من مداحي نظام الملك، ولد بنيسابور، ونشا بطوس، وسكن هراة، كان إماماً، فاضلاً، عالماً، ورعا، حسن السيرة، كثير المحفوظ، حسن الشعر، بديع النظم، له أبيات سماها «السحرية» كانت ولادته في شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وأربعمائة بنيسابور، ووفاته بهراة في شهر ربيع الأول سنة 553هـ، ينظر: السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي، أبو سعد (562هـــ)، **الأنساب**، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية-حيدر آباد، ط1، 1382هـ/1962م، (10/ 12-13)، وذكر المحقق عن ابن الأثير كأنه خلط ترجمته بترجمة أبيه.

(4)- نقلاً عن: ابن الأثير: ضياء الدين نصر الله بن محمد (637هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع-الفجالة-القاهرة، (3/ 128).

(5)- **ابن الأثير الكاتب (558-637هـ/1163-1239م)**: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب: وزير، من العلماء الكتاب المترسلين.ولد في جزيرة ابن عمر، وتعلم بالموصل حيث نشأ أخواه المؤرخ (علي) والمحدث (المبارك). واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين، وولده والملك الظاهر غازي ،مات ببغداد.كان قوي الحافظ .من تآليفه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) و(كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب) و(المفتاح المنشا لحديقة الإنشا) وغيرها... الزركلي، **الأعلام**، (8/ 31).

(6)- ابن الأثير، **م.س**، (3/ 128).

7 -الكفوي،**الكليات**،(ص159)

فالمناسبة والملائمة شرط في التخلص دون الاقتضاب.

فما جاء من التخلص[1] في القرآن الكريم قوله تعالى: **"وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ"** [الشعراء:69-70]. فها هنا كلام يسحر الألباب، فيه كفاية لطالب البلاغة... فيه غنى عن تصفح الكتب المؤلفة في هذا الفن، إذ هو الآخذ بعضه برقاب بعض، مع احتوائه على ضروب من المعاني، فيخلص من كل واحد منها إلى الآخر بلطيفة ملائمة، حتى كأنه أفرغ في قالب واحد، فخرج عن ذكر الأصنام وتنفير أبيه وقومه من عبادتهم إياها، مع ما هي فيه من التعري عن صفات الإلهية، حيث لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع إلى ذكر الله تعالى فوصفه بصفات الإلهية، فعظم شأنه وعدد نعمه، ليعلم بذلك أن العبادة لا تصح إلاّ له، ثم خرج من هذا إلى دعائه إياه وخضوعه له، ثم خرج منه إلى ذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه[2] فذا من التخلصات اللطيفة المودعة فيه. أما السيوطي (911هـ)، فيرى أن هذا المثال ينطبق على الاستطراد لا التخلص لعوده إلى ذكر الأنبياء والأمم فيما بعد[3].

وأورد الزركشي (794هـ) مثالاً آخر عنه ووصفه بقوله: "ومن أحسن أمثلته قوله تعالى: **" اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "** [النور:35]. فإن فيها خمس تخلصات وذلك أنه جاء بصفة النور وتمثيله ثم تخلص منه إلى ذكر الزجاجة وصفاتها ثم رجع إلى ذكر النور والزيت يستمد منه ثم التخلص منه إلى ذكر

---

(1)- يراجع: الزركشي، **البرهان**، (1/ 47).

(2)- ابن الأثير، **م.س**، (3/ 129-130)، وتمام الآيات: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ" [الشعرا: 69 وما بعدها].

(3)- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (3/ 375).

الشجرة ثم تخلص من ذكرها إلى صفة الزيت ثم تخلص من صفة الزيت إلى صفة النور وتضاعفه ثم تخلص منه إلى نعم الله بالهدى على من يشاء[1].

المطلب الثالث: حسن المَطْلَب والاستئناف:

أولاً: حسن المطلب: وهو أن يخرج إلى الغرض بعد تقدم الوسيلة[2]. ومن أمثلته: ما ذكره الله سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة عندما ذكر دعاء عباده الصالحين وسؤالهم الهداية للصراط المستقيم وتعليمَه إياهم كيفّية السؤال، قال تعالى: **"إِهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ"** [الفاتحة:].

قال ابن القيم (751هـ): "ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجلَّ المطالب، ونَيْلُه أشرفَ المواهب: عَلَّمَ اللهُ عبادَه كيفيةَ سؤالِهِ، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمدَه والثناء عليه، وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم. تَوَسُّلٌ إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته. وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء"[3]

ثانياً: الاستئناف: في اللغة من استأنفت كذا، أي: رجعت إلى أوله، وائتنفت ائتنافاً[4]. وهو ما وقع جواباً لسؤال مقدر معنى كما قال المتكلم: جاءني القوم، فكأن قائلاً قال: ما فعلت بهم؟ فقال المتكلم مجيبا عنه: أما زيد فأكرمته، وأما بشر فأهنته، وأما بكر فقد أعرضت عنه[5].

أو: هو الإتيان بعد تَمام الكلامِ بقول يُفْهَم مِنه جَواب سُؤالٍ مُقَدَّر [6]. ومن أمثلته: ما ذكره ابن عاشور رحمه الله في تفسير لسورة النساء عند قوله تعالى: **"يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهاً وَلاَ تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَّاتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ"** [النساء:19] فقال: "استئنافُ تشريعٍ في أحكام النساء التي كان سياق السورة لبيانها وهي التي

(1)- الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، (1/ 43).

(2)- السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، (1/ 48).

(3)- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (751هـ)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي-بيروت، ط3، 1416هـ/1996م، (1/ 47).

(4)- ابن فارس، **المقاييس**، (1/ 146).

(5)- الشريف الجرجاني، **التعريفات**، (ص 18).

(6)- يراجع: د. إنعام فوّال، **م.س**، (ص 66).

لم تـــزل آيها مبيّنة لأحكامها تأسيساً واستطراداً، وبدءا وعودا، وهذا حكم تابع لإبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من جـــعل زوج الـــميّت موروثة عنه وافتتح بقوله: للتنويه بما خوطبوا به(1). ومنه أيضاً(2): قوله تعالى: **"تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى "** [طه: 3]. الاستئناف هو: **"ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ"** [طه: 4].

المطلب الرابع: الفَذْلَكَة:

ولم تذكرها أغلب المصـــادر التي عنيت بهذه الروابط، وهي كلمة مخترعة (مَنْحُوتة)(3) من قوله أي: الحاسب إذا أجمل حسابه: فذلك كذا وكذا عددا فهي: مُجْمل ما فُصِّل وخلاصته. وفذلك: أنهاه وفرغ منه(4).

ومن أمثلتها: ما ذكره الطاهر ابن عاشـور في تفسـير سـورة المائدة عند قوله تعالى: **"لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ"** [المائدة: 84]. فقال عن مناســبة هذه الآية لما ســبقها من آيات: "فذلكة لما تقدّم من ذكر ما لاقى به اليهود والنصـارى دعوة الإسـلام من الإعراض على تفاوت فيه بين الطائفتين؛ فإنّ الله شـنّع من أحوال اليهود ما يعرف منه عداوتهم للإسـلام إذ قال: **"وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ"** [المائدة: 66] فكررها مرتين وقال: **"تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟"**

---

(1)- ابن عاشور، **م.س**، (4/ 282).

(2)- د. إنعام فوّال، **م.س**، (ص 66).

(3)- **معنى النحت**: أن تؤخذ كلمتان وتســتخرج منهما كلمة تكون آخذةً منهما جميعًا بحظ وهو جنس من الاختصــار. يراجع: ابن فارس: أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (395هـــ)، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، مطبعة محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ/1997م، (ص 209). و د. صبحي إبراهيم الصالح (1407هـ)، **دراسات في فقه اللغة**، دار العلم للملايين، ط1، 1379هـ/1960م، (ص 165).

(4)- الزبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: مجموعة من المحققين،، دار الهداية، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (27/ 293)، مادة (فذلك).

[المائدة: 82] وقال: "وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ" [المائدة: 63]. فعلم تلونهم في مضارة المسلمين وآذاهم. وذكر من أحوال النصارى ما شنع به عقيدتهم ولكنه لم يحك عنهم ما فيه عداوتهم المسلمين وقد نهى المسلمين عن اتخاذ الفريقين أولياء في قوله: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَالنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ" [المائدة: 53] الآية. فجاء قوله: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَوَةً" الآية فذلكة لحاصل ما تكنه ضمائر الفريقين نحو المسلمين، ولذلك فُصلت ولم تعطف[1].

ومنها أيضا ما ذكره البيضاوي (691هـ)في تفسيره قوله: "يَـٰبَنِىٓ إِسْرَآءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ" [البقرة:121-122]. "لما صدر قصتهم بالأمر بذكر النعم، والقيام بحقوقها، والحذر من إضاعتها، والخوف من الساعة وأهوالها، كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح، وإيذاناً بأنه فذلكة القضية والمقصود من القصة"[2].

هذه هي مختلف الروابط التي قد تكون بين الجمل القرآنية بعضها ببعض ، وهي كفيلة أن تشير إلى المناسبة الموجودة بينها.

(1)- ابن عاشور، **م.س**، (7 / 5).

(2)- البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (1/ 104).

المبحث الثاني: المناسبة في خواتم الآيات:

المطلب الأول: التعريف بالفواصل القرآنية:

المطلب الثاني: طرق الاستدلال على الفواصل وخصائصها:

المطلب الثالث: المناسبات المعنوية في مقتطع الفواصل:

الفواصل القرآنية مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وأثر من آثار بديع نظمه ووصفه. ويتجلى ذلك في ما يظهر فيها من ذلك التناسق والتناغم الصوتي المذهل، وفي ذلك الإيقاع اللغوي الآسر، الذي أفحم فطاحل البيان أن يجاروا القرآن الكريم في نظمه ولغته، وحتى في صـــوت حروفه. وهي مرتبطة بســـياق الكلام ارتباطاً وثيقاً، حتى وإن كان الظاهر يوحي بأنه مجرد مشاكلة صوتية لتحقيق التناسب اللفظي.

المطلب الأول: التعريف بالفواصل القرآنية:

أولاً: الفواصل في اللغة: مشتقة من الفصل وتجمع على فواصل. ولقد جاء في كتاب العين للخليل [1] (175هـ) ما نصه: "الفصل بون ما بين الشيئين والقضاء"[2]. وفي لسان العرب الفصل بون ما بين الشيئين. أو الحاجز بينهما. وفصلت الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع... وفي القرآن: "**هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَـٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ**" [المرسلات:38] أي: هذا يوم يفصل فيه بين المحسن المسيء"[3].

و"فصل الكلمة من الكلمة، إذا انفردت كل واحدة منهما بمعنى؛ هو المعنى الذي في الأخرى... وفي قوله عز وجل: "**وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا**" [الإسراء: 12] أي بينه كله..."[4]

ومن هذا يمكن استنتاج ثلاثة عناصر للفعل "فصل" -ومعه الفاصلة- وهي: الشيئان والبون الذي بينهما. وهو قريب من المعنى الاصطلاحي للفاصلة القرآنية.

ثانيا: في الاصطلاح: عرّفها أبو الحسن الرماني[5] (383هـــ) في كتابه: "النكت في الإعجاز"

(1)- **الخليل (100-175هـ)**: أبو عبد الرحمن بن أحمد بنة عمرو بن تميم الفراهيدي ويقال الفرهودي، واضع علم العروض، أخذ عن أبي عمر بن العلاء وأخذ عنه الأصمعي وسيبويه، أول من ضبط اللغة وحصر أشعار العرب، يراجع: ياقوت الحموي الرومي، **م.س**، (1/ 1260-1271).

(2)- الخليل: أبو عبد الرحمن الفراهيدي (100-175هـــ)، **كتاب العين**، تح: د: مهدي المخزوني ود: إبراهيم السـمرائي. دار العربية-بغداد، (د.ر.ط)، 1404هـ/1984م، (7/ 126) مادة (فصل).

(3)- ابن منظور ، م.س، (11/ 521 وما بعدها). مادة (فصل).

(4)- المحاسبي الحارث بن أسد (165-243هـــ)، **العقل وفهم القرآن**، تح: د: حسين القولتي، دار الكندي للطباعة، (د.م.ط)، ط2، 1398هـ/1978م، ط3، 1402هـ/1982م، (ص 492- 493).

(5)- **أبو الحَسَن الرُّمَّاني (296-384هـ/908-994م)**: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله: باحث معتزلي مفسر. من كبار النحاة. أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد. له نحو مئة مصنف، منها: (الأكوان)، (المعلوم)، و(المجول)، و(النكت في إعجاز القرآن)... يراجع: ألزركلي، **الأعلام**، (4/ 317).

بقوله: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني"[1]. وقد اشتهر هذا التعريف عند من بعده من القدماء والمعاصرين.

وذكرها أبو عمرو الداني (444هـ)في كتابه: "البيان في عد آي القرآن" مراراً وعرّفها في موضع ما منه بقوله: "وأما الفاصلة فهي الكلام التام المنفصل مما بعده..."[2]. وذكرها أبو بكر الباقلاني (403هـ) في كتابه: "إعجاز القرآن" فقال: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، ويقع بها إفهام المعاني وفيها بلاغته"[3]. وواضح أنه لا يوجد فرق بين التعريفين، غير الإضافة الأخيرة في وصفها بالبلاغة.

وعرفها الجعبري (732هـ) في كتاب المفرد بقوله: "كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع"[4]. وأورد كذلك الزركشي (794هـ) في كتابه: "البرهان في علوم القرآن"، تعريفاً أعزاه إلى أبي عمر الداني[5] (444هـ) بقوله: "كلمة آخر الجملة"[6]. "وتعريفاً سابقاً لهذا ولعله الذي اختاره وهو: أنها كلمة آخر الجملة وقرينة السجع"[7]. وأبان عن معناها بكري شيخ أمين في كتابه: "التعبير الفني في القرآن"، بقوله: "النهاية التي تذيّل الآية القرآنية"[8].

وبالنظر إلى ما تختلف فيه الفواصل عن بعض المصطلحات المتداخلة معها مثل السجع والقافية وغيرها؛ يمكن القول أنها :النهاية التي تُذيل بها آخر الجملة القرآنية المنفصلة عما بعدها المتصلة بما

---

(1)- **ثلاث رسائل في الإعجاز والخطاب في الدراسات القرآنية والنقد العربي**، تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام دار المعارف-مصر، (د.ر.ط)، 1368هـ/1968م، (ص 97).

(2)- أبو عمرو الداني: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (444هـ)، **البيان في عدّ آي القرآن**، تح: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث-الكويت، ط1، 1414هـ/1994م، (ص 126).

(3)- الباقلاني، **م.س**، (ص 270).

(4)- الجعبري، **م.س**، (ص 205).

(5)- **أبو عمر الداني**: (**371-444هـ/981-1053م**): عثمان بن سعيد عثمان الأندلسي محدث مقرئ مقّدم رحل إلى المشرق وطلب علم القراءة وتصدره وألف فيه من مصنفاته: (التيسير في القراءات السبع)، (الاقتصاد في القراءات السبع)...يراجع: الحموي، **م.س**، (4/ 1604) (عث). وكذا الزركلي، **م.س**، (4/ 366-376). (عب).

(6)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 53).

(7)- الزركشي، **م.ن**، (1/ 53).

(8)- بكري شيخ أمين، **التعبير الفني في القرآن**، دار الشروق-بيروت، ط4، 1400هـ/1980م، (ص 203).

قبلها بلاغة. ويعزى إلى أبي الحسن الأشعري[1] (324هـ) أنه أول من قال بنظام الفاصلة في القرآن، مبتعداً في ذلك
عن السجع، والقافية في الشعر، ويقصرها على نظم القرآن[2].

المطلب الثاني: طرق الاستدلال على الفواصل وخصائصها:

لا يمكن الحكم على أية فاصلة بأنها مناسبة لموضعها إلاّ إذا عُرف موضعها، ثم بيان نمط تلك المناسب ولهذا لزام أن يتطرق البحث إلى الضوابط التي ترشد إليها، كما لا بد من معرفة خصائصها تيدرك قيمة تلك المناسبة.

أولاً: طرق الاستدلال عليها: هناك طريقان لمعرفة الفواصل، الأول سماعي منصوص عليه والثاني قياسي يعرف بالاجتهاد.

أ. **السماعي التوقيفي:** فهو ما ثبت أنه صلى الله عليه وسلّم وقف عليه دائما فهو فاصلة وما وصله فليس بفاصلة. وينبعث إشكال في الذي وقف عليه مرة ووصله في أخرى وهذا يحتمل ما يلي[3]:

✓ **في الوقف:** أنه إما وقف لتعريف فاصلة، أو لتعريف وقف تام_ الذي لا يكون دائما فاصلة، أو أنه فد يكون وقفا اضطراريا لأخذ استراحة.

✓ **في الوصل:** يحتمل أنه فاصلة، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها إذ صارت معلومة. وكثير من
الفواصل ضبطت بهذا الطريق، وبخاصة عند ما تم جمع القرآن في المصحف، حيث كانت من أولويات الجامعين؛ إدراج مواضع الوقف ومعه الفاصلة.

(1)- **الأشعري (260-324هـ/874-936م)**: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق من نسل أبي موسى مؤسس مذهب الأشاعرة من الأئمة المتكلمين المجتهدين، ولد بالبصرة، كان معتزلياً ورجع عنه يخالفه توفي ببغداد وبلغت مصنفاته 300 كتاب منها: (الرد على المجسمة)، رسالة في الإيمان...الزركلي، الأعلام، (5/ 69).

(2)- نقلاً عن د. أحمد جمال العمري، **المباحث البلاغية في ضوء الإعجاز نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري**، مطبعة المدني-القاهرة، (د.ر.ط)، 1410هـ/1990م، (ص 141).

(3)- ينظر: السيوطي، **الإتقان**، (3/ 333)، و: **المعترك**، (1/ 29).

ب. القياسي: فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص المناسب، ولا محذور فيه لأنه لا زيادة ولا نقصان فيه، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل؛ والوقوف على كل كلمة جائز ووصل القرآن كله جائز، فاحتيج إلى طريق ليعرف به هذا النوع القياسي. ويرى أن من بين هذه الطرق ما يلي:

✓ **الطريق الأول**: يمكن الاستدلال عليها بمعرفة تلك الأواخر لأن الأصل في الفواصل أن تكون مشاكلة للطرفين أو لأحدهم. ولذلك أجمع العادون لآي القرآن على ترك عد: **"وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ"** [النساء:171]. من النساء؛ لأن ما قبلها و: **"وَكِيلًا"** [النساء:170] وما بعدها: **"جَمِيعا"** [النساء:172] هو غير مشاكل لهما.

وعلى ترك عد: **"وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ"** [طه:108] في طه؛ لأن ما قبلها: **"عِلْما"** [طه:107] وما بعدها: **"ظُلْما"** [طه:108] وهو غير مشاكل لهما.

كما عدّوا: **"إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً"** [الكهف: 5] في الكهف؛ لأن ما قبله: **"وَلَدا"** [الكهف:4] وما بعد: **"أَسَفا"** [الكهف: 6]، وهو مشاكل لهما.

وعدّوا: **"وَالسَّلْوَى"** [طه:78]، لأن ما قبله: **"هَدى"** [طه:77]، وما بعده: **"هَوى"** ﴿طه:79]، وهو مشاكل لهما[1].

وهذا الطريق يمكّن من معرفة الفاصلة في جملة من آيات، لا تتعدى الثلاث سواء أكانت السور متماثلة الأواخر أم لا.

✓ **الطريق الثاني**: يمكن من الاستدلال عليها في جملة السورة كلها وهذا يختص بالسور ذات

الأواخر المتماثلة. كسورة الكهف والفتح والإنسان التي جاءت فواصلها على حرف الألف. فإذا أشكل على المرء معرفة إحداها نظر إلى آخرها.

(1)- طاهر الجزائري الدمشقي، **التبيان لبعض المباحث المعلقة بالقرآن على طريق الإتقان**، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية-بيروت، ط3، 1412هـ، (ص 198-199)، ويراجع: أبو عمرو الداني: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (444هـ)، **البيان في عدّ آي القرآن**، (ص 109 وما بعدها)

ولهذا السبب تصدى كثير من العلماء لبيان أواخر جميع الفواصل، حتى لو كان غير متماثلة. ومنها القول بأن فواصل الفاتحة "من" وفواصل عم "منا". وفواصل الملك "مرن"[(1)].

✓ **الطريق الثالث**: معرفة مواضع الفصل أو الوصل: "أما الفصل فهو في لسان علماء البيان، عبارة عن ترك الواو العاطفة بين الجملتين"[(2)]. والوصــل عكســه أي: هو جمع وربط بين جُملتين و ذلك بالواو خاصة، لصلة بينهما في الصورة والمعنى: أو لدفع اللَّبس. والفصل: "ترك الربط بين الجُملتين، إمَّا لأنهما مُتحدتان صــورة ومعنى، أو بمنزلة المتحدتين، وإمَّا لأنه لا صـــلة بينهما في الصـــورة أو في المعنى"[(3)]. وقد بين علماء البلاغة هذه في الآتي[(4)]:

1. إذا وجدت جملة علاقتها مع سابقتها علاقة الموصوف بالصفة، والمؤكد بالتأكيد؛ فهذه لا يكون فيها عطف، لأنه لو وجد لأشبه عطف الشيء على نفسه (وهنا يكون الفصل).
2. جملة حالها مع التي قبلها حال الاسم، لا يكون كالذي قبله، إلا أنه يشاركه في حكم، ويدخل معه في معنى، كأن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً... فيكون العطف بينهما أسبق (وهنا الوصل).
3. جملة ليست في شيئين من الحالتين السابقتين، بل سبيلهما مع التي تسبقها سبيل الاسم مع الاسم، لا يكون منه في شيء فلا يكون إياه، ولا مشارك له في معنى؛ بل هو شيء إن ذكر؛ لم يذكر إلاّ بأمر ينفرد به، ويكون ذكر الذي قبله أو تركه، ســواء حيث لا علاقة بينهما. وفي هذه الحالة ترك العطف أولى (الفصل).

ومما سبق يتضح بأن الفصل وحده تعرف به الفواصل قياسا؛ لأن مهامها الفصل بين الجملتين القرآنيتين. ولمزيد من التأكيد هذه أمثلة عن مدى ارتباط الفاصلة بالفصل من خلال مواضعه الآتية: ولابد من إدراج شرط مهم في هذا الطريق الثالث، وهو لزوم مشاكلة ما تنتهي عنده الجمل المفصولة لما قبلها أو بعدها، أو واحد منهما في آخر الحرف.

ثانياً: **خصائص الفواصل**: تتميز الفاصلة بأمور وهي:

---

(1)- طاهر الجزائري، م.س، (ص 207-208).

(2)- المؤيد بالله، **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، (3/ 169).

(3)- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (1362هـ)، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية-بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 179).

(4)- الجرجاني، **الدلائل**، (ص 187-188).

✓ ختمها –في الغالب– بحروف المد واللين وإلحاق النون والميم بها.وحكمته التمكن من التطريب. قال سيبويه: "إنهم –أي العرب– إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون يريدون مد الصوت.ويتركون ذلك إذا لم يترنموا.وقد جاء في القرآن على أسهل موقع، وأعذب مقطع.

✓ أن الحروف التي تقع بها الفواصل إما متماثلة أو متقاربة، ولا تخرج عنهما كما قال فخر الدين الرازى، وبهذا استكملت أداة الغناء وتم لها حسن التناسق وجمال الإيقاع.

✓ أنها تتقدم عليها ألفاظ تُمهد لها، وتُعظم من وقعها في السمع (رد الأعجاز على الصدور أو التصدير)[1].

المطلب الثالث: المناسبات المعنوية في مقاطع الفواصل:

ظهر بعد البحث أن أوجه التناسب في فواصل القرآن لا تخلو أن تكون واحدة من ثلاثة: أو ظاهرة جلية، أو خفية تدرك بالتأمل، أو مشكلة تحتاج إلى تدبر وإمعان شديد.

ويذكر الزركشي (794هـ) قريبا من هذا:" اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً وإلاّ خرج بعض الكلام عن بعض. وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك لكن منه ما يظهر ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب[2].

وقسم بعض الباحثين مهام الفواصل إلى اثنتين: معنوية ولفظية:

أولا:من حيث اللفظ: فتعتمد وظيفتها من حيث اللفظ –وهو ما يصح أن يطلق عليه بالتناسب الصوتي[3]– على العوامل الآتية:

1.أنها تحسين للكلام وراحة للنفس عند التلاوة. حيث يحسن السكوت عليها وقد كمل المعنى أو قارب الكمال، بحيث يشهد الذوق بذلك ويدركه.

2. تؤذن بانتهاء الآية وتميز بينها وبين التي تليها مع إحكام الربط ودقة النظم وجمال التلاؤم.

(1)– مطعني، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، (1/ 226).

(2)– الزركشي، **البرهان**، (1/ 78).

(3)– **التناسب الصوتي**: ما يقع على الأذن والسمع من جرس صوتي يشيع في ألفاظه وآياته. ينظر نذير حمدان، **الظاهرة الجمالية في القرآن**، دار االمنارة–جدة–السعودية، ط1، 1412هـ/1991م، (ص 153).

3. تساعد على تلاوة القرآن مرتلاً مجوداً بأنغام آسرة ذات إيقاع جميل. . "[1]

ثانيا:من حيث المعنى: هي موقعها من الدلالة على المراد في الآية. ويدخل فيما يسمى المناسبات المعنوية وقد يكون ذلك ارتباط واضحاً جلياً، أو لا يمكن استجلاء إلاّ بجهد وتأمل عميق، وأحوالها في ذلك كالآتي:

1. **التمكين**: في اللغة من مكّن وتمكن بمعنى ظفر واستطاع[2]. وهو عند ابن أبي الإصبع (654هـ)

من قبيل ائتلاف القافية ومعناه أن: "يمهد للفاصلة، حتى تأتي متمكنة في موضعها، مستقرة في قرارها، مطمئنة غير نافرة"[3] ظافرة بصلتها بالمعنى. "ولا قلقلة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله؛ تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم. وبحيث لو سكت عنها لكمّله السامع بطبعه"[4].

وهذا ما جرى عند نزول قوله تعالى: **"وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ "** [المؤمنون:12-14] **فقال معاذ بن**

(1)- المطعني، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، (1/ 225).

(2)- ابن منظور، **م.س**، م13، (ص 412-413) مادة (مكن).

(3)- ابن أبي الإصبع: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر العدواني، البغدادي ثم المصري (654هـ)، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تح: الدكتور حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ولجنة إحياء التراث الإسلامي- الجمهورية العربية المتحدة، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 224).

(4)- ابن أبي الإصبع، **م.س**، (ص 224).

جبل[1]: **"فتبارك الله أحسن الخالقين" فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ: مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال: بها ختمت"**[2]-[3].

وهذه أمثلة متنوعة بين القرآن المكي والمدني توحي بهذا التمكين: "في قوله تعالى: **"قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ "** [هود: 87] فإنه لما تقدم في الآية ذكر العبادة، وتلاه ذكر التصرف في الأموال؛ اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب، لأن الحلم يناسب العبادات، والرشد يناسب الأموال"[4]. "وفي قوله عز وجلّ: **"أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۝٢٦ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ"** [السجدة: 26-27] فأتى في الآية الأولى: **"يَهْدِ لَهُمْ"**، وختمها بـ: **"يَسْمَعُون"**، لأن الموعظة فيها مسموعة. وهي أخبار

---

(1)-

(2)- رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم: 4657، ينظر: الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (360هـ)، **المعجم الأوسط**، تح: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين-القاهرة، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (5/ 56). والحديث روي عن زيد بن ثابت وذكر بن كثير في تفسيره أن سند هذا الحديث المروي عن معاذ ضعيف بسبب =أن زيدا كتب الوحي في المدينة والآية مكية. وروى الحديث من طريق آخر عن أبي حاتم وصولاً إلى ابن الخطاب قال: وافقت ربي ووافقني في أربع وذكر الآية. يراجع ابن كثير، **تفسير القرآن**، دار الكتب العلمية-بيروت،ط1، 1420هـ/1999م، (5/ 228).

(3)- السيوطي، **الإتقان**، (32/ 346-347).

(4)- ابن أبي الإصبع، **م.س**، (ص 224-225).

(5)-معاذ بن جبل (18ق هـ - 20هـ = 603 - 639 م):ابن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن: صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام. أسلم وهو فتى، كان من أجمل الرجال، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم وبعثه ، بعد غزوة تبوك، قاضيا ومرشدا لأهل اليمن وبقي فيها إلى أن توفي النبي صلّى الله عليه وسلم ، مات في طاعون عمواس في الشام " الأردن"سنة سبع عشرة أو التي بعدها، وهو قول الأكثر. وعاش أربعا وثلاثين سنة، ودفن بالقصير المعيني (بالغور) له 157 حديثا. يراجع:ابن حجر،الإصابة في تمييز الصحابة ،(6/108- 109)،الزركلي ، الأعلام ،(7/ 258)

القرون. وفي الثانية: "**يَرَوا**" وختمها: "**يُبْصِرُونَ**"، لأنّ الموعظة فيها مرئية وهي سوق الماء إلى الأرض الجرز"[1].

وقوله: "**وَرَدَّ اللَّهُ الذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُومِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً**" [الأحزاب: 25] فلو حذفت الفاصلة: "**وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً**" لأوهم ذلك بعض الضعفاء، موافقة الكفار في اعتقادهم أن الريح التي حدثت -أثناء غزوة الأحزاب- كانت سبب رجوعهم، وأن ذلك أمر اتفاقي؛ فأخبر سبحانه في تلك الفاصلة عن نفسه، بالقوة والعزة ليعلم المؤمنين أنه الغالب الممتنع[2].

ومنه قوله: "**قُلَ اَرَآيْتُمُۥ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَداً اِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنِ اِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَاتِيكُم بِضِيَآءٍ اَفَلاَ تَسْمَعُونَ**" [القصص:71]. فإن ظرف الليل ظرف مظلم لا ينفذ فيه البصر، لاسيما وقد أضاف الإتيان بالضياء، الذي تنفذ فيه الأبصار إلى غيره. وغيره ليس بفاعل على الحقيقة، فصار النهار كأنه معدوم، والليل كأن لا موجود سواه. فاقتضت البلاغة أنه يقول: "**اَفَلاَ تَسْمَعُونَ**" لمناسبة ما بين السماع والظرف اللّيلي الذي يصلح للاستماع، ولا يصلح للإبصار [3].

ومن بديع هذا النوع من "التمكين" اختلاف الفاصلتين في موضعين، والمحدّث عنه واحد لنكتة. وذلك في قوله تعالى: "**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ إِنَّ الِانسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**" [إبراهيم:36]، وقوله: "**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**" [النحل:18] ،كأنه يقول إذا حصلت النعم الكثيرة، فالإنسان آخذها والله معطيها، فحصل له عند أخذها وصفان: كونه ظلوما، وكونه كفّارا، ولله عند إعطائها وصفان: أنه غفور رحيم، يقابل ظلم الإنسان بغفرانه، وكفره برحمته... والحكمة من تخصيص الأولى بسورة إبراهيم، والثانية بالنحل: أن السياق في سورة إبراهيم؛

---

(1)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 80)، والسيوطي، **الإتقان**، (3/ 346).

(2)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 79).

(3)- يراجع: الزركشي، **م.ن**، (1 / 82).

في وصف الإنسان وما جبل عليه(وهو المنعَم) فناسب ذكر ذلك بعد أوصافه[1]. وأما آية النحل، فسيقت في وصف الله –عز وجل– واثبات ألوهيته، وتحقيق صفاته فناسب ذكر وصفه سبحانه...[2].

وهذا ما ذكره كذلك ابن عاشور في تفسيره بشيء من التفصيل.فيقول: "وقد خولف بين ختام هاتين الآتين؛ لأن التي في سورة إبراهيم جاءت في سياق وعيد وتهديد، عقب قوله تعالى: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْراً**" [إبراهيم:30]،فكان المناسب لها تسجيل ظلمهم وكفرهم بنعمة الله. وأما التي في سورة النحل، فقد جاءت خطابا للفريقين. كما كانت النعم المعدودة عليهم منتفعا بها كلاهما. ثم كان من اللطائف، أن قوبل الوصفان اللذان في آية سورة إبراهيم "لظلوم كفّار" بوصفين هنا "لغفور رحيم"؛ إشارة إلى أن تلك النعم كانت سببا لظلم الإنسان وكفره وهي سبب لغفران الله ورحمته، والأمر في ذلك منوط بعمل الإنسان"[3].

وهذا الكلام يؤكد على أن الفاصلة لا ترتبط فقط بما يسبقها من الدلالات بشكل قريب؛ بل حتى بالسورة ككل أو ببعض منها، كما هو شأنها في قوله تعالى: "**أُوْلَٰئِكَ عَلَىٰ هُدىً مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**" [البقرة:4] يقول الزمخشري (538هـ) عنها: "معنى التعريف في "المفلحون" للدلالة على أن المتقين السابق ذكرهم في الآية: "**هُدىً لِّلْمُتَّقِينَ**" [البقرة:1] هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون في الآخرة..."[4].

ومن النماذج في هذا الباب أيضاً: قوله تعالى: "**وَهُوَ ٱلذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ**" [الأنعام:98-99]، ففي مناسبة يعلمون مع ذكر النجوم، ويفقهون مع إنشاء بني آدم، يقول الزمخشري (538هـ): (أن) "إنشاء الإنس

(1)- الزركشي، **م.ن**، (1/ 86).

(2)- الزركشي، **م.ن**، (1/ 86).

(3)- ابن عاشور، **التحرير**، (14/ 124).

(4)- الزمخشري، **الكشاف**، (1/ 46).

مع نفس واحدة، وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيرا، فكان ذكر الفقه -الذي هو استعمال الفطنة وتدقيق النظر- مطابقا له"[1].

ومما قد يُحتاج إلى معرفة الفرق بين فواصله ومدى تناسبها مع صدر الآية التي وردت فيها؛ آيات الوصايا العشر من سورة الأنعام: يقول الله عز وجل: "**قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥٢﴾ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٣﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٤﴾**" [الأنعام:152-154].

يرى أبو حيان (754هـ) في تفسيره أن: الخمسة المذكورة قبل (عدم الشرك، الإحسان إلى الوالدين، منع قتل الأولاد، عدم الاقتراب من الفواحش وقتل النفس) من الأمور الظاهرة الجلية، وجب تعقّلها وتفهّمها فختمت الآية بـ (تعلقون). والأربعة في الآية الثانية(قربان مال اليتيم، إيفاء الكيل والميزان الحكم بالعدل، الوفاء بالعهد) خفية غامضة، لابد من الاجتهاد فيها والذكر الكثير، حتى يقف على موضع الاعتدال، ختمت (تذكّرون) ولما كان الصراط المستقيم هو الجامع للتكليف، ومن اتبعه نجا؛ ختم بالتقوى التي هي اتقاء النار[2]. وهي خلاصة أمر الدين كله.

وفي قوله: "**إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً**" [النساء:148]. يقول صاحب المنار في تفسيرها: "لما بيّن الله تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء من القول بغير عذر الظلم، بيّن حكم إبداء الخير وإخفائه... وحكم العفو عن السوء. فيعفو عن سيئاتهم،

(1)- الزمخشري، **الكشاف**، (2/ 39)، وهو ما ذكره الرازي في تفسيره لهذه الآية كذلك يراجع: **لفخر الدين الرازي، التفسير الكبير**، (13/ 104).

(2)- أبو حيان **تفسير البحر المحيط**، (4 /252-253).

ويجزل مثوبتهم، وكان شأنه العفو –وهو القدير لا يعجزه الثواب الكثير على العمل القليل– وإذا عفا فإنما يعفو مع القدرة على المؤاخذة..."[1].

وباستقرار جزئي للأمثلة التي يتعرض إليها الدارسون للفاصلة –في معرض الحديث عن التمكين– أن لعله الضرب الذي يكثر في القرآن أكثر من غيره لاختصاصه بالآيات الطوال، سواء أفي السور المكية أم المدنية..

2. التصدير: لغة: التصدير حزام الرّحل والهودج[2]. وهو من صدّر وصدرا؛ والصدر أعلى مقدّم كل شيء وأوّله [3].

واصطلاحاً: أن يتقدّم لفظ من ألفاظ الفاصلة أو ما يشبهه في أوائل الكلام، وهو المشهور برد العجز على الصدر[4] وهو على ثلاثة أقسام:

✓ **توافق الفاصلة لآخر كلمة في صدر الكلام**: ومثاله قوله تعالى: **"لَّكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا"** [النساء:156]. فالتوافق ظاهر بين "يشهدون" و"شهيدا".

وبين "عجل" و"تستعجلون" في قوله تعالى: **"خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ"** [الأنبياء: 37].

ومنه كذلك قوله: **"رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ"** [آل عمران:8]، إلاّ أن السيوطي (911هـ) ذكر هذا المثال عن القسم الموالي. ولعلّه هنا أنسب[5].

---

(1)– محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، دار الفكر–بيروت، ط2، (د.ت.ط)، (6/ 64).

(2)– ابن منظور، **م.س**، (4/ 448) مادة (صدر).

(3)– ابن منظور، **لسان العرب**، (4/ 445)

(4)– ابن أبي الإصبع، **م،س**، (ص 224)، وكذا: السيوطي، **الإتقان**، (3/ 354). **والمعترك**، (1/ 48). وطاهر الجزائري، **م.س**، (ص 283–284). والتعريف مجموع بين تعريف السيوطي وطاهر. ولم يوقف على التعريف في مؤلف ابن أبي الإصبع.

(5)– يراجع: السيوطي، **الإتقان**، (3/ 355).

وقوله: "فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَّتَطَهَّرُوٓاْ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ " [التوبة: 109]، وقوله: "بِالْبَيِّنَتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" [التوبة: 71]. والتوافق فيها بين بعض ألفاظ الفاصلة واللفظ الأخير لصدر الكلام ظاهر[1].

✓ **أن توافق الفاصلة أوّل كلمة في صدر الكلام**[2]: من هذا قوله تعالى: "وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ" [الأحزاب:37]. فأوّل كلمة من صدر الكلام هي "تخشى". فجاءت الفاصلة في "تخشاه"[3].

ومنه كذلك: "قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ" [الشعراء:168]. وهذا المثال ذكره السيوطي (911هـ)[4]. دون تعليق والظاهر أن التوافق هنا ليس بالمعنى ولكن باللفظ فقط بين "قال": الذي هو فعل الكلام و"قالين من القلى: البغض الشديد، كأنه بغض يقلى الفؤاد والكبد"[5].

وقوله: "فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ" [المائدة:41]. والتوافق بين "تاب" و"يتوب" هنا ظاهر.

ومنه كذلك قوله: "قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً فَيَسْحَتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ" [طه: 60][6].

وقوله: "وَلَقَدُ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ" [الأنعام:11]. وفي [الأنبياء:41][7].

---

(1)- تراجع هذه الأمثلة في: الزركشي، **م.س**، (1/ 95). و: السيوطي، **الإتقان**، (3/ 354). و: **المعترك**، (1/ 48).

(2)- السيوطي، **الإتقان**، (3/ 354). و: **المعترك**، (1/ 48).

(3)- المثال عن الزركشي، **م.س**، (1/ 95).

(4)- السيوطي، **الإتقان**، (3/ 354). **والمعترك**، (1/ 48).

(5)- الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (3/ 331).

(6)- الزركشي، **م.س**، (1/ 94).

(7)- السيوطي، **الإتقان**، (3/ 354)، **والمعترك**، (1/ 48).

✓ **أن توافق الفاصلة بعض ألفاظ صدر الكلام**[1]. ومن هذا قوله تعالى: "**انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا**" [الإسراء:21]، فالفاصلة: "وأكبر تفضيلا". متوافق مع اللفظ الثالث من ألفاظ صدر الكلام "فضلنا".

وقوله[2] كذلك: "**وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**" [يونس: 19].

هذا فيما يخص التمكين وأمثلته، أما ما يليه فهو التوشيح.

3. التوشيح: التوشيح في اللغة: "من وشّح: ألبسه وشاحا، والتوشيح أن يدخل الثوب من تحت يده اليمنى فيلقيه على منكبه الأيسر"[3].

وعرّفه ابن أبي الإصبع (654هـ): "أن يرد في الآية معنى يشير إلى الفاصلة حتى تُعرف من قبل قراءته"[4].

والعلاقة بين هذا الاصطلاح والمعنى اللغوي أن: "معناه نزل منزلة الوشاح، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح، اللذين يحول عليهما الوشاح"[5]. وأمثلته: "قوله تعالى:"**وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ**" [يس:36] فإنّه من كان حافظاً لهذه السورة (وهي سورة يس)، متيقظاً إلى أن مقاطع فواصلها النون المردفة، وسمع صدر هذه الآية علم أن الفاصلة: "مظلمون"، لأن من انسلخ النهار عن ليله أظلم مادمت تلك الحال"[6].

---

(1)- السيوطي، **الإتقان**، (3/ 354)، **والمعترك**، (1/ 48).

(2)- الزركشي، **م.س**، (1/ 94).

(3)- ابن منظور، **لسان العرب**، (2/ 632-633)، مادة (وشح).

(4)- ابن أبي الإصبع، **م.س**، (ص 228).

(5)- الزركشي، **م.س**، (1/ 95). وكذا ابن أبي الإصبع، **م.س**، (ص 228).

(6)- الزركشي، **م.ن**، (1/ 95). وابن أبي الإصبع، **م.س**، (ص 228).

"ومنه قوله -عز وجل-: "إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحاً وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ " [آل عمران:33]، فإنّ من سمع هذه الآية إلى ما قبل الفاصلة، يعلم أنّ الفاصلة هنا "العالمين" لدلالة معنى اصطفاء هؤلاء على ذلك، لكونهم من جنسهم"[1].

"ومنه قوله-عزّ وجل: "يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتاً ۝٦ لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٧ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُۥ ۝٨ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُۥ" [الزلزلة: 6-9]. فإن قوله: "لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ" يدل على التقسيم"[2]، فأعمال الناس مهما اختلفت أجناسها فهي إما أعمال خير أو أعمال شر قلّت أو كثرت وكلّها سُتعرض عليهم يوم القيامة.

ومنه قوله: "وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٤ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ " [الملك:14-15][3]. لأن الخبير وحده يعلم ما بالصدور.

وقوله: "يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ " [البقرة:19]. فإنّ إذهاب البصر ينمّ عن قدرة واسعة، فكانت الفاصلة: "إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ"[4].

"ومنه قوله تعالى: "ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ " [يونس:14]، فإذا وُقف على قوله "لننظر" مع ما تقدّم من قوله: "جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلأَرْضِ " عُلم أنّ بعده "تعلمون"، لأنّ المعنى يقتضي[5].

وربما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كل منهما؛ صدره يدل على عجزه ولذا جعل العسكري(395هـ) التوشيح والتصدير نوع واحد[6]. غير أنّ الفرق بينهما يكمن في كون الفاصلة في

(1)- طاهر الجزائري، **م.س**، (ص 287).
(2)- الزركشي، **م.س**، (1/ 96).
(3)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 96).
(4)- الزركشي، **م.ن**، (1/ 96).
(5)- العسكري، **الصناعتين**، (ص 268).
(6)- العسكري، **م.ن**، (ص 268).

التصدير يتقدّم لفظها –أو بعض ألفاظها– بعينه في صدر الكلام؛ أما التوشيح ففي أثناء الصدر فقط. وعلى هذا تكون دلالة التصدير لفظية ودلالة التوشيح معنوية [1].

4. الإيغال: لغة: من أغال إذا توسّع في الشيء... [2]. ومعناه اصطلاحاً: "ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها"[3]. أو هو: ورود فاصلة بمعنى زائد بعد ورود صدر الآية بمعنى تامّ[4].

وسمّي إيغالاً؛ لأن المتكلّم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه. وبلغ إلى زيادة على الحد[5]. كالّذي "أوغل في أرض فبلغ منتهاها. فهكذا المتكلّم إذا تمّ معناه ثمّ تعدّاه بزيادة فيه فقد أوغل"[6]. "ومثاله قوله تعالى: "وَجَآءَ مِنَ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ" [يس: 19-20]، فقوله: "مهتدون"، إيغال، لأنّه يتم المعنى بدونه، إذ الرسول مهتد لا محالة، لكن فيه زيادة مبالغة في الحث على إتّباع الرسل والترغيب فيه"[7].

"وكقوله: "أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ" [المائدة: 52]، فإنّ الكلام تمّ بقوله: "وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا". ثمّ احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى فلما أتى بها أفاد معنى زائدا"[8].

"وقوله: "فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ" [الذاريات: 23]. فقوله: "مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ" إيغال زائد على المعنى، أتى به لزيادة تحقيق هذا الوعد"[9].

---

(1)- يراجع: الزركشي، **البرهان**، (1/ 78-79).

(2)- ابن منظور، **م.س**، (11/ 512). مادة (غيل). وله معان أخرى ذكر منها ما ما يهم الموضوع.

(3)- طاهر الجزائري، **مباحث في علوم القرآن**، (ص 288).

(4)- د. نور الدين عتر، **القرآن والدراسات الأدبية**، المطبعة الجديدة-دمشق-سوريا، (د.ر.ط)، 1407هـ/1987م، (ص 173).

(5)- الزركشي، **م.س**، (1/ 96).

(6)- الزركشي، **م.ن**، (1/ 96).

(7)- طاهر الجزائري، **م.س**، (ص 288).

(8)- الزركشي، **م.س**، (1/ 96).

(9)- طاهر الجزائري، **م.س**، (ص 288).

"وقوله: "إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ ٱلْمَوْتىٰ وَلاَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ" [النمل: 82]. فإنّ المعنى قد تمّ بقوله: "وَلاَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ" ثم أراد أن يُعلم تمام الكلام بالفاصلة فقال: "إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ"[1].

والفاصلة في كل هذا ليست زائدة عن المعنى التام؛ بل قد تزيده وضوحا كما هو حال المثال الأخير فقوله: "مدبرين" بعد: "إذا وّلوا" فيها تأكيد لحال الأصـــمّ، إذ لو تباعد عن الداعي -بأن يولي عنه مدبرا-كان أبعد عن إدراك صوته، من تولّيه في أي جانب آخر[2]. فبالغت الفاصلة هنا في تصوير التولي والإعراض، وأوغلت فيه حتى جعلت الأصمّ مبتعدا ومتجافيا عن استيعاب أقل إشارة وأبسط ملاحظة[3]. وقد سمى الزركشي (794هـ) هذا النوع من الإيغال -في هذا المثال- إيغال احتياط[4].

وذكر[5] طاهر الجزائري (1338هـــــ)[6]. صـــاحب كتاب: "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن..." ضــرباً آخر ينتمي إلى الإيغال وهو التذييل: "وهو أن تأتي بعد تمام الكلام بمشــتمل على معناه من جملة مســـتقلة بنفســـها لإفادة التوكيد والتحقيق لدلالة منطوق الكلام أو دلالة مفهومه"[7]، بتعقيب جملة بجملة أخرى تشـــتمل على معناها للتوكيد. ومثّل له بمثالين الأول في قوله تعالى: "وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقاً" [الإسراء: 81]. الثاني: قوله عزّ وجل: "ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ يُجَـٰزِىٓ إِلاَّ ٱلْكَفُورَ" [سبأ: 17]. ولعل هذا الضرب -أي التذييل-

---

(1)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 96).

(2)- يراجع لتفسير هذه الآية الزمخشري، **الكشاف**، (3 / 159).

(3)- د. نور الدين عتر، **م.س**، (ص 174).

(4)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 97).

(5)- طاهر الجزائري، **م.س**، (ص 288).

(6)- وهو طاهر بن صالح (أو محمد صالح) (1268-1338هـ/1852-1920م) بن أحمد بن موهوب السمعوني الجزائري ثم الدمشـقي، بحّاثة من أكابر العلماء باللغة والأدب أصـله من الجزائر، ومولده ووفاته بدمشـق، سـاعد على إنشـاء دار الكتب الظاهرية والمكتبة الخالدية بالقدس من أعضاء المجمع العلمي العربي كان يحسن العبرية والسريانية والحبشية والزواوية والتركية والفارسية وله نحو عشرين مصنفاً منها (التبيان)، ا(لجواهر الكلامية)، (بديع التلخيص) في البديع... الزركلي، **م.س**، (3/ 320) (ط).

(7)- ابن الناظم:بدر الدين بن مالك، **المصـــباح في المعاني والبيان والبديع**، تح: د.حســـني عبد الجليل يوســـف، مطبعة الآداب الحلمية الجديدة-مصر، ط1، 1409هـ/1989م، (ص 217).

ينتمي إلى الإيغال من جهة كون الفاصـــلة زائدة في صـــدر الآية تأكيداً ويتم المعنى بدونها. وينتمي إلى التصدير من جهة وجود بعض ألفاظ الفاصلة في صدر الآية.

على العموم، ففي كل هذه الحالات -من تمكين وتصـدير وتوشـيح وإيغال- قامت الفاصـلة: "بأداء حظ من معنى الآية، ولم ترد ألبته مستجلبة ولا قلقة"[1]، وناسب موضعها في كل حالة من الحالات.

(1)- د. نور الدين عتر، **م.س**، (ص 174).

المبحث الثالث: التناسب في مشكلات الفواصل القرآنية:

المطلب الأول:المراد بمشكلات الفواصل:

المطلب الثاني: الفاصلة غير متلائمة مع الظاهر:

المطلب الثالث: إثارة الفاصلة تساؤلاً حول وجودها في مكانها:

المطلب الرابع: الفاصلة متضمنة فيما قبلها:

المطلب الخامس: التباس العلاقة بين الفاصلة وصدر الآية:

اهتم المفسـرون بتوجيه المعنى في الفاصـلة، وبذلوا ما بذلوه في بيان وجوه انقيادها الأصـيل للمعنى. وقد لاحظ علماء المناسبة أن كثيراً من الفواصل في الآيات القرآنية تهيؤ في بعض الأحيان لفاصلة بعينها، وينقاد لها المعنى، ولكن سرعان ما تجد الآية قد ختمت بغيرها، وبينوا أسوارها وصلتها بما قبلها، وخاصة تلك التي يتم المعنى قبلها، ولا تمثل جزءا من معنى الآية، للقارئ غير المتمعن، ولكن عند التمعن يتبين وجه مجيء الفاصلة في الموضع المناسب. واهتم المعتنون بالمناسبة بموضوع بيان صلة الفاصلة بما قبلها حتى تتضح المناسبة بين سياق الآية والفاصلة التي تختم بها، ووقفوا كذلك عند بعض الفواصل التي لا تبدو صلتها بما قبلها ظاهرة فكشفوا عن وجه المناسبة بينها(1). وقد أطلق السيوطي على هذا النوع من الفواصل (مشكلات الفواصل).

المطلب الأول:المراد بمشكلات الفواصل:

المشكل في اللغة: من الشكل، بالفتح وهو الشبه والمثل، وهذا شيء أشكل، ومنه قيل للأمر المشتبه مشكل. وأشكل عليّ الأمر إذا اختلط. (2)

المعنى اللغوي للمشكل يدور حول: الاختلاط، والالتباس، والاشتباه، والمماثلة.

ويعد هذا المصطلح مشتركا بين علوم القرآن والحديث وأصول الفقه ولذلك تباينت تعريفاته عند العلماء وإن كانت كلها تحوم حول المعنى اللغوي للفظ.

وسمي بعض القرآن مشكلا: لأنه أشكل، أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله.

ثم قد يقال لما غمض منه:مشكل.(3)

والمفيد في هذا المقام التعريج على بيان معنى مشكلات الفواصل فحسب.

(1)-ينظر : الزركشي، **البرهان**، (1/ 75 وما بعدها)، السيوطي، الإتقان، (3/ 352 وما بعدها).

(2)- ينظر:ابن الأنباري: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر (328هـ)، **الزاهر في معاني كلمات الناس** ،(تح: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت،ط1، 1412 هـ -1992 1/ 456)، ابن منظور،**لسان العرب**، (/ 356-357).

(3)-ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن** ،(ص 68)

فالفواصل المشكلة: هي تلك التي يوهم نظمها بداية أن ختامها غير متسق مع صدرها ،فتحتاج إلى كشف أسرارها البلاغية التي اقتضت هذا الوجه من النظم(1).

ولا يعرف معنى هذا الإشكال أو لا يُرفع إلا بعد تأمل الآية وطلب معناها من داخلها أو خارجها.

وهذا التعريف الاصطلاحي مرتبط ارتباطا كبيرا بالمعنى اللغوي للمشكل.

و الإشكال المراد في هذا المحل يكون على أنحاء:

- ✓ كون الفاصلة غير متلائمة مع ما جاءت به، وذلك بحسب النظر الظاهر.
- ✓ كون الفاصلة تثير تساؤلاً حول وجودها في ذلك المكان.
- ✓ كون بعض الفواصل بحسب النظر الظاهر يكون من قبيل الإطناب، ومعناها يكون متضمنا فيما قبلها، فما فائدة وجودها؟
- ✓ كون العلاقة بين الفاصلة وما سبقها غير ظاهرة(2).

هذه هي أنحاء الإشكالات التي تقع على هذا النوع من الفاصلة. ومن خلالها يتم البحث عن أسرارها وفيها أن بعض ذلك الإشكال يزول بمعرفة الترابط والتناسب(3).

المطلب الثاني: الفاصلة غير متلائمة مع الظاهر:

ولعل من أمثلة ذلك:

✓ **الأنموذج الأول:** قوله تعالى: **"رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ"** [البقرة:128]. فلا يتلاءم ظاهرا بعثة الرسل التي هي رحمة من الله مع عزة وحكمته.

(1)- د. علي محمد حسن العماري، **لغة القرآن**، مكتبة وهبة-القاهرة-مصر، ط1، 1432هـ/2011م، (ص 154).

(2)- د. جمال محمود أبو حسان، **الدلالة المعنوية لفواصل الآيات القرآنية -دراسة في بيان القرآن وإعجازه-**، دار الفتح للدراسات والنشر-عمان-الأردن، ط1، 1431هـ/2010م، (ص 492).

(3)- ستذكر هنا نماذج معدودة وللاستزادة ينصح بالرجوع إلى كتاب د. علي محمد حسن العماري السابق الذكر. كما أن تحديد الآيات المواتية لكل قسم اجتهاد شخصي -والله الغفور-.

يقول فخر الدين الرازي (606هـ): "العزيز: هو القادر الذي لا يغلب، والحكيم هو العالم الذي لا يجهل شيئاً، وإذا كان عالما قادرا كان ما يفعله صوابا ومبرأ عن العبث والسفه، ولولا كونه كذلك لما صح منه إجابة الدعاء ولا بعثة الرسل، ولا إنزال الكتاب"[1].

ويقول الزركشي: "ووجه مناسبته أن بعث الرسول تولية والتولية لا تكون إلاّ من عزيز غالب على ما يريد وتعليم الرسول الحكمة لقومه إنما يكون مستنداً إلى حكمة مرسله لأن الرسول واسطة بين المرسل والمرسل إليه فلا بد وأن يكون حكيماً فلا جرم كان اقترانهما مناسبا"[2].

والخلاصة في ختم الآية السابقة (بالعزيز الحكيم) بمناسبة ما جاء من كون الله عالم قادر، وكل ما يصدر عنه، يكون نتاجا لتلك الصفتين، ومن ذلك بعث الرسل، وما يرتبط ببعثهم من التولية التي تقوم على القوة والغلبة وعلى العلم والحكمة، فيجب أن يتصف حامل الرسالة بشرف العلم وطهارة الأخلاق، وهما لا ينالان إلا بالمجاهدة التي لا يطيقها إلاّ الرسل وما يتبعها من ترتيب الحكمة وحيثياتها بتلقين منه سبحانه.

✓ **الأنموذج الثاني:** قوله: "**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** " [المائدة: 120].

يقول السيوطي(911هـ): "فإن قوله: "وإن تغفر لهم" يقتضي أن تكون الفاصلة "الغفور الرحيم" ...[3]وذكر في حكمته أنه لا يغفر لمن استحق العذاب إلاّ من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو العزيز أي الغالب والحكيم هو الذي يضع الشيء في محله وقد يخفى وجه الحكمة على بعض الضعفاء في بعض الأفعال فيتوهم أنه خارج عنها وليس كذلك فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسن أي وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك والحكمة فيما فعلته.

ونظير ذلك قوله في سورة التوبة: "**أُوْلَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**" [التوبة: 72] وفي سورة الممتحنة: "**وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**" [الممتحنة: 5]، وفي غافر: "**رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ**

(1)- الرازي، **م.س**، (4/ 60).

(2)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 88).

(3)- وزاد: وكذا نقلت عن مصحف أبيّ وبها قرأ ابن شنبوذ.ينظر: السيوطي، **الإتقان**، (3/ 352).

أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ " [غافر:7]. وفي النور: " **وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ** " [النور:10]، فإن بادئ الرأي يقتضي "تواب رحيم" لأن الرحمة مناسبة للتوبة؛ لكن عبر به إشارة إلى فائدة مشروعية اللعان وحكمته وهي الستر عن هذه الفاحشة العظيمة"[1].

✓ **الأنموذج الثالث**: قوله عز وجل: "**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ . وَإِنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ** " [طه: 115-116]. والمناسب بحسب الظاهر أن يُقرن الجوع بالظمأ لأنهما والعري بالضحاء لأنهما نظيران كذلك، لكن خولف هذا الظاهر. هذه المخالفة لأسباب:

✓ **الأول**: فقد روعى مناسبة اللبس للشبع في أنهما أمران ضروريان لا غنى لأحد عنهما، وروعى مناسبة الاستظلال للري في كونهما تابعين لهما. فالري تابع للشبع. والاستظلال تابع للباس.

✓ **الثاني**: أجرى الخطاب بمقتضى العادة وهي أن يقال: جوعان عريان. كما أن الضاحى الذي ليس على جسمه ساتر، متعرض لحرارة الشمس فيشعر كثيراً بالعطش. فصار "الضحاء" كأنه سبب فيه فقُرِنَ به.

✓ **الثالث**: في هذا لمحة من لمحات البيان الآسر، سماها البديعيون: "قطع النظير عن النظير" والغرض من ذلك تحقيق تعداد النِعَم.ولو ذاك لظن متوهم أن المعدود نعمتان لا أربع .[2]

المطلب الثالث: إثارة الفاصلة تساؤلاً حول وجودها في مكانها:

✓ **الأنموذج الأول**: في سورة الحج في قوله تعالى: "**ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ** " [الحج:58].

يقول الزمخشري (538هـ) في بيان مطابقة الفاصلة للمقطع: "المعاقب مبعوث من جهة الله عزّ وجلّ على الإخلال بالعقاب، والعفو عن الجاني -على طريق التنزيه لا التحريم- ومندوب إليه، ومستوجب عند الله المدح إن آثر ما ندب إليه وملك سبيل التنزيه، فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب، ولم ينظر في قوله تعالى: "**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ** " [الشورى:37]. و: "**وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**"

---

(1)- السيوطي، **الإتقان**، (3/ 352).

(2)- عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (1429هـ)، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، مكتبة وهبة-مصر، ط1، 1413هـ/1992م، (1/ 230-231).

[البقرة:235]، "وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ" [الشورى: 40]: فإنّ الله لعفو غفور، أي: لا يلومه على ترك ما بعثه عليه، وهو ضـــامن لنصـــره في كرته الثانية من إخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه. ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي، ويعرّض مع ذلك بما كان أولى به من العفو، ويلوّح به بذكر هاتين الصفتين. أو دلّ بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة. لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضدّه"(1).

ويبين فخر الدين الرازي (606هـ) المطابقة من وجوه(2):

أولها:"أن الله تعالى ندب المعاقب إلى العفو عن الجاني بقوله: "فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ" [الشـورى:37]. "وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ" [البقرة:235]، "وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ" [الشورى:40] فلما لم يأت بهذا المندوب فهو نوع إساءة، فكأنه سبحانه قال: إني قد عفوت عن هذه الإساءة وغفرتها، فإني أنا الذي أذنت لك فيه.

وثانيها: أنه سبحانه وإن ضمن له النصر على الباغي، لكنه عرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو والمغفرة، فلوّح بذكر هاتين الصفتين .

وثالثها: أنه سبحانه دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة، لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده". وهذا مثل ما رآه الزمخشري (538هـ) نفسه.

ويقول البقاعي (885هـ): يجوز أن يكون التقدير ندباً إلى العفو بعد ضـــمان النصـــر: إن الله لعزيز حكيم، ومن عفا وأصلح فقد تعرض لعفو الله عن تقصيره، ومغفرته لذنوبه، فهو احتباك: ذكر النصرة دليل العزة والحكمة، وذكر العفو منه سبحانه دليل حذف العفو من العبد "إن الله" أي الذي أحاط بكل شيء قدرة وعلماً "لعفو" أي عمن اقتص ممن ظلمه أول مرة "غفور" لمن اقتص ممن بغى عليه"(3).

فختمت الفاصـلة بما يناسـب ما سـبقها من العبارات فالله عفو عمن اقتص ممن ظلمه ، غفور لمن اقتص ممن اعتدى عليه لأنه أخذه بحقه.

(1)- الزمخشري، **الكشاف**، (3/ 167).

(2)- الرازي، **مفاتيح الغيب**، (23/ 245).

(3)- البقاعي، **الدرر**، (13/ 79).

✓ **الأنموذج الثاني**: في قوله تعالى: **"فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ"** [البقرة:151]. والتساؤل المطروح: إذا كان الشكر فلا كفران، فكيف جمع بينهما هنا؟

"قيل لابن عرفة (803هـ): إنه دليل على أن الأمر بالشيء ليس نهيا عن ضده ،إذ :لو كان نهيا عن الضد لما كان لقوله: **" وَلاَ تَكْفُرُونِ"** فائدة؟.

فقال: الأمر بالشكر مطلق (فيصدق) بشكره يوماً واحداً ثم يكفر دائماً، فلما قال "وَلاَ تَكْفُرُونِ" أفاد النهي عن الكفر دائماً.

قيل: هل بين الشكر والكفر واسطة؟

فقال: أما في غير هذا فنعم، لأن بينهما حالة الغفلة (والذهول) وأما هنا فلا، لأن الأمر بالشكر وترك الكفر إنما أتى عقب الأمر بالذكر. قال: والكفر هنا (هو) كفر النعمة"[1].

فخصص معنى الكفر هنا بكفر النعمة ، وذكر قبله أنه:يصدق بالشكر الواحد منه أما النهي عن الكفر فهو على الدوام .

✓ **الأنموذج الثالث**: في قوله عز وجل: **"وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلاَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلّاً ظَلِيلًا"** [النساء: 56].

كيف يندفع سؤال من يقول: إذا لم يكن في الجنة شمس تؤذي بحرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل ؟

يعلل الرازي (606هـ) هذا بأن الظل كان عند العرب أعظم أسباب الراحة –حيث أن بلادهم كانت في غاية الحرارة – ولهذا المعنى جعلوه كناية عن الراحة بلاد ،... فإذا كان الظل كذلك كان الظليل كناية عن المبالغة العظيمة في الراحة.."[2].

و أمافي المفردات: الظل:"ضد الضح (وهو الشمس)، وهو أعم من الفيء، فإنه يقال: ظل الليل، وظل الجنة، ويقال لكل موضع لم تصل إليه الشمس: ظل، ولا يقال الفيء إلا لما زال عنه الشمس، ويعبر

(1)- ابن عرفة أبو عبد الله محمد بن محمد الورغمي التونسي المالكي، (803هـ)، **تفسير ابن عرفة**، تح: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 2008م، (1/ 187).

(2)- الرازي، **مفاتيح الغيب**، (10/ 108).

بالظل عن العزة والمنعة، وعن الرفاهة... قال تعالى: **"وَنُدْخِلُهُمْ ظِلّاً ظَلِيلًا"** [النساء:57] ، كناية عن غضارة العيش"[1].

المطلب الرابع: الفاصلة متضمنة فيما قبلها:

حيث يكون وجودها -بحسب النظر الظاهر- من قبيل الإطناب. وفيه بيان مناسبة الفاصلة لمقاطع الكلام المتشابه في السياقات المختلفة، ثم الوصول إلى العلاقات المعنوية التي تخرج لها الفاصلة في مقاطع الكلام. يقول الدكتور تمام حسان: "ولقد تتوالى الفواصل في آيات متتابعة ومعناها مع تواليها واحد أو متشابه. وإنما توالت على رغم وحدة المعنى لغرض لولاه لأجزأت عن التوالي فاصلة واحدة"[2].

✓ **الأنموذج الأول**[3]: يقول تعالى **"وَإِذَ آخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً وَذِے ٱلْقُرْبىٰ وَٱلْيَتَٰمىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ"** [البقرة:82].

ذكر الراغب (502هـ) في تفسيره ثلاثة تأويلات لذلك[4]: **الأول** :أن "معرضين" حال مؤكدة، لأن تقديره: "ثم توليتم معرضين"، ذلك على قول من جعلها خطاباً لفريق واحد.

والثاني: أن التولي قد يكون لحاجة تدعو إلى الانصراف مع ثبوت العقد والإعراض هو الانصراف عن الشيء بالقلب.

والثالث: أن التولي والإعراض في ذلك مثلٌ مأخوذ من سلوك الطريق، وإدا اعتبرنا حال سالك المنهج في ترك سلوكه، فله حالتان، إحداهما: التولي:وهو أن يرجع عوده على بدئه ، وهو أقرب أمرا من المعرض،

(1)- الراغب الأصفهاني، **المفردات**، (ص 535-536).

(2)- د. تمام حسان، **البيان في روائع القرآن**، (1/ 200).

(3)- ومثلها: **"وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوَ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ"** [الأنفال/ 23]. وقوله: **"فَلَمَّا ءَاتَيٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ"** [التوبة:77].

(4)- الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف الراغب الأصفهانى (502هـ)، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تح: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب-جامعة طنطا-مصر، ط1، 1420هـ/1999م، (1/ 247-248).

لأنه متى ندم على رجوعه سـهل عليه العودة إلى سـلوك المنهج ،والثانية: أن يترك النهج ويأخذ في عرض الطريق متخطياً، وذلك هو الإعراض ، وأخذ في عرض المفازة إلى طلب منهجه، فيعسر عليه العود إليه.

ومتى جعل الخطابان لفريق واحد، فذلك غاية الذم، فإنهم جمعوا بين العود عن السـلوك والإعراض عن المسـلك، ومتى جعل "توليتم" للسـلف، وأنتم معرضـون للخلف، فتنبيه أنكم شـر من أسـلافكم، فقد كان منهم التولي، ومنكم الإعراض.

وهذا المعنى نفسـه ذكره الشـهاب الخفاجي[1] (1069هـ) في حاشـيته[2]؛ حيث فرّق بين التولي والإعراض: "بأن الأول قد يكون لحاجة تدعو إلى الانصـراف مع ثبوت العقد ،والإعراض هو الانصـراف عن الشيء بالقلب، وقيل: إن التولي أن يرجع عوده إلى بدئه، والإعراض أن يترك المنهج ويأخذ في عرض الطريق والمتولي أقرب أمرا من المعرض لأنه متى عزم سـهل عليه العود إلى سـلوك المنهج والمعرض حيث ترك المنهج واحد في عرض الطريق يحتاج إلى طلب منهجه فيعسر عليه العود إليه"[3].

✓ **الأنموذج الثاني**: قوله سـبحانه: **"وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ"** [آل عمران:143]. فمعنى النظر متضمن في الرؤية فكيف ناسب ذكره هنا؟

---

(1)- ا**الشِّـهَاب الْخَفَاجي (977-1069هـ/1569-1659م)**: أحمد بن محمد بن عمر، شـهاب الدين الخفاجي المصـري: قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة. نسبته إلى قبيلة خفاجة. ولد ونشأ بمصر، ورحل إلى بلاد الروم، من أشهر كتبه (ريحانة الألبا) و (شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل) و (شرح درة الغواص في أوهام الخواص للحريري) وغيرها... الزركلي، الأعلام، (1/ 238).

(2)- فقال: "إنّ التولي والإعراض مثل مأخوذ من سـلوك الطريق، وإذا اعتبرنا حال سـالك الطريق المنهج في ترك سـلوكه فله حالتان إحداهما أن يرجع عوده على بدئه، وذلك هو التولي والثانية أن يترك المنهج ويأخذ في عرض الطريق، والمتولي أقرب أمراً من المعرض لأنّ من ندم على رجوعه سـهل عليه العود إلى سـلوك المنهج والمعرض حيث ترك المنهج والأخذ في عرض الطريق يحتاج إلى طلب منهجه فيعسر عليه العود إليه وهذا غاية الذمّ لأنهم جمعوا بين العود عن السلوك والإعراض، وقيل: إنّ التولي قد يكون لحاجة تدعو إلى الانصراف مع ثبوت العقد، والإعراض هو الانصراف عن الشيء بالقلب". الخفاجي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي (1069هـ)، **حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي**، دار صادر-بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (2/ 194).

(3)- يراجع: الآلوسي: (1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** (1/ 310).

يوضـــح البقاعي (885هـ) هذا فيقول: "في قوله "فقد رأيتموه" أي برؤية قتل إخوانكم، والضـــمير يصلح أن يكون للموت المعبر به عن الحرب، وللموت نفسه برؤية أسبابه القريبة، وقوله: "وأنتم تنظرون" بمعنى رؤية العين، فهو تحقيق لإرادة الحقيقة"[1].

قال ابن عاشور: معنى رؤية الموت: مشاهدة أسبابه المحققة، التي رؤيتها كمشاهدة الموت، فيجوز أن يكون قوله: فقد رأيتموه تمثيلاً، ويجوز أن تطلق الرؤية على شـــدة التوقع... وجملة وأنتم تنظرون حال مؤكدة لمعنى رأيتموه، أو هو تفريع أي: رأيتم الموت وكان حظكم من ذلك النظر، دون الغناء في وقت الخطر... [2]. وزاد أيضـاً: "تمنون الموت بمعنى تتمنون موت الشـهادة في سـبيل الله فقد رأيتم مشـارفة الموت إياكم، وأنتم تنظرون من مات من إخوانكم"[3].

وفي الفروق اللغوية للعسـكري (395هـ): "أن النظر طلب الهدى... ويكون الناظر الطالب لظهور الشيء بإدراكه من جهة حاسة بصره أو غيرها من حواسه ويكون الناظر إلى لين هذا الثوب من لين غيره. وهو أيضـاً النظر بالقلب ومن جهة التفكر... وهو الفكر والتأمل لأحوال الأشـياء... والنظر تقليب العين حيال مكان المرئي طلباً لرؤيته والرؤية هي إدراك المرئي..."[4]. أي أن الرؤية أخص من النظر.

✓ **الأنموذج الثالث:** قال تعالى **"قَدْ خَسِرَ ٱلذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهاًۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَارَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَد ضَّلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ"** [الأنعام:141]. أليس في التصريح بضلالهم معنى أنهم لم يكونوا مهتدين؟

الفائدة في إضـافة نفي الهدى عنهم أنه: قد يضـل الإنسـان عن الحق وقد يعود إلى الاهتداء ،فبيّن سبحانه وتعالى أن هؤلاء قد ضلوا ولم يحصل لهم الاهتداء قط[5].

ويؤكد هذا المعنى وزيادة ابن عاشـور فيقول: "...عطف وما كانوا مهتدين على قد ضـــلوا لقصـــد التأكيد لمضـــمون جملة ضـــلوا لأن مضـــمون هذه الجملة ينفي ضـــد الجملة الأولى فتؤول إلى تقرير

---

(1)- البقاعي، **الدرر**، (5/ 82).

(2)-يراجع: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (4/ 108).

(3)- ابن عاشور، **م.ن**، (4/ 109).

(4)- العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (نحو 395هـ)، **الفروق اللغوية**، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع-القاهرة-مصر، (ص 75-76).

(5)- الرازي، **م.س**، (13/ 161).

معناها.والعرب إذا أكدوا بمثل هذا قد يأتون به غير معطوف نظرا لمآل مفاد الجملتين، وأنهما باعتباره بمعنى واحد، وذلك حق التأكيد كما في قوله تعالى: **"أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ"** [النحل: 21] وقوله: **"فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ "** [المدثر:9-10]... وقد يأتون به بالعطف وهو عطف صـــوري لأنه اعتداد بأن مفهوم الجملتين مختلف، ولا اعتداد بمآلهما كما في قوله تعالى: **"وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ"** [طه:77]. وقوله: **"قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ "** [الأنعام:57]... وكذلك جاء في هذه الآية ليفيد، بالعطف، أنهما خبران عن مساويهم...[1].

المطلب الخامس: التباس العلاقة بين الفاصلة وصدر الآية:

حيث يكون الرابط بين نهاية الجملة القرآنية وبدايتها غير ظاهر. فتحتاج إلى تأمل زائد. يقول طاهر الجزائري: "لا بد من وقوع المناسبة بين مطالع الكلام ومقاطعه، إلاّ أنه قد يخفى ذلك في بعض المواضع على من لم يكن بارعا في علم البيان[2].

ويندرج تحت هذا اللون اختلاف الفاصلتين وهو قليل، والمتحدث عنه واحد، أو اتفاق الفاصلة في آيتين أو أكثر والمحدث عنه مختلف وهو غزير.

✓ **الأنموذج الأول:** قوله تعالى: **"يُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَالاَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً"** [الإسراء:44].

"فالختم بالحلم والمغفرة عقب تسابيح الأشياء غير ظاهر في بادى الرأي وذكر في حكمته أنه لما كانت الأشياء كلها تسبح ولا عصيان في حقها وأنتم تعصون ختم به مراعاة للمقدر في الآية وهو العصيان كما جاء في الحديث: "**لولا بهائم رتع وشيوخ ركع وأطفال رضع لصب عليكم العذاب صباً**[3]. وقيل التقدير: حليما عن تفريط المسبحين غفورا لذنوبهم وقيل حليما عن المخاطبين الذين لا

(1)- ابن عاشور، **م.س**، (8أ/ 116).

(2)- طاهر الجزائري، **مباحث في علوم القرآن**، (ص 289).

(3)- الحديث: رواه أبو يعلى برقم: 6402، بلفظ آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَهْلًا عَنِ اللَّهِ مَهْلًا، لَوْلَا شَبَابٌ خُشَّعٌ، وَشُيُوخٌ رُكَّعٌ، وَأَطْفَالٌ رُضَّعٌ، وَبَهَائِمُ رُتَّعٌ، لَصَبَّ عَلَيْكُمُ الْعَذَابَ صَبًّا**» وقال المحقق إسناده ضعيف، وهو في الطبراني في المعجم الأوسط برقم: 6539، والبيهقي في السنن الكبرى برقم: 6391، ولم يوقف على الرواية التي ذكرها السيوطي، ينظر: أبو

يفقهون التســبيح بإهمالهم النظر في الآيات والعبر ليعرفوا حقه بالتأمل فيما أودع في مخلوقاته مما يوجب تنزيهه[1].

✓ **الأنموذج الثاني**: قوله سـبحانه: "**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ**" [سبأ:2]. هذه هي الآية الوحيدة في القرآن تقدمت فيها الرحمة علىٰ المغفرة. فلم ذلك؟

جاء في مفاتيح الغيب: "وهو الرحيم الغفور: رحيم بالإنزال حيث ينزل الرزق من الســماء، غفور عند ما تعرج إليه الأرواح والأعمال فرحم أولاً بالإنزال وغفر ثانياً عند العروج"[2].

وفي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ""ولما كان الحاصل من هذا المتقدم أنه رب كل شيء، وكان الرب لا تنتظم ربوبيته إلاّ بالرفق والإصلاح، وكان ربما ظن جاهل انه لا يعلم أعمال الخلائق لأنه لو علمها ما أقر عليها، اعلم أن رحمته سبقت غضبه، ولذلك قدم صفة الرحمة، ولأنه في سياق الحمد، فناسب تقديم الوصف الناظر إلى التكميل على الوصف النافي للنقص فقال: "وهو" أي والحال أنه وحده مع كثرة نعمه المقيمة للأبدان "الرحيم" أي المنعم بما ترضـاه الإلهية من إنزال الكتب وإرسـال الرسـل لإقامة الأديان "الغفور " أي المحّاء للذنوب أما من اتبع ما أنزل من ذلك كما بلغته الرسل فبالمحو عيناً وأثراً حتى لا يعاقبهم على ما سلف منها ولا يعاتبهم، وأما غيره فالتكفير بأنواع المحن أو التأخير إلى يوم الحشر[3].

يعلى: أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (307هـ)، مس**ند أبي يعلى**، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث-دمشق، ط1، 1404هـ/1984م، (11/ 287).

(1)- السيوطي، **الإتقان**، (3/ 323).

(2)- الرازي، **م.س**، (25/ 192).

(3)- البقاعي، **الدرر**، (15/ 443-444).

فالسـياق في هذه الآية هو الذي فرض ذلك ،فغيرها كلها يتقدمها ما يشـعر بوجود ذنب أو خطأ أو تقصير، لذلك كانت المغفرة أولى بالتصدير، أما هنا فلم يتقدها شيء مما ذكر بل كثير من مصالح العباد وهو لا يغدو أن يكون رحمة من الله سبحانه ،لذلك قدمت الرحمة على المغفرة[1].

✓ **الأنموذج الثالث**: قوله سبحانه: **"وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ"** [ص:16].

فأيّ تعلّق بين مطلع الآية وختامها؟

يذكر الرازي (606هـ) ستة تأويلات لهذه الآية مبينا فيها وجه التناسب بين المقطعين [2].

الأول: كأنه قيل قد شاهدت من هؤلاء الجهال جراءتهم على الله وإنكارهم الحشر والنشر، فاذكر قصة داود حتى تعرف شدة خوفه من الله تعالى ومن يوم الحشر، فإن بقدر ما يزداد أحد الضدين شرفا يزداد الضد الآخر نقصانا.

والثاني: كأنه قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم لا يضيق صدرك بسبب إنكارهم...، فإنهم إذا خالفوك فالأكابر من الأنبياء وافقوك.

والثالث والرابع: للاعتبار من قصة داوود عليه السلام ،سواء أنها تدل على ذنبه أو على خوفه من الخصمين :يقول:"أن للناس في قصة داود قولين: منهم من قال إنها تدل على ذنبه، ومنهم من قال إنها لا تدل عليه فمن قال بالأول كان وجه المناسبة فيه كأنه قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم إن حزنك ليس إلاّ، لأن الكفار يكذبونك، وأما حزن داود فكان بسبب وقوعه في ذلك الذنب ولا شك أن حزنه أشد، فتأمل في قصة داود... حتى يخف عليك ما أنت فيه من الحزن. ومن قال بالثاني قال: الخصمان اللذان دخلا على داود كانا من البشر، وإنما دخلا عليه لقصد قتله فخاف منهما داود، ومع ذلك لم يتعرض لإيذائهما ولا دعا عليهما بسوء بل استغفر لهما على ما سيجيء تقرير هذه الطريقة فلا جرم أمر الله تعالى محمدا عليه السلام بأن يقتدي به في حسن الخلق.

والخامس: أن قريشاً إنما كذبوا محمدا عليه السلام واستخفوا به لقولهم في أكثر الأمر إنه يتيم فقير، ثم أن... داود، مع كمال مملكته، مع ذلك ما سلم من الأحزان والغموم، ليعلم أن الخلاص عن الحزن لا سبيل إليه في الدنيا.

---

(1)- يراجع: أ.د. فضل حسن عباس، **قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية –نقد مطاعن وشبهات–**، دار الفتح–عمان–الأردن، ط1، 1421هـ/2000م، (ص 91).

(2)-يراجع: الرازي، **م.س**، (26/ 373).

والسادس: أن قوله تعالى: اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ... ذكر عقيب قصة داود قصص سائر الأنبياء فكأنه قال: اصبر على ما يقولون واعتبر بحال سائر الأنبياء... فحينئذ يعلم أن الدنيا لا تنفك عن الهموم والأحزان، وأن استحقاق الدرجات العالية عند الله لا يحصل إلاّ بتحمل المشاق... في الدنيا"

ويضيف تأويلا آخر- في موضع آخر- أن الآية فيها إشارة إلى ضرب من ضروب المماراة وهو: ضرورة قطع الكلام عند الابتلاء بخصم جاهل مصر متعصب ،وهو من شيم العقلاء.

يقول: "إن العقلاء قالوا من أبلى بخصم جاهل مصر متعصب، ورآه قد خاض في ذلك التعصب والإصرار، وجب عليه أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة، لأنه كلما كان خوضه في تقريره أكثر كانت نفرته عن القبول أشد، فالطريق حينئذ أن يقطع الكلام معه في تلك المسألة، وأن يخوض في كلام آخر أجنبي... بالكلية ويطنب... بحيث ينسى ذلك المتعصب تلك المسألة الأولى، فإذا اشتغل خاطره بهذا الكلام الأجنبي... فحينئذ يدرج في أثناء الكلام في هذا الفصل الأجنبي مقدمة مناسبة لذلك المطلوب الأول، فإن ذلك المتعصب يسلم هذه المقدمة، فإذا سلمها، فحينئذ يتمسك بها في إثبات المطلوب الأول، وحينئذ يصير ذلك الخصم المتعصب منقطعاً مفحما..."[1]. وهذا التفصيل من الرازي (606هـ) بديع.

أما البقاعي (885هـ) فيشير إلى لطيفة حسنة في وقوع المناسبة ها هنا فيقول: "ولما كان أعظم الجهاد الإنقاذ من حفائر الهفوات وأوامر الشهوات، بالإصعاد في مدارج الكمالات، ومعارج الإقبال، وكان ذلك لا يكاد يوجد في الآدميين لما حفوا به من الشهوات وركز في طباعهم من الغفلات، علل قوته بقوله مؤكداً: "إنه أواب" أي رجاع إلى الله تعالى ليصير إلى ما خلقه عليه من أحسن تقويم بالعقل المحض أطلق العلو درجة درجة على الرجوع، لأن ذلك دون الرتبة التي تكون نهاية عند الموت، فكان المقضي له بها أنزل نفسه عنها، ثم صار يرجع إليها كل لحظة بما يكابد من المجاهدات والمنازلات والمحاولات حتى وصل إليها بعد التجرد عن الهوى كله"[2].

كما يحسن القول هاهنا أن خفاء المناسبة المعنوية في بعض الفواصل لا ينفي وجود تناسب لفظي غايته جمالية صرفة يقول د. تمام حسان: "تأتي الفاصلة في نهاية الآية لتحقق للنص جانبا جماليا لا يخطؤه الذوق السليم... تحس أنها تضفي على النص قيمة صوتية منتظمة... ينشأ منها أثر جمالي يحس

(1)- يراجع:الرازي ،**مفاتيح الغيب**، (26/ 388).

(2)- البقاعي، **الدرر**، (16/ 350).

القارئ عندها بوقوفه لدى معلم من معالم السـياق المتصـل تحف به روائع الإيقاع وروائع المعنى من كل جانب"(1).

وفذلكة القول أن المناسبات الداخلية في الآية الواحدة قد تظهر جلية وقد لا تكون كذلك، ويتفاوت المفسرون في إدراك بعضها... ولعل هذا خاضع لعلم الموهبة اللازم في مثل هذه المواطن.

---

(1)- د. تمام حسان، **البيان في روائع القرآن**، عالم الكتب، ط2، 1402هـ2000م، (ص 279).

المبحث الرابع: المناسبة عند مخالفة الفواصل للأصول:

المطلب الأول: من أسرار العدول الصرفي في فواصل القرآن:

المطلب الثاني: من لمع العدول النحوي في فواصل القرآن:

المطلب الثالث: من تجليات العدول الصوتي في فواصل القرآن:

"الأصل في الاستعمال استصحاب الأصل، سواء من حيث المبنى أو من حيث المعنى. ولكن العرب درجت على تصحيح حالات معينة من العدول عن الأصل، وأعطتها من الاعتداد بها ما رقى بها إلى مستوى الصواب"[(1)]. وهذا الموجود في بعض الفواصل القرآنية.

للعدول في اللغة دلالات مختلفة والذي يتعلق بالمصطلح قيد الدراسة هو الاشتقاق من: عدل عن الطريق، أي خرج عنه أو مال عنه إلى غيره، إذ هو خروج مقصود، وليس بمعنى جار أو شذّ أو شيء من هذا القبيل[(2)].

وظاهرة العدول من القضايا اللغوية التي أثارت انتباه علماء العربية قديما وحديثاً فجعلها البعض في البلاغة، وبعضهم في التركيب ووظائفه النحوية، وبعضهم ألزمها كلمة الخطاب ليكشف عن أسبابها ودواعيها انطلاقا من مقصدتيه ومدى تأثيره، فهو سمة بارزة من سمات الأسلوب العربي تنشأ من تلك المراوحة بين الأساليب والانتقال المفاجئ من صيغة لأخرى ، وأطلق عليه الدارسون مصطلحات عدة منها: المجاز، النقل، الانتقال، التحريف، الانحراف، الرجوع، الالتفات، الصرف، الانصراف، التلون، مخالفة مقتضى الظاهر، شجاعة العربية، الحمل على المعنى، الترك، نقض العادة،الانزياح... وغيرها[(3)]. وهذه المصطلحات المترادفة تشير كلها إلى معنى الخروج عن الأصل وتركه إلى ما ليس بأصل.

---

(1)- د. تمام حسان، **م.ن**، (1/ 10).

(2)- يراجع: ابن سيده المرسي: أبو الحسن علي بن إسماعيل (458هـ)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، (2/ 14). و(10/ 424). والخليل، **العين**، (2/ 39). والجوهري، **الصحاح**، (5/ 1761).

(3)- عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، **الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم -دراسة نظرية تطبيقية- التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة**، المكتبة العصرية-صيدا-بيروت ، 2002م، (ص 141)، نقلاً عن: جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، **العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم -دراسة دلالية-**، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، إشراف: أ.د. عباس علي السوسوة، جامعة تعز الجمهورية اليمنية، 1428هـ/2007م، (ص 22).

فالعدول: هو استغناء، أو إسقاط قرينة مهمَّة لا يحسن الاعتماد عليها في الوصول إلى المعنى، وإذا اعتمدنا عليها لا يؤمن الوقوع في اللبس[1]. أو تجاوز المعتاد من التعابير بما يدل على المعاني أحسن دلالة.

ويؤكد د. تمام حسان بأن الأسلوب العدولي –حقاً– خروج عن الأصل أو مخالفة لقاعدة لكن تلك المخالفة قد اكتسبت قدرا من الاطراد رقت به إلى مرتبة الأصول التي يقاس عليها[2].

والفاصلة القرآنية من المظاهر الصوتية التي تشكّل لوحة جمالية تعطي النص القرآني ميزة الإعجاز في الأداء، وتمتاز بعدم وقوفها عند المستوى الصوتي والدلالي؛ بل تتّصل بمستويات أخرى كالمستوى النحوي والبلاغي.

وقد ساهمت في اختيار الكلمات القرآنية التي تثري السياق، وتقوي بنية القراءة القرآنية لإبراز جمال النص القرآني من منابعه اللغوية التي تكسب القدرة على التذوق، وتوصل إلى صورة مثالية مقنعة لإدراك عظمة كتاب الله، ومن أجل تحقيق هذا المقصد العام لها تجدها في أحايين كثيرة تخالف بعض القواعد اللغوية والأصول التي قال فيها البعض أنها حرص على المشاكلة أو الموازنة فقط دون علاقة ذلك بالمعنى.

ومنهم من ينكر حتى استحقاق الفواصل للإعجاز –أصلاً– وهو الجرجاني (471هـ) حيث يشرحه في دلائل الإعجاز بقوله: "إن زعم زاعم أن الوصف الذي تحدوا إليه هو أن يأتوا بكلام يجعلون له مقاطع، وفواصل، كالذي تراه في القرآن؛ لأنه أيضاً ليس بأكثر من التعويل على مراعاة وزن. وإنما الفواصل في الآي كالقوافي في الشعر، وقد علمنا اقتدارهم على القوافي كيف هو، فلو لم يكن التحدي إلاّ إلى فصول من الكلام يكون لها أواخر أشباه القوافي، لم يعوزهم ذلك، ولم يتعذر عليهم. وقد خيل إلى بعضهم إن كان الحكاية صحسحة شيء من هذا، حتى وضع على ما زعموا فصول كلام أواخرها كأواخر الآي"[3].

---

(1)- د. قصي سمير عبيس الحلي، **"العدول النحوي في لغة القرآن الكريم –دراسة تطبيقية–"**، مجموعة مقالات المؤتمر، المؤتمر الدولي الثالث حول القضايا الراهنة للغات، اللهجات وعلم اللغة، 13 يناير و 3 فبراير 2019م، كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية–الأهواز–العراق، (ص 1).

(2)- د. تمام حسان، **البيان في روائع القرآن**، (ص 247).

(3)- الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، (1/ 387).

وقد خالف كثير من المتخصصين ذلك منهم الزمخشري (538هـ) هذا حيث صرح في كشافه القديم بما يلي: "لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها، إلا مع بقاء المعاني على سردها، على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتآمه، فأما أن تهمل المعاني، ويُهتم بتحسين اللفظ وحده؛ غير منظور فيه إلى مؤداه، فليس من قبيل البلاغة"(1).

ومنهم ابن الأثير (637هـ) حيث قال: "العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلاّ لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلاّ العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على أسرارها، وفتش عن دفائنها، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقها فهما، وأغمضها طريقاً"(2).

ووافق على ذلك النورسي: إذ يؤكد" أن تزيين اللفظ إنما يكون زينة اذا اقتضته طبيعةُ المعاني. وشعشعة صورة المعنى إنما تكون حشمةً له إذا أَذِن به المآل. وتنوير الأسلوب إما كون جزالة إذا ساعده استعدادُ المقصود. ولطافت التشبيه تكون بلاغة إذا تأسّست على مناسبة المقصود وارتضى به المطلوب"(3).

وذكر الزركشي (794هـ) في كتابه" البرهان" اثنتي عشرة قاعدة خالفت فيها الفواصل القواعد المألوفة في الصرف أو النحو أو الصوت.

والأصوب أنها تربو عن ذلك، كما صرّح به السيوطي (911هـ) في الإتقان، ونسبه إلى شمس الدين بن الصائغ (766هـ) ثمّ استشهد له بقوله: "اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول قال وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف عن الأربعين حكما"(4).

---

(1)- نقلاً عن: السيوطي، **الإتقان**، (3/ 359).

(2)- ضياء الدين بن الأثير نصر الله بن محمد (637هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع-الفجالة-القاهرة، (ص 145).

(3)- بديع الزمان سعيد النورسي (1379هـ)، **إشارات الإعجاز**، تح: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر-القاهرة، ط3، 2002م، (ص 119).

(4)- السيوطي، **الإتقان**، (3/ 339).

وفي مقابل ذلك يُنقل[1] عن الفراء (207هـــ) أنه عارض قواعد هامة للتغييرات التي يمكن أن تطرأ على الكلمات، والتي قد يعمد القرآن للمحافظة على التوافق في نظمه (بها)... كما أشـار إلى أن عدوله من لفظ إلى آخر أو تعديله لبعض الألفاظ لا يخرج عن أســـاليب العرب وفنون القول عندهم... حيث صـــرح في موضـــع ما من كتابه معاني القرآن قائلاً: "وربما اجترأت العرب عَلَى تغيير بعض اللغة إِذَا كَانَ الفعل لا يناله قَدْ"[2].

وفي هذه الجزئية من البحث، رَوْمٌ إلى إيجاد تلك المناسبة في مخالفة الفواصل للأصول التي ذكرها ابن الصائغ (776هـ) وذلك من نواح ثلاث: العدول الصرفي والعدول النحوي ثم العدول الصوتي.

المطلب الأول: من أسرار العدول الصرفي في فواصل القرآن:

مادة (ص ر ف) تدور معانيها في اللغة حول: التغيير، والتّحويل، والانتقال، تقول: (صَـرَفْتُ المال)، أي: أنفقتهُ، و(صرفتُ الأجيرَ والصَّيدَ): خَلَّيتُ سبيلَه، و(صرفتُ الكلام): زيّنتُهُ[3].

وعلم الصرف –ويقال له التصريف– أورده المتقدمون بتعاريف شتى كلها تصب في منحى متقارب، منها قولهم:

- ✓ "علم به تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها"[4].
- ✓ "علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم الّتي ليست بإعراب"[5].

(1)– د. أحمد جمال العمري، **المباحث البلاغية في ضوء الإعجاز نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري**، مطبعة المدني– القاهرة، (د.ر.ط)، 1410هـ/1990م، (ص 56).

(2)– الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (207هـ)، **معاني القرآن**، تح: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة–مصر، ط1، (د.ت.ط)، (3/ 62).

(3)– ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (9/ 189) مادة (صرف).

(4)– ابن جني: أبو الفتح عثمان الموصلي (392هـــ)، **المنصف: شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني**، دار إحياء التراث القديم، ط1، في ذي الحجة سنة 1373هـ/ أغسطس سنة 1954م، (ص 2).

(5)– ابن الحاجب: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين الكردي المالكي (646هـ)، **الشـــافية في علمي التصريف والخط**، تح: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب–القاهرة، ط1، 2010م، (ص 59).

✔ "هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب"[1].

✔ "علم يتعلَّق بِبِنْيَةِ الكلمة وما لحروفها من زيادة وأصالة، وصحة واعتلال وشبه ذلك"[2].

وهذه التعريفات، تشمل الصّرفَ والنحو أيضاً.

أو هو: "علمٌ يبحثُ في بِنْيةِ الكلمة من حيثُ بناؤُها ووزْنُها وما يطرأ على تَركيبِها من تَغيير"[3].

أو: "هو التغيير الذي يتناول صيغة الكلمة وبنيتها لإظهارها في حروفها من أصالة وزيادة، أو صحة أو إعلال أو غير ذلك[4]. ويختص بالأسـماء المتمكنة (أي المعربة) أو الأفعال المتصـرفة، وأما الحروف وشبهها من الأسماء المبنية والأفعال الجامدة والأسماء الأعجمية فلا تعلق لعلم التصريف بها[5].

أما المراد بالعدول الصرفي فهو: خروج عن النمط العادي أو المألوف إلى النمط الفني أو المتميز من الكلام[6].

أو: ترك الوزن أو الصيغة القياسية لوزن أو صيغة قياسية أخرى لدلالة معنوية لا يحتويها الوزن الأول أو الصيغة الأولى[7].

---

(1)-ابن عصفور: علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن (669هـ)، **الممتع الكبير في التصريف**، مكتبة لبنان، ط1، 1996م، (ص 33).

(2)- ابن مالك: محمد بن عبد الله، الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (672هـ)، **إيجاز التعريف في علم التصريف**، تح: محمد المهدي عبد الحي عمار سـالم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسـلامية-المدينة المنورة-المملكة العربية السـعودية، ط1، 1422هـ/ 2002م، (ص 58).

(3)- عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي، **المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف**، مؤسَسَة الريَّان للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت-لبنان، ط3، 1428هـ/2007م، (ص 12).

(4)- د. محمد فاضل السامرائي، **الصرف العربي -أحكام ومعان-**، دار ابن كثير، ط1، 1434هـ/2013م، (ص 9).

(5)- د. محمد فاضل السامرائي، **م.ن**، (ص 12).

(6)- عبد الحميد الهنداوي، **الإعجاز الصرفي**، (ص 143).

(7)- يراجع: د. هلال علي محمود الجحيشي، **العدول الصرفي في القرآن الكريم -دراسة دلالية-**، أطروحة دكتوراه في فلسفة في اللغة العربية، إشراف:الأستاذ الدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم-جامعة الموصل، 1426هـ/2005م، (ص 11)، وينظر: عبد القادر عبد الجليل، **الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية**، دار الصفاء-الأردن، ط1، 2002م، (ص 3).

"وهذا الانحراف أو الخروج قد يكسر القواعد اللغوية الموضوعة في التصريف أو يخرج عن النمط المألوف للغة، أو يبتكر صيغا وأساليب جديدة، أو يستبدل تعبيرات جديدة أو ليست شائعة بأخرى قديمة، أو يقيم نوعا من الترابط بين لفظين أو أكثر، أو يستخدم لفظا في غير ما وضع له"[1].

ويتحقق مصطلح العدول في المستوى الصرفي للغة على وجهين:

أولهما: العدول عن الأصل، ويكون في الصيغة المفردة ذاتها، إذ هناك من المفردات ما تحتمل معنى صيغة أخرى، أو تأتي على لفظ صيغ أُخر وهي بمعناها، وقد توضّح هذا الوجه في المصادر والمشتقات نحو: اسمي الفاعل، والمفعول، والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة كما أشار إلى ذلك علماء اللغة.

وثانيهما: العدول عن القياس، ويتحقق هذا النوع من العدول بين صيغتين الصيغة الثانية خلاف الصيغة الأولى، حسب قانون القياس الصرفي، وإنما هو في الحقيقة، خروج عن القاعدة المطّرَدَة، ويكون ذلك في الأفعال ومصادرها، والمشتقات[2].

ويمكن تعريف العدول الصرفي في القرآن بأنه :**ترك القاعدة الصرفية الأصلية إلى غيرها لغرض دلالي أراده الله الحق سبحانه وتعالى.**

أولا: أحوال العدول الصرفي في فواصل القرآن:

للعدول الصرفي في القرآن أحوال عدة، والمتعلق بالبحث هو مخالفة بعض فواصل القرآن لتلك القواعد المطردة في علم الصرف، وهذا تبعا لما أورده السيوطي (911هـ) في كتابيه الإتقان ومعترك القرآن.

ومن هذه الأحوال التي تتعلق بفواصل القرآن :العدول في العدد ، العدول في الجنس، في صرف ما لا ينصرف،الإتيان بصيغة المبالغة أو تركها ،.العدول عن صيغة المضي إلى صيغة الاستقبال في الفواصل،العدول من الفعل إلى الاسم.

1.العدول في العدد: ويحصل العدول في العدد في الفواصل بين الإفراد والتثنية أو الإفراد والجمع، أو التثنية والإفراد، أو التثنية والجمع، أو الجمع والإفراد.

(1)- هنداوي، **الإعجاز الصرفي**، (ص 142).

(2)- د. هلال علي محمود الجحيشي، **العدول الصرفي في القرآن الكريم**، (ص 8).

✓ **الاستغناء بالإفراد عن التثنية:** نحو قوله تعالى: **"فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ "** [طه:114] ،والأصل تثنية لفظ: "فتشقى"[1]،ولكن ورد مفرداً لاختصاص الرجل بالتعب للتكسب.

وذكر البقاعي (885هـ) مثله: "...وكانت المرأة تابعة للرجل، فكان هو المخصوص في هذه الدار بالكل في الكد والسعي، والذب والرعي، وكان أغلب تعبه في أمر المرأة، أفرد بالتحذير من التعب لذلك وعدّاً لتعبها بالنسبة إلى تعبه عدماً، وتعريفاً بأن أمرها بيده"[2].

✓ **الاستغناء بالإفراد عن الجمع:** نحو قوله تعالى: **"وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً"** [الفرقان: 74][3]. يذكر الزمخشري (538هـ) أحوالاً لمناسبة الجمع هنا[4]:

- أن المراد: "أئمة" فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس.
- أو أراد: واجعل كل واحد منا إماما.
- أو أراد جمع آمّ كصائم وصيام.
- أو أراد واجعلنا إمام واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا.

وعند البقاعي(885هـ): المطلوب من المسلمين الاجتماع في الطاعة حتى تكون الكلمة في المتابعة واحدة، أشار إلى ذلك بتوحيد الإمام وإن كان المراد الجنس[5].

كذلك قوله: **"إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ"** [القمر:54] أي: أنهار[6] ،ويرى الزمخشري (538هـ) أن المراد ليس مفرد أنهار، ولكن "النهر" هو السعة والضياء من النهار[7].

---

(1)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 36)، **الإتقان**، (3/ 342).

(2)- البقاعي، **نظم الدرر**، (12/ 357).

(3)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 36)، **الإتقان**، (3/ 342).

(4)- يراجع، الزمخشري، **الكشاف**، (3/ 102).

(5)- البقاعي، **نظم الدرر**، (13/ 43).

(6)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 36)، **الإتقان**، (3/ 342).

(7)- الزمخشري، **الكشاف**، (4/ 42).

وكقوله[1]: **"إِذِ إِنبَعَثَ أَشْقَىٰهَا"** [الشمس: 12]، يذكر ابن كثير (774هـ) في قصص الأنبياء أن عدد من اجتمع لعقر الناقة تسعة، والذي تولى ذلك وأنهاه هو قدار بن سالف بن جندع[2]. ولكن ما ذكر في كثير من التفاسير أن أشقاها هو قُدَار بن سالف[3]. أو أن المعنى أنه قدار بن سالف، أو هو ومن مالاه على عقرها، كما أن أفعل التفضيل إذا أضيف صلح للواحد والجمع[4].

✓ **الاستغناء بالتثنية عن الإفراد**[5]: نحو قوله جلّ وعلا: **"وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ"** [الرحمن: 45]. تقول هنا بنت الشاطئ: "ليس التثنية للجنة هنا مرادا بها الإفراد وعدل إليها، مراعاة للنظم... وإنما السياق قبلها وبعدها على التثنية، وواضح لنا أن المراد: ولمن خاف مقام ربه؛ من الإنس والجن جنتان"[6].

وأنكر ابن قتيبة[7] (268هـ) أن يكون لفظ "الجنتين" هنا للمشاكلة اللفظية فقط فقال: "إنما يجوز في رؤوس الآي زيادة هاء السكت أو الألف، أو حذف همزة أو حرف. أما أن يكون الله عز وجل وعد جنتين فنجعلهما جنة واحدة من أجل رؤوس الآي؛ فمعاذ الله. وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنتين: قال (ذواتا أفنان)... ولو قال قائل في خزنة النار: إنها عشرون، وإنما جعلهم الله عز وجل تسعة عشر لرأس الآية (كان ادعاؤه كادعاء مؤول هذه الآية)"[8].

---

(1)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 36)، **الإتقان**، (3/ 342).

(2)- يراجع: ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل، **قصص الأنبياء**، تح: محمد بن سيد بن عبد ربّ الرسول، دار الإمام مالك للكتاب، ط1، 1422هـ/2001م، (ص 112-113).

(3)- الطبري، **الجامع**، (24/ 448).

(4)- البقاعي، **الدرر**، (22/ 81).

(5)- السيوطي، **المعترك**، (1/36-37)، **الإتقان**، (3/ 342).

(6)- بنت الشاطئ، **التفسير البياني**، (ص 277).

(7)- **ابن قتيبة (213-268هـ/868-889م)**: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، من أئمة الأدب ولد ببغداد وسكن الكوفة ثم ولي قضاء دينور توفي ببغداد من كتبه: أدب الكاتب، تأويل مشكل القرآن، الرد على الشعوبية... الزركلي، **الأعلام**، (4/ 280)، (عبد).

(8)- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، **تفسير غريب القرآن**، تح: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية-بيروت، (د.ر.ط)، 1398هـ/1978م، (ص 440-441).

أما الزمخشـــري (538هـــــ) فله تعليل آخر وهو: "...الخطاب للثقلين فكأنه قيل: لكل خائفين منكما جنتان، جنة للخائف الإنســـي، وجنة للخائف الجني، ويجوز -وهذا هو التعليل الآخر- أن يقال جنة لفعل الطاعات، وجنة لترك المعاصـــي. لأن التكليف دائر عليهما. وأن يقال: جنة يثاب بها وجنة تضم إليها على وجه التفضيل..."[1]. وقيل: "جنة لخوفه ربه وجنة لتركه شهوته"[2].

ومن أحسن ما قيل فيها[3]: أن الله حين شاء –أزلا- أن يخلق خلقاً أحصاهم عداً من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة، وعامل الكل على أنه مؤمن مطيع، وأنشأ لكل واحد مكانه في الجنة، وعامل سبحانه الكل على أنه عاص، وأنشـأ له مقعدا في النار...[4] فإذا دخل صـاحب الجنة جنته، بقيت جنة الكافر التي كانت معدة له على فرض أنه مؤمن؛ فيرث المؤمنون ما كان قد أعد لغيرهم لو آمنوا،و لذلك يقول الحق: "**وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**" [الزخرف:72].

2. العدول في الجنس: ويدخل فيه :إيثار تذكير اسم الجنس، إيثار تأنيثه:

✓ **إيثار تذكير اسم الجنس**[5]: كقوله تعالى: "**أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ**" [القمر:20] فنخل مؤنث. ومنقعر جاءت مذكراً. "وذكر صـفة نخل على اللفظ، ولو حملها على المعنى لأنث"[6]. وتعليل هذا المثال تابع للاحقه.

---

(1)- الزمخشري، **الكشاف**، (4/ 49).

(2)- البغوي، **معالم التنزيل**، (4/ 338).

(3)-يراجع: محمد متولي الشعراوي (1418هـ)، **تفسير الشعراوي (الخواط)**، مطابع أخبار اليوم-مصر، 1997م، (4/ 2042-2043).

(4)- هذا لما أخرجه ابن ماجه، وهو صحيح على شرط الشيخين كما ذكر المحقق، برقم:4341، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ**، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: "**أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ**" [المؤمنون/ 10]". ينظر: ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (273هـ)، **سـنن ابن ماجه**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصـل عيسـى البابي الحلبي، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (2/ 1453).

(5)- ينظر: السيوطي، **المعترك**، (1/ 34)، **الإتقان**، (3/ 340).

(6)- الزمخشري، **الكشاف**، (4/ 436).

✓ **إيثار تأنيث اسم الجنس**: نحو قوله: **"أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ"** [الحاقة:6]، فجاءت خاوية مؤنثة والنخل مذكر(1). يقول الزمخشري (538هـ): "إنها محمولة على المعنى، لا على اللفظ فحسب لذلك أنثت. أما في قوله تعالى: **"أَعْجَاز نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ"** ذكّرت هنا صفة" نخل" رعاية للّفظ"(2). فهو هنا يرى أن في تذكير اسم الجنس مراعاة للفاصلة فقط.

أما البقاعي (885هـ) فيرى أن صفة "خاوية" لا تعود على النخل بل على أصولها، أي: "كأنهم أعجاز" أي أصول "نخل" قد شاخت وهرمت فهي في غاية العجز والهرم "خاوية" أي متآكلة الأجواف ساقطة"(3).

وفي موضع آخر يضع مقابلة بين الموضعين فيرى أن الحكم (في سورة القمر) على ظاهر حالهم –وكان الظاهر دون الباطن– حمل على اللفظ قوله: **"مُّنقَعِر"**: أي: منقصف أي منصرع من أسفل قعره وأصل مغرسه، والتشبيه يشير إلى أنهم طوال قد قطعت رؤوسهم، أما في الحاقة: وقع التشبيه في الباطن الذي فيه الأعضاء الرئيسة، والمعاني اللطيفة، فأنث الوصف حملاً على معنى النخل لا للطفها(4).

و"يمكن أن يقال(5): النخل لفظه لفظ الواحد، كالبقل والنمل ومعناه معنى الجمع فيجوز أن يقال فيه: نخل منقعر ومنقعرة ومنقعرات، ونخل خاو وخاوية وخاويات ونخل باسق وباسقة وباسقات، فإذا قال قائل: منقعر أو خاو أو باسق جرد النظر إلى اللفظ ولم يراع جانب المعنى، وإذا قال: منقعرات أو خاويات أو باسقات جرد النظر إلى المعنى ولم يراع جانب اللفظ، وإذا قال: منقعرة أو خاوية أو باسقة جمع بين الاعتبارين من حيث وحدة اللفظ، وربما قال: منقعرة على الإفراد من حيث اللفظ، وألحق به تاء التأنيث التي في الجماعة"(6).

(1)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 34)، **الإتقان**، (3/ 340).

(2)- الزمخشري، **الكشاف**، (4/ 57).

(3)- البقاعي، **نظم الدرر**، (20/ 345).

(4)- البقاعي، **م.ن**، (19/ 115-116).

(5)- يراجع: الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، (29/ 305).

(6)- ذكر الله تعالى لفظ النخل في مواضع ثلاثة، ووصفها على الوجوه الثلاثة المذكورة، فقال: **"والنخل باسقات"** [ق/ 10] فإنها حال منها وهي كالوصف، وقال: **"نخل خاوية"** [الحاقة/ 7] وقال: نخل منقعر فحيث قال: منقعر كان المختار ذلك لأن المنقعر في حقيقة الأمر كالمفعول، لأنه الذي ورد عليه القعر فهو مقعور، والخاو والباسق فاعل ومعناه إخلاء ما هو مفعول من علامة التأنيث أولا،

3. في صـــرف ما لا ينصـــرف[1]: نحو قوله تعالى: **"فَوَارِيرآ . فَوَارِيرآ"**[2]. من قوله: **"وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيراً .قَوَارِيراً مِن فِضَّةٍ"** [الإنسان:15-16]. "صرف الأول لأنه آخر الآية وآخر الثاني بالألف، فحسن جعله منوّنا ليقلب تنوينه ألفا فيتناسب مع بقية الآي"[3].

قال صاحب الدر المصون: "-قواريراً- اسمٌ رُجِعَ به إلى أصلِه، فالتنوينُ ليس بدلاً مِنْ ألف بل هو تنوينُ الصَّرْف، وهذا الجمعُ مختلفٌ فيه: أيتحتَّم مَنْعُ صَرْفِه أم يجوز؟ قولان، ومنقول أيضاً أنَّ لغةَ بعضِ العرب (وهم بنو أسد) يصرفون ما لا يَنْصَرِفُ فهذا القولُ: إمَّا على قولِ مَنْ لا يَرَى بالتحتُّم، أو على تلك اللغة"[4].

قال البقاعي(885هـ): "وقراءة من نوّن الاثنين صارفاً ما من حقه المنع مشيرة إلى عظمتها وامتداد كثرتها وعلوها في الفضل والشرف"[5]. وهو ما لمّح إليه السامرائي حيث صرح بأن إطلاق الصوت بمد هذا اللفظ مناسب لإطلاق جنسها ونوعها ،إذ لم يتبين نوع القوارير ولا من أي جنس هي. هذا علاوة على رعاية المشاكلة[6].

كما تقول: امرأة كفيل، وامرأة كفيلة، وامرأة كبير، وامرأة كبيرة. وأما الباسقات، فهي فاعلات حقيقة، لأن البسوق أمر قام بها، وأما الخاوية، فهي من باب حسن الوجه، لأن الخاوي موضعها، فكأنه قال: نخل خاوية المواضع، وهذا غاية الإعجاز حيث أتى بلفظ مناسب للألفاظ السابقة واللاحقة من حيث اللفظ.ينظر: الرازي، **م.ن**، (29/ 305).

(1)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 34)، **الإتقان**، (3/ 340).

(2)- وهذا في قراءة من نوّن الاثنين، لنافعٍ والكسائيِّ وأبي بكر، على أنَّهما صيغَةُ منتهى الجمع على مَفاعيل. والوقفُ بالألفِ التي هي بدلٌ من التنوين، يراجع: السمين الحلبي: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (756هـ)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تح: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (10/ 608)،: وقال صاحب المقنع: "{قَوَارِيرَاْ} الثانية فيها اختلاف، فهي في مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة بالألف، وفي مصاحف أهل البصرة: الأولى بالألف، والثانية بغير ألف، وكذلك في مصاحف أهل المدينة". ينظر: أبو عمرو الداني: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (444هـ)، **المقنع في رسم مصاحف الأمصار**، تح: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 45-46).

(3)- الزركشي، **البرهان**، (1/ 66).

(4)- السمين الحلبي، **م.س**، (7/ 639).

(5)- البقاعي، **الدرر**، (21/ 45).

(6)- أ.د. فاضل صالح السامرائي، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، العاتك لصناعة الكتاب-القاهرة، ط2، 1427هـ/2007م، (ص 35).

4.الإتيان بصيغة المبالغة[1] **أو تركها**: نحو: "قدير"، "عليم"، مع ترك ذلك ليناسب رؤوس الآي كنحو قوله: "هو القادر". و"عالم الغيب". ومنه: **"وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً"** [مريم:64] وفي مقابل ذلك قال في طه: **"لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى"** [طه:51].

ونسياً: صيغة مبالغة من نسي على وزن "فعيل"، أي كثير النسيان أو شديده، وهو الغفلة عن توقيت الأشياء بأوقاتها، وقد فُسّر بـــ: "تارك"، أي ما كان ربك تاركك، وعليه فالمبالغة منصرفة إلى طول مدة النسيان. وفسر بمعنى شديد النسيان، فيتعين صرف المبالغة إلى جانب نسبة نفي النسيان عن الله، أي تحقيق نفي النسيان مثل المبالغة في **"وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ"** [فصلت: 45] فهو هنا كناية عن إحاطة علم الله، أي أن تنزلنا بأمر الله لما هو على وفق علمه وحكمته في ذلك، فنحن لا نتنزل إلاّ بأمره[2]. ووزن "فعيل" لمن صَار لَهُ كالطبيعة[3]، وهو بناء منقول من فعيل للصفة المشبهة الذي يدل على الثبوت فيما هو خلقة أو ما هو بمنزلتها ،ويدل على معاناة الأمر وتكراره في المبالغة حتى كأنه طبيعة في صاحبه[4]. وهذا كله محال في حق ذات الله ، فكان النفي المطلق.

ويجوز أن يقال في التعبير بصيغة "فعيل" أنه لا يتمكن العبد من الغيبة عن السيد بغير إذنه إلاّ أن كان بحيث يمكن أن يغفل وأن تطول غفلته وتعظم لكونه مجبولاً عليها، أو أنه لما استلبث الوحي في أمر الأسئلة التي سألوا عنها من الروح وما معها... فكان ذلك موهماً للأغبياء أنه نسيان، وكان مثل ذلك لا يفعله إلاّ كثير النسيان، نفى هذا الوهم بما اقتضاه من الصيغة ونفى قليل ذلك وكثيره في السورة التي بعدها ضماً لدليل العقل بقوله: **"لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى"** [طه:51]. لما اقتضاه السياق، فأتى في كل أسلوب بما يناسبه مع الوفاء بما يجب من حق الاعتقاد[5].

---

(1)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 37)، **الإتقان**، (3/ 342).

(2)- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (16/ 140-141).

(3)- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (911هـ)، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية-مصر، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (3/ 75).

(4)- فاضل صالح السامرائي، **معاني الأبنية في العربية**، دار عمار-عمان-الأردن، ط2، 1428هـ/2007م، (ص 102-103).

(5)- البقاعي، **الدرر**، (12/ 230-231).

والتعبير بـــ "نسيا" هنا مناسب للتنزل الوارد في قوله: "**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ**" [مريم:64]. الذي يرجح معناه هنا على النزول على مهل أو بالتدرج[1] ففيه يدل إيحاء بتكرار الفعل[2].

5.العدول عن صيغة المضي إلى صيغة الاستقبال في الفواصل[3]: نحو قوله: "**إِسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**" [البقرة: 86] والأصل: قتلتم.

قال الزمخشري (538هـ): "هلا قيل وفريقاً قتلتم؟ هو على وجهين: أن تراد الحال الماضية لأن الأمر فضيع فأُريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب. وأن يراد وفريقاً تقتلون بعد، لأنكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا أن عصمه منكم..."[4].

"والظاهر أنه سبحانه أشار بهذه الصيغة المستقبلة إلى قتلهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسم في خيبر"[5].

63. في صرف ما لا ينصرف::كقوله سبحانه وتعالى: "**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَّقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَمَا هُم بِمُومِنِينَ**" [البقرة:7]. ولم يطابق بين قوله: "آمنّا" وبين ما ردّ به فيقول: "ولم يومنوا" أو "وما آمنوا"[6].

---

(1)- الزمخشري، **الكشاف**، (3/ 29).

(2)- وهذا التوجيه موافق للمعنى في صيغة المبالغة لـ "ظلاّم" في الآية: "**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**" [الحج/ 10] فالمبالغة تكون مبالغة في تكرار الحدث، ظلم هذا، وظلم هذا، فالمظلوم عبيد، وليس عبداً واحداً. والظلم في حقيقته أن يأخذ القويُّ حَقَّ الضعيف، ويكون الظلم على قَدْر قوة الظالم وقدرته، وعلى هذا إنْ جاء الظلم من الله تعالى وعلى قَدْر قوته وقدرته فلا شكَّ أنه سيكون ظُلْماً شديداً لا يتحمله أحد، فلا يقال-إذا- ظالم بل ظلام، وهكذا يتمشى المعنى مع صيغة المبالغة. يراجع: الشعراوي، **تفسير**، (16/ 9723).

(3)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 39)، **الإتقان**، (3/ 343).

(4)- الزمخشري، **الكشاف**، (1/ 295).

(5)- البقاعي، **الدرر**، (2/ 32)، الرازي، **مفاتيح الغيب**، (3/ 597)، عَن أَبِي هُرَيرة، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلَّم: **ما زالت أكلة خيبر تعاودني في كل عام حتى كان هذا أوان قطع أبهري**. رواه أبو نعيم في الطب النبوي برقم: 83، ينظر: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (430هـ)، **الطب النبوي**، تح: مصطفى خضر دونمز التركي، دار ابن حزم، ط1، 2006م، (1/ 217).

(6)- يراجع السيوطي، **المعترك**، (1/ 35)، **الإتقان**، (3/ 341). وطاهر الجزائري، **م.س**، (ص 281).

ذكر الزمخشـري (538هـ) تعليلاً لهذا مفاده: أن الأول في ذكر شـأن الفعل لا الفاعل، والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل؟ (الرد) القصد إلى إنكار ما ادعوه في نفيه، فسلك في ذلك طريقا، أدى إلى الغرض المطلوب. وفيه من التوكيد والمبالغة، ما ليس في غيره، وهو إخراج ذواتهم وأنفسـهم من أن تكون طائفة من المؤمنين، لما علم من حالهم المنافية للحال الداخلين في الإيمان، وإذا شـهد عليهم، بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة؛ فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك، نفي من انتحلوا إثباته لأنفسهم، على سبيل البت والقطع... [1].

أي: لو قال الله ما آمنوا كان ذلك تكذيبا لهم أما لما قال: "وما هم بمؤمنين" كان ذلك مبالغة في تكذيبهم، ونظيره قوله: "يُرِيدُونَ أَنْ يَّخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ" [المائدة:39] هو أبلغ من قولهم: وما يخرجون منها[2].

ونحو قوله تعالى: "فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ " [العنكبوت:2]، ولم يقل: كذّبوا[3]. والتعبير بالمضـارع –هنا– لتحقق الاختبار، على تجدد الأعصـار، لجمعي الأخيار والأشرار[4].

ونحو قوله عز وجل: "وَٱلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ صَدَقُواْۖ وَٱوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ" [البقرة:176]، ولم يقل: "اتّقوا"[5]. ففي جعله نعتاً لهم إشعار بأنهم تكلفوا هذه الأفعال لعظيم الخوف[6].

فهذه النماذج أشـارت إلى أن العدول عن صـيغة من الألفاظ إلى صـيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهذا لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على أسرارها، وفتش عن دفائنها، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقها فهما، وأغمضها طريقا[7].

(1)-يراجع: الزمخشري، **الكشاف**، (1/ 20).

(2)- ينظر: تفسير الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، (2/ 302).

(3)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 35)، **الإتقان**، (3/ 341).

(4)- البقاعي، **نظم الدرر**، (14/ 391).

(5)- ينظر: الزركشي، **البرهان**، (1/ 67). السيوطي، **المعترك**، (1/ 35)، **الإتقان**، (3/ 341-342).

(6)- البقاعي، **م.س**، (3/ 10).

(7)- ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، (ص 145).

المطلب الثاني: من لمُع العدول النحوي في فواصل القرآن:

جاء النحو في اللغة لمعان خمسة: القصد يقال نحوت نحوك أي قصدت قصدك، وَمِنْه اشتقاق النَّحْو فِي الْكَلَام كَأَنَّهُ قصد الصَّوَاب. وهو المثل نحو مررت برجل نحوك أي مثلك، والجهة نحو توجهت نحو البيت أي جهة البيت، والمقدار نحو له عندي نحو ألف أي مقدار ألف، والقسم نحو هذا على أربعة أنحاء أي أقسام(1).

وفي الاصطلاح: "علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها". وعرّف بأنه: "علم يبحث فيه عن أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناء وموضوعه الكلم العربية من حيث ما يعرض لها من الإعراب والبناء"(2).

"أو هو علم بأصول يتعرف منها أحوال الكلمة العربية، التي بها يعرف أحكام التكلم إفراداً وتركيباً"(3).

"النحو صناعة علمية ينظر بها صاحبها في ألفاظ العرب من جهة ما تتألف بحسب استعمالهم ليعرف النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى، فيتوصل بإحداهما إلى الأخرى"(4).

---

(1)- ابن دريد، **جمهرة اللغة**، (1/ 575)، الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (6/ 2503)، ابن فارس، **المقاييس**، (5/ 403)، ابن منظور، **لسان العرب**، (15/ 309 وما بعدها).

(2)- الصبان: أبو العرفان محمد بن علي (1206هـ)، **حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك**، دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان، ط1، 1417هـ/1997م، (1/ 23).

(3)- ناظر الجيش: محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، (778هـ)، **شرح التسهيل المسمى: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد**، دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة-القاهرة- جمهورية مصر العربية، ط1، 1428هـ، (1/ 114).

(4)- كمال الدين أبي سعد على بن مسعود بن محمود بن الحكم الفرخان، **المستوفى في النحو**، تح: د. محمد بدوي المختون، دار الثقافة العربية-مصر، (د.ر.ط)، 1407هـ/1977م، (1/ 11).

وأورد ناظر الجيش (778 هـ)[(1)] تعريفات أخرى له[(2)]:

✓ النحو هو علم بالتغييرات اللاحقة للكلم ومدلولاتها.

✓ النحو علم بأقيسة تغير ذوات الكلم وأواخرها بالنسبة إلى لغة لسان العرب.

✓ النحو علم يبحث فيه عن أحوال الكلم العربية إفرادًا وتركيبًا فقط.

✓ النحو معرفة أوضاع كلام العرب ذاتًا وحكمًا واصطلاح ألفاظ حدًا ورسمًا.

وسبب تسمية هذا العلم بذلك ما روي أن عليًّا رضي الله عنه عنه لما أشار على أبي الأسود الديلي أن يضعه وعلمه الاسم والفعل، والحرف وشيئًا من الإعراب قال: انح هذا النحو يا أبا الأسود[(3)].

وأما العدول النحوي فهو :**الخروج عن تلك القواعد والأصول، أو الأوضاع أو الأحوال النحوية للغة العربية.** أو ما يطلق عليه باللانحوية**:** والمقصود بهذا هو الانحراف الخارق لمعيار النحو المتعارف عليه. وعرفه بعض الباحثين بأنه: العدولات السياقية التي تحصل للتراكيب النحوية من مخالفة في الأفعال والدوات والجمل والنسق الإعرابي، ويصب فيما سمام الجرجاني معاني النحو[(4)].

ومع ذلك فإن هناك بعض الاعتراضات التي لا تجعل هذا النوع من الانحراف مسوغاً ومقبولاً، إذ ليس كل خروج عن الوظيفة النحوية يمتلك وظيفة جمالية..."[(5)]. هذا الخروج عن الدارج من الاستعمالات والتراكيب لا يعني فتح الباب على مصراعيه أمام العبث في علاقات الجمل وقرائنها[(6)]، بل

---

(1)-**ناظِر الْجَيْش** (697 - 778 هـ = 1298 - 1377 م):محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش: عالم بالعربية، من تلاميذ أبي حيان، أصله من حلب، ومولده ووفاته بالقاهرة. ترقي إلى أن ولي نظر الجيش بالديار المصرية.

وفاق غيره في المروءة ومساعدة من يقصده ولا سيما طلبة العلم. وألف (تمهيد القواعد) شرح (التسهيل لابن مالك) في النحو ولم يتمه. (شرح التلخيص) في المعاني والبيان .يراجع:الزركلي ،**الأعلام** ،(7/ 153)

(2)- أبو حيان الأندلسي، **التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل**، تح: د. حسن هنداوي، دار القلم-دمشق، (من 1 إلى 5)، وباقي الأجزاء: دار كنوز إشبيليا، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (1/ 13-14).

(3)- الصبان، **حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك**، (1/ 24).

(4)- د. عبد الله الهتاري، **م.س**، (ص 27).

(5)- موسى سامح ربابعة، **الأسلوبية –مفاهيمها وتجلياتها–**، دار الكندي-الأردن، ط1، 2003م، (ص 38).

(6)- د. كوليزار كاك عزيز، **القرينة في اللغة العربية**، دار دجلة-عمان-المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2009م، (ص 38).

يكون في حدود خاصة، ومواقف شائعة، فلا يجب أن يمس بالأصول -وحتى على مستوى الفروع- إلاّ لغرض يقتضيه السياق.

ومن مظاهر العدول النحوي في الفواصل مسائل التقديم والتأخير فيها، والتي أشار إليها ابن أبي الإصبع (654 هـ) -كما مر- وهي -زيادة على إثراء الجانب التنغيمي في القرآن- لها أسرار ولمع بلاغية ذكرها بعض المفسرين في الأحوال الآتية:

1. تقديم المعمول على العامل: "حد العامل: الجالب للإعراب"[1] أو: "ما به يتقوّم المعنى المقتضي للإعراب"[2]. أو: "كل ما أثر في آخر الكلمة، من اسم أو فعل أو حرف، رفعًا أو نصبًا أو جرًا أو جزمًا"[3]. والمعمولُ هو: ما يَتغيَّرُ آخِرُهُ برفعٍ، أو نصبٍ، أو جزمٍ، أو خفضٍ بتأثير العامل فيه[4]. والأصل في العامل: أن يكون من الفعل، ثم من الحرف، ثم من الاسم[5]. وأن يكون متقدماً على المعمول. ومثال تقديم المعمول على العامل قوله تعالى: **"أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ"** [سبأ:40]. وكقوله: **"إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"** [الفاتحة:4].

فالمعمول في الآية الأولى: "إيّاكم" قُدّم على العامل: "يعبدون"، وفي الآية الثانية: "إيّاك" قُدّم على العامل: "نعبد"، وعلى "نستعين"[6].

أشار البقاعي (885هـ) إلى سر التقديم في الآية الأولى أنه لا ينفع من العبادة إلاّ ما كان خالصاً فقال: "[إياكم] أي خاصة [كانوا يعبدون] بأفعالهم الاختيارية والقسرية ليعلم أنهم عبيد لكم تستحقون

(1)- الفاكهي: عبد الله بن أحمد النحوي المكي (899-972هـ)، **شرح كتاب الحدود في النحو**، تح: د. المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة-القاهرة، ط2، 1414هـ-1993م، (ص 173).

(2)- ابن الحاجب: جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي المالكي (646 هـ)، **الكافية في علم النحو**، تح: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب-القاهرة، ط1، 2010م، (ص 11).

(3)- ينظر: ابن الخباز: أحمد بن الحسين، توجيه اللمع، دراسة وتحقيق: أ.د. فايز زكي محمد دياب(أصل الكتاب: رسالة دكتوراه-كلية اللغة العربية-جامعة الأزهر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة-جمهورية مصر العربية، ط2، 1428هـ/2007م، (ص 66). و: الفاكهي، **م.س**، (ص 173).

(4)- مصطفى بن محمد سليم الغلايينى (1364هـ)، **جامع الدروس العربية**، المكتبة العصرية-صيدا-بيروت، ط28، 1414هـ/1993م، (3/ 274).

(5)- الفاكهي، **م.س**، (ص 173).

(6)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 33)، **الإتقان**، (3/ 341).

عبادتهم، وفي التعبير بما يدل على الاختصاص تنبيه لقريش على أنه لا يعتد من العبادة إلاّ بالخالص"[1]، فكانت المناسبة.

يفسر الزمخشري (538هـ) سر التقديم في هذا النص الأخير بفائدة "الاختصاص". والمعنى: "نخصّك بالعبادة ونخصّك بطلب المعونة"[2]، ويوافقه شيخون، ويزيد بقوله: "التقديم في الآية للاختصاص ولمكان نظم الكلام... وفي هذا مراعاة لجانب اللفظ والمعنى جميعاً، فالاختصاص أمر معنوي، ومراعاة النظم أمر لفظي، وبالتقديم تحصل ملاحظة الأمرين جميعاً"[3].

2. تقديم المعمول على معمول آخر أصله التقديم: ومثاله قوله عزّ وجل: **"وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ"** [القمر:41]، فالمعمول الذي أصله التقديم "النذر" والمعمول الثاني "آل فرعون" فيكون تقدير الكلام: "جاء النذر آل فرعون".

ومنه كذلك قوله عزّ وجل: **"وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ"** [الصمد:4]. والمعمول الذي أصله التقديم "أحد". فيكون تقدير الكلام: ولم يكن له أحد كفؤ[4]. ويذكر الزمخشري (538ه) وجه المناسبة في تقديم "كفؤا" في هذه الآية حيث يقول: "...إنما سيق الكلام: لنفي المكافأة عن ذات الباري عزّ وجل وهذا المعنى مصبه ومركزه"[5] ولذا قدّم هذا اللفظ.

3. تقديم ما هو متأخر في الزمن: نحو [6]. قوله تبارك وتعالى: **"فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ"** [النجم:25]. يقول سيد قطب (1966م) في سر هذا التقديم: "ولا ننسى أن نلحظ هنا تقديم للآخرة على الأولى لمراعاة النظم، إلى جانب النكتة المعنوية المقصودة، بأفضلية الآخرة على الأولى"[7].

(1)- البقاعي، **نظم الدرر**، (15/ 520).

(2)- الزمخشري، **الكشاف**، (1/ 61-62).

(3)- د. محمود السيد شيخون، **أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن**، مكتبة الكليات الأزهرية-مصر، ط1، 1403ه/1983م، (ص 113).

(4)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 33)، **الإتقان**، (3/ 339).

(5)- الزمخشري، **الكشاف**، (4/ 299).

(6)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 33)، **الإتقان**، (3/ 339).

(7)- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (15/ 3409).

4. تقديم الفاضـــل على الأفضــل: نحو[1] قوله عز وجل: **"فَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ "** [طه:70].

يجوّز ابن عاشـــور[2]. في تفســيره لهذه الآية أن يكون التقديم فيها من حكاية قول الســحرة -كما صــدرت عنهم- حيث تم تقديم هارون لكبر ســنه. وألاّ دلالة في الآية على تفضــيل ولا غيره، لأن الواو العاطفة لا تفيد أكثر من مطلق الجمع في الحكم المعطوف فيه. أو أن يكون قد صدر منهم قولان، قدموا في أحدهما اسم هارون اعتبارا بكبر سنه، وقدموا اسم موسى في القول الآخر اعتبارا بفضله على هارون بالرسالة وكلام الله تعالى، فاختلاف العبارتين باختلاف الاعتبارين.

وهذا قريب مما أشــار إليه الرازي (606هـ): أن فرعون ادّعى الربوبية كما ادعى الإلهية في موضــعين من القرآن[3] فلو أنهم قالوا: آمنا برب العالمين لكان فرعون يقول: إنهم آمنوا بي لا بغيري فلقطع هذه التهمة اختاروا هذه العبارة، والدليل عليه أنهم قدموا ذكر هارون على موســى لأن فرعون كان يدعي ربوبيته لموســى بناء على أنه رباه في قوله: **"قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً"** [الشعراء: 17] فالقوم لما احترزوا عن إيهامات فرعون لا جرم قدموا ذكر هارون على موسى قطعا لهذا الخيال[4].

ويقول البقاعي (885هـ) عنها: "ولما كان سياق هذه السورة مقتضياً لتقديم هارون عليه السلام قال: "برب هارون وموسى" بشـارة للنبي صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ بأنه سبحانه لا يشـقيه بهذا القرآن بل يهدي الناس به ويذلهم له، فيجعل العرب على شـماختها أذل شـيء لوزرائه وأنصـاره وخلفائه وإن كانوا أضـعف الناس، وقبائلهم أقل القبائل، مع ما في ذلك من الدليل على صدق إيمانهم وخلوص ادعائهم بتقديم الوزير المترجم ترقياً في درج المعرفة ممن أوصل ذلك إليهم إلى من أمره بذلك ثم إلى من أرسله شكراً للمنعمين بالتدريج "لا يشكر الله من لم يشكر الناس" وهذا لما أوجب تقديمه هنا"[5]. كما أن ذكر "هرون" تكرر

---

(1)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 33)، **الإتقان**، (3/ 339).

(2)- يراجع: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (16/ 263).

(3)- الربوبية في قوله: **"فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ"** [النازعات: 24] والإلهية في قوله: **"مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي "** [القصص: 38].

(4)- يراجع: الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، (22/ 76).

(5)- البقاعي، **نظم الدرر**، (12/ 309).

كثيراً في سورة (طه) –مقارنة بغيرها من السور– وقد جعله الله شريكاً لموسى في تبليغ رسالته، فناسب ذكره أولاً هنا[1].

5. تقديم الضمير على ما يفسره: نحو[2] قوله عزّ وجل: **"فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ"** [طه: 66]. وقد يكون السر هنا أن النفس تتشوّق لفاعل "أوجس" فإذا جاء بعد أن أُخّر وقع "في النفس" بموقع "بديع بليغ"[3].

أما البقاعي (885هـ): فيذكر سرا آخر أنه: "لما كان المقام لإظهار الخوارق على يديه، فكان ربما فهم أنه أوقعه في نفس أحد غيره، كان المقام للاهتمام بتقديم المتعلق، فقال لذلك لا لمراعاة الفواصل: "في نفسه" أي خاصة، وقدم ما المقام له والاهتمام به فقال: "خيفة موسى" مثل ما خاف من عصاه أول ما رآها كذلك على ما هو طبع البشر، وللنظر إلى الطبع عبر بالنفس لا القلب مثلاً"[4].

6. تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة: نحو[5] قوله عزّ وجل: **"وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا"** [الإسراء: 13]. فالصفة الجملة: "يلقاه" قدمت على الصفة المفردة: "منشورا". وجوَّز الزمخشري (538هـ) وغيره أن تكون منشورا حالا وليست صفة[6]. فناسب التقديم. ويظهر هنا أن التقديم فيه إشارة إلى قراءة ابن عامر "يُلَقَّاه" بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف[7].

7. تقديم الوصف الأبلغ عن غيره : كما في قوله: **"ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ"** [الفاتحة: 1] والأصل أن الوصف الأبلغ هو الذي ينبغي تأخيره ومنه كذلك: **"إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ"** [التوبة: 11] لأن الرأفة أبلغ من الرحمة[8].

---

(1)- يراجع: السامرائي، **التعبير القرآني**، (ص 222)،كما ذكر تعليلات أخرى ينصح بالرجوع إليها.

(2)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 33)، **الإتقان**، (3/ 340).

(3)- الزركشي، **م.س**، (1/ 62).

(4)- البقاعي، **نظم الدرر**، (12/ 307).

(5)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 33)، **الإتقان**، (3/ 340).

(6)- يراجع: الزمخشري، **الكشاف**، (2/ 253).

(7)- ينظر السمين الحلبي، **الدر المصون**، (7/ 323-324).

(8)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 38)، **الإتقان**، (2/ 100).

يقول الزمخشـــري (538هـــــ) عن قوله: "الرحمن الرحيم": "فإن قلت: فَلِمَ قدم ما هو أبلغ من الوصـــفين، على ما هو دونه -والقياس الترقي من أدنى إلى أعلى كقولك: فلان عالم نحرير-؟... قلت: لما قال الرحمن: فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصـــولها؛ أردفه الرحيم كالتتمة، والرديف ليتناول ما دقّ منها ولطف"[(1)]. وذلك موافق لترتيب الوجود، الإيجاد ثم النعم العامة ثم الخاصة بالعبادة، وذكر الوصفان ترغيباً، وطويت النقمة في إفهام اختصاص الثاني لتمام الترغيب بالإشارة إلى الترهيب[(2)].

وإلى جانب التقديم والتأخير هناك مســـائل أخرى قيل أن فيها عدولاً نحوياً ولكن وجدت لها توجيهات غيره، أهمها احتمالها أوجها غير العدول، مع مناسبتها للسياق الذي وردت فيه ومنها:

8. في الفصل بين الموصوف والصفة: كمثل قوله عز وجل: "**وَالَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ . فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ**" [الأعلى: 4-5]، وذلك إن أُعرب أحوى صفة للمرعى[(3)]. ويجوز أن يكون أحوى حالاً -وليس صفة- من المرعى والمراد: أخرجه أحوى أسود من شدة الخضرة والري، فجعله غثاء بعد حويه[(4)]. وأخر الثانية لتحملهما لأن دلالتها على الخضـــرة أتم، فلو قدمت لم تصـــرف إلى غيرها، فدل جمعه بين الأضداد على الذات الواحدة على كمال الاختيار[(5)].

ورجح ابن هشـام[(6)] (761هـ) القول بأنها حال وليست صفة قال: "قَول بَعضهم فِي "أحوى" إِنَّه صفة لغثاء وَهَذَا لَيْسَ بِصَحِيح على الْإِطْلَاق؛ بل إِذا فسر الأحوى بالأسود من الْجَفَاف واليبس وَأما إِذا

(1)- الزمخشري، **الكشاف**، (1/ 45).

(2)- البقاعي، **نظم الدرر**، (1/ 26).

(3)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 38)، **الإتقان**، (2/ 100).

(4)- الزمخشري، **الكشاف**، (4/ 738).

(5)- البقاعي، **نظم الدرر**، (21/ 394).

(6)- **ابن هِشَـام (708-761هـ/1309-1360م)**: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام: من أئمة العربية، مولده ووفاته بمصر كان يقال: "ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه". من تصانيفه (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) و(شذور الذهب) و(الإعراب عن قواعد الإعراب) و(قطر الندى)، (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك) وغيرها... الزركلي، **الأعلام**، (4/ 147).

فسر بالأسود من شدَّة الخضرة لِكَثْرَة الرّيّ كَمَا فسر "مدهامتان" فَجعله صفة لغثاء كجعل قيمًا صفة لعوجا وَإِنَّمَا الْوَاجِب أَن تكون حَالا من المرعى وَأخر لتناسب الفواصل[1].

وقوع مفعول موقع فاعل: كقوله عز وجل: **"حِجَاباً مَّسْتُوراً"** [الإسراء: 45]. وقوله: **"كَانَ وَعْدُهُۥ مَاتِيّاً"** [مريم: 61]، أي: ساتراً في الأولى. وآتياً في الثانية[2].

و"مستورا" فيه وجهان، أحدهما: أنه على بابه بمعنى: مستور عن أعين الكفار فلا يرونه. وقيل: هو على النسب، أي: ذو ستر كقولهم: مكان مهول وجارية مغنوجة، أي: ذو هول وذات غنج، ولا يقال فيهما: هلت المكان ولا غنجت الجارية. وقيل: هو وصف على جهة المبالغة كقولهم: "شعر شاعر". ورد هذا: بأن ذلك إنما يكون في اسم الفاعل ومن لفظ الأول.والثاني: أنه بمعنى فاعل كقولهم: مشئوم وميمون بمعنى: شائم ويامن، وهذا كما جاء اسم الفاعل بمعنى مفعول كماء دافق، وهذا قول الأخفش في آخرين[3].

والزمخشري (538هـ) مع الأول أي: أنه حجاب لا يرى فهو مستور، ويجوز أن يراد أنه حجاب من دونه حجاب، أو حُجب فهو مستور لغيره أو حجاب يُستر أن يُبصَر فكيف يُبصَر المحتجَب به[4].

وأما عن لفظ "مأتيا" ففيه وجهان –أيضاً– أحدهما: أنه مفعول على بابه، والمراد بالوعد الجنة، أطلق عليها المصدر أي موعوده نحو: درهم ضرب الأمير. وقيل: الوعد مصدر على بابه ومأتيا مفعول بمعنى فاعل، ولم يرتضه الزمخشري (538هـ) فإنه قال: "قيل في مأتيا مفعول بمعنى فاعل. والوجه أن

(1)- عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (761هـ)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تح: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله،، دار الفكر-دمشق، ط6، 1985م، (ص 693).

(2)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 38)، **الإتقان**، (2/ 100).

(3)- السمين الحلبي، **الدر المصون**، (7/ 362-363).

(4)- الزمخشري، **الكشاف**، (2/ 670).

الوعد هو الجنة وهم يأتونها. أو هو من قولك: أتى إليه إحســـانا، أي: كان وعده مفعولاً منجزاً"[1]. والحقّ معه لأن ما تأتيه فهو يأتيك فلا موجب للتأويل"[2].

ويقول البقاعي (885هـ): "كان وعده مفعولاً منجزاً" أي مقصــوداً بالفعل، فلا بد من وقوعه، فهو كقوله تعالى:"**إِنَّ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا**" [الإسراء: 107]"[3].

9. وقوع فاعل موقع مفعول: كمثل قوله ســبحانه وتعالى : "**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ**" [الحاقة:20] أي :مرضية[4]. فالعرب قد تضع أشياء من كلامها في موضع الفاعل، والمعنى: أنه مفعول[5].

يذكر صــاحب: "الدر المصــون"[6] ثلاثة تأويلات لقوله: "راضــية": أحدها: أنه على المجاز[7]، جعلت العيشة راضية لمحلها وحصولها في مستحقيها، أو أنها لا حال أكمل من حالها. الثاني: أنه على النسـب أي: ذات رضـا نحو: لابن وتامر، من اللبن والتمر. الثالث: أنها مما جاء فيه فاعل بمعنى مفعول نحو: "**مِن مَّآءٍ دَافِقٍ**" [الطارق: 6] أي: مدفوق، كما جاء مفعول بمعنى فاعل مما سبق.

---

1 - يراجع: السـمين الحلبي،**الدر المصـون في علوم الكتاب المكنون** ،(7/ 613).،الزمخشـري ، **الكشـاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (3/ 27).

2 -ينظر: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (1403هـ)،**إعراب القرآن وبيانه**، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)،ط4 ، 1415 هـ ،(6/ 124)

(3)- البقاعي، **نظم الدرر**، (12/ 226).

(4)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 38)، **الإتقان**، (2/ 100).

(5)- يراجع: الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (207هـــ)، **معاني القرآن**، تح: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة–مصر، ط1، (د.ت.ط)، (15/2). و: (182/3). و: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (209هـــ)، **مجاز القرآن**، تح: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى–القاهرة، (د.ر.ط)، 1381هـ، (1/ 279).

(6)- السمين ا لحلبي، **م.س**، (10/ 434).

(7)- كما يرى أبو عبيدة (209هـ) أنه: "مجاز مرضية فخرج مخرج لفظ صفتها، والعرب تفعل ذلك إذا كان من السبب في شيء"، يراجع: أبو عبيدة، **مجاز القرآن**، (2/ 268).

وفي تفسير الزمخشري (538هـــ) منسوبة إلى الرضا كالدارع والنابل. وجعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها ،ومثله قوله: **"خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ"** [الطارق: 6] فهو إسناد مجازي، المسمى استعارة أي: ماء مدفق. وعيشة مرضية[1].

أو أن المعنى لو كان للعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها في الآية الأولى، وفي الثانية أنه –لقوة دفق الطبيعة له– كأنه يدفق بنفسه فهو إسناد مجازي[2].

10. إيقاع حرف مكان آخر: نحو قوله عز وجل: **"بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا"** [الزلزلة: 5]. والأصل إليها، وعدل إلى حرف الجر اللام لمراعاة الوزن في الفاصلة[3]. وهو وجه من الأوجه الثلاثة التي أشار إليها بعض المفسرين[4].

والوجه الثاني: أنها على أصلها، و"أوحى" يتعدى باللام تارة وبـ:"إلى" أخرى، ومنه قول العجاج[5] في وصف الأرض:

أَوْحَي لها القرارَ فاسَتقَرَّتِ وشَدَّها بالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ[6].

---

(1)- يراجع: الزمخشري، **الكشاف**، (1/ 5)، (4/ 603)، (4/ 735).

(2)- يراجع: البقاعي، **الدرر**، (20/ 363)، (21/ 377-378).

(3)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 38)، **الإتقان**، (2/ 100).

(4)- ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط في التفسير**، (10/ 524)، السمين الحلبي، **الدر المصون**، (11/ 76-77)، ابن عطية الأندلسي: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام المحاربي (542هـــ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1422هـ، (5/ 511).

(5)- **العَجَّاج** (000-نحو 90هـ/000-نحو 708م): عبد الله بن رؤية بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، أبو الشعثاء،: راجز مجيد، من الشعراء. ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها. ثم أسلم، وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك، ففلج وأقعد. وهو أول من رفع الرجز، وشبهه بالقصيد. وكان لا يهجو. وهو والد "رؤية" الراجز المشهور أيضاً. له (ديوان) في مجلدين ..الزركلي، **الأعلام**، (4/ 86-87).

(6)- وبدايته: " الحمد لله الذي استقـــلت بإذنه السماء واطمـــأنّت وبإذنه الأرض وما تعتّت أوحي لها الفرار فاستقرت وشدّها بالراسيات الثبّت ربّ البلاد والعباد القنت..."، يراجع: د.عزة حسن، **ديوان العجاج وشرحه رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي**، دار الشرق العربي-بيروت-لبنان، 1416هـ/1995م، (د.ر.ط)، (ص 261).

الثالث: أن اللام على بابها من العلة، والموحى إليه محذوف، وهو الملائكة، تقديره: أوحى إلى الملائكة لأجل الأرض، أي: لأجل ما يفعلون فيها. ولعله إنما قال لها: أي فعلنا ذلك لأجلها حتى تتوسل الأرض بذلك إلى التشفي من العصاة[1]. كما فيه إيذان بالإسراع في الإيحاء[2].

زيادة على ذلك، تذكر بنت الشاطئ (1419هـ) أنه باستقراء مواضع فعل الإيحاء في القرآن كله فلا نراه يتعدى بحرف الجر: إلى إلاّ حين يكون الموحى إليه من الأحياء (وعدد هذه الآيات سبعا وستين). أما حين يكون الموحى له جمادا فالفعل يتعدى باللام كآية الزلزلة، ودلالة "اللام" الإيحاء المباشر على وجه التسخير، وأما الإيحاء بـ "إلى" فيأخذ دلالته الخاصة في المصطلح الديني للوحي، إذا كان الموحى إليه من الأنبياء وهو حين يكون الوحي بمعنى الأمر، لأن الأمر يقتضي توجيه الحديث ويعوزه ما للوحي من دلالة السرعة والخفاء، وإنما الوحي يكفى منه إيداع القوة فيها[3].

11. إجراء غير العاقل مجرى العاقل: نحو قوله تعالى: **"رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ"** [يوسف: 4]. أجراهم مجرى العقلاء لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود. أجرى عليها حكمهم، كأنها عاقلة، وهذا كثير شائع في كلامهم، أن يلابس الشيء من بعض الوجوه، فيعطى حكماً من أحكامه إظهاراً لأثر الملابسة والمقاربة[4]. ومثله[5] قوله: **"كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ"** [الأنبياء: 33]. أجراهم مجرى العقلاء لفعل العقلاء[6].

المطلب الثالث: من تجليات العدول الصوتي في فواصل القرآن:

لقد حظيت دراسة المستوى الصوتي في مؤلفات القدماء من أعلام اللغة والبلاغة، بالعناية الشديدة منهم، وحتى في بحوث المحدثين. وقد بزّ أعلام القراءات والتجويد أقرانهم في هذا المجال قديما وحديثا

(1)- الرازي، **مفاتيح الغيب**، (32/ 256).

(2)- البقاعي، **الدرر**، (22/ 206).

(3)- يراجع: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، ط3، (د.ت.ط)، (ص 277)، وكذلك: **التفسير البياني للقرآن الكريم**، دار المعارف-القاهرة، ط7، (د.ت.ط)، (1/ 90-91).

(4)- الزمخشري، **الكشاف**، (2/ 444).

(5)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 37) و، **الإتقان**، (2/ 100).

(6)- البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (10/ 17).

وذلك لما يشـــكله هذا المظهر من أهمية في الدلالة على إعجاز القرآن الكريم، ولِما يتحقق به من الانســـجام في نطق أصـــواته، وما يحدثه من تلاؤم بين الصـــوت والمعنى، وما يتركه من أثر في الســـمع والنفس.

والصـوت في التأصـيل اللغوي من مصـدر صـاتَ يصـوت ويصـات نادى، ودعا وصـائت: صـائح. والصوت والصيت: الذكر والجرس. وكل ضرب من الغناء: صوت[1].

وعرّفه ابن جني (392هـ) في كتابه: "سر صناعة الإعراب" قال: "اعلم أن الصوت عرض يخرج من النفس مسـتطيلاً متصـلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشـفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واسـتطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها"[2].

ووضـع الدكتور إبراهيم أنيس مفهوماً للصـوت –في كتابه الأصـوات اللغوية– تناقلته معظم الدراسـات بعده حيث يرى أن الصـوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها دوم أن ندرك كنهها، وكل صـوت مسـموع يسـتلزم وجود جسم يهتز، وأن الهواء هو الناقل لتلك الهزات، في أي وسط كان حتى يصل إلى الأذن[3].

أما صبري المتولي فحده بقوله: "أصغر وحدة منطوقة مسموعة يمكن الإحساس بها عند التحليل اللغوي، ولا يمكن النطق بها إلاّ من خلال مقطع يكون فيه الصامت مصحوباً بالصائت"[4]. ولعل هذا التعريف الأخير أكثر دقة في تحديد معنى الصوت.

يعد ما يعرض للصـــوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف من أهم جوانب البحث في المستوى الصوتي، [5].

والأصـل في الكلمة: أن تُكتب كما تُنطق كاملاً، فلا نقص، ولا زيادة عليها ،ولكن يسـتثنى من هذه القاعـدة: بعض الحروف التي لا تكتب طبقـاً لنطقهـا فتنقص منهـا بعض الحروف، أو تزاد عليهـا أثنـاء الكتابة.

---

(1) – يراجع: ابن منظور، **لسان العرب**، (2/ 57–58) مادة (صوت).

(2)– أبو الفتح عثمان بن جني الموصـــلي (392هـــــ)، **ســـر صـــناعة الإعراب**، دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان، ط1، 1421هـ/2000م، (1/ 19).

(3)– يراجع: د.إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1975م، (ص 6).

(4)– ينظر: صبري المتولي، **دراسات في علم الأصوات**، زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2006م، (ص 28).

(5)– د أحمد مختار عبد الحميد عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، عالم الكتب، ط8، 2003م، (ص 100).

أما تجليات العدول الصوتي في الفواصل متنوعة ،لعل أهمها : الزيادة أو الحذف فيها.

أولاً: العدول الصوتي بالحذف في الفواصل:

الحذف في اللغة هو الإسقاط ومنه حذفت الشعر إذا أخذت منه، واصطلاحاً إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل(1).

أو هو أن يسقط المتكلم من كلامه حرفًا من حروف الهجاء، أو جميع الحروف المهملة، بشرط عدم التكلف والتعسف(2). وبمعنى أوسع: هو إسقاط حرف أو أكثر أو حركة من كلمة(3). ومن أحواله في الفواصل:

1.حذف ياء المنقوص المعرّف: نحو قوله تعالى: **"ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ"** [الرعد: 9] أصلها المتعالي. وحقيقة المتعالي الذي لا يتعالى إلاّ هو... والحاصل أنه لما وصف نفسه مما تقدم، أشار إلى أن ذلك على ما تحتمله العقول وأن الحق في وصفه الكبر المطلق والتعالي المطلق، لأن العقول لا تحتمل أكثر من ذلك(4).

وحذف الياء ليس واردا عند دميع القراء حيث أثبتها ابن كثير (120هـ) وأبو عمرو(5) (154هـ) في رواية: ياء المتعال وقفاً ووصلاً، وهو الكثير في لسان العرب، وحذفها الباقون وصلاً ووقفاً، لأنها كذلك رسمت في الخط. واستشهد سيبويه (180هـ) بحذفها في الفواصل ومن القوافي، وأجاز غيره حذفها مطلقاً. ووجه حذفها مع أنها تحذف مع التنوين، وإن تعاقب التنوين، فحذفت مع المعاقب إجراء له مجرى المعاقب، ولأن "أل" تعاقب التنوين، فحذفت معها إجراء لها مجراها(6).

و"الحجة لمن أثبتها وصلاً ووقفاً: أنه أتى بالكلمة على ما أوجبه القياس لها، لأن الياء إنما كانت تسقط لمقارنة التنوين في النكرة، فلمّا دخلت الألف واللام زال التنوين فعاد لزواله ما سقط لمقارنته.

---

(1)- الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، (3/ 102).

(2)- ابن حجة الحموي، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، (2/ 448).

(3)- التهاوني، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، (1/ 632).

(4)- البقاعي، **نظم الدرر**، (10/ 290).

(5)- **أبو عَمْرو بن العَلاء (70-154هـ/690-771م)**: زَبَّان بن عَمَّار التميمي المازني البصري، ويلقب أبوه بالعلاء: من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة. ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة. له أخبار وكلمات مأثورة. الزركلي، **الأعلام**، (3/ 41).

(6)- ابن حيان، **البحر المحيط في التفسير**، (6/ 358) و: السمين الحلبي، **الدر المصون**، (23/7).

والحجة لمن أثبتها وصلاً وحذفها وقفاً: أنه اتبع خط السّواد في الوقف، وأخذ بالأصل في الوصل، فأتى بالوجهين معا. والحجة لمن حذفها فيهما: أن النكرة قبل المعرفة، فلما سقطت فيها الياء ثم دخلت الألف واللام دخلتا على شيء محذوف، فلم يكن لهما سبيل إلى ردّه[1].

وكذا قوله: **"لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ"** [غافر: 14] أصله: تلاقي[2]. لا يستحق أن يوصف بالتلاقي على الحقيقة غيره لكونه يلتقي فيه الأولون والآخرون وأهل السماوات والأرض ولا حيلة لأحد منهم في فراق غريمه بغير فصل على وجه العدل...، فإنه تلاق لا آخر له[3]. فكأنه تلاق لا مثيل له فتميّز خطا ومعنى.

2.حذف ياء الفعل غير المجزوم: نحو قوله: **"وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ"** [الفجر: 4] أصلها يسرى[4].

ويقرأ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً، وبحذفها كذلك وبإثباتها وصلا وحذفها وقفا[5].

ويروى عن الأخفش (215هـ)[6] أنه سئل عن حذف الياء هنا فرد: **"**إن عادة العرب إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه، والليل لما كان لا يسري -وإنما يسرى فيه- نقص منه حرف، كما في قوله تعالى: **"وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا"** [مريم: 27] والأصل: بغية، فلما حول ونقل عن فاعل نقص منه حرف**"**[7].

ترد د: بنت الشاطئ على من يقول هنا بالحذف، رعاية للفاصلة: أن هناك آيات ورد فيها هذا النوع من الحذف، وليست رأس آية (أو فاصلة). كمثل قوله تعالى: **"يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ"**

---

(1)- ابن خالويه: الحسين بن أحمد أبو عبد الله (370هـ)، **الحجة في القراءات السبع**، تح: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق-بيروت، ط4، 1401هـ، (ص 200-201).

(2)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 34). **الإتقان**، (2/ 99).

(3)- البقاعي، **نظم الدرر**، (17/ 26).

(4)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 34). **الإتقان**، (2/ 99).

(5)- ابن خالويه، **الحجة في القراءات السبع**، (ص 370).

(6)- أكبر الظن أنه **الأخفش الأوسط** صاحب معاني القرآن. وهو سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط: (000-215هـ/000-830م): نحوي، عالم باللغة والأدب، من أهل بلخ.سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه.وصنف كتبا، منها (تفسير معاني القرآن) و(شرح أبيات المعاني) و(الاشتقاق) و(معاني الشعر) و(كتاب الملوك) و(القوافي) وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشر فأصبحت ستة عشر، الزركلي، **الأعلام**، (3/ 101-102).

(7)- الزركشي، **م.س**، (3/ 107).

[هود: 105]، ولفظ (يأت). وكقوله: "اجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ " [البقرة:185] ولفظ (الداع)[1].

ويرى البقاعي (885هـ): بأن في الحذف إشارة إلى الليل القصير، وفي الإثبات إشارة إلى الطويل بما وقع من تمام سراه[2].

3. حذف المفعول: كقوله تعالى: **"مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ"** [الضحى: 3] أصلها: قلاك[3].

تقول هنا بنت الشاطئ: "ونرى -والله أعلم- أن حذف الكاف من "قلى" -مع دلالة السياق عليه- تقتضيه حساسية مرهفة، بالغة الدقة واللطف؛ هي تحاشي خطابُه[4] تعالى رسولَه صلى الله عليه وسلم في موقف الإيناس بصريح القول: "وما قلاك" لما في القلى من حسّ الطرد والإبعاد، وشدة البغض. وأما التوديع: فلا شيء فيه من ذلك، بل ولعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنّه لا يكون وداع إلاّ بين الأحباب...كما أنّ ذكرها يكون من الفضول والحشو المنزّه عنهما أعلى بيان"[5].

و حذف مفعول "قلى" لدلالة "ودّعك" عليه... وهو إيجاز لفظي لظهور المحذوف[6].

وأعطى الرازي (606هـ) لتعليل حذف الكاف هنا وجهين[7] :

الأول: أنها حذفت اكتفاء بالكاف الأولى في "ودّعك" ولأن رؤوس الآيات بالياء فأوجب اتفاق الفواصل حذف الكاف.

والوجه الثاني: فائدة الإطلاق؛ أنه ما قلاك ولا "قلى" أحدا من أصحابك، ولا أحداً ممن أحبك إلى قيام القيام...".

---

(1)- يراجع: بنت الشاطئ د. **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، (ص 270-271).

(2)- البقاعي، **نظم الدرر**، (22/ 23-24) بتصرف.

(3)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 36). **الإتقان**، (2/ 100).

(4)- بنت الشاطئ، **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، (ص 269).

(5)- بنت الشاطئ، **م.ن**، (ص 269) و: **التفسير البياني للقرآن الكريم**، (1/ 35).

(6)- ابن عاشور، **التحرير**، (30/ 398).

(7)- الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، (31/ 209).

وأما البقاعي (885هـ): فيرى أنها من قبيل تقليل اللفظ لتكثير المعنى، وحذف الضمير اختصاراً لفظياً ليعم[1] وهو قريب مما ذكره الرازي(606هـ) .

ثانياً: العدول الصوتي بالزيادة: ويندرج تحته زيادة حرف المد، إثبات هاء السكت، تغيير بنية الكلمة.

1.زيادة حرف المد: نحو قوله: **"وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ ٱلظُّنُونَا"** [الأحزاب: 10]، وقوله: **"وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولاَ"** [الأحزاب: 66]. وقوله: **"فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلاَ"** [الأحزاب: 67].

وأنكر البعض ذلك وقال: لم تزد الألف لتناسب رؤوس الآي، لأن في سورة الأحزاب: **"وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ"** [الأحزاب: 4]، وهو رأس آية، كان لتناسب رؤوس الآي لثبت من الجميع... والسر في ورودها هكذا وورود غيرها مثل: "ما هيه" لتأثيرها العظيم في الفصاحة[2].

وفي توجيه آخر فإن "الرسولا" جاءت في سياق الحديث عن أهل النار –وهم يصطرخون– فالمقام هنا مقام صراخ ومد صوت، فناسبه زيادة الألف. ومد "الظنون" وأطلقها، وذلك لأنهم ظنوا ظنوناً كثيرة مختلفة فأطلقها في الصوت لتعددها لتتناسب صوتا ومعنى[3].

ومن ذلك تتبين مناسبة العدول إلى المد هنا إذ جاء منسجما مع كثرة الظنون المختلفة من كلا الفريقين المخصوصين بالخطاب في هذا السياق، ولذا امتد الصوت بهذه الفاصلة متجاوزا حدود ما تستحقه هذه اللفظة (الظنون) مما وضع لها من أصوات.

ويندرج تحت الضرب هذا: إبقاؤه مع وجوب حذفه لوجود الجزم نحو قوله عز وجل: **"لاَّ تَخَٰفُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَىٰ"** [طه: 76] والأصل: تخش[4]، وقوله: **"سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَىٰٓ"** [الأعلى: 6] الأصل "تنس" –على القول بأنها نهي–.

أما الزمخشري (538هـ) فأعطى تأويلات ثلاثة في حال الجزم عند: لا تخف، لم يرد بعده مثله: ذكر **الأول:** أن يستأنف، كأنه قيل. وأنت لا تخشى: أي ومن شأنك أنك آمن لا تخشى.

---

(1)– البقاعي، **نظم الدرر**، (22/ 103).

(2)– الزركشي، **البرهان**، (1/ 61).

(3)– أ.د. فاضل صالح السامرائي، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، (ص 34).

(4)– السيوطي، **المعترك**، (1/ 34). **الإتقان**، (2/ 99).

الثـاني: أن لا تكون الألف المنقلبـة عن اليـاء التي هي لام الفعـل ولكن زائـدة للإطلاق من أجـل الفاصلة... **الثالث**:أن يكون مثل قوله[1] -قياساً لغوياً-:

وَتَضحَكُ مِنّي شَيخَةٌ عَبشَمِيَّةٌ. كَأَن لَم تَرا قَبلي أَسيراً يَمانِيا [2]."[3].

وقال صـاحب الدر المصـون: "فيها أوجه أحدها: أن تكون حالاً. وفيه إشـكال: وهو أن المضـارع المنفي بـــ "لا" كالمثبت في عدم مباشـرة الواو له. وتأويله على حذف مبتدأ أي: وأنت لا تخشـى... والثاني: أنه مســتأنف. أخبره تعالى أنه لا يحصــل له خوف. والثالث: أنه مجزوم بحذف الحركة تقديراً..."[4].

غير أن مكي بن أبي طالب[5] (437هـ) لا يرى أنها من قبيل النهي، لأن النسـيان ليس واقعا تحت إرادة الإنسـان واختياره ،يقول في كتابه: "مشـكل إعراب القرآن"، "فلا تنسـى لا بمعنى ليس وهو خبر وليس بنهي إذ لا يجوز أن ينهى الإنسان عن النسيان لأنه ليس باختياره"[6].

---

(1)- البيت لعبد يغوث (نحو 40 ق هــ): شاعر يمني أسره أعداؤه فأرادوا قتله فطلب منهم أن يكرموه قبل موته فأطعموه، حتى ثمل ثم ذكر القصيدة التي منها هذا البيت،ثم قطعوا وريده فمات. ومطلع القصيدة:

أَلاَ لا تَلُومَاني كَفي اللَّوْمَ ما بِيَا * وما لَكُما في اللَّوْم خَيْرٌ ولا لِيَا:**

يراجع: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي (255هـ)، **الجاحظ البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال-بيروت، 1423هـ، (2/ 183)، وخبره بالتمام: يراجع فيه: ابن عبد ربه: أحمد بن محمد الأندلسي (268هـ)، **العقد الفريد**، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1404هـ/1983م، (6/ 80-87).

(2)- يقول ابن جني (392هـ) جاء به على أن تقديره محققا: "كأن لم ترأ"، ثم إن الراء لما جاورت وهي ســاكنة، الهمزة متحركة، صارت الحركة كأنها في التقدير قبل الهمزة، واللفظ بها كأن لم ترأ، ثم أبدل الهمزة ألفا، لسكونها وانفتاح ما قبلها، فصارت ترا، فالألف على هذا التقدير بدل من الهمزة التي هي عين الفعل، واللام محذوفة للجزم... ينظر: ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، (1/ 90).

(3)- يراجع: الزمخشري، **الكشاف**، (2/ 547) و: الرازي، **مفاتيح الغيب**، (22/ 80).

(4)- السمين الحلبي، **الدر المصون**، (8/ 82).

(5)- **مكي بن أبي طالب (355-437هـ/966/1045م)**: مَكِّي حموش بن محمد بن مختار الأندلســي القيســي، أبو محمد: مقرئ، عالم بالتفســير والعربية من أهل القيروان. ولد فيها، وطاف في بعض بلاد المشــرق، وعاد إلى بلده، وأقرأ بها.ثم ســكن قرطبة وخطب وأقرأ بجامعها وتوفي فيها. له كتب كثيرة، منها (مشـكل إعراب القرآن)، (الكشـف عن وجوه القراءات وعللها)، (التبصـرة في القراءات السبع) وغيرها... الزركلي، **الأعلام**، (7/ 686).

(6)- **مكي بن أبي طالب**: أبو محمد حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (437هـ)، **مشكل إعراب القرآن**، تح: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط2، 1405هـ، (2/ 813).

2. إثبات هاء الســكت(1): نحو(2) قوله عزّ وجل: "يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ " [الحاقة: 25]. وقوله: "هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ" [الحاقة: 29]، وقوله عزّ وجل: "وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَاهِيَهْ" [القارعة: 6].

والهاء في: "كتابيه وحسابيه وسلطانيه وماليه وغيرها من المواضع" للسكت، وكان حقها أن تحذف وصلاً، وتثبت وقفاً، وإنما أجري الوصل مجرى الوقف، أو وصل بنية الوقف في: "كتابيه وحسابيه" اتفاقاً فأثبت الهاء، وكذلك في: "ماليه وسـلطانيه"، و"ما هيه" في: [القارعة: 10] عند القراء كلهم إلاّ حمزة رحمه الله فإنه حذف الهاء من هذه الكلم الثلاث وصـــلا وأثبتها وقفا؛ لأنها في الوقف يحتاج إليها لتحصين حركة الموقوف عليه، وفي الوصل يستغنى عنها(3).

وبتأمل السـياق الذي وردت فيه هذه الهاءات في سـورة الحاقة؛ يلاحظ أنها جاءت في موضـعين أحدهما: عند الحديث عن أهل الجنة لتوحي بالاسـترخاء والدّعة، والآخر: عند وصـف حال أهل النار، حيث بيان التحسـر والتأوه الذي يتصـور القارئ فيه أنه منبعث من أقصـى الحلق، وأنفاس صـاحبه تنقطع وتتهجد العواطف... ليتناسـب بذلك اللفظ مع الموقف(4). والهاء أشـبه بالنهات الذي يصـيب المتعب وقد يصيب الفرِح فرحاً شديداً، والموقف يستدعي ذلك لما فيه من إرهاق وعنت ومشقة تصيب الجميع، الشقي والسعيد. وكأنها مأخوذة من الآه(5).

وهذه الملاءمة أشار إليها البقاعي (885هـ) في شأن السعيد قال: "وهاؤه للسكت، كأنها إشارة إلى شدة الكرب في ذلك اليوم للدلالة على أنه إذا كان هذا السعيد يسكت في كل جملة للاستراحة لا يقدر

---

(1)- **هاء السكت**: وهي هاء ساكنة زِيدت في الوقف لبيان الحركة، وحقها أن تسقط في الإدراج. واختلف القراء في إثباتها وحذفها في خمسـة مواضـع: في البقرة: "يَتَسَنَّهْ"، وفي الأنعام: "اقْتَدِهْ"، وفي الحاقة: "عَنِّي مَالِيَهْ"، و"عَنِّي سُـلْطَانِيَهْ"، وفي القارعة: "مَا هِيَهْ". فأسـقطها حمزة فيهن في الوصـل. تابعه الكسـائي في: "يَتَسَنَّهْ"، و"اقْتَدِهْ"، وأثبتها فيما عداهما... ينظر: أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن البَاذِش (540هـ)، **الإقناع في القراءات السبع**، دار الصحابة للتراث، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 244).

(2)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 38). **الإتقان**، (2/ 100).

(3)- السمين الحلبي، **الدر المصون**، (10/ 433).

(4)- د. محمد حسين علي الصّغير، **الصوت اللغوي في القرآن**، دار المؤرّخ العربي-بيروت، ط1، 1420هـ، (ص 153).

(5)- أ.د. فاضل السامرائي، **من أسرار البيان القرآني**، دار ابن كثير-دمشق-سوريا، بيروت-لبنان، ط1، 1438هـ/2017م، (ص 194).

في الكلام على المضي فما الظن بغيره، وتشير أيضاً مع ذلك إلى فراغ الأمر ونجازة الجزم به والوثوق بأنه لا يغير"[1].

3.تغيير بنية الكلمة: نحو قوله تعالى: **"وَطُورِ سِينِينَ"** [التين: 2] والأصل سينا[2]. وهذا ليناسب الذي بعده: **"وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ"** [التين: 3].

والقول أن "سنين" أصلها سيناء محل نظر؛ لأن المفسرين اختلفوا فيها على أقوال: فالمراد عند النحويين أن يكون سينين وسينا اسمين للمكان الذي حصل فيه الجبل أضيفا إلى ذلك المكان، وقال غيرهم: الطور الجبل وسينين الحسن بلغة الحبشة. وورد أيضاً أن معنى سينين المبارك، أو: هو الجبل المشجر ذو الشجر، أو المثمر أو:جبل مبارك بالشام[3].

والقول بأن معناه: "حسن" مناسب لما بعده وهو قوله تعالى: **"لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ"** [التين: 4].

ويتبين مما مر أن الفواصـــل طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحســـن صـــورة يدل بها عليها[4]. وهي كما قال ابن الصـائغ (776هـــ): "لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصـل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة فإن القرآن العظيم كما جاء في الأثر لا تنقضي عجائبه"[5].

فاهتم المفسرون بتوجيه المعنى في الفاصلة، وبذلوا ما بذلوه في بيان وجوه انقيادها الأصيل للمعنى.

هذه بعض أحوال العدول الصـرفي والنحوي والصـوتي في الفواصـل، حاول البحث إيجاد توجيهات دلالية أو نحوية أو صـرفية لها، للتأكيد على أن تلك الفواصـل ليس الغرض منها جمالي تحسـيني –وإن كان مقصـودا أيضـاً في ذاته لما له من الأثر العظيم في التأثير– بل لها ارتباط وثيق بالسـياق الذي ورده فيه، ولتؤكد حقيقة المناسبة بين ألفاظ آيات القرآن، شكلاً ومضموناً.

(1)- البقاعي (885هـ) ،**نظم الدرر**، (20/ 361).

(2)- السيوطي، **المعترك**، (1/ 39). **الإتقان**، (2/ 100).

(3)- يراجع: الطبري، **جامع البيان**، (24/ 504 وما بعدها)، الرازي، **مفاتيح الغيب**، (32/ 211-212).

(4)- الرماني، **من ثلاث رسائل في الإعجاز**، (ص 98).

(5)- السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (3/ 345).

إن الوقوف على الروابط الموجودة بين ألفاظ الآية الواحدة، والبحث في ارتباط أواخرها -وهي الفواصل- بأولها، والبحث في أسباب مخالفة الفواصل للعدول هي من أهم آليات تأكيد ارتباط كلام الله ببعضه البعض تحقيقاً لمعنى المناسبة في أبسط أجزائها.

ولعل قسماً من الذين بحثوا في تلك التأويلات وأسرار التعبير القرآني، -وفيما عرض بخاصة عن أحوال العدول، أو مشكلات الفواصل- لم يوفق في بيان المراد من كلام الله —حقاً- بوصف تعليلاتهم قد تكون متكلفة وتأويلاتهم بعيدة، ولكن هناك قسم آخر منّ الله عليهم بها، ففتح عليهم بعض أسرار كلامه، ووفقهم في بيان إعجازه، وكل مأجور بإذنه.

الفصل الرابع

أثر المناسبة بين الآيات

المبحث الأول: المناسبة في الآيات المتحدة في السياق المختلفة في بعض الألفاظ:

المبحث الثاني: المناسبة في الآيات المتحدة في السياق المختلفة في التركيب:

المبحث الثالث: المناسبة عند التكرار:

المبحث الرابع: أثر المناسبة عند اختلاف التفسير

البحث عن المناسبة بين الآيات يدخل في صميم الدرس اللغوي لآليات النص[1]، والنص في هذا العلم هو شاهد ذاته لا يعتمد على شواهد من خارجه، وهو الذي يؤسس معايير علاقته بناء على طريقة تركيبه اللغوي: أي المناسبة في المستوى الوظيفي في حسن الاختيار للألفاظ، والمناسبة في المستوى التركيبي[2] ويكون في بناء الجملة من حيث التقديم والتأخير، والمناسبة في المستوى الأسلوبي ويكون في عرض الموضوع من حيث الإيجاز والإطناب[3].

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تكررت فيها كلمات، أو جمل، اتفقت من جهات متعددة واختلفت من جهات أخرى ،وهو ما اصطلح على تسميته بالمتشابه اللفظي،ويكون السياق والمناسبة من العلامات التي ترفع إشكال واللبس فيها.

ويكثر هذا النوع في القصص كما يمكن أن يوجد في غيره -كما سبق-[4]. وكل سورة أعيدت فيها قصة، فلمعنى أدعى في تلك السورة، استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في غيرها، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظم بالتأخير والتقديم، والإيجاز والتطويل، مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة[5].

والخلاصة أن التشابه والاختلاف في القصص القرآني -أو في المتشابه اللفظي بشكل عام- يخضع لمناسبة السياق، كما أشار إلى ذلك سيد قطب: "ترد القصة الواحدة -في معظم الحالات- مكررة في مواضع شتى؛ ولكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها —غالباً- إنما هو تكرار لبعض حلقاتها... وحين يقرأ الإنسان هذه الحلقات المكررة ملاحظاً السياق الذي وردت فيه يجدها مناسبة (له تماما) في اختيار

(1)- يقسّم علماء اللغة المحدثون الدرس اللغوي إلى أربعة مستويات: المستوى الصوتي. المستوى النحوي. المستوى الصرفي. المستوى الدلالي، ينظر :فريد عوض حيدر: **علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية**، مكتبة الآداب-القاهرة، ط1، 2005م، (ص 15)، وهذه الآليات كلها تتعلق بعلم المناسبة بوجه أو بآخر. كما سبق بيان بعضه في مبحث العدول في الفواصل.

(2)- المستوى التركيبي، أو المستوى النحوي بالمصطلح القديم، هو المستوى الذي تتراصف فيه الكلمات و تتآلف ضمن نظام من العلاقات بحيث تشكّل عبارات، أو جملا تنطوي على دلالة تسمّى الدلالة التركيبية.

(3)- د. محمد عامر محمد، **أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب-جامعة الكوفة، 1432هـ/2011م، (ص 95).

(4)- يراجع التمهيد.

(5)- البقاعي، **نظم الدرر**، (1/ 8).

الحلقة التي تعرض هنا أو تعرض هناك، وفي طريقة عرضها كذلك... على أن هناك ما يشبه أن يكون نظاماً مقرراً في عرض الحلقات المكررة من القصة الواحدة -يتضح حين تقرأ بحسب ترتيب نزولها-[1] فمعظم القصص يبدأ بإشارة مقتضبة، ثم تطول هذه الإشارات شيئاً فشيئاً، ثم تعرض حلقات كبيرة تكوِّن في مجموعها جسم القصة..."[2].

بالإضافة إلى شبه الاتفاق الحاصل أن كل مجمل من القصص، في سورة ما، يأتي مفصلاً في التي تليها والعكس. وهذا التشابه والاختلاف أمر مقصود في كل جزئية من جزئياته، قائم على أعلى درجات الإتقان والبلاغة والإعجاز. وكلما حصل التأمل في ذلك كان الإعجاب الكبير، وانكشف سر مستور أو كنز مخبوء من كنوز هذا التعبير العظيم.

و قد يقع التشابه في آيات مختلفة في السياق، أو متحدة في السياق مختلفة في بعض الألفاظ، أو في التركيب؛ فتحتاج لأن يُبان عن المراد من كل هذه الأحوال فيها. واختار البحث عموماً الوقوف -عند عرض النماذج -على ما يصطلح عليه بالآيات الوحيدة[3] (أو الموضع الوحيد) من أجل إدراك التمايز بينها وبين غيرها.

ومن الأساليب الملفتة للنظر: أسلوب التكرير في القرآن، ولخصوصيته وأهميته؛ سيدرج مبحث خاص في إظهار التناسب فيه.

زيادة على ذلك، فإن الملاَحظ عند دراسة الترجيح بين التفاسير، أن أثر المناسبة فيها جليّ ، ولذلك سيفرد مبحث خاص له للوقوف عليه وعلى على مآلات كل هذه الفروع السابقة له.

---

(1)- وهو العمل في التفسير الموضوعي.

(2)- سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، دار الشروق-مصر، ط17، 1425هـ/2004م، (ص 155-156).

(3)- وهي الآية التي تنفرد عن الآيات المتشابهة معها في جزء مامنها ،وغالبا ما تكون في الترتيب الأول من المصحف، والعناية بتوجيهها أسهل في بيان الباقي. يراجع: د.فواز بن سعد بن عبد الرحمن الحني، **الضبط بالتقعيد للمتشابه اللفظي في القرآن**، مكتبة الملك فهد-الرياض، ط2، 1429هـ،(ص 25).

المبحث الأول: المناسبة في الآيات المتحدة في السياق المختلفة في بعض الألفاظ:

المطلب الأول: أحوال الاختلاف في استعمال الحروف وتوجيهه:

المطلب الثاني: التوجيه بالتناسب عند الاختلاف في كلمة:

قد يكون موضوع الآيات واحداً، غير أن القرآن الكريم يختار لفظاً بذاته في آية ما ليؤدي معنى معيناً، ويختار في الأخرى لفظاً آخر، ليؤدي معنى غيره. وهو اختلاف في المبنى غايته تحقيق تناسب الألفاظ مع الجمل الواردة فيها، والغرض العام للسورة.

فالألفاظ خادمة لأغراض السورة –بمعنى لموضوعها أو مقصدها– ولذلك تتنوع وتختلف، ويكون المعنى وعلاقته بالسياق في النص القرآني هو السبب الرئيسي لذلك.

قد يستخدم القرآن ألفاظاً ذات مدلول واحد –ظاهراً– أو حتى: متقارب، ووجد علماء المناسبة في هذا التغاير فضاءً رحباً لبيان أوجه الإعجاز في القرآن، بخاصة في المتشابه اللفظي من آياته، لدرجة أن بعض الآيات قد يكون لها أكثر من مناسبة و من أوجه مختلفة، وهذا راجع إلى تفاوت الناس في الفهم وجودة القريحة، يقول ابن القيّم(751هـ):"إن درجات الفهم متفاوتة في الناس أعظم تفاوت فإن قوى الأذهان كقوى الأبدان والناس متفاوتون في هذا وهذا تفاوتا لا ينضبط. "(1)

و حدّد علماء تفسير المتشابه اللفظي أوجه الاختلاف الكائنة بين تلكم الآيات: فقد تكون في: الحروف –حروف المعاني أو المباني – من حيث: الإدغام والفك، التنويع في حروف العطف، التنويع في حروف الجر. أو في: الكلمات بالإدغام والفك، في الإبدال، في التأنيث والتذكير، التعريف والتنكير، في تغيير الصيغة، أو الذكر والحذف.

وستقتصر الدراسة على بعض أحوال هذا الاختلاف في الحروف أو في لفظ من الألفاظ على النحو الآتي:

المطلب الأول: أحوال الاختلاف في استعمال الحروف وتوجيهه:

(1)- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (751هـ)، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، تح: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية،ط1، 1408هـ،(2/ 507).

بناء اللفظة يبدأ أولاً من اختيار الحروف وتركيبها، حيث يمكن إنشـــاء الكلمات والجمل التي يقوم عليها الكلام البليغ. ولهذا فإن عملية إجادة الكلام ليكون بليغاً ومقبولاً تبدأ من اختيار الحروف أولاً، سواء أكانت حروف معاني أم حروف مباني[1].

وقد يلحظ قارئ القرآن تطابقاً بين بعض الآيات لا تميز بينها إلاّ حروفاً بعينها، وهذا التغاير يقتضيه دائما السياق والمقام. وحروف المعاني -التي يتناولها هذا الفرع- من أصعب الأبواب؛ لكثرتها وتداخل معانيها. فقل أن تخلو آية من القرآن العظيم من حرف من حروف المعاني، والمشقة العظيمة عند البحث فيها تكمن في بيان وجوه اختلاف مواقعها من الجمل؛ ثم اختلاف معانيها باختلاف تلك المواقع، ثم ملاحظة الفروق الدقيقة التي يقتضيها هذا الاختلاف في دلالته المؤثرة في معاني الآيات ،وهذا وحده أساس علم جليل من علوم القرآن العظيم. [2] ومن أهم أبواب معرفة دقائق أسراره ،والوقوف على إعجازه في أبسط جزء منه.

أما المشـــقة العظيمة، فهي في وجوه اختلاف مواقع هذه الحروف من الجمل؛ ثم اختلاف معانيها باختلاف مواقعها، ثم ملاحظة الفروق الدقيقة التي يقتضـــيها هذا الاختلاف في دلالته المؤثرة في معاني الآيات وهذا وحده أساس علم جليل من علوم القرآن العظيم.

أولا :اختلاف الحروف في الإدغام والفك: ومن قبيله قوله تعالى: **"فَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"** [آل عمران: 51]، وقوله: **"وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ"** [المائدة: 113].

يقول الخطيب الاسكافي (420هـ): "إن الذي في سورة المائدة جاء علىا لأصل غير مخفف بالحذف، لأنه أول كلام الحواريين في هذا المعنى، ألا تراه خبراً عن الله تعالى أنه قال: **"قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"** الآية، والذي في سورة آل عمران حكاية عن عيسى عليه السلام أنه ساهم عما أقروا به لله تعالى، فقال: **"وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ**

---

(1)- صالح عبد الله الشثري، **المتشابه اللفظي**، (ص 250).

(2)- محمود محمد شاكر، تصدير لكتاب عبد الخالق عضيمة (1404هـ)، **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، دار الحديث-القاهرة، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 4).

"أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ" فكان ذلك منهم إقراراً ثانياً لرسوله عليه السلام بمثل ما أقروا به الله تعالى، والثاني يختار فيه من التخفيف ما لا يختار في الأول،لأن الأول قد وفي العبارة حقها، والثانية معتمدة على ما قبلها، وهي مكررة، والعرب تستقل المعاد ما لا تستثقل[1].

الإسكافي (420هـ) راعى زمن حصول كلا النظمين وأنه مناسب للمقام الذي ذُكر فيه. وجواب ابن الزبير (708هـ) عن الإدغام والحذف هنا: "أن آية المائدة لما ورد فيها التفصيل في ما يجب الإيمان به وذلك قوله: "أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي" فجاء على أتم عبارة في المطلوب وأوفاها ناسب ذلك ورود "أننا" على أوفي الحالين وهو الورود على الأصل، ولما لم يقع إفصاح بهذا التفصيل في آية آل عمران حين قال تعالى: "قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ" فلم يقع هنا "وبرسوله" إيجازاً للعلم به وشهادة السياق ناسب هذا الإيجاز كما ناسب الإتمام في آية المائدة الإتمام فقيل هنا: "وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ" وجاء كل على ما يجب ولو قدر ورود العكس لما ناسب والله سبحانه أعلم بما أراد"[2].

فالفك عنده مناسب للتفصيل الموجود في المائدة ،كما ناسب الإدغام ما ورد في سورة آل عمران. وهذا مثل الذي ذهب إليه بدر الدين بن جماعة[3] (733هـ) إذ يرى: "أن آية المائدة في خطاب الله تعالى لهم أولاً، وفي سياق تعدد نعمه عليهم أولاً، فناسب سياقه تأكيداً نقياً دهم إليه أولاً عند إيحائه

([1])- الخطيب الإسكاف : أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني (420هـ)، **درة التنزيل وغرة التأويل**، تح: د. محمد مصطفر آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (30) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط1، 1422هـ/2001م، (1/ 384-385).

([2])- ابن الزبير: أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (708هـ)، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل**، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (1/ 87).

([3])- **ابن جماعة**: (**639-733هـ/1241-1333م**): محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض من خيار القضاة. ومن العلماء بالحديث وسائر علوم الدين.ولد في حماة. وولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي. وتوفي بمصر. له تصانيف، منها: (المنهل الروي في الحديث النبوي) و(كشف المعاني في المتشابه من المثاني) و(ذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم) وغيرها... الزركلي، **الأعلام**، (5/ 297).

إليهم. وآية آل عمران في خطابهم المسيح لا في سياق تعدد النعم فاكتفي ثانياً بـــ "أنَّا" لحصول المقصود"[1].

ثانيا: الاختلاف في استعمال حروف العطف: فهو يستعمل حروف العطف في غاية الدقة والجمال، فمن المعلوم أن الواو تأتي لمطلق الجمع، وأن الفاء تفيد الترتيب والتعقيب، و"ثم" تفيد الترتيب والتراخي. وقد استعمل القرآن ذلك ألطف استعمال وأدقه.بما يناسب السياق والمعنى.

1.في إبدال إحدى حروف العطف بأخرى: وهو كثير في القرآن. ومثاله قوله سبحانه: **"قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ"** [الأنعام: 12]، مع: **"قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ"** [النمل: 71]، [العنكبوت: 19] و[الروم: 8].

آية الأنعام ظاهرة في الأمر بالسير في بلاد المهلكين فناسب "ثم" المرتبة على السير المأمور به. وفي المواضع الأخرى: الأمر بالنظر بعد السير المتقدم كقوله تعالى: **" أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ"** [الروم:8] ،فناسب أن يأتي بالفاء كأنه قيل: قد ساروا فلينظروا، أو قد ساروا فنظروا عند سيرهم[2].

ولأن "ثم" للتراخي والفاء للتعقيب و،في سورة الأنعام تقدم ذكر القرون في قوله: **كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ "** [الأنعام:7] ثم قال: **" وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْناً ءَاخَرِينَ "** (الآية) فأمروا باستقراء الديار وتأمل الآثار وفيها كثرة فيقع ذلك سيراً بعد سير وزماناً بعد زمان فخصت بـــ: "ثم" الدالة على التراخي بين الفعلين، ليعلم أن السير مأمور به على حدة والنظر مأمور به على حدة.

ولم يتقدم في سائر السور مثله فخصت بالفاء الدالة على التعقيب[3]. "وثم للتراخي الرتبي، كما هو شأنها في عطف الجمل، فإن النظر في عاقبة المكذبين هو المقصد من السير، فهو مما يرتقى إليه بعد الأمر بالسير، ولأن هذا النظر محتاج إلى تأمل وترسم فهو أهم من السير"[4].

---

(1)- بدر الدين ابن جماعة: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله الكناني الحموي الشافعي (733هـــ)، **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**، تح: الدكتور عبد الجواد خلف، دار الوفاء-المنصورة، ط1، 1410هـ/1990م، (ص 130).

(2)- ابن جماعة، **كشف المعاني**، (ص 156).

(3)- الكرماني، **البرهان**، (ص 105).

(4)- ابن عاشور، **التحرير**، (7/ 149).

ويفصّل الزمخشري (538هـ) أكثر في تباين التناسب بين الموضعين بأنه عز وجل جعل النظر مسبباً عن السير –في صيغة التعقيب– فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر، ولا تسيروا سير الغافلين. وأما –في التراخي– فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع. وإيجاب النظر في آثار الهالكين. ونبّه على ذلك بثم، لتباعد ما بين الواجب والمباح[1]. وهذا تفريق بديع.

التوجيه: التعبير بـ: "ثم" جاء مناسباً لما سبقه من النظر في عاقبة المهلكين الذي يحتاج وقتاً أطول.

2. في الاستغناء عن حروف العطف: فقد ترد آيات متماثلة يذكر فيها حرف عطف ثم يحذف من شبيهتها لسر ما.

وحقيقة أن الوقوف على أسرار حذف بعض الحروف –في مواضع معينة من القرآن– ضرب من الغوص العميق في بلاغة وإعجاز القرآن حتى في حروفه، مع أن البلاغيين[2] قد درسوا موضوع الحذف بالنظر إلى جزء الجملة في باب المسند إليه والمسند ،ومتعلقات الفعل، أو حذف الجملة وأكثر منها في باب الإيجاز بالحذف، ولم يلتفتوا إلى حذف جزء الكلمة، وإن كان فيه من الإشارات ما يوجب على المشتغل بأسرار اللغة، وبلاغتها أن ينتبه إليها، وبخاصة أنه يوجد في إشارات العلماء السابقين[3] ، ما يلمس الجانب البلاغي في هذا النوع من الحذف.

ومن أمثلته قوله –عزّ وجل–: **"وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ"** [البقرة: 48].

وقوله:**"وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ"** [إبراهيم: 8].

يرى الاسكافي (420هـ) أن حذف حرف العطف من سورة البقرة سببه أنه لو جعل "يذبحون" بدلاً من قوله: **"يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ"** لم يحتج إلى الواو، وإذا جعل قوله: **"يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ**

(1)– الزمخشري، **الكشاف**، (2/ 8).

(2)– يراجع: محمد أبو موسى، **خصائص التراكيب –دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني–**، مكتبة وهبة، ط7، (د.ت.ط)، (ص 154).

(3)– كما سبق بيانه في مبحث الفواصل وتوجيهها.

- أَلْعَذَابِ" عبارة عن ضروب من المكروه هي غير ذبح الأبناء لم يكن الثاني إلاّ بالواو، وفي الموضعين يحتمل الوجهان، إلاّ أن الفائدة التي تجوز أن تكون خصصت لها الآية في سورة إبراهيم بالعطف بالواو، هي أنها وقعت هنا في خبر قد ضمن خبراً متعلقاً به، لأنه قال قبله: وَلَقَدَ اَرْسَلْنَا مُوسِىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنَ اَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ اَلظُّلُمَٰتِ إِلَى اَلنُّورِ ۝٦ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ اِ۬للَّهِۖ إِنَّ فِے ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ". [إبراهيم:6-7]، ثم قال: "وَإِذْ قَالَ مُوسِىٰ لِقَوْمِهِ اِذْكُرُواْ نِعْمَةَ اَ۬للَّهِ عَلَيْكُمْ" فضمن إخباره عن إرساله موسى بآياته إخباره عنه بتنبيه قومه على نعمة الله ودعائهم إلى شكرها، فكان قوله: "يذبحون" في هذه السورة في قصة مضمنة قصة تتعلق بها...، والقصة المعطوفة على مثلها يقوى معنى العطف فيها فيختار في ما كان يجوز في العطف على سبيل الإيثار، لا على سبيل الجواز، وليس كذلك في سورة البقرة، فافترق من هذه الجهة[1].

ويختصــر الكرماني (نحو 505هـ) هذا الرأي بقوله: "قوله "يذبحون" بغير واو هنا على البدل من "يسومونكم" وفي الأعراف "يقتلون" وفي إبراهيم "ويذبحون" بالواو لأن ما في هذه السورة والأعراف من كلام الله تعالى فلم يرد تعداد المحن عليهم والذي في إبراهيم من كلام موسى فعدد المحن عليهم وكان مأموراً بذلك في قوله" "وذكرهم بأيام الله"-"[2].

التوجيه: أن التعبير بحرف الواو بدل حذفها مناســب لتعداد النعم المذكور في ســورة إبراهيم –وكان مأمورا بذلك– وما في سورة والأعراف من كلام الله تعالى فلم يرد تعداد المحن.

ومثاله[3] أيضاً: قوله تعالى: "لَقَدَ اَرْسَلْنَا نُوحاً اِلَىٰ قَوْمِهِۦ" [الأعراف: 58]. بغير واو. وفي هود: "وَلَقَدَ اَرْسَلْنَا نُوحاً اِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّے لَكُمْ نَذِيرٞ مُّبِينٌ" [هود: 25] والمؤمنون: " وَلَقَدَ اَرْسَلْنَا نُوحاً اِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ اِعْبُدُواْ اُ۬للَّهَ مَا لَكُم مِّنِ اِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ " [المؤمنون:23]

(1)- الاسكافي، **درة التنزيل،** (1/ 230-233).

(2)- الكرماني، **البرهان،** (ص 72).

(3)- وردت أربع مرات بإضافة حرف العطف واحدة فقط بدونها. وباقي المواضع: في سور: [المؤمنون: 23]، [العنكبوت: 13].

يرى الكرماني (نحو 505هـ) أنه لما لم يتقدم في هذه السورة ذكر رسول فيكون هذا عطفاً عليه بل هو استئناف كلام وفي "هود" تقدم ذكر الرسول مرات وفي "المؤمنون" تقدم ذكر نوح ضمناً في قوله: "وعلى الفلك" لأنه أول من صنع الفلك فعطف في السورتين بالواو[1].

وهذا نفسه ما ذهب إليه الإسكافي(420 هـ)[2].

ويذكر ابن جماعة (733م) شيئاً من التفصيل فيقول: "ففي الأعراف ،لم يتقدمه دعوى نبوة ورد قوم مدعى ذلك عليه، فهو كلام مبتدأ. وفي هود والمؤمنين[3]: تقدم ما يشعر بذلك وهو قوله تعالى: **وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ** " [هود:17] الآية، فحسن العطف عليه بالواو، وتسلية للنبي -ﷺ- وتخويفاً لقومه بقوله تعالى: **"فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ "**[هود:12]، **"أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ "**[هود:25] الآيات. وأما في سورة المؤمنون: فلقد تقدم ذكر نعمه على المكلفين بحملهم على الفلك الذي كان سبباً لوجودهم ونسلهم، فعطفت عليه بالواو وبقوله: "**وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ**"[المؤمنون: 22] فلأنه تقدم قوله تعالى: **"وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ "**[المؤمنون:17] فناسب العطف عليه بقوله تعالى: **"وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً"** الآية[4].

---

(1)- الكرماني، **م.س**، (ص 120-121).

(2)- يراجع: الإسكافي، **درة التنزيل** ، (2/ 593 وما بعدها).

(3)-عند تأمل سباق الآية من سورة المؤمنون لا تجد فيها إشارة لذكر رسول سوى قوله تعالى: **"وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ"**[المؤمنون:22]، فهو ذكر ضمني كما صرّح به الكرماني.

(4)- ابن جماعة، **كشف المعاني** ، (ص 178).

وما ذكره الأنصاري(1) (926هـ) أيضاً قال: "قاله هنا بغير واو، وقاله في "هود" و"المؤمنين" بواوٍ. لأنَّ ما هنا مستأنفٌ لم يتقدَّمه ذكرُ نبيٍّ، وما في هود تقدَّمه ذكرُ الأنبياء مرَّةً بعد أخرى، وما في المؤمنين تقدَّمه "فناسب ذكرها فيهما"(2).

فالتوجيه في عدم ذكر حرف العطف ؛أنه ابتداء كلام جديد ليس مرتبطا بسابقه في الحديث عن الرسل، صراحة أو ضمنا.

غير أن ابن الزبير (708ه) نظر إلى السياق الكلي للآية التي في "المؤمنون"، حيث جاءت متناسقة مع سابقتها ولاحقتها، وجاء النظم مناسباً لها، فالآيات تذكير بإيجاد الناس وانتقالهم متقلبين في أطوار، مكتنفين بتوالي نعم الله عليهم... فعطف على ذلك بنعمة إرسال الرسل وأوّلهم نوح عليه السلام(3).

ثالثا: الاختلاف في استعمال حروف الجر: استعملها استعمالاً لطيفاً بديعاً. فقد يعدل من حرف إلى آخر، في موضع يبدو شبيهاً بالأول، أو يستعمله مرة ويحذفه أخرى،وغير ذلك من الفنون التعبيرية لسبب يدعو إلى وضع كل حرف الموضع الذي وضعه.

1.التناسب عند تبديل حرف جر بآخر: ومن ذلك قوله تعالى: **"كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى"** [الرعد: 2]، [الزمر: 5]، [فاطر: 13]. وقوله: **"كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى"** [لقمان: 29].

فقد جاء في آية الرعد باللام "لأجل"، وجاء في آية لقمان بـ "إلى"، والفرق بينهما أن ما ورد باللام يفيد التعليل بمعنى: كُلٌّ يجري لبلوغ الأجل، أي كل يجري لهذه الغاية كما تقول: كلهم يجري لوصول الهدف وبلوغه. وأما ما جاء بـ (إلى) فهو يفيد الانتهاء.

جاء في: "درة التنزيل" ما يلخص أن معنى قوله: **"يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى"** أي لبلوغ أجل مسمى. وقوله: **"يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ"** معناه: لا يزال جارياً حتى ينتهي إلى آخر وقتِ جَريهِ المسمى له. وإنما خص

---

(1)-**زَكَرِيَّا الأَنْصَاري (823 – 926 هـ = 1420 – 1520 م)**:زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا السنيكي المصري الشافعيّ، أبو يحيى: شيخ الإسلام. قاض مفسر، من حفاظ الحديث. ولد في سنيكة (بشرقية مصر) وتعلم في القاهرة وكف بصره سنة 906 ه نشأ فقيرا معدما، ثم أغناه الله... له تصانيف كثيرة، منها (تحفة الباري على صحيح البخاري – ط) و (فتح الجليل) تعليق على تفسير البيضاوي، و (شرح إيساغوجي) في المنطق، و غيرها... (الزركلي، **الأعلام** ،(3/ 46).)

(2)– الأنصاري: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا ، زين الدين أبو يحيى السنيكي (926ه)، **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن**، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم–بيروت–لبنان، ط1، 1403ه/1983م، (1/ 195).

(3)– يراجع: ابن الزبير، **ملاك التأويل**، (1/ 189 وما بعدها).

ما في سورة لقمان بـ "إلى" التي للانتهاء واللام تؤدي نحو معناها لأنها تدل على أن جريها لبلوغ الأجل المسمى، لأن الآليات التي تكتنفها آيات منبهة على النهاية والحشر والإعادة. كمثل ما قبلها: **"مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ"** وبعدها: فيه إيحاء بذلك. فكان المعنى: كل يجري إلى ذلك الوقت، وهو الوقت الذي تنتهي فيه المآلات فناسب ذكر "إلى" هنا.

أما المواضع التي ذكرت فيها اللام إنما هي في الإخبار عن ابتداء الخلق فالآيات التي تكتنفها في ذكر ابتداء خلق السموات والأرض وابتداء جري الكواكب وهي إذ ذاك تجري لبلوغ الغاية، وكذلك قوله في سورة فاطر إنما هو ذكر النعم التي بدأ بها في البر والبحر... فاختص ما عند ذِكْرِ النهاية بحرفها واختص ما عند الابتداء بالحرف الدال على العلة التي يقع الفعل أجلها[1].

والتوجيه: كما يوجزه ابن جماعة (733م) مناسبة التفريق هنا أنه، لما تقدم ذكر البعث والنشور في لقمان بقوله تعالى: **"مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ"** الآية وبعدها: "وَاخْشَوْا يَوْمًا" ناسب مجيء "إلى" الدالة على انتهاء الغاية، لأن القيامة غاية جريان ذلك.وفاطر والزمر تقدمها ذكر نعم الله تعالى بما خلق لمصالح الخلق، فناسب المجيء "باللام" بمعنى: لأجل، والله أعلم[2].

2.الاختلاف في حذف حرف الجر أو ذكره: فقد يذكر في آية وحيدة ولا يذكر في شبيهاتها أو يحذف منها ويذكر في شبيهاتها. ومثال الأول في قوله سبحانه: **"إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَم بِالْمُهْتَدِين"** [الأنعام: 118]. بحذف حرف الجر "الباء" فيها، وفي [النَّحل: 125]. و[النَّجم: 29]. و[القلم: 7]. **"أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ"**.

لِمَ قال في هذه السورة: **"أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ"** بحذف الباء، وقال في القلم: **"أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ"** بإثباته[3]؟

---

(1)- يراجع: ابن الزبير، **ملاك التأويل**، (1/ 1055-1059).

(2)- ابن جماعة، **كشف المعاني**، (ص 297).

(3)-الكرماني: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين، ويعرف بتاج القراء (نحو 505هـ)، **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، دار القبلة للثقافة الإسلامية-جدة، مؤسسة علوم القرآن-بيروت، (د.ت.ط)، (د.ر.ط)، (1/ 382).

الجواب: لأن ما في هذه السـورة معناه: يعلم أيهم يطيعه من قوله: **وَإِن تُطِعَ اَكْثَرَ مَن فِے اِ۬لاَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اِ۬للَّهِۖ** "[الأنعام:117] وما في القلم معناه: "أعلم بما كان وبما يكون عن أحوال من ضل".بدليل قوله :"**فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ**" [المؤمنون:5].

يقول ابن جماعة (733م): "الأصل دخول الباء فيه لكن تقدم قوله تعالى: "اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ". ولما تقدم هنا: "**وَإِن تُطِعَ اَكْثَرَ مَن فِے اِ۬لاَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اِ۬للَّهِۖ** " [الأنعام:117] وتأخر: "**وَإِنَّ كَثِيراً لَّيَضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ** "[الأنعام:120] ناسـب من يضـل عَنْ سَبِيلِهِ..."[1].

فمكان كل واحد يقتضـي ما وقع فيه، وبين اللفظين فرق في المعنى يوجب اختصـاص اللفظ الذي جاء له بمكانه[2]. فقول: "عرفت أخاك" يختلف عن قول: "عرفت بأخيك" فعرفت أخاك معناه عرفت شخصه أو حقيقته، و"عرفت بأخيك" معناه أنك عرفت حاله، كأن يكون هناك أمر حصل له من ربح أو خسارة أو مرض أو تقدم وما إلى ذلك، وليس معناه أنك عرفت شخصه[3].

ومثاله أيضـاً قوله –عزّ وجل-: "**وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً يُوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ اَ۬لذِّكْرِ إِن كُنتُم لا تَعْلَمُونَ**" [الأنبياء: 7]، وفي سـورة يوسـف –عليه السـلام- قوله تعالى: "**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً يُوحِي إِلَيْهِم مِّنَ اَهْلِ اِ۬لْقُرِي**" [يوسـف: 109]، وفي سـورة النحل: "**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِك إِلاَّ رِجَالاً يُوحِيٓ إِلَيْهِم**" [النحل: 43]، وفي سـورة الفرقان: "**وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَك مِنَ اَ۬لْمُرْسَلِينَ إِلآَ إِنَّهُم لَيَاكُلُون اَ۬لطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِے اِ۬لاَسْوَاقِ**" [الفرقان: 20] بسـقوط "من" منهما وثبوتها.

فآية يوسـف قد تقدمها قوله تعالى: "**وَمَا يُومِنُ أَكْثَرُهُم بِالله إِلا وَهُم مُّشْرِكُون**" [يوسـف: 106]، وقوله: "**وَسُبْحَٰنَ اَ۬للَّهِ وَمَآ أَنَا مِنَ اَ۬لْمُشْرِكِين**" [يوسف: 108]، وقوة السياق في هذه الآي

(1)- ابن جماعة، **م.س**، (ص 166).

(2)- الإسكافي، **درة التنزيل**، (2/ 544).

(3)- السامرائي، **معاني النحو**، (3/ 33).

يدل على معنى القسم ويعطيه، فناسب ذلك زيادة "من" المقتضية الاستغراق، وكذلك قوله في سورة النحل: " وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ" [النحل: 41] يؤكد ذلك المعنى، فناسبه زيادة "من" لاستغراق ما تقدم من الزمان(1).

ويجمل التعليل الكرماني (نحو 505هـ) فيقول: "قوله: "وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ" وفي الأنبياء: "وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ" بغير "من" لأن "قبل" اسم للزمان السابق على ما أضيف إليه و"من" تفيد استيعاب الطرفين وما في هذه السورة للاستيعاب. وقد يقع "قبل" على بعض ما تقدم كما في الأنبياء في قوله: "ما آمنت قبلهم من قرية" ثم وقع عقيبها "وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ" بحذف "من" لأنه بعينه"(2).

وهو ما ذكره الإسكافي (420هـ) كذلك بشيء من التفصيل(3) فيقول: "فأكثر ما في القرآن: "وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ" ولم يجيء بحذف "من" إلاّ في موضعين: أحدهما: هذا، والآخر: "وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ" [الفرقان: 2]. فأما الأول... حذفت منه "من" بناء على الآية المتقدمة وهي: "ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون" [الأنبياء: 6]، فلما كان الزمان الذي تقدمهم هو الزمان الذي تقدم النبي المذكور فيقوله: "وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ" وكانت قبل إذا عريت "من" موضوعة للزمان المتقدم كله، صار بناءه على ماقبل مذكوراً كالتوكيد الواقع بمن في سائر المواضع.

فأما قوله تعالى: "وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ" فإنما لم يؤكد ب"من"، لأن المعتمد بالخبر إنما هو الحال التي للمرسلين، وهي أنهم يأكلون الطعام وليسوا من الملائكة الذين طلب الكفار أن يبعثوا إليهم، وأخبر الله تعالى به عنهم فيقوله: " وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ " [الفرقان: 21]، فإن قال: فقد جيء بمن في قوله:" وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ " [الحج:50] ، فالقصد ذكر حال الرسول والنبي، وهو المعتمد

(1)- يراجع: ابن الزبير، **ملاك التأويل**، (2/ 268).

(2)- الكرماني، **البرهان**، (ص 150).

(3)- يراجع: الإسكافي، **درة التنزيل**، (2/ 799 وما بعدها).

بالخبر، فأكد مع ذلك بمن. قلت: القصد بمن في هذا الموضع توكيد ذكر الرسول وذكر حاله. ألاّ تراه قال: "من رسول ولا نبي" فجمعهما في نفي ما نفي عنهما إلاّ ما أثبته لهما بعد قوله: **"إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ "** فلما كان المكانان معتمدين بالخبر صح التوكيد وكان المقصود والله أعلم". فحين يكون القصد توكيد الخبر أو الحال يأتي بـ "من" وإلاّ فلا.

ويضع صاحب ملاك التأويل[1] قاعدة في توجيه ذكر "من" وحذفها من مواضع شتى غير هذه وخلاصته: أنها تُذكر حيث يراد تأكيد أمر ما ضمن الآي من المعطيات ولإشارة إلى الوعيد وتحرز فيها معنى التأكيد لا تنفك عن ذلك.

وفي حذفها أوجز من إثباتها ولكل مقام مقال، فحيث ورد في هذه الآي ما قبله استيفاء تفصيل وعيدين في أمة بعينها أو أكثر أو تكرر التهديد وشدة التخويف من مقتضى السياق وفحوى الكلام فذلك موضع زيادتها والتأكيد بإثباتها وحيث لا يتقدم في اقتضاء مقتضاها نفوذ الوعيد فهذا يناسبه الإيجاز بحذفها إذ لا يراد من تأكيد الوعيد ما يراد في الأخر.

وخلاصة هذه التوجيهات أن الحذف يعتمد على سياق الآيات: فإذا كان السياق ممتدا ويحتاج تأكيداً يأتي بـ "من" وإذا كان السياق غير ذلك أو لفترة محددة لا يأتي بها.

ومما تقدم يتبين أن هذه التأويلات كلها؛ للحذف أو للذكر؛ معللة بمناسبة الآية لسابقها أو لاحقها.من قريب أو بعيد نسبيا.

رابعا:الاختلاف في استعمال حروف النفي: كما في قوله سبحانه وتعالى: **"قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ"** [الأعراف: 11]. وقوله: **"قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ"** [ص: 74].

(1)- ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل**، (1/ 142).

يرى ابن قتيبة (268هـ) فيها أنه: "قد يُزاد حرف النفي "لا" في الكلام والمعنى: طرحها لإباء في الكلام أو جحد كما في قول الله عز وجل: ": "قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ" [الأعراف: 11] أي:ما منعك أن تسجد. فزاد في الكلام "لا" لأنه لم يسجد[1].

وهناك من المفسرين من يرى أن "لا" هنا زائدة، وذكر الآلوسي (1317هـ) أنه الرأي المشهور[2]. ومن هؤلاء: ابن جماعة (733 م) حيث قال: "...كذلك لا فرق في المعنى بين "مالك لا تسجد" و"وما منعك أن تسجد" لأن اللام صلة زائدة"[3].

لكن البقاعي (885هـ) يرى خلاف ذلك ؛ بل هي مناسبة للموضع الذي ذكرت فيه، حيث جاءت مؤكدة للمعنى تابعة لما قبلها من الكلام، فيقول: "ولما كانت هذه العبارة قد صرحت بعدم سجوده – وهي "ما منعك"-، فكان المعنى لا يلبس بإدخال "لا" في قوله: "ألا تسجد" أتى بها لتفيد التأكيد بالدلالة على اللوم على الامتناع من الفعل والإقدام على الترك، فيكون كأنه قيل: ما منعك من السجود وحملك على تركه "إذ" أي حين "أمرتك" أي حين حضر الوقت الذي يكون فيه أداء المأمور به"[4].

ويلخّص الأنصاري (926هـ) الرأيين معا فيقول: "وقوله "ألاّ تسجد" قال ذلك بزيادة "لا" كما في قوله تعالى: "لئلا يعلم أهل الكتاب" وقال في [ص] بحذفها، وهو الأصل، فزيادتها هنا لتأكيد معنى النفي في "منعك". أو لتضمين "منعك" حملك، وهي على الثاني ليست زائدة في المعنى"[5].

المطلب الثاني:التوجيه بالتناسب عند الاختلاف في كلمة:

(1)- ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (276هـ)، **تأويل مشكل القرآن**، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 154).

(2)- الآلوسي، **م.س**، (4/ 328). وذكره أبو سعود أيضاً، يراجع:أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفي (982هـ)، **تفسير أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي-بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (3/ 216).

(3)- ابن جماعة، **كشف المعاني** ، (ص 174).

(4)- البقاعي، **نظم الدرر**، (7/ 365).

(5)- الأنصاري، **فتح الرحمن** ، (ص 187-188).

يقع الاختلاف هنا إما بالإبدال، أو الإدغام والفك، أو التأنيث والتذكير، أوفي التعريف والتنكير، في الذكر والحذف[1]، أو في الصيغة.

أولا:الاختلاف بالإبدال: والمراد به تغيير كلمة بأخرى في مواضع خاصة من القرآن ،وهذا ملاحظ كثيرا فيه حيث يعبر- القرآن -عن المعنى المراد بلفظ ما بعينه دون غيره من الألفاظ التي قد يتوهم أنه تسد مسده أو تؤدي الغرض المنوط به لتقاربها معه في المعنى، فكل تغاير في المبنى قائم على أعلى مستوى من البلاغة والإعجاز.

ومقصد البحث في هذه الجزئية عن التناسب في المعنى عند الاختلاف في المبنى بين كلمتين متقاربتين أو متباعدتين.

1.عند تقارب الكلمتين في المعنى: ومثاله بين "ولد" و"غلام" في قوله سبحانه: **"قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ"** [آل عمران:47]. وقوله: **"قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ"** [مريم: 19]، فكل لفظ ذكر في موضعه الذي يناسبه حسب ما سبقه، فالتعبير بلفظ "الولد" لأن في هذه السورة تقدم ذكر المسيح وهو ولدها...[2]. أما بلفظ: "غلام". لتقدم ذكره في قوله: **"لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا"** [مريم: 18][3].

ومثاله أيضاً قوله: **"فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا"** [النمل: 8]. وقوله: **"فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ"** [القصص: 30]. و[طه: 10].

فرّق الراغب (502هـ) في المفردات بين الإتيان والمجيء: "الإتيان: مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المار على وجهه: أتي وأتاوي"[4] و"جاء يجيء ومجيئاً، والمجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم، لأن

(1)- ويستحسن تأجيل التفصيل فيها إلى المطلب المتعلق بالإيجاز والإطناب لارتباطه به، لأن علماء البلاغة، ومعهم المفسرون، كثيراً ما يتحدثون عن إيجاز الحذف ويذكرون نماذج عنه بحذف الكلمة.

(2)- الكرماني، **البرهان** ، (ص 98).

(3)- ابن جماعة، **كشف المعاني** ، (ص 128).

(4)- الراغب، **المفردات**، (6/ 60).

الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتبارا بالحصول..."[1].

ولم يرد في كتب المفسرين -التي تم البحث فيها- من فرّق بين الفعلين كما فعل الراغب (502هـ)، أو بحث عن السر في هذا التغاير في التعبير، وهو ما أشار إليه د.فاضل السامرائي: يقول: "لم يذكر أهل المعجمات ما ذكره الراغب، وإنما هم يفسرون واحداً بالآخر، فيفسرون جاء بأتى، وأتى بجاء، غير أنهم يذكرون في بعض تصريفات "أتى" ما يدلُّ على السهولة، فيقولون مثلاً في تفسير الطريق الميتاء من "أتى" "طريق مسلوك يسلكه كل أحد" وذلك لسهولته ويسره. ويقولون: "كل سيل سهلته لماء، أتيّ... والذي استبان لي أن القرآن الكريم، يستعملُ المجيءَ لما فيه صعوبةٌ ومشقة، أو لما هو صعب وأشق مما تُستعمل له "أتى" ..."[2].

فينظر السامرائي -مستعيناً بما قاله الراغب- إلى ارتباط معنى اللفظ بسياقه السابق واللاحق في كل سورة على النحو التالي:

ففي سورة النمل: ما قطعه موسى على نفسه أصعب مما في القصص، ففي سباق الآية أمران اثنان: الأول أنه قطع على نفسه في السورة الأولى أن يأتيهم بخبر أو بشهاب قبس، وفي ترجى ذلك فقط "لعلي". والقطع أشق وأصعب من الترجي. والأمر الثاني: أنه قطع في النمل، أنْ يأتيهم بشهابٍ قبس، أي: بشعلة من النار ساطعة مقبوسة من النار التي رآها في حين أنه ترجَّى في القصص أن يأتيهم بجمرة من النار، والأولى أصعب.

وبالنظر إلى اللحاق:

المهمة التي ستوكل إليه في النمل، تبليغ فرعون وقومه، وهي أصعب وأشق مما في القصص، وهي أن يبلغ فرعون وملأه. وتبليغُ القوم أوسعُ وأصعب من تبليغ الملأ، ذلك أن دائرة الملأ أضيق من دائرة القوم لانتشارهم في القرى والمدن واختلاف طبائعهم واستجاباتهم[3].

([1])- الراغب، **م.ن**، (ص 212).

([2])- السامرائي: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري، **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، دار عمار للنشر والتوزيع-عمان-الأردن، ط3، 1423هـ/2003م، (ص 97).

([3])- يراجع: السامرائي، **م.ن**، (ص 104-105).

2.عند تباعد الكلمتين في المعنى: ومن ذلك كلمة "خير" و"شـيء"، في قوله تعالى: **"إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَو تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً "** [النساء: 148]، وقوله: **"إِن تُبْدُواْ شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً"** [الأحزاب: 54].

خصّ في الأولى الخير بالإبداء لأنه بإزاء السـوء الذي ذكر سـابقاً، وهو قوله: **"لاَّ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوٓءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ "** [النساء: 147]... وأما في الآية التي في الأحزاب فلأن قبلها تحذير من إضمار ما لا يحسن إضماره من مثل قوله عز وجل: **"وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ"** [الأحزاب: 51]...، وغيره، فاقتضى هذا المكان العموم(1).

ويرى ابن الزبير (708هـ) أن قوله تعالى في سورة النساء مقصود به خصوص طرف الخير وعمل البر جريا على ما دارت عليه السورة -أي النساء- وتردد فيها من إشارات عديدة للخير والصلاح كإصلاح ذات البين والندب إلى العفو والتجاوز عن السيئات... وأما آية الأحزاب فمقصود بها ما يعم الطرفين من الخير والشر... فورد بلفظ مطلق يعم الخير والشر فقال تعالى: **"إِن تُبْدُواْ شَيْئاً"** والشيء يقع على كل موجود من ذات أو معنى...(2). هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فالجو التعبيري لكل سورة من هاتين السورتين يقتضي وضع كل لفظة من هاتين اللفظتين في موضعها؛ ذلك أن كلمة "خير" ترددت في سورة النساء اثنتي عشرة مرة ،ولم ترد سورة الأحزاب إلاّ مرتين. وأن كلمة "شيء" ترددت في سورة النساء اثنتي عشرة مرة وترددت في سورة الأحزاب ست مرات، فإذا كان الكلام يقتضي اختيار إحدى هاتين اللفظتين لكل آية فمن الواضح أن تختار كلمة "خير" لآية النساء وكلمة "شيء" لآية الأحزاب. فاقتضى التعبير اختيار كل لفظة من جهتين: جهة المعنى والسياق. وجهة اللفظ(3).

(1)- الإسكافي، **درة التنزيل** ، (1/ 427-428).

(2)- ابن الزبير، **م.س**، (1/ 113-114).

(3)- د. فاضل صالح السامرائي، **التعبير القرآني**، دار عمار-عمان-الأردن، ط4، 1427هـ/2006م، (ص 175).

ثانيا:إختلاف الألفاظ في التعريف والتنكير:[1]

حد النكرة ما لم يخص الواحد من جنسه؛ نحو "رجل، وفرس، ودار" وما أشبه ذلك، وحدُّ المعرفة ما خص الواحد من جنسه. وتُعتبر النكرة من المعرفة بشيئين؛ أحدهما: دخول الألف واللام؛ نحو: الفرس، والغلام، ودخول "رب" عليها؛ نحو: رُبَّ فرس وغلام، وما أشبه ذلك. والنكرة هي الأصل؛ لأنَّ التعريف طارئ على التنكير. والمعرفة أنواع خمسة: الاسم المضمر، والعَلَم، والمبهم –وهو اسم الإشارة– وما عُرِّف بالألف واللام، وما أُضيف إلى أحد.

ومن نماذج التنكير والتعريف في القرآن: قوله: **"وَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمًا"** [يونس: 12] بالألف واللام وفي غيرها[2] بدون من مثل: " **وَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ**" [الزمر:6]

ففي سورة يونس إشارة إلى ما تقدم من الشر في قوله: **"وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ"**. فإن الضر والشر واحد[3] فناسب المجيء بصيغة التعريف ما سبق من الآية،بدل من التنكير في غيرها من الآيات.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: **"وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ"** [البقرة: 60]. وقوله: **"وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقٍّۚ"** [آل عمران: 112].

فَعرَّفَ "الحق" في الأولى ونَكَّرهُ في الثانية، وذلك أن كلمة "الحق" المعرّفة في آية البقرة تدل على أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير الحق الذي يدعو إلى القتل، والحق الذي يدعو إلى القتل معروف معلوم.

---

(1)– يراجع: الأنباري: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين (577هـ)، **أسرار العربية**، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1420هـ/1999م، (ص 241). وقد اختلفت عبارات النحويين في حد النكرة، وهي راجعة إلى معنى واحد قال: أبو الفتح ابن جني: "النكرة ما لم تخص الواحد من جنسه". وقال غيره: النكرة ما شاع في أمته. وقال غيره: النكرة ما دل على شيء لا بعينه.ينظر:ابن الخباز، **توجيه اللمع**، (ص 297).

(2)– مثل :"**فَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَـٰهُ نِعۡمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍۚ**" [الزمر:46]

(3)– الكرماني، **البرهان** ، (ص 139).

وأما النكرة فمعناها أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق أصـلاً لا حَقَّ يدعو إلى قتل ولا غيره. أي: ليس هناك وجه من وجوه الحق الذي يدعو إلى إيذاء الأنبياء فضـلاً عن قتلهم. فكلمة "حق" هنا نكرة عامة، وكلمة "الحق" معرّفة معلومة. والقصـد من التنكير الزيادة في ذمهم وتبشـيع فعلهم أكثر مما في التعريف، وذلك لأن التنكير معناه أنهم قتلوا الأنبياء بغير سـبب أصـلاً لا سـبب يدعو إلى القتل ولا غيره. فمقام التشنيع والذم هنا أكبر منه ثَمَّ وكلاهما شنيع وذميم[1].

وتعليل آخر للإسـكافي (420هـ) قريب من سـابقه أن: "الآية الأولى في سـورة البقرة خبر عن قوم عرفوا وعرفت أفعالهم ومضـت أزمنتهم وأحوالهم، فلما شـهروا شـهر فعلهم بوقوعه منهم. فجاء بالتنكير في مقام الزيادة في ذمهم... والموضع الثاني الذي نكر فيه حق هو خبر عن قوم يرون ذلك ويعتقدونه ويدينون به، ألا تراه قال تعالى: " **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** " [آل عمران: 21]. هؤلاء قوم لم يمضوا ولم ينقرضـوا، فلذلك قال: "**فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**."[2]. فاستعمال المعرف لأمر مخصـص، في حين استعمل المنكّر لما هو عام.

وأوجز الكرماني (نحو505هـ) التعليل هنا فقال: "لأن ما في البقرة إشارة إلى الحق الذي أذن الله أن تقتل النفس به وهو قوله: "ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق" فكان الأولى أن يذكر معرّفا لأنه من الله تعالى وما في آل عمران والنساء نكرة أي بغير حق في معتقدهم ودينهم فكان هذا بالتنكير..."[3].

ويعزو أبو حيان (745هـ) سـبب التعريف والتنكير إلى جانب نحوي: ففي صـيغة التنكير أخرجت الجملة مخرج الشرط، وهو عاملاً يتخصـص، فناسـب أن يكون المنفي بصيغة التنكير حتى يكون عاماً، وصيغة التعريف جاءت في صورة الخبر عن ناس معهودين... فناسب أن يأتي بصيغة التعريف، لأن الحق الذي كان يستباح به قتل الأنفس عندهم كان معروفا...[4]. والتوجيه أن صيغة النكرة تناسـب معنى العام الذي لا تخصيص فيه.

---

(1)- يراجع" ابن الزبير، **ملاك التأويل**، (1/ 40-43) وهو قريب مما ذكره الرازي، يراجع: الرازي، **مفاتيح الغيب**، (3/ 535).

(2)- الإسكافي، **درة التنزيل**، (ص 247-248).

(3)- الكرماني، **البرهان**، (ص 75).

(4)- أبو حيان، **البحر المحيط**، (3/ 76).

ثالثا: إختلاف الألفاظ في التأنيث والتذكير: من ذلك قوله سبحانه:"**وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ**" [الأنبياء:90]، وقوله: "**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ رُّوحِنَا**" [التحريم: 12].

يوجه ابن جماعة (733هـ) الاختلاف الواقع هنا بمناسبة كل ضمير للسياق الذي ذكر فيه، فلفظ التذكير عند العرب أخف من التأنيث، وفي الأنبياء لم يتكرر لفظ التأنيث كتكريره في التحريم فجاء فيها مؤنثاً. وفي التحريم تكرر لفظ التأنيث بقوله تعالى: "ومريم" و"ابنت" و"أحصنت" و"فرجها" فناسب التذكير تخفيفاً من زيادة تكرر التأنيث[1]. وهذا تناسب لفظي مستفاد من قول الإسكافي (420هـ) كما سيأتي.

يذكر الخطيب الإسكافي (420هـ) تعليلاً لهذا الاختلاف بين التأنيث والتذكير بأن آية سورة التحريم جاءت على الأصل -وهو التذكير- لعدم قصد التعجب، أما الأنبياء فالقصد هو التعجب من حالها فاختصت بالتأنيث فيقول: "لما كان القصد في سورة الأنبياء إلى الإخبار عن حال مريم وابنها، وأنهما جُعلا آية للناس، وكان النفخ فيها ممّا جعلها حاملاً، والحامل صفة للجملة، فكأنه قال: "والتي أحصنت فرجها" فصيّرها النفخُ حاملاً حتى ولدت، والعادة جارية أن لا تحمل المرأة إلاّ من فحل، ولا يولد الولد من غير أب، فلما كان القصد التعجب من حاليهما، وأنها بالنفخ صارت حاملاً ردّ الضمير إلى جملتها، إذ كان النفخ في فرجها نفخاً فيها أوجب القصد إلى وصفها بعد النفخ بصفةٍ ترجع إلى جملتها دون بعضها، كان قوله: "فنفخنا فيها" أولى من قوله: "فنفخنا فيه". وأما في التحريم فلما لم يكن القصد فيه إلى التعجّب من حالها بالحمل عن النفخ، وولادتها لا عن اقتراب فحل لم يكن ثَمّ من القصد إلى وصف جملتها بغير الصفة التي كانت عليها قبلها ما كان في الآية الأولى، فجاء اللفظ على أصله، والمعنى: نفخنا في فرجها، ولم يُسَقِ الكلامُ إلى ما سيق إليه في سورة الأنبياء من وصف حالها بعد النفخ، فاختلفا لذلك[2].

والمعنى: أنه لما كان القصد من ذكر حملها التعجب نسب النفخ إليها، وإلاّ يبقى اللفظ على أصله وهو التذكير.

(1)- ابن جماعة، **كشف المعاني** ، (ص 257).

(2)- الخطيب الاسكافي، **درة التنزيل** ، (1/ 913).

و يرى ابن الزبير (708هـ) أن القصـــد في الأولى التشـــريف الخاص فلذلك أنّث الضـــمير.يقول: "الضـــمير في الأولى عائد إلى ما أشـــير إليه بالموصـــول الذي هو التي، وهي مريم ابنة عمران... وذلك تخصيص وتكريم جليل وآية باهرة، وقد قصد هنا تشريفها وتشريف ابنها، عليه السلام... ولم يقع في آية التحريم ذكر ابنها فلما اتسع المقصود هنا بذكر من لم يذكر هناك، وقصد من التشريف ما هو أكثر، ناسبه التوسعة في عودة الضمير، فأعيد إلى الذات المطهرة بجملتها، فقيل: "فنفخنا فيها من روحنا"."[1].

أما الســامرائي فيرى أن المعنى في آية الأنبياء أعم منه في التحريم إذ هو هنا أخص لإشــارته لموضــع النفخ.وأن قوله "فيها" أمدح من "فيه" لأن النفخة عمت شخصها، والثانية خصت جزءا منها[2].

المتأمل أن الآية في الأنبياء هي موضع تشريف –ذكره ابن الزبير(708هـ)–، قد سبقها ذكر عديد من الأنبياء بأســمائهم، ولم يذكر اسـمها لأنها ليسـت نبي، فزادها تشـريفا بتكرير ذكرها عند عودة الضـمير إليها كلها –والله أعلم–.

ومنه أيضــاً قوله تعالى: **"وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ"** [النحل: 66]. وقوله: **"وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ"** [المؤمنون: 21]. والاختلاف هنا بين بطونه وبطونها. وســببه أن الكلام في آية النحل على إســقاء اللبن من بطون الأنعام. واللبن لا يخرج من جميع الأنعام بل يخرج من قســـم من الإناث. وأما في آية [المؤمنون] فالكلام على منافع الأنعام من لبن وغيره، فقـد قـال بعـد قولـه: **"نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا"** [المؤمنون: 21]، **"وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ"** [المؤمنون: 21]، وهذه المنافع تعم جميع الأنعام ذكورها وإناثها صـــغارها وكبارها. فجاء بضـــمير القِلَّة وهو ضـــمير الذكور للأنعام التي يُســـتخلص منها اللبن، وهي أقل من عموم الأنعام، وجاء بضمير الكثرة وهو ضمير الإناث لعموم الأنعام. فلما كانت الأنعام في الآية الثانية أكثر جاء بالضمير الدال على الكثرة[3].

---

(1)– ابن الزبير، **ملاك التأويل**، (2/ 352).

(2)– فاضل صالح السامرائي، **من أسرار البيان القرآني**، دار ابن كثير، ط1، 1438هـ/2017م، (ص 182-183).

(3)– يراجع: ابن الزبير، **م.س**، (1/ 301-302)، وينظر: الاسكافي، **درة التنزيل**، (1/ 851-852).

وقد حكى سـيبويه (180هـ)[1] أن من العرب من يقول: هو الأنعام، وعليه حمل آية الأنعام في تذكير الضمير[2].

ويرى الكرماني (505هـ) أن الضـمير في هذه النحل يعود إلى البعض ،وهو الإناث، لأن اللبن لا يكون للكل فصـار تقدير الآية :وإن لكم في بعض الأنعام، بخلاف ما في المؤمنين فإنه عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصـر على البعض وهو قوله: **"وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ"** "وعليها". ثم يحتمل أن يكون المراد البعض فأنث حملاً على الأنعام وما قيل من أن الأنعام هنا بمعنى النعم لأن الألف واللام تلحق الآحاد بالجمع وفي إلحاق الجمع بالآحاد حسن[3].

ويمكن أن يكون جارٍ على وفق قاعدة التعبير في العربية التي تفيد أن المؤنث يُؤتى به للدلالة على الكثرة بخلاف الذكور، وذلك في مواطن عدة كالضـمير وأسـماء الإشـارة وغيرها، وذلك نحو قوله تعالى: "وَقَالَ نِسْوَةٌ" [يوسف: 30] بتذكير الفعل "قال"، وقوله: "قَالَتِ الأعراب آمَنَّا" [لحجرات: 14] بتأنيث الفعل، فإن التذكير يدل على أن النسـوة قلة بخلاف التأنيث[4] وأشـار إلى هذا الرأي كثير من المفسـرين منهم الزمخشري (538هـ) والرازي (606هـ) وابن حيان (745هـ) والآلوسي (1317هـ)[5].

رابعـا:الاختلاف في الجمع والإفراد: مثل قوله سـبحانه: **"قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ"** [يونس: 31]، وقوله: **"قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ"** [سبأ: 24].

علّل ابن الزبير (708هـ) سر الجمع في سورة سبأ بالربط بينها وبين ما سبقها: "قل ادعوا..." التي وردت بصيغة الجمع،وأن الإفراد في يونس محصل للمعنى مع الإيجاز، فورد هنا على ما يجب...[6].

(1)- يراجع: سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (180هـ)، **الكتاب**، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ/1988م، (3/ 230).

(2)- ابن الزبير، **ملاك التأويل**، (2/ 302).

(3)- الكرماني، **البرهان**، (ص 162).

(4)- فاضل صالح السامرائي، **التعبير القرآني**، دار عمار الأردن، ط4، 1427هـ/2006م، (ص 177).

(5)- الزمخشري، **الكشاف**، (2/ 615)، الرازي، **مفاتيح الغيب**، (20/ 231)، أبو حيان، **البحر المحيط**، (6/ 554)، الآلوسي، **روح المعاني**، (7/ 414).

(6)- ابن الزبير، **م.س**، (1/ 241).

ويقول السهيلي[1] (581هـ): "قد يرد لفظ السماء عبارة عن كل ما علا من السماوات فما فوقها إلى العرش وغير ذلك من المعاني العلوية المختصة بالربوبية، فيكون اللفظة بصيغة الإفراد كالوصف المعبر به عن الموصوف، كما تقدم في الوصف قبل هذا. وقد يكون عبارة عن السماء الدنيا عرفا، أو عن السحاب الذي ينزل منه الماء، وكان المخاطبون بهذه الآية – التي في يونس – مقرين بنزول الرزق من هذه السماء – وهو الرزق المحسوس كالغيث ونحوه وقد قال في آخر الآية: "فسيقولون الله" فلما انتظم هذا الكلام بما قبله لم يصلح في النظم إلا ذكر السماء مفردة، لأنهم لا يقرون بما ينزل من فوق ذلك من الرزق المعقول والرحمة بالعباد كالوحي الذي به حياة الأرواح والأجساد، بل ينكرون ذلك، فوردت السماء فيها بلفظ الإفراد، بخلاف الآية الأخرى، فإنه لم ينتظم بها ذكر إقرارهم بما ينزل من الرزق، ولكنه قال تعالى: "قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ" فأمر نبيه بهذا القول الذي هو تصديق لنزول الرزق، والخبر هو الحكمة والعلم –وهو أفضل الرزق– من فوق سبع سماوات، وأما الرزق من الأرض فيصلح ذكره في الاثنين جميعاً، إذ لا ينكر رزق الأرض وما ينزل من الغيث من هذه السماء بر ولا فاجر، بل يعترف به المؤمن والكافر"[2].

وأشار إلى هذا المعنى ابن قيم (751هـ) في تفسيره[3] مع تقديم فيه وتأخير. السياق في كل منهما مرشد إلى الفرق؛ فإن الآيات التي في يونس، سيقت لاحتجاج عليهم بما أقروا به، من كونه تعالى هو رازقهم ومالك أسماعهم... فلما كانوا مقرين بهذا كله حسن الاحتجاج به عليهم؛ إذ فاعل هذا هو الله الذي لا إله غيره فكيف تعبدون معه غيره ولهذا قال بعده "فسيقولون الله" أي: هم يقرون به ولا يجحدونه

(1)- **السهيلي (508–581هـ/1114–1185م)**: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي: حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير. ولد في مالقة، نسبته إلى سهيل (من قرى مالقة) وعمي وعمره 17 سنة. ونبغ، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها. من كتبه (الروض الانف) في شرح السيرة النبوية لابن هشام، (التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام) و(الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين) و(نتائج الفكر)... الزركلي، **الأعلام**، (3/ 313).

(2)- السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (581هـ)، **نتائج الفكر في النَّحو**، دار الكتب العلمية–بيروت، ط1، 1412/1992م، (ص 124–125).

(3)- ابن القيم : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (751هـ)، **تفسير القرآن الكريم**، تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال–بيروت، ط1، 1410هـ، (ص 318–319).

والمخاطبون المحتج عليهم بهذه الآية إنما كانوا مقرين بنزول الرزق من قبل هذه السماء التي يشاهدونها ولم يكونوا مقرين ولا عالمين بنزول الرزق من سماء إلى سماء حتى ينتهي إليهم فأفردت لفظة السماء هنا لذلك.

وأما الآية التي في سبأ: فإنه لم ينتظم لها ذكر إقرارهم بما ينزل من السماء، ولهذا أمر رسوله بأن يجب أن يذكر عنهم أنهم هم المجيبون فقال: "قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله" ولم يقل "فسيقولون الله" أي الله وحده الذي ينزل رزقه على اختلاف أنواعه ومنافعه من السموات[1].

خامسا: الاختلاف في الذكر والحذف في الألفاظ: الحذف فن عظيم من فنون القول، ومسلك دقيق في التعبير وتأدية المعاني يقول عنه الجرجاني: "مسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[2].

"وقد أشاد البيانيون كثيراً بفن الحذف. وأفصحوا عن ملامحه الجمالية فقعَّدوا له القواعد ووضعوا الشروط وأظهروا المزايا. وكان لظاهر الحذف في القرآن الكريم أكبر عون للبلاغيين على تعرف جهاته. ورصد حالاته وكشف أسراره مقيساً عليه كل فن بليغ وأدب ممتع. والألفاظ -كما قالوا- أوعية المعاني فلا بدَّ من ملاحظتها مذكورة أو محذوفة دل عليها دليل"[3].

والذكر هو الأصل، أما الحذف-وتقابله الزيادة-[4]. خلاف الأصل، فكلما أمكن أن يكون الكلام مستقيماً دون تقدير محذوف كان ذلك أولى وكذلك إذا استقام الكلام دون جعل الكلمة زائدة هذا أصل متفق عليه[5].

(1)- الزركشي، **البرهان**، (4/ 9).

(2)- الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، (1/ 146).

(3)- المطعني، **خصائص التعبير القرآني**، (2/ 5).

(4)- وبعض العلماء يتحرج من إطلاق لفظ (الزائد) على ما في القرآن. لأن الزيادة لغو في الكلام لا يناسب فصاحة القرآن وهو ما ذكر عضيمة، يراجع: محمد عبد الخالق عضيمة (1404هـ)، **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث،-القاهرة، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (2/ 570).

(5)- محمد عبد الخالق عضيمة، **م.ن**، (2/ 570).

وكل حذف لا بدَّ فيه من شرط وسبب؛ أما الشرط فقد أجمعوا على أن الحذف لا يُصار إليه إلاّ إذا بقيت في الكلام قرينة تدل على المحذوف، فشرط جودة الأسلوب الوضوح وحسن الدلالة، والبعد عن الغموض. وهذا ضـــروري لا يُحمد إغفاله، لأن الحذف إذا لم يكن فيه ما يدل على المحذوف –ويعينه أحياناً– جار على اللفظ والمعنى[1].

ويقع الحذف في القرآن الكريم على الوجوه هي: حذف جزء جملة: يدخل فيه حذف حرف، وحذف كلمة مفردة. حذف جملة. أو حذف أكثر من جملة[2]. ولا يكون إلاّ بحسب ما يقتضيه المقام والسياق. مثله مثل الذكر[3].

يختص الحذف القرآني بسلامته من الإجحاف بالمعنى والخلل في الأسلوب، فهو يحكمه أمران: دليل قوى يعين على تصوره، أو وجود داع بلاغي دعا إليه. وهذا الداعي؛ على ما وضع فيه البلاغي ونمن بحوث قيمة وثرية؛ ما زال مورداً بِكراً في القرآن الكريم[4].

وكثيراً ما يكون هذا الداعي هو إيقاع المناسبة بين الآيات، سواء أكانت لفظية أم معنوية. وفي هذه الجزئية من البحث يتم التطرق إلى حذف الكلمات في مواضع الآيات الوحيدة أو ذكرها، وينسأ الحديث عن الحذف في أكثرها إلى المطلب اللاحق.

- **نماذجه:**

✓ **الأنموذج الأول:** قوله تعالى: **"ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ"** [الأعراف: 45]، وفيه سورة هود يقول: **"ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ"** [هود: 19][5].

---

(1)- ابن الأثير، **م.س**، (2/ 220) المطعني، **م.س**، (2/ 5).

(2)- يراجع: محمد محمد أبو موسى، **خصائص التراكيب –دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني–**، مكتبة وهبة، ط7، (د.ت.ط). (ص 154). والمطعني، م.س، (2/ 6). غير أن ابن الأثير قسّمه إلى اثنين:حذف الجمل وحذف المفردات فقط يراجع: ابن الأثير، **م.س**، (2/ 220)، ولعل المذكور أنسب لأنه أكثر تفصيلاً.

(3)- السامرائي، **من أسرار البيان القرآني**، (ص 104).

(4)- المطعني، **م.س**، (2/ 75-76).

(5)- وكذا: [يوسف: 37]. و[فصلت: 7].

فما جاء في الأعراف جاء على الأصـــل، وتقديره: وهم كافرون بالآخرة، فقدم "بالآخرة" رعاية للفواصل. وما في هود، وقع بعد قوله تعالى: "وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ" والقياس عليهم، فلما عبر عنهم بالظالمين، التبس أنهم هم الذين كذبوا على ربهم أم غيرهم، فقال:"وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ" ليُعلِم أنهم هم المذكورون لا غيرهم.وهذا توجيه الأنصاري (926هـ)[1].

ويشـــير ابن الزبير (708هـ) أن الحذف في الأعراف مناســـب لها ،لأنها مبنية على قلة التركيب اللفظي. ونظر إلى ســـياق كل آية، وبنى عليه توجيهه فقال: "أن ابتداء الإخبار في الأعراف بحال هؤلاء الملعونين في الآيتين هو قوله تعالى في الأولى: "فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ "[الأعراف:43] وابتداء الأخبار عنهم في ســـورة هود قوله تعالى: " أُوْلَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ' [هود:18] ،ففي هذا إطناب.

وتأمل ورود الظاهر في موضع المضمر من قوله "على الظالمين" ولم يقل عليهم، فناسب زيادة ضمير الفصـــل وفي آية الأعراف إيجاز ناسـبه سـقوطه. ولو لم يكن ما بين "أن" و"ألاّ" فإن ذلك مراعى فيما قصدناه فـ "أن" أوجز من "ألاّ" و"أن" هنا حرف عبارة وتفسير وهى كالواردة في قوله: "ونودوا أن تلكم الجنة" وفي قوله "وانطلق الملأ منهم أن امشوا"، وتقع بعد ما يراد به القول وليس بلفظه وتفسر بـــ "أي" وأما "ألاّ" فاستفتاح وكل من الموضعين على ما يجب ويناسب ولو فرض العكس لما ناسب"[2].

كما أن التكرار يفيد تأكيد كون الكلام موجه إلى المذكورين أنفسهم لا غيرهم. وآية الأعراف جاءت على الأصل فلم تحتج إليه، وهذا توجيه الإسكافي (420هـ) حيث يقول: "السائل أن يسأل عن إعادة هم في قوله: "وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ" في سورة هود، وترك ذلك في سورة الأعراف؟. والجواب أن يقال: إن الذي في سورة الأعراف جاء على أصله غير مزيد فيه ما يجري مجرى التوكيد، والذي في سورة هود جاء بعد قوله: "ويقول الأشـــهاد هؤلاء الذي كذبوا على ربهم" فأشـــير إليهم، ثم قال: "ألاّ لعنة الله

[1]- الأنصاري، **فتح الرحمن**، (ص 193).

[2]- ابن الزبير، **م.س**، (1/ 181-182).

على الظالمين" فأظهر ذكر الظالمين في موضع الإضمار، ولو أجرى على الحكم في إضمار الاسم عقيب الذكر لكان: ألاّ لعنة الله عليهم لأن المراد ب الظالمين هم المشار إليهم بقوله: "هؤلاء الذين كذبوا على ربهم"."[1]. ووافقه الكرماني (505هـ) في جزء منه[2]. ووافق هذا التوجيه في سورة هود رأي الزمخشري (538هـ)[3]. والرازي (606هـ)[4]. والآلوسي (1317هـ)[5]، أي: أن الذكر للتأكيد والاختصاص.

أما البقاعي (885هـ) فلم يشر إلى سر حذف الضمير في الأعراف ووجّه آية سورة هود، بان فيها إيغال ببيان عمق كذبهم باطنا وظاهراً، فقال: "ولما كان النظر شديداً إلى بيان كذبهم وتكذيبهم، بولغ في تأكيد قوله: "وهم" أي بضمائرهم وظواهرهم؛ ولما كان تكذيبهم بالآخرة شديداً، قدم قوله: "بالآخرة" وأعاد الضمير تأكيداً لتعيينهم وإثبات غاية الفساد لبواطنهم واختصاصهم بمزيد الكفر فقال: "هم كافرون" أي عريقون في هذا الوصف"[6].

أما ابن عاشور فقد وقف وقفة جميلة عند الآيتين ففي زيادة لفظ "هم" هو توكيد يفيد تقوية الحكم ، فقال: "واختصت هذه الآية على نظيرها في الأعراف بزيادة "هم" فيقوله: هم كافرون وهو توكيد يفيد تقوية الحكم لأن المقام هنا مقام تسجيل إنكارهم البعث وتقريره إشعاراً بما يترقبهم من العقاب المناسب فحكي به من كلام الأشهاد ما يناسب هذا، وما في سورة الأعراف حكاية لما قيل في شأن قوم أدخلوا النار وظهر عقابهم فلا غرض لحكاية ما فيه تأكيد من كلام الأشهاد، وكلا المقالتين واقع وإن ما يحكي البليغ في ما يحكيهما له[7].

مع أنه يكاد لم يخرج عن تعليل السابقين له، أي: مناسبة لمقام الحكاية من تأكيد واختصاص.

✓ **الأنموذج الثاني**: قوله سبحانه: **"قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ"** [الأعراف: 122]. وقوله: **"قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ"** [طه: 70]. و[الشعراء: 48].

(1)- الخطيب الإسكافي، **درة التنزيل** ، (2/ 585).

(2)- الكرماني، **البرهان**، (ص 185-186).

(3)- الزمخشري، **الكشاف**، (2/ 386).

(4)- الرازي، **مفاتيح الغيب**، (17/ 332).

(5)- الآلوسي، **روح المعاني**، (6/ 232).

(6)- البقاعي، **نظم الدرر**، (9/ 256).

(7)- ابن عاشور، **التحرير**، (12/ 34).

أشار الإسكافي (420هـ) إلى مناسبة الذكر في آية سورة الأعراف بأن فيها بعد عن ذكر فرعون بآيات كثيرة فصرح،وقرّب ذكره في غيرها فحذف، قال: "أنه لما تقدم في الأعراف قوله: "قال الملأ من قوم فرعون" فعرفت هذه الآية أنهم كانوا المتولين للجريمة من تكذي بالآية ورد ما جاء به موسى عليه السلام ولم يجر هنا ذكر لفرعون ولا فيما تلى الآية ويتلوها من المحاورة والمراجعة بين الملإ وأتباعهم إلى قوله: "رب موسى وهارون" فلما لم يقع إفصاح باسمه في هذه الجملة، مع أنه هو القائل على كل حال: "آمنتم به" إخبارا أو استفهام إنكاريا ناسب هذا أن يفصح باسمه ليرتفع الالتباس وهو امكان أن يكون القائل "آمنتم به" غير فرعون وأن بعد ذلك ولو لم يكن لبس ألبته فإن كونه لم يجر له ذكر مما يقتضى أن ذكر. ولما تقدم في سورة طه أمر موسى عليه السلام بإرساله إلى فرعون... ثم فتكرر ذكر فرعون واسمه ظاهراً ومضمراً...، فلتكرر اسمه كثيراً... وارتفاعا للبس –ألبتة- حسن إتيانه مضمراً فيقوله: "قال آمنتم له" إذ ليس الوارد هنا كالوارد في الأعراف للافتراق..."[1].

ووجه الكرماني (505هـ) الذكر في الأعراف بقوله: "لأن هذه السورة متعقبة على السورتين فصرح في الأولى وكنى في الأخريين وهو القياس قال الخطيب لأن في هذه السورة بعد عن ذكر فرعون بآيات فصرح وقرب في السورتين من ذكره فكنى"[2].

التوجيه: أن في الأعراف لم يتعقب ذكره كما غيرها حيث تكرر ذكره سابقا فأضمر[3].

سادسا: الاختلاف في تغيير الصيغة أو تغيير بنية الكلمة: يختار القرآن صيغة معينة في آية ما قد تختلف مع مثيلاتها التي قد تتشابه معها. وهذا الاختلاف قد يكون في بنية الكلمة –من حيث الاسمية والفعلية- أو بين صيغة الماضي والمضارع، أو في صيغ الاشتقاق أو غيره[4]. وهو بالتأكيد خاضع لمناسبة كل صيغة للنص الذي وردت فيه.فتبنى عليه فروق جمة في دلالة الكلام على المعنى المراد والغرض المقصود.

(1)- الإسكافي، **درة التنزيل** ، (1/ 219).

(2)- الكرماني، **البرهان**، (ص 129).

(3)- ابن الزبير، **م.س**، (1/ 219).

(4)- وقد ذكر صالح الشثري أحوال هذا الاختلاف بشيء من التفصيل ينصح بالرجوع إلى كتابه إذ سيُكتفي هنا ببعض النماذج فقط.يراجع: الشثري، **م.س**، (ص 115 وما بعدها).

يقول ابن الأثير (637هـ) عند حديثه عن الصناعة اللفظية: أمَّا اختلاف صيغ الألفاظ فهو من هذه الصناعة بمنزلة عليَّة، ومكانة شريفة، وجلُّ الألفاظ اللفظية منوطة به. فإنها إذا نُقِلَت من هيئة إلى هيئة؛ كنقلها مثلًا من وزنٍ من الأوزان إلى وزن آخر، وإن كانت اللفظة واحدة، أو كنقلها من صيغة الاسم إلى صيغة الفعل، أو من الفعل إلى صيغة الاسم، أو كنقلها من الماضي إلى المستقبل، أو من المستقبل إلى الماضي[1]. وهذه نماذج عن بعض هذا الاختلاف.

قوله سبحانه: "أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ" [الأعراف: 70] وفي غيرها: "مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ" [يوسف: 40].

يقول الكرماني (505هـ): "قوله "ما نزل الله بها من سلطان" في هذه السورة "نزل" وفي غيرها "أنزل" لأن أفعل... للتعدي وفعل للتعدي والتكثير فذكر في الموضع الأول بلفظ المبالغة ليجري مجرى ذكر الجملة والتفصيل وذكر الجنس والنوع فيكون الأول كالجنس وما سواه كالنوع"[2].

وهذا مما أشار إليه البقاعي (885هـ): "لعله أتى بصيغة التنزيل لأن التفعيل يأتي بمعنى الفعل المجدد وبمعنى الفعل بالتدريج فقصد –لأنه في سياق المجادلة وفي سورة مقصودها إنذار من أعرض عما دعا إليه هذا الكتاب النازل بالتدريج– النفي بكل اعتبار، سواء كان تجديداً أو تدريج أَو إشارة إلى أنه لو نزل عليهم في الأمر بعبادتها شيء واحد لتوقفوا فيه لعدم فهمهم لمعناه حتى يكرر عليهم الأمر فيه مرة بعد أخرى، فيعلموا أن ذلك أمر حتم لابد منه"[3].

وفي غير هذا الموضع فرق كثير من المفسرين بين أنزل ونزّل، فذهبوا إلى القول إلى أن "نزّل" يفيد التدرج والتكرار، وأن الإنزال عام... وعن الفرق في هذا الموضع بالذات يوضح فاضل السامرائي أن "نزّل" يمكن أن يكون لأكثر من معنى، قد يكون للتدرج والتكثير، أو للمبالغة والاهتمام، فما استعمل فيه هذا اللفظ يكون أهم آكد مما استعمل فيه "أنزل"، ومنه هذا الموضع في الأعراف، فبالتأمل في السياق: " قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ

(1)- يراجع: ابن الأثير، **المثل السائر**، (1/ 293) بتصرف.

(2)- الكرماني، **البرهان** ، (ص 123).

(3)- البقاعي، **نظم الدرر**، (7/ 441).

أَلصَّٰدِقِينَ ۝٦٩ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِي أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ أَللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَانتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ أَلْمُنتَظِرِينَ ۝٧٠ فَأَنجَيْنَٰهُ وَالذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ أَلذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُومِنِينَ" [الأعراف: 69-71]، فالتحدي هنا والمجادلة والمحاورة أشد من غيره من المواضع،فجاء بهذا الوزن المضاعف[1].

ومن الاختلاف في الصيغة كذلك: قوله سبحانه: "وَإِذْ قُلْنَا اَ۟دْخُلُوا۟ هَٰذِهِ أَلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا أَلْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ يُغْفَرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ أَلْمُحْسِنِينَ" [البقرة:57]، وقوله[2]: "وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اُ۟سْكُنُوا هَٰذِهِ أَلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا۟ أَلْبَابَ سُجَّداً تُغْفَرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتُكُمْ سَنَزِيدُ أَلْمُحْسِنِينَ" [الأعراف: 161]. حيث اختلفت صيغة جمع خطيئة، ففي البقرة خطاياً صيغة الجمع الكثير ومغفرتها أليق في الآية بإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه[3].

فاللفظ مناسب لسياق وروده في كل آية كما يشير الكرماني (505هـ) وتفصيله عند الإسكافي (420هـ): "...لأنها بناء موضوع للجمع الأكثر، والخطيئات جمع السلامة وهي للأقل الدليل على ذلك أنك إذا صغرت الدراهم قلت: دريهمات، فترده إلى الواحد، وتصغره ثمت جمعه على لفظ القليل الملائم للتصغير، وكذلك الخطايا، لو صغرت لقلت: خطيئات فرددتها إلى خطيئة ثم صغرتها على خطيئة ثم

(1)- فاضل صالح السامرائي، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، شركة العاتك لصناعة الكتاب-القاهرة، ط2، 1426هـ/2006م، (ص 61-62).

(2)- على قول أكثر القراء من غير أبى عمرو وابن عامر، والخلاصة في "نَغْفِرْ لَكُم خَطِيئَآتِكُم": أولاً: قرأ نافع: "تُغْفَرْ لَكُم خَطِيئَآتُكُم". ثانياً: قرأ البصري: "نَغْفِرْ لَكُم خَطَايَاكُم". ثالثاً: قرأ الشامي: "تُغْفَر لَكُم خَطِيئَتَكُم". رابعاً: ابن كثير والكوفيون: "نَغْفِر لَكُم خَطِيئَاتِكُم". يراجع: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (444هـ)، التيسير في القراءات السبع، (ص 363)، وتوجيه القراءات: قرأ "نافع، وأبو جعفر، ويعقوب" "خطيئاتكم" بالجمع ورفع التاء، على أنها نائب فاعل "لتغفر"،وقرأ «ابن عامر» «خطيئتكم» بالإفراد، ورفع التاء، على أنها نائب فاعل "لتغفر" أيضاً.وقرأ "أبو عمرو" "خطاياكم" جمع تكسير، على انها مفعول به "لنغفر"، وقرأ الباقون "خطيئاتكم" بجمع السلامة، ونصب التاء بالكسرة، على أنها مفعول به "لنغفر" ينظر: محمد سالم محيسن (1422هـ)، **القراءات وأثرها في علوم العربية**، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة، ط1، 1404هـ/1984م، (1/ 349).

(3)- الكرماني، **البرهان** ، (ص 73).

جمعتها جمع السلامة الذي هو على حد التثنية المنبئ عن العدد الأقل من الجمع، فإذا ظهر الفرق بين الخطايا والخطيئات، وكان هذا الجمع المكسر موضوعا للكثير، والمسلم موضوعا للقليل استعمل لفظا لكثير في الموضع الذي جعل الإخبار فيه نفسه بقوله: "وإذ قلنا ادخلوا..." ...إذ وعد من مغفرته الخطايا كلها، وقرن إلى الأخبار عن نفسه جل ذكره ما يليق بجوده وكرمه فأتى باللفظ الموضوع للشمول في صير كالتوكيد بالعموم لو قال: نغفر لكم خطاياكم كلها أجمع. ولما لم يسند الفعل في سورة الأعراف إلى نفسه –عز اسمه– وإنما قال:"وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية..."...أتى بلفظ "الخطيئات"..."[1].

ووافق على هذا التوجيه الرازي (606هـ) كذلك[2].

أما ابن الزبير (708هـ) فله توجيه آخر، إذ يرى في ورود جمعها في البقرة مكسراً –وهي صيغة ترد في الغالب للكثرة– لتناسب ما بُنيت عليه آياتها من تعداد النعم والآلاء. وأما الجمع بالألف والتاء فبابه القلة في الغالب أيضاً ما لم يقترن به ما يبين أن المراد به الكثرة فناسب ما ورد في الأعراف من حيث لمتُبنَ آياتها من قصد تعدد النعم على ما بنيت عليه آي البقرة فجاء كل على ما يناسب[3]. فالتوجيه عند غير ابن الزبير (708هـ) متعلق بنسبة الفعل إلى الله بالتصريح أو الإضمار أما عنده فمتعلق بتعداد النعم أو عدمه.

ومن ذلك أيضاً يدخل استعمال لفظ "مكة" و"بكة" لأم القرى[4]. كما في قوله ﷻ: **"إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ"** [آل عمران: 96-97]، استعمل اللفظ "بكة"

---

(1)- الإسكافي، **درة التنزيل**، (1/ 235-236).

(2)- الرازي، **مفاتيح الغيب**، (3/ 526).

(3)- ابن الزبير، **ملاك التأويل**، (1/ 38).

(4)- وأما مكة ففي اشتقاقها وجوه الأول: أن اشتقاقها من أنها تمك الذنوب أي تزيلها كلها، من قولك: امتك الفصيل ضرع أمه، إذا امتص ما فيه الثاني: سميت بذلك لاجتلابها الناس من كل جانب من الأرض، يقال امتك الفصيل، إذا استقصى ما في الضرع، ويقال تمككت = العظم، إذا استقصيت ما فيه الثالث: سميت مكة، لقلة مائها، كأن أرضها امتكت ماءها الرابع: قيل: إن مكة وسط الأرض، = والعيون والمياه تنبع من تحت مكة، فالأرض كلها تمك من ماء مكة، ومن الناس من فرق بين مكة وبكة، فقال بعضهم: إن بكة اسم للمسجد خاصة، وأما مكة، فهو اسم لكل البلد، قالوا: والدليل عليه أن اشتقاق بكة من الازدحام والمدافعة، وهذا إنما يحصل في

بالباء في حين قال: "**وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ**"[الفتح: 24] فاستعمل لفظ "مكة" بالميم وهو الاسم المشهور لأم القرى. وسبب إيرادها بالباء في سورة آل عمران له أوجه[1]:

✓ **أولاً**: أن الآية في سياق الحج... من لفظ "البَكِّ" الدال على الزحام وإنما سميت بكة لازدحام الناس بها يقال: بك الناس بعضهم بعضًا: إذا ازدحموا[2].

✓ **ثانياً**: ما نقل عن سعيد بن جبير (95هـ)[3] ومحمد بن علي الباقر (114هـ)[4] ومجاهد[5] وقتادة[6] أنها سميت بكة لأنهم يتباكون فيها أي يزدحمون في الطواف.

✓ **ثالثاً**: أنها سميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة لا يريدها جبار بسوء إلاّ اندقت عنقه قال قطرب: تقول العرب بككت عنقه أبكه بكاً إذا وضعت منه ورددت نخوته.

فجاء بالاسم "بكة" لأنه في الحج يبكّ الناسُ بعضهم بعضاً، أي: يزحم بعضهم بعضاً. والمعنى الثاني مناسب للسياق السابق الخاص بالحديث عن بني إسرائيل.

المسجد عند الطواف، لا في سائر المواضع، وقال الأكثرون: مكة اسم للمسجد والمطاف. وبكة اسم البلد، والدليل عليه أن قوله تعالى: للذي ببكة يدل على أن البيت حاصل في بكة ومظروف في بكة فلو كان بكة اسما للبيت لبطل كون بكة ظرفا للبيت، أما إذا جعلنا بكة اسما للبلد، استقام هذا الكلام. يراجع:تفسير الرازي: **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، (8/ 299).

(1)- ذكرها الرازي. يراجع:الرازي، **م.ن**، (8/ 299).

(2)- الفراء، **معاني القرآن**، (1/ 227).

(3)- **سَعيد بن جُبَير (45-95هـ/665-714م)**: أبو عبد اللهالأسدي، بالولاء، الكوفي، تابعيّ، كان أعلمهم على الإطلاق.وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. ثم كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيدا...الزركلي، الأعلام، (3/ 93).

(4)- **البَاقِر (57-114هـ/676-732م)**: محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي القرشي، أبو جعفر: خامس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان ناسكا عابداً، لهفي العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال. ولد بالمدينة، وتوفي بالحميمة ودفن بالمدينة...الزركلي، **الأعلام**، (6/ 270-271).

(5)- **مجاهد بن جبر (ويقال بن جبر)** سبقت ترجمته ينظر:الزركلي، **الأعلام**، (5/ 278).

(6)- **قَتَادَة بن دعامة (61-118هـ/680-737م)**: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه.قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة. وكان مع علمه بالحديث، رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. وكان يرى القدر، وقد يدلّس في الحديث. مات بواسط في الطاعون...الزركلي، **الأعلام**، (5/ 189).

أما آية الفتح، فجاء بالاسم المشهور لها: "مكة" بالميم، فوضع كل لفظ في السياق الذي يقتضيه.

ويصح أن يكون التعليل -كما أورده البقاعي (885هـ)- أنه عبّر بالميم دون الباء إشارة إلى أنه فعل ما يقتضيه مدلول هذا الاسم من الجمع والنقض والتنقية، فسبب لهم أسباب الاجتماع والتنقية من الذنوب بما أشارت إليه آية العمرة حالاً وآيات الفتح مآلاً [1].

وبعرض الاختلاف في الصيغة وتوجيهه بالمناسبة، ينتهي هذا المبحث، ليتم عرض المناسبة في الآيات المتحدة في السياق المختلفة في التركيب.

(1)- البقاعي، **الدرر**، (18/ 322-323).

المبحث الثاني: المناسبة في الآيات المتحدة في السياق المختلفة في التركيب:

المطلب الأول: توجيه المعنى عند التشابه والاختلاف في التقديم والتأخير:

المطلب الثاني: توجيه المعنى عند التشـــابه والاختلاف في الإيجاز والإطناب:

تهدف الدراسة هنا إلى بيان علاقة التأثير والتأثر بين النمط التركيبي للجمل القرآنية والمعنى، وإبراز دور المناسبة في بيان هذا الربط. إذ من الواضح أنه لا يمكن استنباط المعنى من العبارات القرآنية المركبة إلاّ بتحديد العلاقة بين الكلمات ثم فهمها.

والمراد بالنمط التركيبي هنا بناء الجملة[1]، أو مجموعة العناصر المترابطة التي تشكل كلاّ واحداً[2] والتغيير الذي يطرأ على بنيتها من تقديم وتأخير،أو حذف وزيادة، أو فصل ووصل، إيجاز وإطناب، أو القصر.

وسيقتصر البحث على بناءين فقط هما: التقديم والتأخير والإيجاز والإطناب. لتقدم بعض الباقي عند الحديث عن حروف المعاني.

المطلب الأول: توجيه المعنى عند التشابه والاختلاف في التقديم والتأخير:

"من المسلم به أن الكلام يتألف من كلمات أو أجزاء، وليس من الممكن النطق بأجزاء أي كلام دفعة واحدة. من أجل ذلك كان لابد عند النطق بالكلام من تقديم وتأخير بعضه الآخر. وليس شيء من أجزاء الكلام في حد ذاته أولى بالتقدم من الآخر، لأن جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ تشترك في درجة الاعتبار... على هذا فتقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطاً في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملاً مقصوداً يقتضيه غرض بلاغي أو داع من دواعيها"[3].

والتقديم والتأخير سمة أسلوبية لها عظيم الأثر في روعة الأسلوب وإبرازه في صورة حكيمة من الوفاء بالمعاني ومطابقتها لمقتضى الحال... كما أنه من أقدر الفنون على كشف خبايا النفوس وسبر غورها. ويطوع المعاني للاعتبارات المناسبة التي يراها البليغ حرية بالكلام.

(1)- يراجع: تمام حسان، **م.س**، (ص 56 وما بعدها).

(2)- د. منذر العياشي، **اللسانيات والدلالة**، مركز النماء الحضاري-حلب، ط1، 1996م، (ص 129).

(3)- عبد العزيز عتيق، **علم المعاني**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت-لبنان، ط1، 1430هـ/2009م، (ص 136).

وقد أولاه علماء البلاغة عناية فائقة باعتباره أحد أصـول علم المعاني الذي به تعرف أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال[1].

أولاً: المراد به وأسبابه:

"لما كانت الألفاظ قوالب المعاني وكان بعضـها أكثر دلالة على المعنى من غيره حسـن تقديم ما حقهُ التأخير من ركني الجملة؛ لأن تقديمه يرمي إلى مطابقة الكلام لمقتضـى الحال. ومن أغراضـه التخصيص. وسلب العموم. وعموم السلب، والتعجبُ الإنكاري. والتشويق إلى المتأخر"[2].

هو تقديم ما رتبته التأخير، كالمفعول، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل، نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقه، وله أسباب، منها:

أن يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى.

- أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب، فيقدم لمشاكلة الكلام ولرعاية الفاصلة.
- لعظمه والاهتمام به، وفي هذا ورد عن سـيبويه (180هـ) قوله: "كأنّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم"[3].
- أن يكون الخاطر ملتفتا إليه والهمة معقودة به.
- كما أن يكون التقديم لإرادة التبكيت والتعجب.
- الاختصاص[4].

ثانياً: أحوال التقديم والتأخير في القرآن: للتقديم أحوال أربعة[5]:

أ. ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ، وذلك هو الغاية القصوى، وإليه المرجع في فنون البلاغة، والعمدة في هذا هو الكتاب الكريم انظر قوله تعالى: "**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِـرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**" تجد

(1)- يراجع: المطعني، **م.س**، (2/ 79).

(2)- محمد علي السَّـراج، **اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصـرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل**، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر-دمشق، ط1، 1403هـ/1983م، (ص 164).

(3)- سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر (180هـ)، **الكتاب**، (1/ 34).

(4)- السامرائي، **من أسرار البيان القرآني**، (ص 133).

(5)- أحمد بن مصطفي المراغي (1371هـ)، **علوم البلاغة "البيان، المعاني، البديع"**، (ص 100-101).

أن تقديم الجار والمجرور في هذا قد أفاد التخصـــيص، وأن النظر لا يكون إلا لله، مع جودة الصـــياغة وتناسق.

ب. ما يفيد زيادة في المعنى فحسب نحو: بل الله فاعبد وكن من الشاكرين، فتقديم المفعول في هذا لتخصيصه بالعبادة دون سواه، ولو أخر لم يفد الكلام ذلك.

ج. ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير، وليس لهذا الضرب شيء من الملاحة، نحو:

وَكَانَتْ يَدي مَلْأى بِهِ ثُمَّ أَصْبَحَتْ * "بِحَمْدِ إِلَهِي" وَهِيَ مِنْهُ سَليبُ**[1]

فتقديره: ثم أصبحت وهي منه سليب بحمد الله.

د. ما يختل به المعنى ويضـــطرب، وذلك هو التعقيد اللفظي، أو المعاظلة، كتقديم الصـــفة على الموصوف، والصلة على الموصول، ونحو ذلك، كقول الفرزدق[2]:

إِلَى مَلِكٍ مَا أُمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ   أَبُوهُ وَلاَ كَانَتْ كُلَيْبٌ تُصَاهِرُهُ

إذ تقديره إلى ملك أبوه ما أمه من محارب، أي: ما أم أبيه منهم، ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى، بل يحتاج إلى تأمل ورفق حتى يفهم المراد منه.

"أي أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد لخلل واقع في انتقال الذهن -أي بســـبب بطء نفس السـامع في انتقالها- من المعنى الأول الذي هو المعنى الأصـلي الحقيقي للكلام إلى المعنى الثاني الملابس له وهو المعنى الكنائي أو المجازي[3]. ويمتنع في القرآن الضرب الثالث والرابع.

وصور التقديم فيه لا تخلو أن تكون واحدة من ثلاث:

---

(1)- البيت لإبراهيم بن المهدي (210 هـ) الأمير، أخو هارون الرشيد ،يرثي فيه ابنه:يراجع:الزركلي،**الأعلام**،(59/1)

وكذا:المبرد: محمد بن يزيد أبو العباس (المتوفى: 285هـ) ،**الكامل في اللغة والأدب**،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ط3 ، 1417 هـ - 1997 م،(20/4)

(2)- **الفَرَزْدَق (000-110هـ/000-728م)**: همَّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارميّ، أبو فراس شاعر، كان يكنى في شبابه ب أبي مكية، وهي ابنة له ، ولقب بالفرزدق، لجهامة وجهه وغلظه، من أهل البصرة، من النبلاء، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس. وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، وقد جمع بعض شعره في ديوان...، الزركلي، **الأعلام**، (8/ 93).

(3)- القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (739هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل-بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (1/ 33).

- أن يقدم والمعنى عليه.
- أن يقدم وهو في المعنى مؤخر.
- ما قدم في آية وأخرى في أخرى[1].

ويمكن تقسيم أحوال التقديم والتأخير إلى قسمين:

✓ **الأول**: تقديم اللفظ على عامله نحو: "خالداً أعطيتُ" و: "بمحمدٍ اقتديتُ".

✓ **الثاني**: تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل وذلك نحو قوله تعالى: **"وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ"** [البقرة: 172]، وقوله: **"وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ"** [المائدة: 4].

ومن هذا الباب تقديم المفعول به على فعله، وتقديم الحال على فعله، وتقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما، وتقديم الخبر على المبتدأ ونحو ذلك. وهذا التقديم في الغالب يفيد الاختصاص[2]، ومثل هذا التقديم في القرآن كثير.

فمن ذلك[3] قوله تعالى: **"إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"** [الفاتحة: 4-5] فقد قام المفعول به "إياك" على فعل العبادة، وعلى فعل الاستعانة دون فعل الهداية فلم يقل: "إيانا اهد" كما قال في الأولين؛ وسبب ذلك أن العبادة والاستعانة مختصتان بالله تعالى، فلا يُعبَدُ أحدٌ غيره ولا يستعان به. وليس ذلك في طلب الهداية.

وهذا نظير قوله تعالى: **"بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ"** [الزمر: 63] وقوله: **"وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ"** [البقرة: 171] فقدم المفعول به على فعل العبادة في الموضعين، وذلك لأن العبادة مختصة بالله تعالى.

ومثل التقديم على فعل الاستعانة قوله تعالى: **"وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ"** [إبراهيم: 15] ، وقوله: **"عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا"** [الأعراف: 88] ، وقوله: **"عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ"** [هود:

(1)- ينظر: الزركشي، **م.س**، (3/ 233-234)، السيوطي، **الإتقان**، (3/ 83 وما بعدها).

(2)- ابن الأثير: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين (637هـ)، **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور**، تح: مصطفي جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 109).

(3)- يراجع: ابن الأثير، **م.ن**، (ص 109 وما بعدها).

88] فقدم الجار والمجرور للدلالة على الاختصـــاص، وذلك لأن التوكل لا يكون إلاّ على الله وحده، والإنابة ليست إلاّ إليه وحده.

وقد يكون التقديم من هذا النوع لغرض آخر كالمدح والثناء والتعظيم والتحقير وغير ذلك من الأغراض، إلاّ أن الأكثر فيه أن يفيد الاختصاص(1).

ومن التقديم الذي لا يفيد الاختصاص قوله تعالى: **"وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ"** [الأنعام: 85]، فهذا ليس من باب التخصيص؛ إذ ليس معناه أننا ما هدينا إلاّ نوحاً وإنما هو من باب المدح والثناء.

ونحو قوله تعالى: **"فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ"** [الضحى: 9-10]، إذ ليس المقصود به جوازُ قهرٍ غير اليتيم ونهر غير السائل، وإنما هو باب التوجيه فإن اليتيم ضعيف وكذلك السائل وهما مظنّة القهر، فقدمهما للاهتمام بشأنهما والتوجيه إلى عدم استضعافهما(2).

يقول الطاهر بن عاشور: "وقد بين في علم المعاني كثير من المناسبات الداعية إلى التقديم والتأخير في أجزاء الجملة... ويجب أن يعلم السبب في تقديم ما حقه التأخير وعكسه من جمل الكلام، وقد تتبعت ذلك حسب الجهد فرأيت أن ملاك ذلك إما استبقاء الذهن لما هو أولى بالإيحاء، وتهيئة السمع لما هو أجدر بالإصغاء، وإما الاستراحة من غرض خفيف يقدم، ليفضي إلى غرض مهم يؤخر، وإما لأن أحد الغرضين إن كان حقه التقديم أو عكسه لكنه كان من المعاني المتولدة أو المستطردة، واتصل بغيره مما قدم أو أخر اتصالاً يمنع من التفرقة بينها وبينه؛ لأنها إنفرقت تشتت الذهن في استيعابها، وتحير في جمعها وترتيبها(3).

إن تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول، يجمعها قولهم: إن التقديم إنما يكون للعناية والاهتمام. فما كانت به عنايتك أكبر قَدَّمتَهُ في الكلام، ولمعرفة سر التقديم لا يمكن الاكتفاء بالقول أنه للعناية فقط بل لا بد من توضيـــح الســـبب الجوهري في ذلك ، يقول

---

(1)- يراجع: السامرائي، **التعبير القرآني**، (ص 49 وما بعدها).

(2)- المؤيد باللَّه: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحســيني العلويّ الطالبي (745هـ)، **الطراز لأســرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، المكتبة العنصرية-بيروت، ط1، 1423هـ، (2/ 37 وما بعدها).

(3)- ابن عاشور، **أصول الإنشاء والخطابة**، (ص 81-82).

الجرجاني (471هـ): "وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: "إنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم"، م نغير أن يذكر، من أين كانت تلك العناية؟ وبما كان أهم؟ ولتخيلهم ذلك، قد صـــغر أمر "التقديم والتأخير" في نفوســـهم، وهونوا الخطب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضـــرباً من التكلف. ولم تر ظنا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه"[1].

لقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن –وفي غيره كذلك– الذروة في وضـــع الكلمات الوضـــعَ الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب. ولم يكتف القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي ودرت فيه بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله. فترى التعبير متســـقاً متناســـقاً مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة مكتملة متكاملة[2].

ويرتبط التقديم والتأخير في علم المناسـبة بالسـياق، فالقرآن الكريم دقيق في وضـع الألفاظ ورصـفها بجنب بعض دقة عجيبة، فقد تكون له خطوط عامة فيه... وقد تكون هناك مواطن تقتضـــي تقديم هذه اللفظة أو تلك، كل ذلك مراعى فيه سياق الكلام والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة .

ثالثاً: نماذج عن توجيه المعنى بالمناسبة في التقديم والتأخير:

قولـه تعـالى: **"رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"** [البقرة: 128]. وفي غيرها مثل: **"لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"** [آل عمران: 124]. وفي [الجمعة: 2]. قدم تعليم الكتاب في الأولى وأخر في الثانية.

انفرد ابن الزبير الغرناطي (708هـ) –من بين مفســـري المتشـــابه اللفظي– في تأويل ذلك وبيّن أن الدعوة في البقرة كانت قبل وجود الضلال في ذرية إبراهيم عليه السلام، وفي الآية دعاء سابق لهذه الذرية،

---

(1)- الجرجاني، **م.س**، (ص 108).

(2)- السامرائي، **التعبير القرآني**، (ص 53 وما بعدها).

فناسب ذكر التعليم أولاً لأنه السبب في حصول الزكية. أما في غيرها فقصد بهما الامتنان عليهم بالهداية، وإجابة الدعوة، فأخر ذكر تعليم الكتاب ليتناسب مع ذكر الضلال الذي أنقذهم منه.

يقول ابن الزبير (708هـ): "أنه لما كانت دعوة إبراهيم عليه السلام قبل وجود الضلال في الذرية المدعو لها وانما تحصل لهم من تزكيتهم ورفع ضلالهم المتوقع وقوعه بما يمنحونه من التعليم وما يتلى عليهم من الآيات... انما كانت تزكية لهم بانقيادهم للطاعة في ما يطالبهم به... فتأخر ذكر التزكية المسببة عما به تحصل وذلك بعد هدايتهم للإيمان فجاء على الترتيب من بناء المسبب على سببه. ولما كان مقصود "الأخرى" إنما هو ذكر الامتنان عليهم بهدايتهم بعد الضلال الذي كان قد وجد منهم والتعريف بإجابة دعوة إبراهيم عليه السلام أخر ذكر تعليمهم الكتاب والحكمة المزيلين لضلالهم ليكون تلوه ذكر الضلال الذي أنقذهم الله منه بما علمهم وأعطاهم وأمتن عليهم... وأخر ذكر السبب ليوصل بمسببه الأكيد هنا الذي كان قد وقعوه ورفع ضلالهم من عظيم محنته ولو أخر ذكر التزكية لما أحرز هذا المعنى المقصود هنا..."[1].

وهذا غير بعيد عن ما ذكره البقاعي (885هـ) فقال: "لما كان ظاهر دعوته عليه السلام أن البعث في الأمة المسلمة كانوا إلى تعليم ما؛ ذكر أحوج منهم إلى التزكية فإن أصلها موجود بالإسلام فأخر قوله: "ويزكيهم"... ولما ذكر سبحانه في سورة الجمعة بعثه في الأميين عامة اقتضى المقام تقديم التزكية التي رأسها البراءة من الشرك الأكبر ليقبلوا ما جاءهم من العلم. وأما تقديمها في آل عمران مع ذكر البعث للمؤمنين فلاقتضاء الحال بالمعاتبة على الإقبال على الغنائم الذي كان سبب الهزيمة لكونها إقبالاً على الدنيا التي هي أم الأدناس"[2].

قوله عز وجل: "﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾"[المائدة: 42] هذه السورة وحدها فيها "يعذب من يشاء ويغفر" لأنها نزلت بعدها في حق السارق والسارقة وعذابهما يقع في الدنيا، فقدم لفظ العذاب وفي غيره الأقدم لفظ المغفرة رحمة منه تعالى وترغيبا للعباد في المسارعة إلى موجبات المغفرة..."[3].

---

(1)- ابن الزبير، م.س، (1/ 51).

(2)- البقاعي، **م.س**، (2/ 161-162).

(3)- الكرماني، **البرهان** ، (ص 87-88). وابن جماعة، **كشف المعاني** ، (ص 123).

وهذا التوجيه ذكره ابن الزبير (708هـ) بشيء من التفصيل[1]، وأشار إليه الزركشي (794هـ) أيضاً ولكن بلفظ الرحمة حيث قال: "...حيث ذكر الرحمة والعذاب أن يبدأ بذكر الرحمة... وعلى هذا جاء قول النبي ﷺ حكاية عن الله تعالى: **"إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي"**[2]، وقد خرج عن هذه القاعدة مواضع اقتضت الحكمة فيها تقديم ذكر العذاب ترهيباً وزجراً منها: "هذه السورة" لأنها وردت في ذكر قطاع الطريق والمحاربين والسراق فكان المناسب تقديم ذكر العذاب لهذا ختم آية السرقة بـ "عزيز حكيم" وفيه الحكاية المشهورة وختمها بالقدرة مبالغة في الترهيب لأن من توعده قادر على إنفاذ الوعيد'[3].

قوله سبحانه: **"قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا"** [العنكبوت: 52]. وقوله عزّ وجل: **"قُلْ كَفَىٰ بِالله شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ"** [الرعد: 54]، و[الإسراء: 96].

اتفق كل من الكرماني (505هـ) وابن جماعة (733م) والأنصاري (926هـ) على معنى توجيه واحد في الآية، حيث جاء في الرعد والإسراء على الأصل -من تقديم المفعول "شهيداً"- وفي العنكبوت أخره -على خلاف الأصل- لأن بعده: **"يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ"** فناسب تأخيره لتتبع الصفة موصوفه ولا يحول بينهما حائل[4].

وأما الرازي (606هـ) فله توجيه أكثر عمقاً وذلك بتأمل السياق العام للآيات؛ إذ ربط كل نوع من الشهادة بأهلها، وأن بعضها ألزم من بعض، ففي سورة الرعد أخر شهادة أهل الكتاب، وفي هذه العنكبوت قدمها والكلام هناك -في الأولى- مع المشركين، فاستدل عليهم بشهادة غيرهم، ثم إن شهادة الله أقوى في إلزامهم من شهادة غير الله، وفي العنكبوت الكلام مع أهل الكتاب، وشهادة المرء على نفسه هو إقراره وهو أقوى الحجج عليه فقدم ما هو ألزم عليهم[5].

---

(1)- ابن الزبير، **م.س**، (1/ 74).

(2)- الحديث أخرجه البخاري والنسائي وعند البخاري برقم: 7422 وبرقم: 7453 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ وتمامه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **"لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي"**. ينظر: البخاري **الجامع المسند الصحيح** ،(9/ 135).

(3)- الزركشي، **م.س**، (4/ 63-64).

(4)- يراجع:الكرماني، **البرهان** ، (ص 167)، ابن جماعة، **كشف المعاني** ، (ص 236). الأنصاري، **فتح الرحمن** ، (ص 334).

(5)- الرازي، **م.س**، (25/ 66).

وإن كان الرازي (606هـ) قد أشار إلى مناسبة الآية لما سبقها من قريب، فإن البقاعي (885هـ)، نظر إلى سورة العنكبوت نظرة كلية بتحديد مقصدها، وأنها تُعنى بذكر الناس، وتفصيل أحوالهم، ابتدأ بقوله: "بيني وبينكم" قبل قوله: "شهيداً" بخلاف الرعد، إذ وصف الشهيد أو علّل كفايته بقوله: "يعلم ما في السماوات"[1].

ففي هذه النماذج وغيرها كثير، تتوضح أهمية المناسبة كمسلك من مسالك التوجيه والتأويل لهذه الآيات التي انفردت في بعض ألفاظها.

المطلب الثاني: توجيه المعنى عند التشابه والاختلاف في الإيجاز والإطناب:

يُحتاج إلى الإيجاز والإطناب في جميع الكلام، كلٌ في موضعه الذي يناسبه، يقول العسكري (395هـ) في الصناعتين: "الحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه؛ فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ"[2].

وقال صاحب الكشاف: "كما يجب على البليغ في مظانّ الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع أني فصل ويشبع. أنشد الجاحظ (255هـ):

يُوحُونَ بالخُطَبِ الطِّوَالِ وتَارَةً وَحْيَ المُلَاحِظِ خِيفةَ الرُّقَباءِ"[3].

وذكر السيوطي (911هـ) في معترك الأقران في الوجه السادس والعشرون من وجوه إعجاز القرآن: إيجازه في آية وإطنابه في أخرى، وقال: "وهما من أعظم أنواع البلاغة"[4].

ومن هنا يلزم التعريف بهما معاً، وذكر بعض ما يتعلق بهما، ثم الحديث عن التوجيه بالمناسبة في الآيات التي جاءت بصيغتهما.

أولاً: مفهوم الإيجاز والإطناب:

(1)- البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (14/ 461).

(2)- العسكري، **الصناعتين**، (ص 190).

(3)- الزمخشري، **م.س**، (1/ 78-79).

(4)- السيوطي، **معترك الأقران**، (1/ 222).

الإيجاز في اللغة: من وجز الكلام وجازة ووجزاً وأوجز: قل في بلاغة. وأوجزه: اختصره والكلام وجيز أي قصير[1].

وفي الاصـــطلاح: تعددت العبارات في تعريفه، وأوفاها: عرض المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل من المتعارف عليه في أوساط الناس، في أداء المعاني الأصلية مع الإبانة والإفصاح أو مع الوفاء بالمعنى[2].

وعدّه البعض حداً للبلاغة حيث قيل: "البلاغة: الإيجاز من غير عجز، والإطناب في غير خطل"[3].

ونقل العســكري (395هـ) قولاً لعربي قال: "ما رأيت بليغاً قط إلاّ له في القول إيجاز وفي المعاني إطالة"[4].

وقسّم البلاغيون الإيجاز إلى قسمين: إيجاز قصر وإيجاز حذف[5].

- **أما الضـرب الأول**: إيجاز القصـر: فهو أداء المعنى المراد بلفظ ناقص عن متعارف الأوساط في أداء المعاني الأصلية شـريطة أن يكون اللفظ وافياً من غير حذف[6]. وله أمثلة كثيرة في القرآن منها: قوله تعالى: "**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**" [البقرة: 178]. "إنه قد دلّ

(1)- ابن منظور، **م.س**، (5/ 427) مادة (وجز).

(2)- يراجع: السكاكي، **مفتاح العلوم**، (ص 277)، القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، (3/ 169 وما بعدها).المؤيد بالله العلوي، **الطراز**، (3/ 176).

(3)- ابن سنان الخفاجي: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الحلبي (466هـ)، **سر الفصاحة**، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1402هـ/1982م، (ص 59). و البيت الشعري نقله بهاء الدين العاملي عن ابن المقفع يراجع:بهاء الدين العاملي: محمد بن حسين بن عبد الصـمد الحارثي الهمذاني، (1031هـ)، **الكشـكول**، تح: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، (2/ 313).

(4)- العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (نحو 395هـــ)، **ديوان المعاني**، دار الجيل-بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (2/ 91). والقول منسوب عند غير العسـكري لعمر بن الخطاب وكذا علي بن أبي طالب رضـي الله عنهما، وابن المعتز.

(5)- يراجع: القزويني، **م.س**، (ص 180-183). و: عصـام الدين بن عربشـاه: إبراهيم بن محمد الحنفي (943هـ)، **الأطول شـرح تلخيص مفتاح العلوم**، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (1/ 66 وما بعدها).

(6)- القزويني، **م.س**، (ص 180)، المؤيد بالله العلوي، **الطراز** ، (3/ 176).

على معناه بأوجز عبارة وأخصـــرها. وقد فاق على ما أثر عن العرب في معناه من قولهم: "القتل أنفى للقتل" من أوجه[1]:

- ✓ من جهة إيجازه، فإن حروفه عشرة، وما قالوه أربعة عشر حرفاً.
- ✓ ومن جهة سلامته عن التكرار.
- ✓ ومن جهة تصريحه بالمقصود، وهو لفظ الحياة.
- ✓ ومن جهة بلاغة معناه، فإن تنكير الحياة أعظم جزالة، وأبلغ فخامة.

وغير ذلك من الأوجه التي تميز بها عن غيره.

– **أما الضـــرب الثاني**: إيجاز الحذف[2]: فالمحذوف إما جملة أو جزءاً من جملة أو أكثر من جملة. وإما حذف للموصوف.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: **"وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ"** [يوسف: 82] أي أهلها وقوله: **"حُرِّمَتْ عَلَيْكُ ٱلْمَيْتَةُ"** [المائدة: 4][3] أي تناولها، وهذا حذف للمضاف.

وذكر الرماني (384هـ) في "النكت" أوجها ثلاثة للإيجاز هي: "الإيجاز بسلوك الطريق الأقرب دون الأبعد، وإيجاز باعتماد الغرض دون ما تشـــعب، وإيجاز بإظهار الفائدة بما يســـتحســـن دون ما يستقبل..."[4].

هذا في بيان مفهوم الإيجاز.

أما الإطناب: ففي اللغة مصـــدر أطنب في الكلام: بالغ فيه. وهو المبالغة في مدح أو ذم والإكثار فيه[5].

---

(1)- العلوي، **الطراز** ، (3/ 176).

(2)- يراجع: العلوي، **م.ن**، (3/ 176-177)، والقزويني، **م.س**، (3/ 184 وما بعدها).

(3)- وغيرها من السور.

(4)- الرماني، **من ثلاث رسائل في الإعجاز**، (ص 79).

(5)- ابن منظور، **م.س**، (1/ 561).

وفي اصطلاح البلاغيين: أداء المعاني بعبارة زائدة عما يتعارفه أوساط الناس بالتعبير عنه عند أدائهم أصل هذا المعنى شرط أن يكون المتعارف لأوساط الناس لفائدة[1].

هذا الشرط يخرج التطويل والحشو لأن الزيادة فيهما لغير فائدة، وكذلك قالوا: الإطناب بلاغة والتطويل عيب، وقالوا أيضاً: إنما يكون لتفضيل المعنى وما يتعلق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل فإن لكل واحد من الإيجاز والإطناب موضع أولى به من الآخر لأن الحاجة إليه أشد والاهتمام به أعظم[2].

وفرّق البلاغيون بين التطويل المعيب ،الذي يدل على عجز، والإطناب الممدوح الذي يدل على التمكّن والمقدرة البيانية، وحسن المعرفة بسياسة الألفاظ والمعاني ،يقول أبو الحسن الرماني (384هـ) في النكت: **"**فأما التطويل فعيب وعي، لأنه تكلف فيه الكثير في ما يكفي منه القليل فكان كالسالك طريقاً بعيداً جهلاً منه بالطريق القريب. وأما الإطناب فليس كذلك لأنه كمن سلك طريقًا بعيداً لما فيه من النزهة الكثيرة والفوائد العظيمة، فيحمل في الطريق إلى غرضه من الفائدة على نحو ما يحصل له بالغرض المطلوب**"**[3].

الغاية من الإطناب: تثبيت المعنى المراد ،وتمكينه ،والتوكيد إلى آخر هذه المعاني.

ومن المقامات التي يستحسن إليها الإطناب :الوعظ والتفصيل في البيان وغيرها.

وقد تتبع البلاغيون الإطناب في الموروث الأدبي فحصروا له أبواباً ووضعوا له مصطلحات وذكروا له أغراضاً بلاغية لتكون نماذج لتتبع ومعرفة أسرار الكلام[4].

والحاجة إلى الإيجاز والإطناب كل في موضعه أكيدة –كما سبق– ويترتب على تجاوز ذلك الخطأ والعيّ.

وهناك مرتبة أخرى بينهما هي المساواة[5]؛ وهذه لن تخص بالدراسة ها هنا لأن الغرض إدراك أسرار كل من الإيجاز والإطناب وكيف يحسن كل واحد في موضعه في القرآن.

---

(1)– السكاكي، **م.س**، (ص 277).

(2)– السكاكي، **م.ن**، (ص 277).

(3)– الرماني، **النكت في إعجاز القرآن الكريم**، (ص 79).

(4)– يراجع القزويني مثلاً لإدراكها، **م.س**، (3/ 196 وما بعدها). وعصام الدين بن عرب شاه، **م.س**، (1/ 69 وما بعدها).

(5)– مع اختلاف البلاغيين فيها.

يمكن تبيين التناسب البلاغي المتحصل من الربط بين الآيات القرآنية المتتابعة في السورة المتشابهة في الآيات عند علماء المناســـبة، من خلال إبرازهم للفائدة الدلالية من الحذف في الجمل أو الذكر، وذلك بالنظر في السياق القبلي للآية موضع البحث.

ثانياً: نماذج عن توجيه المعنى بالمناسبة في الإيجاز والإطناب:

لقد نال هذا الباب اهتمام البلغاء والمفســـرين قديماً وحديثاً، وقلّ ما تجد كتاباً يعرض إعجاز القرآن لا يتحدث عن الإيجاز[1] والإطناب -أو الذكر والحذف بصورة عامة-.

وقد وقع الاختيار[2] -مثلما ســـبق وذكر- على الآيات الوحيدة أو الفريدة علّ ذلك يكون شـــافياً - فالقرآن لا تنقضي عجائبه-.

- **الأنموذج الأول**: قوله تعالى: **"فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا"** [الزمر: 38]، وقوله: **"فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ"** [يونس: 108]،[الإســـراء: 15]. [النمل: 94]، بزيادة يهتدي.

وجّه الأنصـــاري [3] (926هـ) الاختلاف هنا :بأن المحذوف في ســـورة الزمر: **"فَإِنَّمَا يَهْتَدِى"** سبقت الإشارة إليه في آية سابقة في الزمر وهي قوله سبحانه: **"وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ"** [الزمر: 35]. فاكتفي به، أما غيرها فلم يسبق ذكره فجاءت بالتفصيل. وهذا من الإيجاز بالحذف.

---

(1)-والجدير بالذكر هنا أن الدكتور عبد الله دراز يرى رأيا انفرد به بين سلف الأمة وخلفها، فقد أثبت بكل جدارة أن من سمات الإعجاز في النظم القرآني بأنه كله "إيجاز" لا إطناب فيه ولا مساواة؛ كما يقول جمهور البلاغيين والنقاد والأدباء واللغويين.وفي تقرير هذه الحقيقة "الجديدة" يقول:" القرآن إيجاز كله، سواء مواضع إجماله ومواضع تفصيله...(فهو) يستثمر دائمًا برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني. أجل؛ تلك ظاهرة بارزة فيه كله؛ يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز، ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب. ولذلك نسميه إيجازًا كله؛ لأننا نراه في كلام المقامين لا يجوز سبيل القصد، ولا يميل إلى الإسراف ميلًا ما، ونرى أن مراميه في كلام المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر والحلى بأقل من ألفاظه ولا بما يساويها " ، وقد ساق نماذج كثيرة على توضيح هذا الرأي.يراجع:عبد الله دراز، النبأ العظيم ،(ص8)و(ص162-163)

(2)- ومن الصعوبة بمكان اختيار النماذج المناسبة لهذه الجزئية من البحث، لكثرتها وغياب الضابط في انتقائها سوى ما ذكر.

(3)- يراجع: الأنصاري، **فتح الرحمن** ، (ص 496)، ولم يشر لابن جماعة ولا الكرماني، أو الإسكافي وابن الزبير إلى سر الاختلاف هنا.

وبين ابن عاشور سراً آخر من غير الذي ذكر الأنصاري (926هـ) فقال: "ولكن جيء في تينك الآيتين بصيغة قصر الاهتداء على نفس المهتدي وترك ذلك في هذه السورة، ووجه ذلك أن تين كالآيتين واردتان بالأمر بمخاطبة المشركين فكان المقام فيهما مناسباً لإفادة أن فائدة اهتدائهم لا تعود إلاّ لأنفسهم، أي ليست لي منفعة من اهتدائهم، خلافاً لهذه الآية فإنها خطاب موجه من الله إلى رسوله ﷺ ليس فيها حال من ينزل منزلة المدلب اهتدائه"[1].

فقد ميز بينهما بالنظر إلى اختلاف جهة الخطاب في كل آية، وأن الذكر ورد لتأكيد أمر تلك الهداية، فناسب كل مقال ما ذكر فيه.

- **الأنموذج الثاني**: قوله عز وجل: **"وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ"** [الشورى: 12]. وقوله: **"وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ"** [فصلت: 44].

يرى الكرماني (505هـ) أن آية الشورى خصت بهذه الزيادة لأنه ذكر البداية في أولها: **"وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ"** وهو مبدأ كفرهم فحسن ذكر النهاية التي أمهلوا إليها ليكون محدودا من الطرفين[2].

وهذا التوجيه نفسه الذي ذكره الأنصاري (926هـ) حيث يرى أن ما قاله في الشورى بزيادة: "إلى أجل مسمى" لموافقته ثم مبدأ كفر الذين تفرقوا في الدين، وهو مجيء العلم بالتوحيد فيقوله "وما تفرقوا" الآية، مناسب ذكره للنهاية التي انتهوا إليها، ليكون محدوداً من الطرفين، بخلاف فصلت[3].

ولعله مأخوذ مما ذكره الإسكافي (420هـ) الذي فصل في أمره حيث قال: "أما اختصاص ما في سورة حم عسق -أي الشورى- بذكر النهاية في قوله: "إلى أجل مسمى" فلأن قبله: **"وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ"** فأخبر بمبتدأ كفرهم وهو إنكارهم بعد مجيء العلم، أي: القرآن والآيات التي أوقعت العلم بصحة ما جاء به النبي ﷺ فلما قال: **"إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ"** ومن لابتداء

---

(1)- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (24/ 22).

(2)- الكرماني، **البرهان**، (ص 222).

(3)- الأنصاري، **فتح الرحمن** ، (ص 506-507).

الغاية، وكان ذلك ابتداء كفرهم، ذكرت النهاية التي أمهلوا إليها ليكون ابتداء عقابهم، فيكون الحد مذكوراً مع الحد، ولأنه جرى ذلك محدوداً من الطرفين، قال بعده: "ولولا كلمة" أي: لولا قوله: إني أفصل في الآخرة لأفصل في الدنيا..."[1].

وصاحب ملاك التأويل يرى أن الزيادة في الشورى مرتبطة بالسياق القبلي للسورة حيث تقدم ذكر تلك الغاية والأجل في قوله: "**وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ**" [الشورى: 5]، فهذا هو الوقت الموعود والأجل المسمى. فلما تقدم ذكره وقعت الإحالة عليه في قوله: "أجل مسمى"، "وأما" آية فصلت فلم يتقدم "فيها" ذكر هذه الغاية على الوفاء به وبما فيه... فقد وضح ورود كل من الآيتين على ما يناسب، ولا يناسب عكس الوارد[2].

- **الأنموذج الثالث**: قوله تعالى: "**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**" [البقرة: 172]، وقوله: "**قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**" [الأنعام: 146]، وقوله: "**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**" [النحل: 115].

فآية البقرة هي الوحيدة التي ذكر فيها: "**فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ**" بعد قوله: "**فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ**" وسر هذا الإطناب تعرض إليه عديد المفسرين، فالكرماني (505هـ) رأى أن ما قاله في البقرة صريحاً، اكتفي في غيره بالتضمين بـــ: "**غَفُورٌ رَّحِيمٌ**" لأن هذه الفاصلة تحمل معنى أنه لا إثم عليه[3]، وهذا حسب ترتيب المصحف لا النزول، وهو ما بينه الأنصاري (926هـ) فقال: "ذكره هنا، وتركه في المواضع الثلاثة المذكورة آنفاً اقتصاراُ، كما هو الأنسب بالآخر"[4].

---

(1)- الإسكافي، **درة التنزيل**، (1/ 1151-1152).

(2)- ابن الزبير، **ملاك التأويل**، (2/ 435).

(3)- الكرماني، **البرهان** ، (ص 81).

(4)- الأنصاري، **فتح الرحمن** ، (ص 50).

أما ابن الزبير (708هـ) فقد أشار إلى أن هذا الإطناب مناسب لسورة البقرة، فهي مبنية عليه في كثير من الآيات، ووافقه الأنصاري (926هـ) عليه.

ويستفيض ابن الزبير (708هـ) في بيان خصيصة هذا الموضع من سورة البقرة إذ ورد فيها تعريف الناس بما أبيح لهم، وما يقصد إيجابه وندبيته أو إباحته، ومعقبا لهم بالأمر بالشكر الجليل تلك النعمة وعظيم التوسعة فيها... ومن تأكيد هذا المحرم بدلالة قوية لا ظن فيها فلما تحصل بهذه المقاصد الجليلة ما ليس في شيء من تلك المواضع؛ ناسبه ما جرى فيهمن هذا الإطناب الجليل ثم أعقب هذا الكلام بقوله **"فلا إثم عليه"** ليناسب ما ذكر. ووقع الاكتفاء في غيرها بما فيها كل ذلك على ما يناسب.وجرى الكلام كله من أول القصة إلى آخرها على أسلوب من البلاغة ملحوظ في آخره وأوله[1].

وهذا الموضع عند الرازي (606هـ) من المواضع المشكلة، فكيف يليق الجمع بين والغفران والرحمة من الله؟ فالظاهر أن الغفران إنما يكون عند حصول الإثم. وذكر تعليله من وجوه:

✓ **أحدها**: أن المقتضي للحرمة قائم في الميتة والدم، إلاّ أنه زالت الحرمة لقيام المعارض، فلما كانت ناوله تناولاً لما حصل فيه المقتضي للحرمة عبر عنه بالمغفرة، ثم وصف نفسه تعالى بأنه رحيم لإباحته ذلك في حال الضرورة.

✓ **وثانيها**: لعل المضطر يزيد على تناول الحاجة، فهو سبحانه غفور بأن يغفر ذنبه في تناول الزيادة، رحيم حيث أباح في تناول قدر الحاجة.

✓ **وثالثها**: أنه تعالى لما بيّن هذه الأحكام عقبها بكونه غفوراً للعصاة إذا تابوا؛ رحيماً بالمطيعين المستمرين على نهج حكمه سبحانه وتعالى[2].

ولعل التوجيه الأول له هو الأدق والأنسب في هذا الموضع.

زيادة على ذلك؛ فسورة البقرة هي السورة الوحيدة التي تكرر فيها ذكر قوله: **"فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ"** في أربعة مواضع -منها هذا الموضع- والعجيب أنه لم يذكر في سواها من السور.

---

(1)- يراجع: ابن الزبير، **ملاك التأويل**، (1/ 58).

(2)- الرازي، **م.س**، (5/ 193-194).

وخلاصـــة هذا كله أن ســـر الإيجاز أو الإطناب لا يُعرف إلاّ من خلال قرينة قوية تحتاج إلى عميق تأمل ألاّ وهي الســـياق. ويتفاوت العلماء في إدراكها كلها أو بعضـــها. ولعلها مما يفتح له به على من اصطفي من عباده.

المبحث الثالث: المناسبة عند التكرار:

المطلب الأول: التعريف بأسلوب التكرير:

المطلب الثاني: أقسام التكرار وفِرق العلماء فيه:

المطلب الثالث: خصائص التكرار في القرآن الكريم ووظائفه:

المطلب الرابع: إعتلاق التكرير في القرآن بالمناسبة

لم يتحرج الباحثون في الأسلوب القرآني من ذكر مصطلح التكرير والترديد فيه، ابتداءً من الجاحظ (255هـ) فالباقلاني (403هـ) فالزمخشري (538هـ)، فالزركشي (794هـ) والسيوطي (911هـ) - إضافة إلى غيرهم قديماً وحديثاً- وإن كان البعض[1] ينفي وجوده أحياناً؛ خشية أن ينسب للقرآن ما ليس فيه.

ولا مناص من الاعتراف أن القرآن الكريم استخدم أفضل وأجمل الأساليب البليغ، التي أخذت العقول، وأسرت الألباب، وجذبت إليها الأنظار والأفهام، ومن تلك الأساليب اللغوية والأدبية: هذا الأسلوب.

وبيّن ابن الأثير (637هـ) الفرق بين الإطناب والتطويل والتكرير، فأما الأول: فهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، وأما التطويل: هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة؛ وهذا ممتنع الوجود في القرآن؛ أما التكرير: دلالة اللفظ على المعنى مردداً، فمنه ما يأتي لفائدة، ومنه ما يأتي لغيره فائدة. فأما الذي يأتي لفائدة فإنه جزء من الإطناب وهو أخص منه[2].

أسلوب التكرار -إذاً- ضَرْب من ضروب الإطناب، ولكنه يمتاز في القرآن بمزايا خاصة، وقد لبِّس على بعض ضِعاف النفوس أو لبس على بعض الملاحدة الذين يكيدون لدين الإسلام الطعنَ في كتاب الله -عز وجل- عن طريق هذه الخاصية في كتاب الله، فقالوا: إن هناك تكرارًا لا فائدةَ فيه في بعض آيات القرآن الكريم -تعالى الله سبحانه وتعالى وكلامُه عما يقولون علوًّا كبيرًا- ولذلك تحتّم إفراده بالبحث المستقل.

المطلب الأول: التعريف بأسلوب التكرير:

التكرير أو: التَكرار في اللغة أصله من الكر: بمعنى الرجوع. ويأتي بمعنى الإعادة والعطف، فكرّر الشيء وكرّره أي: أعاده مرة بعد أخرى. ويقال كرّرت عليه الحديث وكرّرته إذا رددته عليه، والكر

(1)- يراجع: د. شلتاغ عبود، **أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم**، دار المحجة البيضاء-بيروت-لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، (ص 17 وما بعدها)؛ حيث ذكر بعض من ينكره ورد عليه.

(2)- ابن الأثير، **المثل السائر**، (2/ 281).

الرجوع...[1]. فلفظة التكرار ومشتقاتها تدور في اللغة حول معنى الرجوع إلى الشيء مره أخرى، أو الإتيان به مرة بعد مرة عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى[2].

وفي الاصطلاح: قال ابن الأثير (637هـ) عنه: "واعلم أن هذا النوع من مقاتل علم البيان، وهو دقيق المأخذ"[3]. ثم حده بقوله: "هو: دلالة اللفظ على المعنى مرددا"[4].

وهو عند ابن أبي الإصبع(654 هـ): "أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد"[5].

وعرفه ابن معصـــوم المدني (1119هـ)[6] بقوله: "تكرير كلمة فأكثر باللفظ والمعنى لنكتة، ونكته كثيرة"[7]. أو أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء، أكان اللفظ متفقاً لمعنى أم مختلفاً، أو أن يأتي بمعنى ثم يعيده[8].

وهو فن قولي من الأساليب المعروفة عند العرب، بلهو من محاسن الفصاحة[9] ولم يخالفه التعبير في التنزيل، بل هو ظاهرة شائعة فيه، ولاسيما في السور المكية، وقد عرفه العرب منذ القدم، وحفل به شعرهم ونثرهم من زمن بعيد، فإن الشـــاعر أو الكاتب ليعمد أحياناً إلى تكرار اللفظة مرات عديدة إذا ما وجدت في نفسه هوىً. وورود التكرار في القرآن الكريم، أنه خاطب العرب بما يألفون من أساليب الخطاب.

(1)- يراجع: ابن منظور، **م.س**، (5/ 135 وبعدها)، مادة (كرر).

(2)- يراجع: الخليل، **م.س**، (5/ 277) والجرجاني، **التعريفات**، (ص 65).

(3)- ابن الأثير، **المثل السائر**، (3/ 3).

(4)- ابن الأثير، **م.ن**، (3/ 3).

(5)- ابن أبي الإصبع : عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (654هـ)، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تح: الدكتور حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية-الجمهورية العربية المتحدة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (ص 375).

(6)- **ابن مَعْصُوم (1052-1119هـ/1642-1707م)**: علي بن أحمد بن محمد مَعْصُوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد: عالم بالأدب والشعر والتراجم. شيرازي الأصل. ولد بمكة، وأقام مدة بالهند، وتوفي بشيراز. من كتبه (سلافة العصر في محاسن أعيان العصر) و(تخميس البردة) و(الطراز) في اللغة، وله (ديوان شعر) وفي شعره رقة. الزركلي، **الأعلام**، (4/ 258-259).

(7)- ابن معصوم المدني، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، (5/ 345).

(8)- المطعني، **م.س**، (ص 234).

(9)- وهو ما يصرح به السيوطي: يراجع: السيوطي، **الإتقان**، (3/ 224).

يقول الجاحظ (255هـ): "إن الناس لو استغنوا عن التكرير، وكفوا مئونة البحث والتنقير لقل اعتبارهم. ومن قل اعتباره قل علمه، ومن قل علمه قل فضله، ومن قل فضله كثر نقصه، ومن قل علمه وفضله وكثر نقصه لم يحمد على خير أتاه، ولم يذم على شر جناه، ولم يجد طعم العز، ولا سرور الظفر، ولا روح الرجاء، ولا برد اليقين، ولا راحة الأمن..."[1].

وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل[2].

المطلب الثاني: أقسام التكرار وفِرق العلماء فيه:

يقسم العلماء[3] التكرير إلى ضربين: تكرير في اللفظ والمعنى. وتكرير في اللفظ دون المعنى.

فالأول ينقسم إلى قسمين: مفيد، وغير مفيد، وعندما يقول علماء البلاغة: مفيد، فإنما لا يعنون به الإفادة عند النحويين من وجود المسند والمسند إليه، أو أن الكلام يحسن السكوت عليه، وإنما يريدون بالمفيد من التكرير أن يأتي في الكلام؛ تأكيدًا له وتشييدًا من أمره، وإنما يُفعل ذلك؛ للدلالة على العناية بالشيء الذي كررتَ فيه كلامك؛ إما مبالغةً في مدحه أو في ذمه أو غير ذلك. أي: إنه يفيد الغرض الذي تتحدث فيه. وغير المفيد الذي يأتي في الكلام عيًّا وخَطَلًا من غير حاجة إليه، وهذا لا سبيلَ لتواجده في كتاب الله –سبحانه وتعالى.

والثاني: ينقسم المفيد منه إلى فرعين: الأول: هو أن يكون التكرير في اللفظ والمعنى دالًّا على معنى واحدٍ، وأن يكون المقصود به غرضين مختلفين.

وانقسم البحث –قديماً وحديثاً– إزاء قضية التكرار في القرآن الكريم على أقوال أربعة[4]:

(1)– الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان (255هـ)، **رسائل الجاحظ**، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي–القاهرة، (د.ر.ط)، 1384هـ/1964م، (3/ 236).

(2)– ابن رشيق: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (463هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1401هـ/1981م، (2/ 73-74).

(3)– يراجع: ابن الأثير، **المثل السائر**، (3/ 3 وما بعدها).

(4)– يراجع: أ.د. عبد الشافى أحمد على الشيخ، **ظاهرة التكرار في القرآن الكريم**، جامعة الأزهر،كلية الدراسات الإسلامية والعربية– القاهرة، جامعة الملك فيصل،كلية الآداب، (د.ت.ط)، (ص 24 وما بعدها).

– **الأول**: وهم الكثرة الكثيرة من المتدربين والمتفحصين ، الذين عدوه بلاغة وإعجازا وبرهنوا عليه ببراهين من كلام العرب شعرا ونثرا، ومن هؤلاء القرطبي (671هـ) فى تفسيره الذي يرى أن القرآن نزل بلسان العرب، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التأكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز. وقبله الإمام البغوي (510هـ) الذي يرى كذلك أن التكرار شائع في كلام العرب، وأن القرآن لم يخرج عن عادتهم في الكلام فيه. ومنهم الكرماني (505هـ) صاحب كتاب أسرار التكرار.

– **الثاني**: وهو رأي جماعة من العلماء لم ينكروا وجود هذه الظاهرة في القرآن الكريم، ولكنهم رفضوا أن يطلقوا عليها لفظ "تكرار" وأطلقوا عليها مصطلحات مثل: التنوع، أو التكامل، ودافعهم تنزيه القرآن عما اعتقدوه نقصاً في الكلام، وهذا وإن كان عذراً مقبولاً إلاّ أنه كان رد فعل لما تقوله المستشرقون على كتاب الله، فرأوا أن ينزهوا القرآن عن هذا اللفظ.

– **الثالث**: وهم جماعة من العلماء رفضوا الاعتراف به في القرآن الكريم، واجتهدوا في تخريج كل ما جاء في القرآن الكريم مما يوهم التكرار، ومنهم الزمخشرى (538هـ) الذي أبدع في هذا المجال متأثراً بالقاضي عبد الجبار[1] (415هـ)، وشيخه أبي على الجبائي[2] (303هـ)، وفنّد كل ما يقال عنه تكريرا في القرآن في مواضع عديدة من تفسيره –سيأتي ذكر شيء منها–.

– **الرابع**: ممن بات يقدح في التكرار خاصة في القرآن الكريم، وعدّه نقيصة ومطعنة فيه، والعجيب المجمع عليه أن هؤلاء الناشطين لهذه الشبهة لم يصلوا بحال من الأحوال إلى درجة فصاحة ولا بلاغة الذين سكتوا عنه قديماً.

والحق أن القرآن لم يخرج عن أساليب العرب في كلامها ، وهي كانت تعتمده في أشعارها وخطبها و... لأسباب محددة ، قد يحسن بعضه وقد يخالف خط البلاغة والفصاحة البعض الآخر، ولكن لا

(1)- **القاضِي عبد الجبار (000–415هـ/000–1025م)**: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي: قاض، أصولي كان شيخ المعتزلة في عصره. وهم يلقبونه قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره.ولي القضاء بالري، ومات فيها. له تصانيف كثيرة، منها: (تنزيه القرآن عن المطاعن) و(الأمالي) و(شرح الأصول الخمسة)... نقلاً عن: الزركلي، **الأعلام**، (3/ 273).

(2)- **الجُبَّائي (235–303هـ/849–916م)**: محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي: من أئمة المعتزلة. ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبة الطائفة (الجبائية). له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. نسبته إلى جبى (من قرى البصرة) اشتهر في البصرة، ودفن بجبى. له (تفسير) حافل مطول، ردّ عليه الأشعري. نقلا عن: الزركلي، **الأعلام**، (6/ 256).

يوجد في القرآن إلا الأجود منه ، تحقيقا لمقصـــدين:مناســـبته للمعنى وجودة الســـبك و روعة الإيقاع الساحر.

المطلب الثالث: خصائص التكرار في القرآن الكريم ووظائفه:

التكرار في القرآن يحسن في كل مواضعه، قال ابن الأثير (637هـ): "اعلم انه ليس في القرآن مكرر لفائدة في تكريره، فإن رأيت شيئا منه تكرر من حيث الظاهر فأمعن نظرك فيه، فانظر إلى سوابقه ولواحقه لتنكشــف لك الفائدة منه"[1]. لأن المعنى المقصــود لا يتم، إلاّ به. بل التكرار في القرآنهو ذروة البلاغة يقول الدهلوي: ""..المطالب التي تكررت جاءت كل مرة بعبارة طرية جديدة وأسلوب جديد حتى يكون له وقع أكثر في النفوس وأمتع للأذهان والعقول، فلو كان التكرار مع اتحاد الألفاظ والعبارات لكان شيئاً من حقه أن يكرر ويردد فحســب، ولكنه مع اختلاف التعابير وتنوع الأســاليب مدعاة للتفكير وخوض العقل واستجماع الخاطر"[2].

ومن أبدع من وصفه بديع الزمان النورسي[3] (1379هـ) حيث وضع مقابلة عجيبة بين القرآن وسائر الكلام حيث قال: "إن قلت: أن في القرآن الموجز المعجز أشياء مكررة تكراراً كثيراً في الظاهر...مع أن التكرار يُمِلُّ وينافي البلاغة .قيل لك: "مَا كُلُّ مَا يَتَلأْلأُ يُحْرِقُ" فإن التكرار قد يُمِلُّ، لا مطلقاً. بلقد يُستحسن وقد يُسأم. فكمَا أن في غذاء الإنسان ما هو قُوت كل ما تكرر حلا وكان آنسا، وما هو تفكّه إن تكرر مُلَّ وإن تجدد أُستُلِذّ، كذلك في الكلام ما هو حقيقة وقوت وقوّة للأفكار وغذاء للأرواح كلما استعيد أُستحسن واستأنس بمألوفه كضياء الشمس. وفيه ما هو من قبيل الزينة والتفكه، لذتُه في تجدّد

---

(1)- ابن الأثير، **المثل السائر**، (3/ 8).

(2)- الدهلوي، **الفوز الكبير**، (ص 160).

(3)- **بديع الزمان ســعيد النورســي (1294-1877م/1379هـ-1960م)**: ولد في قرية (نورس) الواقعة شــرقي الأناضــول في تركيا،في فترة "الخلافة العثمانية" ونشأ في بيئة كردية،وهو من أحد أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في عصره، حاول بدءاً خدمة الإســلام بالدخول في عالم الســياســة. وبعدها انتقل للقيام بمشــروعٍ ســماه "إنقاذ الإيمان وخدمة القرآن" بتبيان حقائقه القرآن وأبرزها التوحيد والنبوة والحشــر".ترك موســوعة علمية، جمعت في ثمانية مجلدات ضــخام ، هي : الكلمات - المكتوبات - اللمعات - الشــعاعات - إشــارات الإعجاز في مظان الإيجاز - المثنوي العربي النوري - الملاحق - صــيقل الإســلام ، وقد ترجمت إلى عدة لغات...يراجع: د. مانع بن حماد الجهني، **الموســوعة الميســرة في الأديان والأحزاب المعاصــرة**، دار الندوة العالمية-الرياض، ط4 ،1420هـ، (ص 324-326).

صــورتِه وتلوّن لباســه. إذا عرفته ذا فاعلم! أنه كما ان القرآن بمجموعه قوتٌ وقوّة للقلوب لا يُمَلُّ على التكرار بل يُســتحلى على الإكثار منه، كذلك في القرآن ما هو روح لذلك القوت كل ما تكرر تلألأ، وفارت أشعة الحق والحقيقة من أطرافه..."[1].

وعلى ذلك يحمل كل تكرار في القرآن، ويقع على وجوه[2]:

- ✓ مرة يكون المكرر أداة تؤدي وظيفة في الجملة بعد أن تستوفي ركنيها الأساسيين.
- ✓ تتكرر كلمة مع أختها حيث تفيد معنى لا يمكن الحصول عليه بدونها.
- ✓ فاصلة تكرر في سورة واحدة على نمط واحد.
- ✓ تكرار آية بعينها.
- ✓ قصة تتكرر في مواضع متعددة مع اختلاف في طرق الصياغة والأسلوب.
- ✓ بعض الأوامر والنواهي والإرشادات والنصح مما يقرر حكماً شرعياً، في رغب في خير أو ينفّر من شر.

وله فوائد عديدة[3] منها:

- ✓ التقرير، وقد قيل: إن الكلام إذا تكرر تقرر، وقد نبه تعالى على السبب الذي لأجله كرر القصص والإنـذار بقولـه: **"وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا"** [طه: 110].
- ✓ التأكيد.
- ✓ زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة، ليكمل تلقّي الكلام بالقبول.
- ✓ إذا طال الكلام وخُشي تناسي الأول أعيد ثانياً تطرية له وتجديداً.
- ✓ التعظيم والتهويل.
- ✓ التعجب.
- ✓ أن يكون من قبيل الوعيد والتهديد.

(1)- النورسي، **إشارات الإعجاز**، (1/ 39).

(2)- يراجع: المطعني، **م.س**، (1/ 321).

(3)- يراجع: الزركشي، **م.س**، (3/ 11 وما بعدها)، وكذا عند السيوطي، **الإتقان**، (3/ 224 وما بعدها)، و: **معترك الأقران**، (1/ 258 وما بعدها).

✓ لتعدد المتعلق.وغيرها.

المطلب الرابع: إعتلاق التكرير في القرآن بالمناسبة:

هذه الجزئية تختص ببعض التوجيهات التي ذكرها المفسرون، ليربطوا بين كل مكرور وسابقه أو لاحقه، وذلك تأكيداً للقول بأن التكرير في القرآن لا يأتي إلاّ لغاية. وقد سبق بيان أهمية المناسبة في دفع موهم التكرير[1]. بل البحث في وجه المناسبة تلك تأكيد من البعض على أنه لا يوجد تكرار في القرآن، كما صرح به الكرماني (505هـ) في كثير من التوجيهات التي ذكرها، وعبر عنه الاسكافي (420هـ) قبله في الدرة بقوله: "إذا أعيد الكلام لأسباب مختلفة لم يسم تكراراً"[2]. وتبعهم الزمخشري (538هـ).

واجتهد بعض الباحثين[3] في استقراء القواعد المعينة على توجيه المتشابه اللفظي في القرآن؛ فيما يتعلق بظاهرة التكرير فيه؛ وفي جملتها تعليل بالمناسبة.

- قاعدة: التكرار لتعدد المتعلق.
- قاعدة:لم يقع في كتاب الله تكرار بين متجاورين.
- قاعدة: لا يُخالَف بين الألفاظ إلا لاختلاف المعاني.
- قاعدة: العرب تكرر الشيء في الاستفهام؛ استبعادًا له.
- قاعدة: التكرير يدل على الاعتناء.
- قاعدة: النكرة إذا تكررت دلت على التعدد، بخلاف المعرفة.
- قاعدة: إذا اتحد الشرط، والجزاء لفظًا دل على الفخامة.

ومن هذه المسالك "أو القواعد": التكرار لطول الفصل، لتعدد المتعلق، للاستقلال، لمراعاة الاختلاف، تعدادا للنعم، لتكرير المعنى:

(1)- تراجع: ص 129 من هذا البحث.

(2)- الاسكافي، **درة التنزيل**، (1/ 415).

(3)- ينظر: د. خالد بن عثمان السبت، **مختصر في قواعد التفسير**، دار ابن القيم، دار ابن عفان، ط1، 1426هـ/2005م، (ص 25).

أولاً: التكرار لطول الفصل: "فإذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانياً تطرية له وتجديداً لعهده"[1].

- **المثال الأول**: قوله تعالى: "**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**" [النحل:110].

وقوله تعالى: "**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**" [النحل/119] .

والواضح من النظر في الآيتين تكرار "إن" فيهما. وهذا الظاهر يقتضي الاكتفاء بـ "إنَّ" الأولى. ولم يطلب إلاّ خبرها. يرى الكرماني (505هـ) ومعه الأنصاري (926هـ) أن مناسبة التكرير هنا طول الكلام الفاصل بين "أن" وخبرها، فلما طال بصلته أعاد "إن" واسمها[2].

وعند ابن عاشور هو من قبيل التوكيد وفصل أمره في مواضع عدة ،منها في تفسيره سورة التوبة، قال: "وأعيدت "أن" في الجواب لتوكيد أن المذكورة قبل الشرط توكيداً لفظياً، فإنها لما دخلت على ضمير الشأن وكانت جملة الشرط وجوابه تفسيرا لضمير الشأن، كان حكم أن ساريا في الجملتين بحيث لو لم تذكر في الجواب لعلم أن فيه معناها، فلما ذكرت كان ذكرها توكيدا لها، ولا ضير في الفصل بين التأكيد والمؤكد بجملة الشرط، والفصل بين فاء الجواب ومدخولها بحرف، إذ لا مانع من ذلك[3].

(1)- يراجع: الزركشي، **م.س**، (3/ 14). السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (3/ 225). وقد ذكر الزركشي أمثلة عديدة عنه مثل: قوله تعالى: "**إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**" [النحل: 119]. وقوله: "**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا**" [البقرة: 88]. ثم قال: "**فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ**" [البقرة: 88]، فهذا تكرار للأول ألاّ ترى أن لما لا تجيء بالفاء!. ومثله: "**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ**" [آل عمران: 188]. ثم قال: "**فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ**" [آل عمران: 188]. وقوله: "**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ**" [البقرة: 251]. ثم قال: "**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا**" [البقرة: 251]. ومنه قوله: "**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**" [يوسف: 4]، وغيرها...يراجع: الزركشي، **البرهان**، (3/ 14).

(2)- يراجع: الكرماني، **البرهان**، (ص 162-163). والأنصاري، **فتح الرحمن** ، (ص 316).

(3)- ابن عاشور، **م.س**، (10/ 247).

وفي الموضع المذكور قال: " -إن ربك من بعدها- تأكيد لفظي لقوله: "ثم إن ربك" لزيادة الاهتمام بالخبر على الاهتمام الحاصل بحرف التوكيد ولام الابتداء. ويتصل خبر إن باسمها لبعد ما بينهما[1]. فالسبب في التكرار هنا هو طول الفصل بين "إن" الأولى وخبرها. وهذا أمر يُشعِر بتنافيه مع الغرض المسوقة من أجله "إن" وهو التوكيد. لهذا اقتضت البلاغة إعادتها لتُلحظ النسبة بين الركنين على ما حقها أن تكون عليه من التوكيد.وهذا فيه زيادة اهتمام بالخبر. على أن هناك وظيفة أخرى هي: لو أن قارئاً تلا هاتين الآيتين دون أن يكرر فيهما "إن" ثم تلاهما بتكرارها مرة أخرى لظهر التناسق والقوة عند التكرير"[2].

- **المثال الثاني**: في قوله سبحانه: **"إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ"** [يوسف: 4]. قال الكرماني (505هـ) في: "غرائب التفسير وعجائب التأويل": "تكرار، لأن الأول وقع على الذات، والثاني وقع على الحال، وقيل: لما طال الكلام أعاد"[3].

أما الزمخشري (538هـ) فلا يرى أن في الآية تكرير لأن كل لفظ متعلق بغيره: "فإن قلت: ما معنى تكرار رأيت قلت: ليس بتكرار، إنما هو كلام مستأنف، على تقدير سؤال وقع جواباً له، كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله إِنّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً كيف رأيتها سائلاً عن حال رؤيتها؟ فقال رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ"[4].

- **المثال الثالث**: في قوله سبحانه وتعالى: **"كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ"** [الرعد: 19].

---

(1)- ابن عاشور، **م.ن**، (14/ 314).

(2)- المطعني، **م.س**، (1/ 323).

(3)- الكرماني: محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين (نحو 505هـ)، **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، دار القبلة للثقافة الإسلامية-جدة، مؤسسة علوم القرآن-بيروت، (د.ر.ط)، (د.ت.ط)، (1/ 527).

(4)- الزمخشري، **م.س**، (2/ 443-444).

يقول الكرماني (505هـ): "لما حيل بينهما بقوله: "فأما الزبد" الآية، أعاد فقال: كذلك يضرب الله الأمثال"[1].

وهناك من يرى أن الجملة الثانية متعلقة بالآية اللاحقة، يقول ابن عاشور عن قوله تعالى: "**لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ**" [الرعد: 20]: "استئناف بياني لجملة كذلك يضرب الله الأمثال، أي فائدة هذه الأمثال أن للذين استجابوا لربهم حين يضربها لهم الحسنى إلى آخره"[2].

ثانياً: التناسب لتعدد المتعلق وتكرر وقوع المعنى: والمراد بأن يكون المكرر ثانياً مرتبطاً بغير ما تعلق به الأول ويسمى بالترديد[3]. كقوله: "**ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ**" [النور: 35]، وقع فيها الترديد عدة مرات.

وجُعل من هذا القبيل قوله: "**فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**" [الرحمن: 16 وغيرها]، فإنها وإن تكررت نيفا وثلاثين مرة فكل واحدة تتعلق بما قبلها، ولذلك زادت على ثلاثة ولو كان الجميع عائداً إلى شيء واحد لما زاد على ثلاثة لأن التأكيد لا يزيد عليها[4].

وأشار الزمخشري (538هـ) إلى مواضع الترديد في القرآن ووجهها توجيهاً واحداً فقال: "ما فائدة تكرير قوله: "**فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**" [القمر: 39-40]؟ قلت: فائدته أن يجدّدوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأوّلين أدّكاراً واتعاظاً، وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات، ويقعقع لهم الشنتارات، لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير... عند كل نعمة عدّها في سورة الرحمن.... وفي سورة والمرسلات، وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة القلوب، مصورة للأذهان، مذكورة غير منسية في كل أوان"[5].

---

(1)- الكرماني، **غرائب التفسير**، (1/ 567)، **وأسرار التكرار**، (ص 152).

(2)- ابن عاشور، **م.س**، (13/ 122).

(3)- الزركشي، **م.س**، (3/ 18)، والسيوطي، **الإتقان**، (3/ 226).

(4)- السيوطي، **الإتقان**، (3/ 226)، والزركشي، **م.س**، (3/ 18).

5-الزمخشري،**م.س**،(439/4)

فالمعنى في مواضع الترديد تكرر ولذلك أعاد ذكر المردد وهذا ما ذكره الباقلاني (403هـ) في الترديد في سورة المرسلات: وهو قوله عز وجل: "**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**" [المرسلات: 15 وغيرها]. قال: "ذكر فيها، تعالى أمراً بعد أمر من خلقهم وأهل الكفر والطغيان من عباده خلفهم بسلفهم ثم قال عقب كل شيء يذكره من ذلك فويل يومئذ للمكذبين بهذا الشيء الأول، الذي ذكرته، ثم ويل يومئذ للمكذبين بالشـيء الثاني الذي ذكرته، فالويل الثاني غير الويل الأول وربما كان لغير ملأن له الويل الأول كأن المكذب بالويل الأول مما ذكره غير المكذب الثاني"[1].

ثالثاً: المناسبة في التكرار للاستقلال: يرى الآلوسي (1317هـ) أن التكرير لا يستحسن في الكلام، إلا إذا ورد المعنى في المكرر مستقلاً عن الثاني، يقول: "المستحسن كل تكرير يقع على طريق التعظيم أو التحقير فيجمل متواليات كل جملة منها مستقلة بنفسها"[2].

وأكد على هذا المعنى الباقلاني (403هـ) قبله حيث يرى أن التكرير لا يحسن إلاّ إذا مستقلاً في المعنى حيث قال في الانتصار: "...فقد يجوز ويحسن أن يكون في هذه المواقف إذا تغايرت واختلفت أسبابه وخطبه وقيامه في الناسب بعض ما كان ذكره في غير ذلك الموقف، وإنما يستثقل ويستغث التكرار إذا كان في موقف واحد، وسبب واحد"[3].

ففي قوله: "**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٥﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٦﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**" [البقرة: 105-107]، فإنه قد تكرر اسم الله ظاهراً في هذه الجمل الثلاث ولم يضمر لدلالته على استقلال كل جملة منها. وأنه المتحصل مرتبطة ببعضها ارتباط ما يحتاج فيه إلى إضمار[4].

1- الباقلاني، **الانتصار للقرآن**، (2/ 802)

2-الآلوسي،**روح المعاني**،(60/2)

3-الباقلاني، **الانتصار**،(2/ 802)

(4)- الزركشي، **م.س**، (2/ 483).

ومثاله: قوله سبحانه: "وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلاَّ تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ" [الرحمن: 5-7].

يوجه الكرماني (505هـ) التكرير هنا أن في إعادة لفظة "الميزان" ثلاث مرات بتصريح دون إضمار، دلالة على أن كل موضع قائم بنفسه، غير محتاج إلى الأول. وقيل: أن الأول ميزان الدنيا، والثاني ميزان الآخرة، والثالث ميزان العقل. وقيل:تراخت الآيات في النزول فاقتضى الإظهار[1].

والتوجيه الثاني الذي ذكره الكرماني (505هـ)، هو ما ذهب إليه الإسكافي (420هـ)، بعد أن رد القول بافتراقها في النزول يقول: "أعيد ذكر "الميزان" لتكون كل آية مستقلة بنفسها غير مفتقرة إلى غيرها، إذ الإضمار يضمّن الثاني الأولَ فلا يقوم الثاني بنفسه، ولا الثالث لو أضمر فيها ذكر ما في الأول"[2].

أما ابن الزبير (708هـ) فيرى أن التكرار للاعتناء؛ وهي عادة العرب في كلامها؛ يقول: "وكرر لفظ الميزان جرياً على عادة العرب في ما لها به اعتناء وتهمم"[3].

وينكر القاضي عبد الجبار (415هـ) أن يكون في الآية تكراراً حيث يقول: "وربما قيل في قوله تعالى: "وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ.أَلاَّ تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ" أن ذلك تكراراً لا معنى له. وجوابنا أن وضع الميزان المراد به ما تستقيم به المعاملات من الموازين وقوله تعالى:" أَلاَّ تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ"المراد به كيفية استعماله في المعاملات فأحد الأمرين مخالف للآخر"[4].

رابعاً: مراعاة الاختلاف في المعنى ووجه المناسبة فيه: أي اختلاف المراد من اللفظ المكرر أو من الجملة، وهو قريب من الأول غير أن التباين في المعنى فيه واضح. وهذا التباين هو الذي يؤكد على أن التكرار يشير إلى مناسبة كل لفظ لسياق وروده.

(1)- يراجع: الكرماني، **أسرار التكرار**، (ص 231)، **وغرائب التفسير**، (2/ 1168).

(2)- الاسكافي، **درة التنزيل**، (1/ 1231).

(3)- ابن الزبير، **ملاك التأويل**، (2/ 461).

(4)- القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي (415هـ)، **تنزيه القرآن عن المطاعن**، تح: د.أحمد عبد الرحيم السايح، المستشار: توفيق علي وهبة، مكتبة النافذة-الجيزة-مصر، ط1، 2006م، (ص 418).

ومن نماذجه قوله تعالى: "فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ" [البقرة:197]. فائدة التكرير هنا التنبيه على إرادة الذكر، وزيادة فائدة أخرى في الثاني وهي: "كما هداكم" بمعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته -وهذا معنى جميل-، أو أنه قد يكون المراد بالأول الذكر باللفظ، وبالثاني إلى الذكر بالقلب(1).

وكذاك قوله: "فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ" ثم قال: "فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا" ثم قال: "وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ" فإن المراد بكل واحد من هذه الأذكار غير المراد بالآخر:

فالأول: الذكر في مزدلفة عند الوقوف بقزح وهو جبل وقوله: "وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ" إشارة إلى تكرره ثانياً وثالثاً: ويحتمل أن يراد به طواف الإفاضة بدليل تعقيبه بقوله: "فَإِذَا قَضَيْتُم" والذكر الثالث: إشارة إلى رمي جمرة العقبة والذكر الأخير لرمي أيام التشريق(2).

يقول الزركشي (794هـ) عن هذا الموضع؛ وعن موضع آخر هو قوله: "يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ" [آل عمران: 42]. أنه: "يحتمل أن يكون "اصطفاءين" و"ذكرين" وهو الأقرب في الذكر لأنه محل طلب فيه تكرار الذكر"(3).

وقد فصل الرازي (606هـ) في مفاتيح الغيب أحوال التكرير في أوجه تسعة(4):

- **الأول**: أن أسماء الله تعالى توقيفية لا قياسية فقوله أولاً: "فاذكروا الله" أمر بالذكر، وقوله ثانياً: "واذكروه كما هداكم" أمر لنا بأن نذكره سبحانه بالأسماء والصفات التي بينها لنا وأمرنا أن نذكره بها، لا بالأسماء التي نذكرها بحسب الرأي والقياس، وكأنه انتقل من العام إلى الأخص منه.

(1)- الأنصاري، **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن**، (ص 56).

(2)- السيوطي، **الإتقان**، (3/ 228-229).

(3)- الزركشي، **البرهان**، (3/ 13).

(4)- يراجع: الرازي، **مفاتيح الغيب**، (5/ 329).

– **الوجه الثاني**: أنه تعالى أمر بالذكر أولاً، ثم قال ثانياً واذكروه كما هداكم أي وافعلوا ما أمرناكم به من الذكر كما هداكم الله لدين الإسلام، فكأنه تعالى قال: إنما أمرتكم بهذا الذكر لتكونوا شاكرين لتلك النعمة.

– **وثالثها**: "الأول" أمر بالذكر باللسان "والثاني" أمر بالذكر بالقلب، وتقريره أن الذكر في كلام العرب ضربان أحدهما: ذكر هو ضد النسيان والثاني: الذكر بالقول... فإن بهما يحصل تمام العبودية.

– **ورابعها**: يعني اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته.

– **وخامسها**: يحتمل أن يكون المراد من الذكر مواصلة الذكر، كأنه قيل لهم: اذكروا الله واذكروه أي اذكروه ذكراً بعد ذكر،كما هداكم هداية بعد هداية.

– **وسادسها**: أنه تعالى أمر بالذكر عند المشعر الحرام، وذلك إشارة إلى القيام بوظائف الشريعة، ثم قال بعده: واذكروه كما هداكم والمعنى أن توقيف الذكر على المشعر الحرام فيه إقامة لوظائف الشريعة... ويذكره لأنه هو الذي يستحق لهذا الذكر ولأن هذا الذكر يعطيك نسبة شريفة إليه بكونك في هذه الحالة تكون في مقام العروج ذاكراً له ومشتغلاً بالثناء عليه، وإنما بدأ بالأول وثنى بالثاني لأن العبد في هذه الحالة يكون في مقام العروج فيصعد من الأدنى إلى الأعلى وهذا مقام شريف.

– **وسابعها**: أن يكون المراد بالأول هو ذكر أسماء الله تعالى وصفاته الحسنى، والمراد بالذكر الثاني: الاشتغال بشكر نعمائه، والشكر مشتمل أيضاً على الذكر، فصح أن يسمي الشكر ذكراً، والدليل على أن الذكر الثاني هو الشكر أنه علقه بالهداية، فقال: كما هداكم.والذكر المرتب على النعمة ليس إلاّ الشكر.

– **وثامنها**: أنه تعالى لما قال فاذكروا الله عند المشعر الحرام؛ جاز أن يظن أن الذكر مختص بهذه البقعة وبهذه العبادة، يعني الحج؛ فأزال الله تعالى هذه الشبهة "بالأمر بالذكر" على كل حال، وفي كل مكان، لأن هذا الذكر إنما وجب شكراً على هدايته، فلما كانت نعمة الهداية متواصلة غير منقطعة، فكذلك الشكر يجب أن يكون مستمراً غير منقطع.

– **وتاسعها**: أن قوله: فاذكروا الله عند المشعر الحرام المراد منه الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هناك، ثم قوله: واذكروه كما هداكم والمراد منه التهليل والتسبيح.

وهذه الوجوه التي ذكرها كلها مناسبة للمقام.

خامساً: المناسبة في التكرار عند تعداد النعم: وهنا موضع مهم، لأن مقصد تعداد النعم لا يحسن معه إلا التكرار. ومن قبيله تكرار كلمة رب في قوله: "**رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْن**" [الرحمن: 15]. "كرره هنا تأكيداً، وخص ما هنا بالتأكيد لأنه موضع الامتنان، وتعديد النعم، ولأن الخطاب فيه من جنسين هما: الإنس، والجن..."[1]. و فائدته توكيد التقرير بما لله تعالى من نعم على المخاطبين وتعريض بتوبيخهم على إشراكهم به... ففي التكرير طرد للغفلة وتأكيد للحجة[2].

وكما في قوله تعالى في سورة القمر: "**فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**"[القمر: 40]. "فهو جار أيضاً على هذه السبيل، لأنه تعالى عدد فيها نعماً وأفضالاً وعقاباً وانتقاماً وأموراً متغايرة، ثم قال عقيب كل شيء من ذلك: "فهل من مدكر" يعني متعظ ومن زجر بهذا"[3].

أيضاً وفي "الرحمن" افتتح سبحانه السورة بذكر ضروب من النعم تجل عن الإحاطة بوصفها، ويعجز العارفون عن شكرها، وكلها دلائل للمعتبر واضحة، وشواهد قاطعة بانفراده سبحانه بالخلق والاقتراع والإنشاء والإبداع. ولما كانت هذه النعم مشاهدة للخلائق، ولا طمع لأحد في نسبتها إلى غيره سبحانه، قد شهدت العقول وعرفت انفراده سبحانه بإيجادها واختراعها، أتبع ذلك بتقرير الثقلين وتعجيز الفريقين فقال لهما عقب هذه الضروب الثمانية: "فبأي آلاء ربكما تكذبان"... فتكررت الآية بتكرر القضايا، وكلها مما لا مطمع لأحد في ادعائه، فقامت الحجة بها...[4].

فكان التكرير مناسب لتعداد ضروب من الإنعام مختلفة. ثم "قال للإنس والجن عقيب ذكر نعمه، "فبأي آلاء ربكما تكذبان"، أي بأي هذا تكذبان أم بهذا أم بهذا، فيد لهم بذلك على كثرة نعمه عليهم، وأنه لا ينبغي أن يكفروا ويجحدوا شيئاً من ذلك... وليس ذلك بعي ولا تكرار من القول بلهو نفس تعبير البراعة، وحسن اللسن.."[5].

---

(1)- الأنصاري، **فتح الرحمن** ، (ص 545-546).

(2)- يراجع: ابن عاشور، **التحرير**، (27/ 246).

(3)- الباقلاني، **الانتصار للقرآن**، (2/ 805).

(4)- ابن الزبير، **ملاك التأويل**، (2/ 463-464).

(5)- الباقلاني، **الانتصار**، (2/ 807).

وهو ما صــرح به ابن الجوزي (597هـ) كذلك فقال: "ما الفائدة في تكرار قوله: **"فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ"** [الرحمن: 16 وغيرها]، الجواب أن ذلك التكرير لتقرير النِّعم وتأكيد التذكير بها..."[1].

وموافقة لهذا القول يوجّه القاضـي عبد الجبار (415هـ) آية من السـورة نفسـها قد لا تظهر أنها من قبيل النعم، ليؤكد حقيقة هذا الترديد فيها. يقول: "إنما كرّر "الآية" لأنه ذكر نعمة بعد نعمة فاتبعه ذلك وهذا مما يحســن مما يذكر نعمه... فان قال ففي جملة الآيات ما ليس فيه نعمة كقوله: **"يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ"** [الرحمن: 43]. إلى غير ذلك. وجوابنا أن ذلك من النعم إذا تدبره المرء وخاف منه فصار زاجرا له عن المعاصي"[2].

ففي هذه القواعد أو المسالك –التي ذُكرت– وهي المناسبة في التكرار لطول الفصل، لتعدد المتعلق، للاستقلال، لمراعاة الاختلاف ولتكرير المعنى، تعداداً للنعم، تبيين لأثر المناسـبة في تعليل وجود التكرير في القرآن، هو –كما لوحظ– لا يخرج عن فائدة ما ،وقد تنوعت توجيهات العلماء في البحث عنها.

---

(1)– ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ)، **زاد المسـير في علم التفسـير**، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي–بيروت، ط1، 1422هـ، (4/ 208).

(2)– القاضي عبد الجبار، **تنزيه القرآن عن المطاعن**، (ص 418).

المبحث الرابع: أثر المناسبة عند اختلاف التفسير:

المطلب الأول: حقيقة الاختلاف في التفسير وأسبابه وأحواله.

المطلب الثاني: الترجيح عند الاختلاف في التفسير.

المطلب الثالث: : ارتباط علم المناسبة بترجيح التفسير.

كثيرا ما يقف الناظر في كتب التفسـير على تعدد في الأقوال حول المراد من لفظ قرآني، أو آية قرآنية، أو توجيه لمعنى معين، ونحو ذلك من تعدد في الأقوال، والآراء. وأحياناً يختلط على القارئ غير المتمرس الخطأ بالصواب، والحق بالباطل[1].

ومن أجل ذلك حرص العلماء على وضع قواعد محددة يستعين بها المفسر في الترجيح بين الأقوال والآراء، ويستهدي بها لمعرفة القول الحق من القول الباطل ومن بينها ما له ارتباط بعلم المناسبات.

وفي هذا المبحث تعريج على الإشارة إلى حقيقية الاختلاف في التفسير،وذكر أحواله وأسبابه.

المطلب الأول: حقيقة الاختلاف في التفسير:

أولا: المقصود به: اختلف في اللغة ضد اتفق[2] ويقال: "الناس خلفة أي مختلفون... لأن كل واحد منهم ينحي قول صاحبه، ويقيم نفسه مقام الذي نحاه"[3]. و"خالفته مخالفة وخلافاً... وتخالف الأمران واختلفا وكل ما لم يتساو فقد اختلف..."[4]. والاختلاف كذلك هو التردد[5].

وفي الاصطلاح العام: أن"ينهج كل شخص طريقاً مغايراً للآخر في حاله أو في قوله"[6].

أما الاختلاف[7] في التفسـير هو أن يرد رأي لمفسـر ما لآية أو كلمة في القرآن الكريم يخالف بها غيره ولا يتفق.

---

(1)- مع الإقرار بأن الاختلاف في التفسير اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد.

(2)- الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، (ص 808).

(3)- ابن فارس، **م.س**، (2/ 213).

(4)- ابن سيدة، **م.س**، (3/ 371).

(5)- الفيروز آبادي، **م.س**، (ص 807).

(6)- طه جابر فياض العلواني، **أدب الاختلاف في الإسلام**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي-فيرجينيا-الولايات المتحدة الأميريكية، 1987م، (ص 21).

(7)- والاختلاف بين البشر فطرة، يقول الحق تبارك وتعالى: **"وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ"** [هود: 118]. يقول ابن عاشـور: "لما خلقهم على جبلة قاضـية باختلاف الآراء والنزعات وكان مريدا لمقتضى تلك الجبلة وعالما به... كان الاختلاف علة غائية لخلقهم". يراجع: ابن عاشور، **م.س**، (12/ 190).

والناظر في علم التفسير وكتبه يقف على ما لا مفرَّ من الإقرار به؛ وهو وقوع الاختلاف في تفسير كتاب الله عز وجل، فهو حقيقة لا ينكرها إلاّ قاصر.

فقد وقع بين السلف حتى في التفسير بالمأثور، لكنه يسير، ومع قلته فإن أغلبه يرجع إلى اختلاف التنوع لا إلى اختلاف التضاد وهو أيسر الأنواع(1).

"وفي حديث رسول الله ﷺ أنه قال: **"اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا عَنْهُ"**(2). والمراد الاختلاف مع التعادي والتفرق كما هو عادة أهل الكلام دون الاختلاف مع التوالي والتصويب كما هو عادة الفقهاء وسائر أهل العلوم"(3). ففي هذا الحديث –وغيره– إقرار بإمكانية وقوع الاختلاف في القرآن.

الكثرة الكاثرة من الآيات وقع فيها الخلاف. وهذا الخلاف لا يخلو من واحدة من أمور أربعة(4):

- فإما أن تكون جميع الأقوال محتملة في الآية وبقوة الاحتمال نفسها حيث شهد لها نصوص من القرآن أو السنة الصحيحة.
- وإما أن تكون متعارضة مع بعضها ويتعذر حمل الآية على جميعها.
- وإما أن تكون غير متعارضة مع بعضها وإنما مع غيرها من نصوص القرآن أو السنة أو الإجماع.
- وإما أن تكون مختلفة ودون تعارض ولكن بعضها أولى من بعض.

---

(1)- أ.د. فهد الرومي، **دراسات في علوم القرآن**، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط12، 1424هـ/2003م، (ص 153).

(2)- الحديث أخرجه البخاري برقم :5060 في فضـائل القرآن بلفظ: "اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ ما ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ..." والطبراني "1673"، والبغوي في "شرح السنة" "1224" وهو بهذا اللفظ برواية ابن حبان عن جندب بن عبد الله، بَابُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، برقم:732، ينظر: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (354هـ)، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (739هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، (3/ 36).

(3)- عز الدين اليمني: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل ابن الوزير الحسني القاسمي، (840هـ)، **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد**، دار الكتب العلمية-بيروت، ط2، 1987م، (ص 150).

(4)- يراجع: الحربي:حسين بن علي بن حسين، **قواعد الترجيح عند المفسرين –دراسة نظرية تطبيقية–**، دار القاسم-الرياض، ط1، 1417هـ-1996م، (1/ 42 وما بعدها).

ثانيا: أسباب الخلاف بين المفسرين: هي منطلق حصول الاختلاف بينهم. ولعل أول من فصّل فيها[1] ابن جزي (741هـ) في مقدمة كتابه: "التسهيل لعلوم التنزيل"[2]، ويمكن جمعها في الآتي:

- ما كان مرده القراءات القرآنية: من حيث اختلاف معنى ألفاظها، أو وجوه الإعراب فيها.
- ما كان مرده اختلاف اللغويين في معنى الكلمة.
- ما كان مرده إلى طرق دلالة النص على المعاني والأحكام: ويدخل فيه احتمال: الاشتراك اللفظي، أو العموم أو الخصوص، أو الإطلاق أو التقييد، أو الحقيقة أو المجاز.
- ما كان مرده إلى نظم الكلام :ويدخل فيه: احتمال الإضمار أو الاستقلال، احتمال الحذف، احتمال كون الكلام على الترتيب أو على التقديم والتأخير، **"ويضاف إليه إغفال دلالة سياق الكلام"**[3].
- ما كان مرده إلى النسخ أو الإحكام.
- ما كان مرده إلى اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ، وعن السلف رضي الله عنهم.
- **ثالثا: أحوال الاختلاف الوارد في التفسير:** العلم -كما قال ابن تيمية (728هـ): "إما نقل مصدق وإما استدلال محقق"[4]. والاختلاف في التفسير أو يقع في النقل أو يقع في الاستدلال[5].

---

(1)- وإن كان ابن تيمية (728هـ) قد أشار إلى بعضها قبله في مقدمته ولكن ليس على التفصيل الذي ذكره ابن جزي (741هـ).

(2)- يراجع: ابن جزي: أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي (741هـ)، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ضبط وتصحيح وتخريج: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1415هـ/1995م، (1/ 12)، ويراجع كذلك: د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، **شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي**، اعتنى به: بدر بن ناصر بن صالح الجب، دار ابن الجوزي، ط1، 1431هـ، (ص 143). وإن كان ابن تيمية (728هـ) قد أشار إليها قبله في مقدمته ولكن ليس على التفصيل الذي ذكره ابن جزي.

(3)- هذه لم يشر إليها ابن جزي. وقد فصل د.محمد الشايع أسباب الاختلاف؛ في مؤلفه المذكور سابقاً؛ تفصيلاً كلياً ينصح بمراجعته، (ص 35 وما بعدها). وينصح كذلك بالرجوع إلى مؤلف خالد عبد الرحمن العك، **أصول التفسير وقواعده**، دار النفائس-بيروت، ط2، 1406هـ/1986م، (ص 86).

(4)- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (728هـ)، **مقدمة في أصول التفسير**، دار مكتبة الحياة-بيروت-لبنان، (د.ر.ط)، 1490هـ/1980م، (ص 20).

(5)- يراجع: ابن تيمية، **مقدمة في أصول التفسير**، (ص 20-21- 33 -34- 39)، وخالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، (ص 84-85).

- **القسم الأول: ما مستنده النقل فقط**: وهذا يمكن معرفة الصحيح منه والضعيف، ومنه ما لا يمكن معرفة ذلك فيه؛ أي: لا طريق إلى الجزم بالصدق منه وعامتهم ما لا فائدة فيه، فالخوض فيه من فضول الكلام، لأن ما فيه نفع قد نصب الله فيه على الحق دليلاً[1].

والنوع الثاني: وهو ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل.

- **القسم الثاني: ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل**: وهذا الاستدلال يقوم على الاجتهاد والتفكر والاستنباط ويكون مظهر الاختلاف ها هنا هو توصل المفسرين إلى آراء متباينة في معاني ودلالات النصوص القرآنية المفضية إلى هذا الاختلاف، هذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين:

✓ **الجهة الأولى: من اعتقد المعاني، ثم حمل ألفاظ القرآن عليها**: من غير نظر إلى ما تستحقه من الدلالة والبيان، وكثيراً ما يحصل الغلط في صحة المعنى، وهنا صنفان:

- **الصنف الأول**: من يقع خطؤه في الدليل والمدلول معاً: مثل طوائف من أهل البدع، اعتقدوا رأيا ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، إما بالاستدلال بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها، وإما بتأويل ما يخالف مذهبهم.

- **الصنف الثاني**: من يقع خطؤه في الدليل لا في المدلول: كمن يفسر القرآن بمعان صحيحة، لكن القرآن لا يدل عليها.

✓ **الجهة الثانية: من فسر القرآن بمجرد ما يعرف بلغة العرب**: أي دون مراعاة للسياق، وحال المخاطبين... وكثيراً ما يحصل الغلط منه في احتمال اللفظ المعنى في اللغة.

رابعا: أنواع الاختلاف في التفسير: قسّم د. محمد الشايع الاختلاف إلى اعتبارات شتى كلها صالحة أن تتعلق بالتفسير أيضاً، وهذه الاعتبارات هي[2]:

- من حيث أصل النشأة: منه ما إلى العالم نفسه، ومنه ما يرجع إلى النص في احتماله.
- من حيث وجود أثره:وهو إما له أثر في المعنى والحكم، أو لا أثر له -وهو المراد بخلاف التنوع-.

---

(1)- ابن تيمية، **م.ن**، (ص 20)، خالد سليمان العك، **أصول التفسير وقواعده**، (ص 84).

(2)- يراجع: د. محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشايع، **أسباب اختلاف المفسرين**، مكتبة العبيكان-الرياض، ط1، 1416هـ/1995م، (ص 14).

- من حيث الموقف منه: إلى اختلاف مقبول، واختلاف مردود[1].
- من حيث الدافع إليه[2]:خلاف حق دافعه الصـــدق، أو خلاف تعصـــب وتم ذهب، أو خلاف هوى.

المطلب الثاني: الترجيح عند الاختلاف في التفسير:

الترجيح في اللغة: الثقل والميل والتفضيل والتقوية، يقال: رجح الشيء رجحانًا ورجوحًا ورجاحة: ثقل، ورجحت إحدى الكفتين الأخرى: مالت بالموزون، ورجحه أرجحه: فضّـله وقواه، واسـتعمال الرجحان حقيقة إنما هو في الأعيان الجوهرية، ثم استعمل في المعاني مجازًا[3].

وفي الاصـطلاح: اختلف العلماء في تعريفه نتيجة لاختلافهم في تكييفه، هل هو فعل المجتهد؟ أم أنه وصف قائم بالدليل الراجح؟ أم كلاهما؟.

فعرفه الجويني[4] (478هـ) بقوله: "تغليب بعض الأمارات على بعض في سبيل الظن"[5].

و هو: "اقتران الأمارة بما تقوى به على معارضها"[6].

(1)- يراجع: العلواني، **م.س**، (ص 24).

(2)- يراجع: العلواني، **م.ن**، (ص 26).

(3)- يراجع: ابن فارس، **م.س**، (2/ 489)، ابن منظور، **م.س**، (2/ 445)، مادة (رجح).

(4)- **إمَام الحَرَمَيْن الجُوَيْني (419-478هـ/1028-1085م)**: عبد الملك بن عبد الله بن يوســف بن محمد أبو المعالي، ركن الدين، من أصحاب الشافعيّ. ولد في جوين (نيسابور) ورحل إلى بغداد، فمكة ثم المدينة فأفتى ودرس، جامعا طرق المذاهب ،ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك "المدرسة النظامية" فيها.وكان يحضر دروسه أكابر العلماء. من مصنفاته: (غياث الأمم والتيات الظلم) و (العقيدة النظامية في الأركان الإســـلامية)، (نهاية المطلب في دراية المذهب) في فقه الشـــافعية، اثنا عشـــر مجلداً. توفي بنيسابور. **الزركلي**، الأعلام، (4/ 160).

(5)- الجويني: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (478هـ)، **البرهان في أصول الفقه**، تح: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، ط1، 1418هـ/1997م، (2/ 175).

(6)- محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (763هـ)، **أصول الفقه**، تح: د. فهد بن محمد السَّدَحَان، مكتبة العبيكان، ط1، 1420هـ/1999م، (4/ 1581).

أو: "تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى ليعمل بها"[1]. وقيل: "تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل ولا يكون إلاّ مع وجود التعارض. فحيث انتفى التعارض انتفى الترجيح؛ لأنه فرعه، لا يقع إلاّ مرتباً على وجوده"[2].

وعرّفه الزركشي (794هـ) بأنه: "تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى بما ليس ظاهرًا"[3]. وهذا الحد مثلاً باعتبار الترجيح من عمل المرجح المجتهد، وكذلك سابقه، ذلك أن ترجيح غير المجتهد لا يعتد به عند الأصوليين.

فالترجيح -إذاً- هو بيان التقوية، أي: بيان القوة الكامنة في الدليل ويقع في الأدلة القطعية والظنية معاً على الراجح[4]. والمراد به في علم التفسير تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل من الأدلة الشرعية أو قاعدة من القواعد التفسيرية التي قرّرها العلماء، وتضعيف أو ردّ ما سواه[5].

تذكر إحدى الباحثات أن المفسرين ليس عندهم حدّ أو تعريف للترجيح متفق عليه، وأن استعمالهم له في تفاسيرهم يدل على توسعهم في إطلاقه، فهو عندهم يشمل كلّ تقديم لقول على آخر، سواء كان تقديماً يلزم منه ردّ الأقوال الأخرى، أو لا يلزم منه ذلك[6].

لكن الإطلاق في هذه المسألة يحتاج إلى مسوغ؛ إذ ليس المفسرون وحدهم من لم يتفق على حد للترجيح -لو صح الزعم- بل حتى الأصوليين أنفسهم، كما أن الفصل بين العِلمين هنا -أي علم التفسير

(1)- السبكي: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، **الإبهاج في شرح المنهاج**، دار الكتب العلمية-بيروت، (د.ر.ط)، 1416هـ/1995م، (3/ 208).

(2)- الفتوحي:تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي ابن النجار الحنبلي (972هـــ)، **مختصر التحرير شرح الكوكب المنير**، تح: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط2، 1418هـ/1997م، (4/ 616).

(3)- الزركشي، **البحر المحيط**، (8/ 145).

(4) -د. الزحيلي محمد مصطفي، **الوجيز في أصول الفقه الإسلامي**، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع-دمشق-سوريا، ط2، 1427هـ/2006م، (2/ 422).

(5)- الحربي، **م.س**، (1/ 35).

(6)- يراجع: عبير بنت عبد الله النعيم، **قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير -دراسة تأصيلية تطبيقية-**، تقديم: أ. د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، دار التدمرية-الرياض-المملكة العربية السعودية، ط1، 1436هـ/2015م، (ص 109). ذكرت المسألة دون تخريج، ووجد القول نفسه عند محمد بن عبد الله القحطاني في مقال بعنوان: **"اختيارات ابن القيم وترجيحاته في التفسير"**، موقع مداد، 27 شوال 1428هـ/2007/11/8م.

وعلم أصول الفقه- ليس سليماً، لأن المبحث مشترك بينهما، حتى أن جملة من قواعد الترجيح الأصولية هي من ضمن القواعد العامة في التفسير. كما لا يخفي أن كثيرا من الأصوليين هم مفسرون أيضاً.

ويمكن تعريف الترجيح في التفسير بأنه: اختيار الرأي الأولى اعتماداً على دليل قوي بقرينة ما تضعف غيره عند التنافر أو التغاير بين التأويلات.

أما عن القواعد : فهي جمع قاعدة، وفي اللغة هي الأساس، والقواعد أساطين البناء التي تعمده[1]. وهي كل قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها[2]. وهي الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يفهم أحكامها منها[3].

وقواعد الترجيح هي تلك القواعد العلمية التي يبنى عليها أخذ المعتبر والصحيح من الأقوال والاجتهادات، وتسمى أيضاً "موجبات الترجيح أو قرائن الترجيح"، وذلك على ما تقتضيه اللغة العربية ومصدرها الاستقراء بحيث يستقرئ الباحث مجموع الأمثلة، ثم يستنبط منها قاعدة ما[4].

ولقد بيّنها ابن جزي (741هـ) في المقدمة السابقة[5]:

- **الأول**: تفسير بعض القرآن ببعض، فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه، ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال.

- **الثاني**: حديث النبي ﷺ ، فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عوّلنا عليه لاسيما إن ورد في الحديث الصحيح.

- **الثالث**: أن يكون القول قولاً لجمهور، وأكثر المفسرين، فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه.

---

(1)- ابن منظور، **لسان العرب**، (3/ 361).

(2)- الشريف الجرجاني، التعريفات، (ص 171).

(3)- السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (771هـ)، **الأشباه والنظائر**، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ/1991م، (1/ 11).

(4)- مساعد الطيار، **شرح مقدمة التسهيل** ، (ص 170).

(5)- يراجع: ابنجزي، **م.س**، (1/ 12-13).

- **الرابع**: أن يكون القول قول من يُقْتَدَى به من الصـحابة، كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن عباس لقول رسول الله ﷺ: **"اللَّهمَّ فقِّههُ في الدِّينِ وعلِّمهُ التَّأويلَ"**[1].
- **الخامس**: أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق.
- **السادس**: أن يُشعر بصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله أو ما بعده.
- **السابع**: أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن، فإن ذلك دليلٌ على ظهوره ورجحانه.
- **الثامن**: تقديم الحقيقة على المجاز، فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين، وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالاً من الحقيقة، ويسمى مجازاً راجحاً والحقيقة مرجوحة، وقد اختلف العلماء أيهما يقدم؟ فمذهب أبي حنيفة تقديم الحقيقة لأنه الأصـل، ومذهب أبي يوسف تقديم المجاز الراجح لرجحانه، وقد يكون المجاز أفصح وأبرع في كون أرجح.
- **التاسـع**: تقديم العموم على الخصـوص،فإن العموم أولى؛لأنه الأصـل،إلاأن يدل دليل على التخصيص.
- **العاشر**: تقديم الإطلاق على التقييد، إلاّ أن يدل دليل على التقييد.
- **الحادي عشر**: تقديم الاستقلال على الإضمار، إلاّ أن يدل دليل على الإضمار.
- **الثاني عشر**: حمل الكلام على ترتيبه، إلاّ أن يدل دليل على التقديم والتأخير.

فمن القواعد الترجيحية ما يدل على الرجحان، ومنها ما يشـير إلى البطلان، ومنها ما تضـعف بعض الأقوال التفسيرية. ويمكن جمع هذه القواعد في اعتبارات خمسة:

- **الاعتبار الأول**: ما يتعلق بالنص القرآني.
- **الاعتبار الثاني**: ما يتعلق بالقراءات.
- **الاعتبار الثالث**: ما يتعلق بالسياق القرآني.
- **الاعتبار الرابع**: ما يتعلق بالسنة والآثار والقرائن.

---

(1)- الحديث:أخرجه ابن أبي شيبة، في مصنفه عن ابن عباس رضي الله عنه برقم: 32223، وأحمد بن حنبل في فضائل الصحابة برقم: 1560 ينظر: ابن أبي شيبة أبو بكر، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (235هـ)، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد-الرياض، ط1، 1409هـ، (6/ 383). أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني (241هـ)، **فضائل الصحابة**، تح: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1، 1403هـ/1983م، (2/ 846).

- **الاعتبار الخامس**: ما يتعلق بلغة العرب.

المطلب الثالث: ارتباط علم المناسبة بترجيح التفسير:

تُفيد المناسبة معنى البيان والتوضيح للآيات والسور؛ بل هي مُرْتكز أساسي لتفسير القرآن كُلّه، والذي يُساعد على ذلك هو السياق إذْ يَتَبَيّن من خلاله: الدلالات المستنبطة والمعاني المتتالية في المنهجية القرآنية.

وينبغي على كل من يروم تفسير القرآن على الوجه الأصلح والأسلم، أن ينهج في تفسيره منهجاً قويماً، يراعي فيه القواعد التي قررها العلماء، لينأى بها المفسر عن الرأي المذموم. ومن هذه القواعد: مراعاة التناسب بين الآيات، فيبيّن وجه المناسبة ويربط بين السابق واللاحق من آيات القرآن حتى يوضح أن القرآن لا تفكك فيه وإنما هو آيات متناسبة يأخذ بعضها بحجز بعض(1).

وهو الذي صرّح به الزركشي (794هـ) بقوله: "والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له"(2).

البحث عن التناسب بين الآيات يعد من أهم طرق التفسير عموماً، وفي ترجيحه عند وقوع الاختلاف، ولقد أشار إلى هذا المعنى الفراهي في: "دلائل النظام" حيث يصرح: "أني رأيت جل اختلاف الآراء في التأويل من عدم التزام رباط الآيات،فإنه لو ظهر النظام واستبان لنا عمود الكلام لجمعنا تحت راية واحدة..."(3).

ولذلك وضع العلماء مسلكاً من مسالك هذا الترجيح، هو الوقوف على الروابط الموجودة بين الآيات. فيقول المثني مثلاً في كتابه: "السياق": "فالمنهج الصحيح والسبيل القويم في مسيرة التفسير، أن تنقى الأقوال والآراء... ويفصل بين السقيم والقويم، ومعيار ذلك: الأخذ بأصول التفسير، ومنها السياق القرآني"(4). والذي يعد كاشفاً للمناسبة -كما سبق وذُكر-.

(1)- خالد عبد الرحمن العك، **أصول التفسير وقواعده**، دار النفائس-بيروت، ط2، 1406هـ/1986م، (ص 81).

(2)- الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، (1/ 37).

(3)- الفراهي، **دلائل النظام**، (ص 17-18).

(4)- المثنى، **م.س**، (1/ 111).

وعند البحث في هذه الجانب، اتضح أن ما له ارتباط قوي وصريح ومباشر بالتناسب من القواعد – على اعتبار من اعتبرها من المحققين-: قاعدة إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلاّ بدليل يجب التسليم به.

- **نماذج عن أثر المناسبات في الترجيح:**

من المفسرين من يحمل الآية على معنى لا يخرجها عن سياقها، فيرى ارتباطها بما قبلها أو بعدها، ومنهم من يحملها على معنى يخرجها عن ذلك كله ويجعلها معترضة للسياق. والأصح الأول؛ لأنه أوفق للنظم -إلاّ إذا ورد دليل يمنعه. وهو المعنى المراد من قاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلاّ بدليل يجب التسليم له، والدليل إما خبر صحيح متصل السند، أو إجماعاً من أهل التفسير، أما الثاني فيعد من أحد أهم أسباب الخطأ في التفسير[1]. ومن نماذج الترجيح بهذه القاعدة الآتي:

✓ **الأنموذج الأول:** تفسير قوله عز وجل: **"يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ"** [النحل:83].

أورد الطبري (310 هـ) اختلاف المفسرين في معناها على ثلاثة آراء[2]: فقال بعضهم هو النبي ﷺ عرفوا نبوته ثم جحدوها وكذبوه.

وقال آخرون: أن المراد النعم التي عددها الله ﷻ في سورة النحل وأن هو المنعم بها ولكنهم يزعمون أنهم ورثوها عن آبائهم.

وقال آخرون: أن الكفار إذا قيل لهم: من رزقكم؟ أقرّوا بأن الله هو الذي رزقهم، ثم يُنْكرون ذلك بقولهم: رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا.

ثم رجّح بين تلك الأقوال فقال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بتأويل الآية، قول من قال: عني بالنعمة التي ذكرها الله ﷻ في قوله "يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ" النعمة عليهم بإرسال ﷺ إليهم داعيًا إلى ما بعثه بدعائهم إليه، وذلك أن هذه الآية بين آيتين كلتاهما خبر عن رسول الله ﷺ وعما بعث به،

(1)- يراجع: د. طاهر محمود محمد يعقوب، **أسباب الخطأ في التفسير –دراسة تأصيلية–**، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1425هـ، (ص 930).

(2)- يراجع: الطبري، **م.س**، (17/ 272-274).

فأولى ما بينهما أن يكون في معنى ما قبل هو ما بعده، إذ لم يكن معنى يدلّ على انصرافه عما قبله وعما بعده فالذي قبل هذه الآية قوله: **"فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ"** [النحل: 82]. والذي بعده قوله: **"وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ"** [النحل: 84]"[1].

✓ **الأنموذج الثاني**: التأويل في قوله سبحانه وتعالى: **"وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ"** [النساء: 37].

نقل ابن كثير (774هـ) رأي ينفي تأويل الآية، أحدهما أن البخل مراد به بخل اليهود بكتمانه ما عندهم من علم بالنبي ﷺ ، والثاني أنه البخل بالمال، قال: "قد حمل بعض السلف[2] هذه الآية على بخل اليهود بإظهار العلم الذي عندهم، من صفة النبي ﷺ وكتمانهم ذلك؛ ولهذا قال: **"وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا"** [النساء: 37].

ولا شك أن الآية محتملة لذلك، والظاهر أن السياق في البخل بالمال في قوله سبحانه: **"ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ"**، وإن كان البخل بالعلم داخلاً في ذلك بطريق الأولى؛ فإن سياق الكلام في الإنفاق على الأقارب والضعفاء، وكذا الآية التي بعدها، وهي قوله: **"وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ"**، فذكر الممسكين المذمومين وهم البخلاء، ثم ذكر الباذلين المرائين الذي يقصدون بإعطائهم السمعة وأن يمدحوا بالكرم، ولا يريدون بذلك وجه الله..."[3].

فابن كثير (774هـ) رجّح المعنى الثاني هنا لموافقته التناسب بين الآيات السابقة واللاحقة، ولم يبعد الأول لأن الآية تحتمله.

---

(1)- الطبري، **م.ن**، (17/ 273- 274).

(2)- وهذا الرأي: رواه ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وقاله مجاهد وغير واحد. ينظر المؤلف أدناه.

(3)- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/1999م، (2/ 303).

✓ **الأنموذج الثالث:** قوله سبحانه وتعالى: **"إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ"** [المائدة: 46].

اختلف العلماء في هذه الآية الكريمة[1]: هل هي في المسلمين، أو في الكفار؟، فروي أنها في المسلمين، وروي أيضاً أنها في اليهود، وأن المراد بالكفر فيها كفر دون كفر[2]، وأنه ليس الكفر المخرج من الملة، وروي عن ابن عباس في هذه الآية أنه قال: **ليس الكفر الذي تذهبون إليه**[3].

وقال البعض: والقرآن العظيم يدل على أنها في اليهود؛ لأنه سبحانه وتعالى ذكر في ما قبلها أنهم يحرفون الكلم من بعد مواضعه، وأنهم يقولون إن أوتيتم هذا، يعني الحكم المحرف الذي هو غير حكم الله فخذوه، وإن لم تؤتوه أي المحرف، بل أوتيتم حكم الله الحق فاحذروا، فهم يأمرون بالحذر من حكم الله الذي يعلمون أنه حق. وقد قال سبحانه وتعالى بعدها: **"وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ**

---

(1)- يراجع: الطبري، **م.س**، (10/ 346 وما بعدها)، ابن عطية، **م.س**، (2/ 196)، ابن كثير، **م.س**، (3/ 119 وما بعدها)، الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت-لبنان، (د.ر.ط)، 1415هـ/1995م، (1/ 405).

(2)- لقد أفاض الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على أثر ابن عباس في تفسير الطبري عند الأثرين رقم: 12025، 12026. ينصح بالرجوع إليه، يراجع:الطبري، **جامع البيان**، (10/ 348)، وخصص د. عبد الرحمن المحمود لأثر ابن عباس مبحثا عنه في كتابه: "الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه" ومن جملة ما ذكره عنه: "أنه يحمل قصده على الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب، وأن قوله كفر دون كفر قصد به من حكم جائراً في مسألة معينة بغير ما أنزل الله...". يراجع: د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، **الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه**، دار طيبة، مكتبة فهد- السعودية، ط2، 1420هـ/1999م، (ص 215-234).

(3)- أخرجه الحاكم برقم: 3219 وقال صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ينظر: الحاكم: أبو عبد الله ا محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1411هـ/1990م، (2/ 342)، وذكره ابن كثير (774هـ) في تفسيره، ينظر: ابن كثير، **م.س**، (3/ 119).

بِالنَّفْسِ" [المائدة: 47]، فدل على أن الكلام فيهم، وقال بأن الآية في أهل الكتاب جمع[1] من أهل التفسير[2] من الصحابة والتابعين.

وهذا ما رجّحه الطبري (310هـ) بقوله: "وأولى هذه الأقوال عندي بالصـواب، قولُ من قال: نزلت هذه الآيات في كفّار أهل الكتاب، لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات فيهم نزلت، وهم المعنيُّون بها. وهذه الآيات سياقُ الخبر عنهم، فكونُها خبرًا عنهم أولى"[3].

لكن القرطبي (671هـ) في تفسيره: هذه الآية وقوله: **"وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ"** [المائدة: 47]، وقوله: **"وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ"** [المائدة: 48]. يرى أنها[4]: "نزلت كلها في الكفار[5]، وعلى هذا المعظم، فأما المسـلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة، وقيل فيه إضمار، أي ومن لم يحكم بما أنزل الله، رداً للقرآن وجحداً لقول الرسول ﷺ فهو كافر.

فالآية عامة على هذا في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين، واليهود، والكفار، أي معتقداً ذلك ومستحلاً له. فأما من فعل ذلك، وهو معتقد أنه مرتكب محرم فهو من فساق المسلمين وأمره إلى الله سبحانه وتعالى إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له.

وقال ابن عباس في رواية: ومن لم يحكم بما أنزل الله فقد فعل فعلاً يضاهي أفعال الكفار، وقيل: أي ومن لم يحكم بجميع ما أنزل فهو كافر فأما من حكم بالتوحيد، ول ميحكم ببعض الشرائع فلا يدخل في هذه الآية، والصحيح الأول.

---

(1)- وهم البراء بن عازب، وحذيفة بن اليمان، وابن عباس، وأبو مجلز، وأبو رجاء العطاردي، وعكرمة، وعبيد الله بن عبد الله، والحسن البصري وغيرهم، وزاد الحسن، وهي علينا واجبة، نقله عنهم ابن كثير (774هـ) ونقل نحو قول الحسن عن إبراهيم النخعي.

(2)- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (1/ 406).

(3)- الطبري، **م.س**، (10/ 358).

(4)- يراجع:القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (6/ 190).

(5)- قال: "ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث البراء" وهو فيه في باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى برقم" 1700، يراجع: مسلم (261هـ)، **المسند الصحيح** (3/ 1326).

إلاّ أن الشعبي[1] (103هـ) قال: هي في اليهود خاصة. واختاره النحاس (338هـ)، قال في كتابه: "إعراب القرآن"[2]: ويدل على ذلك ثلاثة أشياء:

- منها أن اليهود ذكروا قبل هذا في قوله سبحانه وتعالى: "للذين هادوا" فعاد الضمير عليهم.
- ومنها أن سياق الكلام يدل على ذلك، ألاّ ترى أن بعده وكتبنا عليهم، فهذا الضمير لليهود بإجماع.
- وأيضاً فإن اليهود هم الذين أنكروا الرجم والقصاص، فإن قال قائل "من" إذا كانت للمجازاة فهي عامة إلاّ أن يقع دليل على تخصيصها، قيل له: "من" هنا بمعنى الذي، مع ما ذكرناه من الأدلة والتقرير: واليهود الذين لم يحكموا بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون".

وقد مال الشنقيطي إلى الرأي الأخير -أي قول الشعبي- بقوله: "فهذا من أحسن ما قيل في هذا"[3] لتناسبه مع السياق.

كما يرد ابن عطية (542هـ) تخصيص كل آية بفئة -وهو ما رجّحه القرطبي(671هـ)- يقول: "قال القاضي أبو محمد: ولا أعلم بهذا التخصيص وجهاً إلاّ إن صح فيه حديث عن النبي ﷺ إلاّ أنه راعى من ذكر مع كل خبر من هذه الثلاثة فلا يترتب لهما ذكر في المسلمين إلاّ على أنهم خوطبوا بقوله: "فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ"..."[4].

فالملاحظ أن جمع من المفسرين رجحوا من المعاني ما هو مناسب للسياق متعلق بارتباط الآيات ببعضها البعض.

✓ **الأنموذج الرابع**: قوله تعالى: "**سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ**" [الأعراف: 145].

([1])-**الشَّعْبي (19-103هـ/640-721م)**: عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الحميري، أبو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلاً نحيفاً. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيهاً، شاعراً. الزركلي، **الأعلام**، (3/ 251).

([2])- يراجع: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (338هـ)، **إعراب القرآن**، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1421هـ، (1/ 269).

([3])- الشنقيطي، **م.س**، (1/ 405).

([4])- ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (2/ 196).

أورد ابن أبي حاتم(1) (327هـ) في تفسيره التأويلات الواردة لهذه الآية وهي: مصيرهم في الآخرة: جهنم- منازلهم- هلاك الفاسقين- دار الكفار(2).

وفي تفسير الطبري (310هـ) شيء من التفصيل: "قال "البعض" معنى ذلك: سأدخلكم أرض الشام، فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعمالقة. وقال آخرون: معنى ذلك: سأريكم دار قوم فرعون، وهي مصر"(3).

ثم اختار القول بأنها:" النار" بالنظر إلى مناسبة ختام ما أمر به موسى بالوعيد، حيث قال: "وهي نار الله التي أعدها لأعدائه. وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك، لأن الذي قبل قوله جل ثناؤه: "سأريكم دار الفاسقين"، أمرٌ من الله لموسى وقومه بالعمل بما في التوراة. فأولى الأمور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيّعه وفرَّط في العمل لله، وحاد عن سبيله، دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه، أو عما لم يجر له ذكر(4).

أما الزمخشري (538هـ) فقد يلتمس مما أورده أولاً ميله إليه -وهو دار فرعون أي مصر- والتعبير على الباقي بصيغة التمريض -قيل- فقال: "يريد دار فرعون وقومه وهي مصر، كيف أقفرت منهم ودمّروا لفسقهم، لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم في نكل بكم مثل نكالهم. وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله لفسقهم في ممرّكم عليها في أسفاركم. وقيل: دار الفاسقين: نار جهنم"(5). ولعل بيان الرابط بين هذه الآية وما قبلها وبعدها هو الذي يرجح رأيا عن رأي.

---

(1)- **ابن أَبي حاتِم (240-327هـ/854-938م)**: عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظليّ الرازيّ، أبو محمد: حافظ للحديث، من كبارهم. كان منزله في درب حنظلة بالريّ، وإليهما نسبته. له تصانيف، منها (الجرح والتعديل) و(التفسير) و(الرد على الجهمية) و(علل الحديث)، و(الفوائد الكبرى). وغيرها ...الزركلي، **الأعلام**، (3/ 324).

(2)- ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (327هـ)، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفي الباز-المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ، (5/ 1566).

(3)- الطبري، **م.س**، (13/ 111)، وهو ما ذكره كثير من المفسرين منهم ابن جزي يراجع: ابن جزي، **م.س**، (1/ 301).

(4)- الطبري، **م.ن**، (13/ 110-112).

(5)- الزمخشري، **م.س**، (2/ 158).

وفي هذا أورد القرطبي (671هـ) دليلاً لتأييد القول بأنها الشام أو مصر بقوله: "وهذان القولان يدل عليهما: "وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ" [الأعراف: 136]. وقوله: "وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ" [القصص: 6]"[(1)].

وهو اختيار ابن تيمية(728هـ) قال في الفتاوى الكبرى: "وهي الدار التي كان بها أولئك العمالقة ثم صارت بعد هذا دار المؤمنين وهي الدار التي دل عليها القرآن من الأرض المقدسة وأرض مصر التي أورثها الله بني إسرائيل"[(2)].

✓ **الأنموذج الخامس:** قوله سبحانه: **"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ"** [الغاشية:1]. اختلف أهل التأويل في معنى الغاشية وذكروا فيها وجوهاً[(3)]:

- **أولها:** قول سفيان[(4)] وجمهور من المتأولين أنها القيامة. منقوله عز وجل: **"يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ"** [العنكبوت: 55]، إنما سميت القيامة بهذا الاسم، لأن ما أحاط بالشيء من جميع جهاته فهو غاش له، والقيامة كذلك لأنها ترد على الخلق بغتة وهو كقوله تعالى: **"أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ"** [يوسف: 107]. وأنها تغشى الناس جميعاً من الأولين والآخرين. وأنها تغشى الناس بالأهوال والشدائد.

---

(1)- القرطبي، **م.س**، (7/ 282).

(2)- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (728هــ)، **مجموع الفتاوى**، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المدينة النبوية-السعودية، 1416هـ/1995م، (18/ 284).

(3)- ابن عطية، **م.س**، (5/ 472)، الزمخشري، **م.س**، (4/ 742)، والرازي، **م.س**، (31/ 138)، ويراجع الطبري، **م.س**، (24/ 381).

(4)- **سُفْيان الثَّوري (97-161هـ/716-778م)**: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله: أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، وخرج منها (سنة 144هـ) يأبى الحكم، فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي، فتوارى. وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً. له من الكتب (الجامع الكبير) و(الجامع الصغير) كلاهما في الحديث، وكتاب في(الفرائض) وكان آية في الحفظ. الزركلي، **الأعلام**، (3/ 104-105).

- **القول الثاني**[1]: الغاشـية هي النار أي تغشـى وجوه الكفرة وأهل النار قال تعالى: **"وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ"** [إبراهيم: 52]، **"وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍۚ"** [الأعراف: 41].
- **القول الثالث**: الغاشية أهل النار يغشونها ويقعون فيها.

ورجّح ابن عطية (542هـ) الأول: "لأن على هذا التقدير يصـير المعنى أن يوم القيامة يكون بعض الناس في الشقاوة، وبعضهم في السعادة"[2].

أما الطبري (310هـ) فرأى أن الآية مطلقة ؛ تشـمل النار والقيامة على حد سـواء. فلم يخبرنا الله أنه عنى غاشـية القيامة، ولا أنه عنى غاشـية النار. وكلتاهما غاشـية، هذه تغشـى الناس بالبلاء والأهوال والكروب، وهذه تغشي الكفار باللفح في الوجوه، والشُّواظ والنحاس، فلا قول عنده في ذلك أصحّ من أن يقال كما قال جلّ ثناؤه، ويعمّ الخبر بذلك كما عمّه[3].

رجح الشـنقيطي[4] أن يكون المراد هو عموم القيامة، وليس في خصـوص النار –وهي من أهوال ودواهي القيامة– لأن اللاحق لها يخصها ويستثني بذلك أن المعنى هو النار.وهذا من وجوه:

- أن قوله: **"وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ"**، ويوم أنسب للقيامة منه للنار.
- ومنها: التصريح بعد ذلك ؛ بأن من كانت تلك صفاتهم: **"تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً"** مما يدل على أن الغاشية شيء آخر سوى النار الحامية.
- ومنها: أن التعميم ليوم القيامة يشمل جميع الخلائق، وهو الأنسب بالموقف، ثم ينجي الله الذين اتقوا.
- كما أن الله تعالى قد بيّن قسيم هذا الصنف، مما يدل على أن الحديث المراد إلغاؤه، إنما هو عن حالة عموم الموقف. فهي علم بالغلبة –كما يقول ابن عاشور– تدل على سـاعة القيامة كما يؤذن بذلك قوله عقبه: "وجوه يومئذ".

---

(1)– وهو قول سعيد بن جبير ومقاتل ومحمد بن كعب.

(2)– ابن عطية، **المحرر الوجيز**، (5/ 472).

(3)– الطبري، **جامع البيان**، (24/ 382).

(4)– يراجع: الشنقيطي، **م.س**، (8/ 509).

ورأي الشنقيطي وابن عاشور وجمع من المفسرين -كما يُرى- يعتمد أساساً على مناسبة الآية لما بعدها قبلها كله.

وكان الغرض من هذا المبحث هو التأكيد على أن المناسبة لا تقوم بدور توجيه المعنى وبيان الترابط بل يمكن أن تتعدى ذلك إلى الترجيح بين الأقوال التفسيرية.

وفي نهاية هذا الفصل الذي اختص بمحاولة إظهار أثر المناسبة في بيان الترابط بين الآيات التي تكون متشابهة الألفاظ مختلفة في السياق، أو متحدة في السياق مختلفة في بعض الألفاظ، أو في التركيب؛ أو أن تكون بعض ألفاظها أو عباراتها من قبيل التكرير، أو أن يكون معناها محل خلاف بين المفسرين سعى الجهد فيه إلى إظهار المناسبة مرجحا لرأي عن آخر،هذا بالاستعانة بمختلف التفاسير قديماً وحديثاً دون التركيز على واحد منها بعينه.

وعلى العموم فإن البحث في علم المناسبة بحث شريف، درره لا تنقطع، وأسراره لا تنقضي ولو أن عبداً تجرد لهذا العلم ليدرك تفاصيله، ويضاعف له عمره ما أحاط به، يصدق عليه قول ابن العربي (453هـ): "ليس يمكن بالعقول إدراك كل معقول". بيد أن الباري سبحانه وتعالى يصطفي من عباده من يطلعه على العلوم، فيصل إلى الخلق بواسطة، وذلك المصطفي منه يكون التعليم، وعنه يؤخذ القانون، وعليه يكون التعويل، وبه يتوصل إلى الدليل..."[1].

([1])- ابن العربي، **قانون التأويل**، (ص 506).

الخاتمة

"وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ"[الزمر: 71]

وأخيرًا، وبعد إنهاء دراسة الموضوع بما تضمّنه من فصول، الحمد الله على منّه الكثير، وعلى خيره الوفير، وعلى فضله الكبير.

والشكر لله على إتمام هذا البحث المتواضع من حيث جهدُ الباحث، الجليل من حيث قيمتُه من مباحث علوم القرآن، والمتعلّق بعلم المناسبة وأثره في توجيه المعنى بين الآيات.

ورغم ما فيه من سهو وهفوات، وتقصير بغير قصد وزلاّت، ورغم صعوبة الإتيان فيه بالجديد، إلا أنه يمكن من خلاله إدراك الاهتمام البالغ الذي حظي به هذا العلم- قديما وحديثا- ومدى أهميته في كشف أسرار القرآن الكريم الذي أنزله الله حجة على العالمين.

وحاول البحث قدر المُستطاع، جمع ما يتعلّق به، ثمّ تحليل وتفصيل الجزئيات فيه بالاعتماد على العديد من المصادر والمراجع ،التي كان الهدف الأساس من استقصائها هو تسهيل رجوع الباحث إليها، اختصارا للجهد، وتخفيفا للمشقة، وتحقيقا لمجموعة من النتائج التي يوجز البعض منها كالآتي:

- يذهب السواد الأعظم من العلماء إلى أنّ ترتيب آيات القرآن الكريم توقيفي حتى نُقل القول بالإجماع فيه، خلافه ترتيب السّور؛ وهذا ما سعى البحث لتأكيده، وهو الأقوى حجة.
- ترتيب آيات الكتاب العزيز معجز؛ إذ لا توجد آية في كتاب الله تعالى إلا وبينها وبين سابقها ولاحقها ترابط وثيق، واتصال دقيق، فعدم معرفتنا لهذه المناسبة أحيانا، لا ينفي وجودها.
- الوصول إلى إدراك التّناسب والتّرابط بين الآيات أمر اجتهادي؛ لذلك يتفاوت العلماء فيه وهو خاضع لضوابط التّفسير بالرّأي.
- ثمّة تناسب بين أجزاء القرآن الكريم، آياته وسوره، وترابط وتآلف، نصّ عليه علماء التّفسير والإعجاز، وهو من أقوى دلائل إحكام القرآن في سبكه.

- علم المناسبات القرآنية وربط الآيات بعضها ببعض معمول به منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم ، وهو ذو وجوه إعجازية وبلاغية كثيرة.
- علل التّرابط بين الآيات موجودة لا محالة، وإنّما قد تظهر تارةً، وقد تختفي تارة أخرى لكن لا ينبغي للمفسّر التّكلف في طلبها إذ لم تظهر ؛ فالتّكلف في ذلك أمرٌ غير محمود.
- يتداخل علم المناسبة مع مباحث عديدة منها؛ التّفسير الموضوعـــي، السّياق القـــرآني ومقاصد القرآن، لذا سعت الدّراسة إلى بيان الفروق بينها ومواطن التّشابه والالتقاء. وبيان أنّ كلّ واحد منها يعدّ من أسس فهم النّص القرآني واستنباط دلالاته، سواء أكانت داخله أم خارجه، وقد تنبّه العلماء لها – كلٌّ حسب تخصّصه– وكشفوا عن مباطنها تفصيلاً وتأصيلاً؛ بغية الوصول إلى تفسير يُبلج مراد الله من كلامه.
- إنّ شرف البحث في هذا المجال، يحقّق أمرا ربانيا واجبا بتدبّر كلام الله والتّقرب إليه به وهو أغلى مُنى، ولذلك عرض البحث نماذج من آيات قرآنية منتقاة، واستقصى أراء ثلّة من علماء التّفسير فيها، مع محاولة تلخيصها ما أمكن.
- تُعرف من علم المناسبة علل التّرتيب، وهي سرّ البلاغة؛ لأنّها تؤدّي إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال، وتدرك في فواصل القرآن وآياته وبين آياته.
- الوقوف على الرّوابط الموجودة بين ألفاظ الآية الواحدة، والبحث في ارتباط أواخرها — وهي الفواصل– بأولها، والبحث في أسباب مخالفة الفواصل للعدول هي من أهمّ آليات تأكيد ارتباط كلام الله ببعضه البعض تحقيقا لمعنى المناسبة في أبسط أجزائها.
- وقفت الدّراسة على بعض أسرار المتشابه اللّفظي، وتخصيص الآيات الوحيدة منها، في محاولة تأكيد أهمّية علم المناسبة في الكشف عن بواطن الإعجاز فيها، والغمس في دقائق أسرارها.

- البحث في علم المناسبة بحث شريف، دره لا تنقطع، وأسراره لا تنقضي، والله سبحانه وتعالى يصطفي من عباده من يدرك جوهره، فيتفاوت النّاس في ذلك، والله يؤتي فضله من يشاء.
- قد يكون للآية أكثر من مناسبة من أوجه مختلفة، والعمل على إظهار المناسبات القرآنية وإبراز أوجهها رد قاطعٌ على كلّ من يشكّك في ترابط القرآن الكريم.
- المعول عليه الأول في بيان ترابط المناسبة وأحكامه، هو اجتهادات نفر من المفسّرين- قديما بخاصّة وحديثا- إما عرضا أو تلخيصا، أو تلميحا دون ترجيح ولا استنباط شخصي، لأنّ ذلك تمحّل من التّجرؤ على التّفسير الذي لا يقربه إلا من له ملكة الاستنباط والنّظر، وتوافرت فيه شروط المفسّر التي حدّدها العلماء.

وقد يُظن أنّ في هذا الكلام غلوًا ومبالغةً؛ ولكنه نابع من إحساس ديني وتقديس كبير للقرآن، وخوف من القول على الله بغير علم.

وأخيراً لما كان كلّ بحث يعتريه الخطأ، والكمال لله وحده، تعتذر الباحثة على ما في بحثها من خطأ يستلزم التّصويب، أو نقص يوجب الإتمام، راجية من الله تعالى أن يتقبله منها ومن أستاذها المشرف -حفظه الله-، وأن يجعل أجر هذا العمل؛ نورا في الدنيا، وأنسا في القبر، وظلّا في يوم لا ظلّ إلا ظلّه، وشربة من حوض نبيّه محمدا ﷺ في الفردوس الأعلى من الجنة.

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود:88].

كُتبت بتاريخ:21 ربيع الأول 1443هـ الموافق ل: 27 أكتوبر 2021م

لما كان البحث عن مراد الله عز جلّ من كلامه في القرآن الكريم لا يقتصر على دراسة المعاني والتراكيب في حدود الألفاظ والجمل؛ بل يتجاوز ذلك إلى النظر في السّياق العام للسور، ومناسبة الآيات بعضها ببعض، كان استنباط التناسب من أمتع سبل ذلكم المقصد؛ إذ ترتيب الآيات توقيفي، وزاخر بأسرار الإعجاز، وفيه من اتساق المعنى، وإعجاز البلاغة، وإحكام البيان، وانتظام الكلام، وروعة الأسلوب. وكل ذلك من جوهر علم المناسبة وموضوعه.

ومن أجل ما سبق بيانه –كذلك– تجلت الإشكالية العامة لهذا البحث في ماهية علم المناسبة؟ وما دورها في تأويل وتوجيه معنى الآيات القرآنية؟ وباعتماد المنهج التحليلي والوصفي والاستدلالي والاستقرائي الجزئي، ومن خلال عرض نماذج مختلفة من الآيات، واستنادا إلى آراء وتأويلات العلماء قديما وحديثا، خلصت الباحثة إلى أن علم المناسبة يهتم ببيان أسرار ترابط أجزاء الآية الواحدة داخليا ، والتلاحم بين الآيات بعضها ببعض وغيره...

ورغم صلته الوثقى بعلوم أخرى؛ التفسير الموضوعي، علم السياق، علم مقاصد القرآن، إلا أنّه ينفرد ويتميّز بإظهار الإحكام في سبك معاني الآيات وفق منهجية وآلية خاصّة، تعتمد على كشف أنواع الروابط الموجودة بين كلمات الآية وبين فواصلها، وبين الآيات التي يظهر فيها التشابه مع اختلاف في السياق أو التركيب ،دون التقصير في التكرار القرآني من دقيق النظر لما فيه من أوجه التناسب، زيادة على رصد بعض مواضع الترجيح بين التفاسير، لوضوح أثر المناسبة فيها.

The appropriateness between the Qur'anic verses and their impact on directing the meaning

Since the search for the purpose of Almighty Allah from His words in the Holy Quran is not limited to the study of meanings and structures within the limits of words and sentences; rather, it goes beyond examining the general context of the suras and the relevance of the verses to one another. One of the most interesting ways to achieve this goal was to achieve proportionality. The arrangement of the verses is suspenseful and teeming with secrets of the miraculous, and it contains consistency of meaning, miraculous rhetoric, correctness of utterance, regularity of speech, and splendor of style and all this from the essence of the science of the occasion and its subject.

And for the sake of what was explained previously - thus - the general problem of this research has manifested itself in the nature of the science of the occasion? What is its role in interpreting and directing the meaning of Quranic verses? By adopting the analytical, descriptive, inferential and partial inductive approach, and by presenting different models of verse, and basing himself on the opinions and interpretations of scholars, ancient and modern, the researcher concluded that the science of opportunity is is concerned with explaining the secrets of the interrelation of parts of the same verse within, and of the cohesion between verses with each other...

Despite its close relationship with other sciences; Objective interpretation, science of context, science of the purposes of the Quran, but it is unique and distinguishes itself by being precise in formulating the meanings of the verses according to a particular methodology and mechanism, which depend on the revelation of the types of links that exist between the words of the verse and its

breaks, and between verses in which the similarity appears with a difference in context or structure. Without neglecting the Qur'anic repetition of a careful consideration of the aspects of proportionality, in addition to monitoring certain places of weighting between the interpretations, for the clarity of the impact of the occasion in them.

مسـارد عـامة

- مسرد الآيات.
- مسرد الأحاديث والآثار.
- مسرد الأبيات الشعرية.
- مسرد الأعلام المترجم لهم.

الآية	رقمها	السورة	صفحة وجودها
"ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ"	1	الفاتحة	322
"إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ"	4	الفاتحة	375-318
"ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ"	5	الفاتحة	375-265
"هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ"	1	البقرة	278
"ٱلذِينَ يُومِنُونَ بِالۡغَيۡبِ"	2	البقرة	66
"أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ"	4	البقرة	278
"وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنۡ يَّقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُومِنِينَ"	7	البقرة	314
"يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ"	19	البقرة	283
"وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَادۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ"	22	البقرة	25
"كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَاكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ	27	البقرة	210

"هُوَ ٱلذِے خَلَقَ لَكُم مَّا فِے ٱلاَرْضِ جَمِيعاً"	28	البقرة	209
"وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنَ ـال فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُون نِسَآءَكُم وَفِے ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُم عَظِيم".	48	البقرة	344-323
"وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدا وَقُولُوا حِطَّةٌ يُغْفَرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِين"	57	البقرة	367
"وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّيـِۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَق"	60	البقرة	353
"وَإِذَ اَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِےٓ إِسْرَآءِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً وَذِے ٱلْقُرْبىٰ وَالْيَتَٰمىٰ وَالْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ"	82	البقرة	293
"إِسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ "	86	البقرة	314
""وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱلله مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُم وَكَانُواْ مِن قَبْل يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلذِيں كَفَرُوا"	88	البقرة	((397))
"أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱلله عَلَىٰ كُلِّ شَىْء قَدِيرٌ ﴿١٠٥﴾ أَلَم تَعْلَمْ أَنَّ ٱللهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰت وَالاَرْض وَمَا لَكُم مِّن دُون ٱللهِ مِن وَلِےٍ وَلاَ نَصِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَم تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّل	105 - 107	البقرة	400

ٱلْكُفْرَ بِالِايمَٰنِ فَقَد ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ"			
"وَقَالَ ٱلذِينَ لا يَعْلَمُون لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا ٱلله أَوْتَاتِينَا ءَايَةَ كَذَٰلِكَ قَال ٱلذِيس مِس قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِم تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُم قَدِ بَيَّنَّا ٱلاَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُون"	117	البقرة	208
"يَٰبَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ"	121 – 122	البقرة	267
"رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ"	128	البقرة	377-288
"فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ"	151	البقرة	292
:"إِنَّ ٱلصَّفَا وَالْمَرْوَه مِس شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجِ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ يَّطَّوَّفَ أَن بِهِمَا"	157	البقرة	((135))
"وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ ٱحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَس كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً اَوْ بِهِۦٓ أَذىً مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ اَوْ صَدَقَةٍ اَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَس تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ	165 – 166	البقرة	260

فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَاتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ . ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ"			
""وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"	167 - 168	البقرة	((53))
"وَاشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ"	171	البقرة	375
"إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"	172	البقرة	386-375
"لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ"	176	البقرة	260
"وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ"	176	البقرة	260
"أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ"	176	البقرة	315
"وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"	178	البقرة	381

"كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلذِينَ مِن قَبْلِكُم"	182	البقرة	18
"اجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ "	185	البقرة	330
"يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلاَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَاتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَ ٱلْبِرُّ مَنِ إِتَّقَىٰ وَاتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنَ آبْوَٰبِهَا وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ"	188	البقرة	261-64
"وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ"	194	البقرة	225
"فَإِنْ احْصِرْتُمْ فَمَا آسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ"	196	البقرة	19
"فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَاذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ"	197	البقرة	401
"وَالْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ"	226	البقرة	19
"وَالذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُم وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرا"	232	البقرة	((34))
""وَالذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" "	232	البقرة	224-33
"وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ"	235	البقرة	294-291

"وَالذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُم وَيَذَرُونَ أَزْوَاجا وَصِيَّه لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعا إِلَى الْحَوْل غَيْر إِخْرَاجٍ"	238	البقرة	224-((33))
"حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَوٰه الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِله قَانِتِين"	238	البقرة	235-33
"إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَر فَمَن شَرِبَ مِنْه فَلَيْس مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْه فَإِنَّهُ مِنِّيَ إِلاَ مَن إِغْتَرَف غَرْفَةً بِيَدِهِ"	247	البقرة	56
"وَلَوْ شَآءَ اللَه مَا اقْتَتَلَ الذِين"	251	البقرة	((297))
"يُوتِي الْحِكْمَه مَن يَّشَآءُ وَمَن يُّوت الْحِكْمَةَ فَقَدْ اوتِى خَيْراً كَثِيراً"	268	البقرة	98
" يَمْحَقُ اللَه الرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي الصَّدَقَٰت وَاللَه لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّار آثِيمٍ"	275	البقرة	236
"وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم"	281	البقرة	127
"لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَت وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَآ أَو اخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِل عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَه عَلَى الذِين مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَه لَنَا بِهِ وَاعْف عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَينَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِين"	285	البقرة	106
"رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ"	8	آل عمران	280

"قُل لِّلذِين كَفَرُوا سَتُغْلَبُون وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِيسَ ٱلْمِهَادُ"	12	آل عمران	172
" إِنَّ ٱلذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلذِينَ يَامُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ "	21	آل عمران	356
"إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحاً وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ "	33	آل عمران	282
"فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَت رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَالله أَعْلَم بِمَا وَضَعَت "	36	آل عمران	163
"هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّآ رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَب لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ"	38	آل عمران	151
"يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱلله ٱصْطَفَيكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَيكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ"	42	آل عمران	403
" قَالَتْ رَب أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَد وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَر"	47	آل عمران	353
" قَالَ ٱلْحَوَارِيُّون نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِالله وَاشْهَد بِأَنَّا مُسْلِمُون ".	51	آل عمران	341
"إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِع لِلنَّاسِ لَلذِي بِبَكَّه مُبَارَكا وَهُدىً لِّلْعَـٰلَمِينَ"	96-97	آل عمران	369
"وَلِلهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حَجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ إِسْتَطَاعَ إِلَيْه	97	آل عمران	19

سَبِيلًا"			
"ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ"	102	آل عمران	64
"ذَٰلِكَ حَقِّ بِغَيْرِ ٱلْأَنۢبِيَآءَ وَيَقْتُلُونَ"	112	آل عمران	356
"رَبَّنَا وَٱبْعَث فِيهِم رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ"	124	آل عمران	377
"وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ"	143	آل عمران	294
"إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ"	187	آل عمران	207
"لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"	188	آل عمران	((400))/207
"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"	200	آل عمران	109
"وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ"	3	النساء	63
"وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ	5	النساء	107

فِيَماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُم قَوْلًا مَّعْرُوفاً"			
"وَابْتَلُواْ الْيَتَامى حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاح فَإِنَ انَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَاكُلُوهَآ إِسْرَافاً وَبِدَاراً آنْ يَّكْبَرُواْ وَمَن كَانْ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِف وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَاكُل بِالْمَعْرُوف فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفى بِاللَّهِ حَسِيباً"	6	النساء	107
"يَاأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَآءَ كَرْهاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَّاتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ"	19	النساء	265
"وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتيهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ"	37	النساء	417
"وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابا مُّهِيناً"	37	النساء	417
"يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ "	45	النساء	163
"إِنَّ الذِينَ كَفَرُواْ بِئَايَتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً"	55	النساء	257
"وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلّاً ظَلِيلًا"	56	النساء	292

"وَنُدْخِلُهُمْ ظِلّاً ظَلِيلًا"	57	النساء	293
"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً"	81	النساء	97-24
"إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا"	58	النساء	188
"وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا"	124	النساء	216
"لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ"	147	النساء	354
"إِن تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً"	148	النساء	354-278
"لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً"	156	النساء	280
"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ"	2-1	المائدة	19
"وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"	4	المائدة	382-375
"وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً	29	المائدة	152

﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾			
﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	36	المائدة	118
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾	38	المائدة	132
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾	39	المائدة	315-132
﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾	41	المائدة	278
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	42	المائدة	381
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾	46	المائدة	418
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾	47	المائدة	418

"وَمَن لَّم يَحْكُمَ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ"	48	المائدة	419
"أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ"	52	المائدة	284
"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ"	53	المائدة	267
"وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ"	63	المائدة	267
"وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا"	66	المائدة	268
"تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ"	82	المائدة	267
"لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ"	84	المائدة	266
"وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ	113	المائدة	341
"إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾"	120	المائدة	289
كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ"	7	الأنعام	343

"وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ"	11	الأنعام	281
"قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ"	12	الأنعام	343
"وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٤﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ"	14-15	الأنعام	137-136
"قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ"	57	الأنعام	296
"وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ"	85	الأنعام	376
"وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ"	98-99	الإنعام	278
وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ "	117	الأنعام	348
"إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"	118	الأنعام	348

"وَإِنَّ كَثِيراً لَّيَضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ"	120	الأنعام	348
"قَدْ خَسِرَ ٱلذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَارَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَد ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ"	141	الأنعام	292
"قُل لآ أَجِدُ فِي مَآ وحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَو حاًدَما مَّسْفُوحَاً أَو لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْس أَو فِسْقاً اهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنُ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِن رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"	146	الأنعام	386
"قُلْ تَعَالَوَاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْئاًۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَناًۖ وَلاَ تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنِ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّۚ ذَالِكُمْ وَصَّيٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلاَّ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِۖ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَالِكُمْ وَصَّيٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُۖ وَلاَ تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ	152 - 154	الأنعام	279-278

بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾"			
"قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّار وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِين"	11	الأعراف	351
"يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ"	25	الأعراف	259
"قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"	33	الأعراف	((53))
لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَاد"	40	الأعراف	172
"وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ"	41	الأعراف	421
"ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ"	45	الأعراف	363
"لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ"	58	الأعراف	345
" قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ	69-71	الأعراف	367

أَلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَالَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ			
"أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ"	70	الأعراف	363
"عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا"	88	الأعراف	375
"قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ"	122	الأعراف	365
"وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ"	136	الأعراف	421
"وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى"	من 143	الأعراف	55
سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ	145	الأعراف	420
"سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ"	146	الأعراف	98
"وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَادْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ"	161	الأعراف	367
"خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ"	199	الأعراف	20
"أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ	4	الأنفال	255

وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ "			
"كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ ٱلْمُومِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ "	5	الأنفال	255
"أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُومِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِند رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَ فَرِيقاً مِّنَ ٱلْمُومِنِين لَكَـٰرِهُون"	5-4	الأنفال	236
"وَلَوْ " عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوَ اَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ "	23	الأنفال	((293))
"فَاقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِين"	من 5	التوبة	64
"إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ"	11	التوبة	322
"هُوَ ٱلذِے أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدَى وَدِين ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّين كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ"	33	التوبة	23
"إِنَّمَا ٱلنَّسِى زِيَادَه فِے ٱلْكُفْرِ"	من 37	التوبة	64
"بِالْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ"	71	التوبة	285
"أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"	72	التوبة	289
"فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُون"	77	التوبة	((293))
"فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَّتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ "	109	التوبة	280

"وَمَا كَانَ ٱلْمُومِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِ فِرْقَه مِّنْهُمْ طَآيِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِم لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"	123	التوبة	96
"وَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَـٰنَ ٱلضُّر دَعَانَا لِجَنْبِهِۦٓ أَوْ قَاعِداً أَو قَآيِماً"	12	يونس	356
"ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰيِفَ فِي ٱلأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"	14	يونس	282
"وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ"	19	يونس	281
"قُلْ مَنْ يَّرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَالأَرْضِ"	31	يونس	360
"فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ"	108	يونس	384
"أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرِيهُ قُلْ فَاتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَادْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ"	13	هود	25-14
" أُوْلَـٰيِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلأَشْهَـٰدُ هَـٰؤُلاَءِ ٱلذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ	18	هود	363
"ٱلذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ"	19	هود	363

"وَلَقَدَ اَرْسَلْنَا نُوحاً اِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِير مُّبِين"	25	هود	345
"أَمْ يَقُولُونَ اِفْتَرِيٰهُ "	35	هود	346
"وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ اِبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيض َ اَلْمَآءُ وَقُضِى اَلاَمْر وَاسْتَوَتْ عَلَى اَلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدا ً لِّلْقَوْمِ اَلظَّـٰلِمِين"	44	هود	20
"وَامْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰق وَمِنْ وَّرَآءِ اِسْحَـٰق يَعْقُوب"	70	هود	209
"قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَالِد وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخا ً اِن هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيب"	71	هود	209
"قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِن اَمْر اَللَّهِ"	72	هود	209
"قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوَٰتُكَ تَامُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوَ اَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ اَلْحَلِيمُ اَلرَّشِيدُ "	87	هود	275
"عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ اُنِيبُ"	88	هود	375
"يَوْمَ يَاتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ اِلاَّ بِإِذْنِهِۦ"	105	هود	329
"وَلاَ تَرْكَنُوٓاْ إِلَى اَلذِين ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُم اَلنَّار وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اَللهِ مِن اَوْلِيَآءَ ثُمَّ لا تُنصَرُون"	113	هود	106
"وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ اَلنَّاسَ أُمَّة وَاحِدَه وَلا يَزَالُونَ	118	هود	((407))

"مُخۡتَلِفٌ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ"			
"إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ"	يوسف	4	((397))/326 498/
"فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ"	يوسف	28	118
"نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ"	يوسف	36	48
"مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ"	يوسف	40	366
: "وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ"	يوسف	53	217
: "وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ"	يوسف	50-53	218
"وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ"	يوسف	82	382

"وَمَا يُومِنُ أَكْثَرُهُم بِالله إِلا وَهُم مُّشْرِكُون"	106	يوسف	
"أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَاتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَاب اللهِ"	107	يوسف	422
"وَسُبْحَـٰنَ اللَّهِ وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِين"	108	يوسف	349
"وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِى إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى"	109	يوسف	349
"كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى"	2	الرعد	347
"الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ"	9	الرعد	328
"كَذَالِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَـٰطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ كَذَالِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ"	19	الرعد	398
"لِلذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ"	20	الرعد	399
"أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَـٰبِ"	21	الرعد	99
"قُلْ كَفَىٰ بِالله شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُم"	54	الرعد	378
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ ۝ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ اللَّهِ إِنَّ فِى ذَالِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ". [	7-6	إبراهيم	345
"وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ	8	إبراهيم	344

وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ"			
"وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ"	إبراهيم	17	375
"أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْراً"	إبراهيم	30	277
"وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ"	إبراهيم	36	277
"وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ"	إبراهيم	52	422
: "أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ"	النحل	1	226
"وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ"	النحل	18	276
"أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ"	النحل	21	296
"وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيْهِم"	النحل	43	349
"وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِّلشَّٰرِبِينَ"	النحل	66	359
"فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ"	النحل	82	417
"يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ"	النحل	83	416
"وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ"	النحل	84	417

"إِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَالِاحْسَنِ وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَى وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"	90	النحل	34
"ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ"	110	النحل	397
"إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"	115	النحل	386
"ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ"	119	النحل	397
"إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ"	124	النحل	152
"أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ".	125	النحل	348
وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا	12	الإسراء	268
"وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا"	13	الإسراء	321
"فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ"	15	الإسراء	384
"ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا"	21	الإسراء	281
"وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَالْبَصَرَ	36	الإسراء	((54-53))

وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا"			
"يُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً"	44	الإسراء	296
"حِجَاباً مَّسْتُوراً"	45	الإسراء	323
"وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقاً"	81	الإسراء	284
"قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا"382	88	الإسراء	15-13
"قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ"	96	الإسراء	379
"إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا"	107	الإسراء	324
"ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيۤ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ"	2-1	الكهف	64
"إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً"	5	الكهف	276
"وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ"	34	الكهف	124
"وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ"	48	الكهف	124
"لِأَهَبَ لَكِ زَكِيّاً غُلَٰماً"	18	مريم	353
"قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ"	19	مريم	353

"فَنَادِيهَا مِن تَحْتِهَآ أَلاَّ تَحْزَنِي قَدِ جَعَل رَبُّك تَحْتَكِ سَرِيّآ"	23	مريم	230
"فَكُلِي وَاشْرَبِي"	25	مريم	230
"وَمَا كَانَتْ امُّكِ بَغِيّآ"	27	مريم	329
"وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ"	61	مريم	327
"كَانَ وَعْدُهُ مَاتِيّآ"	61	مريم	323
"وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّآ"	64	مريم	314
"وَإِذَا تُتْلى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَتٍ قَال ٱلَّذِينَ كَفَرُو لِلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً وَأَحْسَن نَدِيّآ"	73	مريم	243
:"وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْداً "	87	مريم	197
"تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلاَرْضَ وَالسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى "	3	طه	265
"ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ إِسْتَوىٰ"	4	طه	265
"فَلَمَّآ أَتِيهَا نُودِى "	10	طه	353
"لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى"	51	طه	313
"قَالَ لَهُم مُّوسىٰ وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً فَيَسْحَتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ إِفْتَرىٰ"	60	طه	281
"فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسىٰ"	66	طه	321
"قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسىٰ "	70	طه	320
"قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنَ ءَاذَنَ لَكُمْ"	70	طه	365
"لاَّ تَخَفْ دَرَكاً وَلاَ تَخْشىٰ"	76	طه	331

"وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ"	77	طه	296
"وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِۖ"	108	طه	276
"وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا"	110	طه	395
"فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ"	114	طه	308
"إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَإِنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ"	115 - 116	طه	290-255
"ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ"	1	الأنبياء	110
"وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"	7	الأنبياء	349
"كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ"	33	الأنبياء	326
"خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ"	37	الأنبياء	279
"وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ"	41	الأنبياء	280
"وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ"	90	الأنبياء	357
"يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ"	1	الحج	110-107
"وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ"	2	الحج	110
""وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ"	10	الحج	((314))

"إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ "	50	الحج	350
"ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٦٠"	58	الحج	290
"لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ"	102	الحج	255
:"فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ"	5	المؤمنون	348
"وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ"	12-14	المؤمنون	274
"وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ"	17	المؤمنون	346
"وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ"	21	المؤمنون	359
"وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ"	22	المؤمنون	345

" وَلَقَدَ اَرْسَلْنَا نُوحاً اِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ اِعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنِ اِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلاَ تَتَّقُونَ "	23	المؤمنون	345
"وَالذِينَ يُوتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَه اَنَّهُمْ اِلَىٰ رَبِّهِم رَاجِعُون"	61	المؤمنون	206
"اُوْلَٰٓئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُون"	62	لمؤمنون	206
"۞ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ "	10	النور	290
"اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَاتِ وَالاَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰة فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَه الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ "	35	النور	399-263
"وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلآ إِنَّهُم لَيَاكُلُون الطَّعَامَ"	2	الفرقان	350
"وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلآ إِنَّهُم لَيَاكُلُون الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الاَسْوَاق"	20	الفرقان	349
"وَلاَ يَاتُونَكَ بِمَثَلٍ الا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَن تَفْسِيراً"	33	الفرقان	48
"وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً"	74	الفرقان	308
"قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً"	17	الشعراء	320

"فَالَ ءَاْمَنتُمَ لَهُۥ قَبْلَ أَنَ كُمُۡۖ-اذَن"	48	الشعراء	365
"وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ"	69-70	الشعراء	263
"وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُۡ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمُۡ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ"	69 وما بعدها	الشعراء	((263))
"فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُۥنَ"	94	الشعراء	106
"قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ"	168	الشعراء	280
"فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوْلَهَا ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ"	8	النمل	353-137
"قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَانظُرُواْ"	71	النمل	343
"إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ"	82	النمل	284
"فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ"	94	النمل	384

"وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلأَرْض وَنَجْعَلَهُمْ أَيِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِين"	6	القصص	421
"فَلَمَّآ أَتِيهَا نُودِى "	30	القصص	353
"مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّن إِلَٰهٍ غَيْرِى "	38	القصص	324
"قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَاتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ "	71	القصص	277
"فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ "	2	العنكبوت	315
"قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلأَرْض فَانظُرُواْ"	19	العنكبوت	343
"يَوْمَ يَغْشَيهُم ٱلْعَذَاب"	55	العنكبوت	422
"قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُم شَهِيداً"		العنكبوت	379
"قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلأَرْض فَانظُرُواْ"	8	الروم	346
"كُلٌّ يَجْرِى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى"	29	لقمان	347
"أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ أَفَلاَ يَسْمَعُونَ ۝٢٦ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعاً تَاكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ"	26-27	السجدة	275
"وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ"	4	الأحزاب	331
"وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ ٱلظُّنُونَا"	10	الأحزاب	334

"وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُومِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً"	25	الأحزاب	276
"وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشِيهُ"	37	الأحزاب	280
"وَاللَّهُ يَعْلَم مَا فِي قُلُوبِكُمْ"	51	الأحزاب	354
"إِن تُبْدُواْ شَيْئا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِن ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً"	54	الأحزاب	354
"وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولاَ"	66	الأحزاب	331
"فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلاَ"	67	الأحزاب	331
"يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلاَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ"	2	سبأ	297
"ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ يُجَازِيۤ إِلاَّ ٱلْكَفُورَ"	17	سبأ	284
"قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَاوَاتِ"	24	سبأ	360
"أَهَـٰؤُلاَءِ ايَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ"	40	سبأ	318
"كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى"	13	فاطر	347
"وَجَآءَ مِنَ اَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ إِتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ إِتَّبِعُواْ مَن لاَّ يَسْـَٔلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ"	19-20	يس	283
"وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم	36	يس	281

مُّظْلِمُونَ "			
"وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ"	ص	16	298
"ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ"	ص	42	61
"هَٰذَا ذِكْرٌ ۗ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ"	ص	48	260
"هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ"	ص	54	260
"قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ"	ص	74	351
"كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى"	الزمر	5	347
" وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ"	الزمر	6	356
"قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ"	الزمر	10	66
"لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ"	الزمر	15	172
"ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ"	الزمر	22	24
"وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۗ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مُضِلٍّ"	الزمر	35	384
"فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا"	الزمر	38	388
"بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ"	الزمر	63	375

"رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ "	7	غافر	290-289
"لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ"	14	غافر	329
"وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ"	38	فصلت	259-21
"وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ"	44	فصلت	385
"وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ"	45	فصلت	313
"وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ"	5	الشورى	385
لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ"	من 9	الشورى	64
"وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ"	12	الشورى	385
"فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ"	37	الشورى	291
"وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ "	40	الشورى	291
"وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ "	72	الزخرف	310
"ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ"	46	الدخان	211

"أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ"	25	محمد	247-96
"أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ"	27	محمد	156
"وَهُوَ ٱلذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّه"	24	الفتح	369
"فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ"	23	الذاريات	283
"أَم يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لاَّ يُومِنُونَ فَلْيَاتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَدِقِينَ"	33-34	الطور	25-14
"فَلِلَّهِ ٱلآخِرَةُ وَالأُولَىٰ"	25	النجم	320
"أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ".	29	النجم	348
"أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ"	20	القمر	310
"فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٣٩ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ"	39-40	القمر	403-399
"إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ"	54	القمر	308
"وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلاَّ تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ"	7-5	الرحمن	400
"وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ"	8	الرحمن	163
"رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ"	15	الرحمن	403
"فَبِأَىِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ"	16	الرحمن	404-399

		وغيرها	
"يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَمِيم ان-"	43	الرحمن	409
"وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ"	45	الرحمن	309
"وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ"	5	الممتحنة	289
"وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا"	12	التحريم	357
"وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ"	14-15	الملك	282
"أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ".	7	القلم	348
"أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ"	6	الحاقة	311
"فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ"	20	الحاقة	323
"يَالَيْتَنِي لَمْ اوتَ كِتَابِيَهْ"	25	الحاقة	333
"هَّلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ"	29	الحاقة	333
"فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠"	9-10	المدثر	296
"وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ .قَوَارِيرَاْ مِّن فِضَّةٍ"	15-16	الإنسان	312
"هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَالاَوَّلِينَ"	38	المرسلات	268
"فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلاَعْلَىٰ"	24	النازعات	323
"إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيد"	13	البروج	228
"خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ"	6	الطارق	325

"وَالذِےٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعىٰ . فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً اَحْوىٰ"	5-4	الأعلى	322
"سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسىٰٓ"	6	الأعلى	328
"هَلْ اَتىٰكَ حَدِيث ٱلْغَٰشِيَةِ"	1	الغاشية	423
"وَأَكْوَاب مَّوْضُوعَةٌ"	14	الغاشية	163
"وَالَيْلِ إِذَا يَسْرِ"	4	الفجر	329
"إِذِ إِنبَعَثَ أَشْقَيٰهَا"	12	الشمس	312
"مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلىٰ"	3	الضحى	330
"فَأَمَّا ٱلْيَتِيم فَلاَ تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا اَلسَّآئِلَ فَلا تَنْهَر"	9-10	الضحى	376
"وَطُورِ سِينِينَ"	2	التين	335
"وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلاَمِينِ"	3	التين	335
"لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلِانسَٰنَ فِےٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ"	4	التين	335
"بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحىٰ لَهَا"	5	الزلزلة	329
"يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتاً ۝٦ لِّيُرَوْاْ اَعْمَٰلَهُمْ ۝٧ فَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُۥ ۝٨ وَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُۥ"	9-6	الزلزلة	282
"فَمَنَ يَّعْمَلْ مِثْقَال ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُۥوَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَال ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ"	9-8	الزلزلة	109
"وَمَآ أَدْرِيكَ مَاهِيَهْ"	6	القارعة	337

"إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ"	1	الكوثر	117
"وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ"	4	الصمد	319



الحديث أو الأثر	الراوي	صفحة وجوده
أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَمَرَنِي أَنْ أَضَعَ هَذِهِ الْآيَةَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ:	عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ﷺ	33
إِذَا حَدَّثْتَ عَنِ اللَّهِ حَدِيثًا فَقِفْ حَتَّى تَنْظُرَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ'	مسلم بن يسار	211-133
''اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا عَنْهُ''	جندب بن عبد الله ﷺ	408
''إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي''	أبو هريرة ﷺ	382
إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَضَعُوهُ عَلَى مَوَاضِعِهِ...	عمر بن الخطاب ﷺ	210-206
''...بها ختمت"	معاذ بن جبل ﷺ	275
'...تَدَعُهَا يَا ابْنَ أَخِي، لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ''.	عُثْمَانَ بن عفان ﷺ	33
''ضَعُوا هَذِهِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا''	ابن عَبَّاسٍ ﷺ	37
''ضَعُوا هَؤُلَاءِ الآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا....''	عثمان بن عفان ﷺ	37-30
''لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ''	عائشة رضي الله عنها	206
''اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ''.	ابن عباس ﷺ	410-63

''لولا بهائم رتع وشيوخ ركع وأطفال رضع لصب عليكم العذاب صباً''	أبو هريرة ﷺبلفظ آخر	296
''ليس الكفر الذي تذهبون إليه''	ابن عباسﷺ	418
''ما الأبُّ؟ ثم قال: إنَّ هذا لهو التَّكلُّف، فما عليك ألا تَدريه''	عن أنسﷺ	53
''...ما زالت أكلة خيبر تعاودني في كل عام حتى كان هذا أوان قطع أبهري''	أبو هريرةﷺ	((318))
''مَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي''	أبو هريرة ﷺ	382
''مَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ الْآيَةِ؟ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ''	ابن عباس ﷺ	206
''ما منكم من أحد إلا وله منزلان....''	أبو هريرة ﷺ	310
''مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ ''	أَبو الدَّرْدَاءِ ﷺ	35
''مَهْلًا عَنِ اللَّهِ مَهْلًا، لَوْلَا شَبَابٌ خُشَّعٌ، وَشُيُوخٌ رُكَّعٌ، وَأَطْفَالٌ ....''	أبو هريرة ﷺ	((301))
''يَا عُمَرُ، أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ...''	عمر بن الخطاب ﷺ	34

	البيت الشعري	صفحة وجوده
1	إذ جاء فيه مجليـــا *** يتلوه بحر قد زخـــــر	144
2	أضحى كنص قاطع لا يقبل *** التأويل يعرف ذا أولو الأذهان	211
3	أعف السيوطي الذي *** كتب التناسق للدرر	144
4	أعملت فيه قريحـــــتي *** واخترت أنسب الفكر	144
5	أَلاَ لا تَلومَاني كَفي القوَم ما يَبا *** مما لَكما في اللَّوم خير وما ليا	((332))
6	ألهمت من فيض الإله *** بفيض فضل مدخر	144
7	إلَى مَلِكٍ مَا أُمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ *** أَبُوهُ وَلاَ كَانَتْ كُلَيْبٌ تُصَاهِرُهُ	374
8	إن الكلام إذا أتى بسياقـــه *** يبدي المراد لمن له أذنـــــــان	211
9	إِنَّ مَبادِئ كُلِّ فَنٍّ *** عَشَرَه الحَدُّ وَالموضُــوعُ ثُمَّ الثَّمَـرَه	82
10	أَوْحَي لها القرارَ فاستَقَرَّتِ *** وشَدَّها بالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ	326
11	بكيت ليلاً بوجدي وهي تبتسم *** حتَّى تقايس منثـور ومنتظم	72
12	حمدا لواهب فضله *** وله التطول إذ ستر	144
13	خَاطَ لي عَمْرو قِباء ْ *** لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَواء	75
14	دمع يجاوب مسراه تبسمـها *** كالروض يضحك حيث الغيث	((74))
15	ذُلُقٌ في غارَةٍ مَسْفُوحَةٍ *** ولدى البأسِ حُماةٌ ما نَفِرّ	75
16	علم التناسب للسور *** علم جليل ذو خطر	144
17	فإذا أتى التأويل بعد سياقـــة *** تبدي المراد أتى على استهجان	213
18	فتأمل الألفاظ وانظر ما الـــذي *** سيقت له إن كنت ذا عرفـــان	213
19	فدَعْ عَنكَ نَهباً صِيحَ في حَجَرَاتِهِ *** وَلَكِنْ حديثاً ما حديثُ الرواحل	150
20	قالوا وإيراد السياق يبين المض *** ـمون منه بأوضح التبيان	214
21	قد قل فيه الكاتبون *** كما قد عز المستطـر	144
22	كالْقِسِيّ الْمُعَطَّفَاتِ بَلِ الأَسْـ *** ـهُمِ مَبْرِيَّةً بَلِ الأَوْتَارِ	259

23	مَسَائِلٌ والبَعْـضُ بِالبَعْــضِ *** اكْتَفَى وَمَنْ دَرَى الجَمِيعَ حَـازَ الشَّرَفَـا	83
24	النَّاسُ للمَوْتِ كَخَيْلِ الطِّرَادْ *** فالسّابقُ السّابِقُ مِنْها الجَوادْ.	74
25	وأتيت من عين المسا *** ئل بالبدائع والغــرر	144
26	وإذا أتى الكتمان بعد شواهد ال *** أحوال كان كأقبح الكتمـــان	213
27	وأصخ لفائدة جليل قدرها *** تهديك للتحقيق والعرفـــــتان	213
28	وإن أتاه خليل يوم مسألة *** يقول لا غائبٌ مَالي ولا حَرَمُ	216
29	والنجمُ تستصغرُ الأبصارُ رؤيتَه *** والذنبُ للطرْفَ لا للنجمِ في الصغَرِ	138-103
30	وَتَضحَكُ مِنّي شَيخَةٌ عَبشَمِيَّةٌ *** أَن لَم تَرا قَبلي أَسيراً يَمانِيا	332
31	وصلاته دوما على *** خير البرية من مضر	145
32	وفتحت بعض المغلقات *** من آي الكتاب و السور	144
33	وَكَانَتْ يَدي مَلْأى بِهِ ثُمَّ أَصْبَحَتْ *** "بِحَمْدِ إِلهَي" وَهِيَ مِنْهُ سَليبُ	374
34	وكتبت مثل كتابهم *** بحثا يؤيده النظـر	144
35	ولَقَدْ تَعْلَمُ بَكْرٌ أنّنا *** فاضِلُوا الرّأي وفي الرّوعِ وُقُرْ	77
36	وَنِسْبَةٌ وَفَضْــلُهُ وَالوَاضِـــعْ *** وَالاِسْمُ الاِسْتِمْدَادُ حُكْمُ الشَّارِعْ	83
37	يُوحُونَ بالخُطَبِ الطِّوَالِ وتَارَةً *** وَحْيَ المُلَاحِظِ خِيفةَ الرُّقَباءِ	354

مسرد المحتويات

المحتوى	الصفحة
البسملة	**–**
قبس	**–**
الإهداء	**–**
الشكر	**–**
المقدمة	**أ–ز**
جدول رموز البحث	**ح**
التمهيد: مباحث لازمة:	**10**
المبحث الأول: الخصائص الإعجازية للقرآن الكريم:	**12**
المطلب الأول: مفهوم الإعجاز.	**12**
المطلب الثاني: وجوه الإعجاز القرآني.	**17**
المطلب الثالث: القدر المعجز من القرآن.	**25**
المبحث الثاني: ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره.	**29**
المطلب الأول: آراء العلماء في ترتيب الآيات.	**30**

المطلب الثاني: آراء العلماء في ترتيب السور.	**34**
المبحث الثالث: نبذة عن التفسير بالرأي.	**47**
المطلب الأول: مفهوم التفسير بالرأي.	**48**
المطلب الثاني: أنواع الرّأي في التفسير.	**53**
المبحث الرابع: نظرة مجملة حول المتشابه القرآني:	**59**
المطلب الأول: مفهوم المتشابه.	**60**
المطلب الثاني: تقسيمات المتشابه في القرآن.	**64**
المطلب الثالث: أهمية علم المتشابه.	**66**
المبحث الخامس: المقصود بمصطلح توجيه المعنى:	**68**
المطلب الأول: مفهوم المعنى.	**69**
المطلب الثاني: أنواع المعنى وطرق أخذه.	**73**
المطلب الثالث: المقصود بالتوجيه.	**76**
الفصل الأول:التعريف بعلم المناسبة:	**84**

المبحث الأول: حد علم المناسبة:	**85**
المطلب الأول: التعريف والتوصيف.	**86**
المطلب الثاني: موضوع علم المناسبة وحكم دراسته.	**96**
المطلب الثالث: أقوال العلماء فيها.	**97**
المطلب الرابع: أبرز من اعتنى بعلم المناسبة من العلماء.	**101**
المطلب الخامس: تقسيماتها.	**105**
المبحث الثاني: فوائد علم المناسبات، أهميتها وقواعد معرفتها:	**114**
المطلب الأول: فوائد المناسبة.	**115**
المطلب الثاني: أهمية علم المناسبة في القرآن الكريم.	**117**
المطلب الثالث: طرق معرفة علم المناسبة وقواعدها.	**122**
المبحث الثالث: تاريخ علم المناسبة:	**132**

المطلب الأول: المراحل التي مر بها هذا المصطلح (المناسبات).	**133**
المطلب الثاني: أبرز المؤلفين في علم المناسبات قديماً وحديثاً.	**137**
المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبة.	**146**
الفصل الثاني: **ارتباط علم المناسبات ببعض فنون علوم القرآن:**	**160**
المبحث الأول: علم التناسب والتفسير الموضوعي:	**162**
المطلب الأول: مفهوم التفسير الموضوعي.	**163**
المطلب الثاني: نشأة التفسير الموضوعي.	**169**
المطلب الثالث: دواعي ظهور مصطبح التفسير الموضوعي المعاصر وفوائده.	**181**
المطلب الرابع: ألوان التفسير الموضوعي.	**184**
المطلب الخامس: مدى ارتباط علم المناسبات بالتفسير الموضوعي.	**190**
المبحث الثاني: بين علم المناسبة وعلم السياق:	**195**

المطلب الأول: مفهوم السياق.	**197**
المطلب الثاني: موقف علماء التفسير من دلالة السياق وأولية الاهتمام به.	**206**
المطلب الثالث: أهمية السياق القرآني.	**212**
المطلب الرابع: أنماط السياق.	**220**
المطلب الخامس: نتائج تحليلية في الصلة بين علم السياق والمناسبات	**231**
المبحث الثالث: علم المناسبة والمقاصد القرآنية:	**239**
المطلب الأول: مفهوم المقاصد.	**240**
المطلب الثاني: العلاقة بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة.	**246**
المطلب الثالث: نتائج تحليلية في الصلة بين علم المناسبة وعلم المقاصد.	**247**
الفصل الثالث:ضروب توجيه المعنى بالمناسبة في الآيات القرآنية:	**252**
المبحث الأول: أحوال ارتباط الآيات ببعضها:	**256**
المطلب الأول: التنظير والتضاد.	**258**
المطلب الثاني: الاستطراد وحسن التخلص.	**266**

المطلب الثالث: حسن المطلب والاستئناف.	**275**
المطلب الرابع: الفذلكة.	**267**
المبحث الثاني: المناسبة في خواتم الآيات:	**269**
المطلب الأول: التعريف بالفواصل القرآنية.	**270**
المطلب الثاني: طرق الاستدلال على الفواصل وخصائصها.	**272**
المطلب الثالث: المناسبات المعنوية في مقتطع الفواصل.	**275**
المبحث الثالث: التناسب في مشكلات الفواصل القرآنية:	**287**
المطلب الأول:المراد بمشكلات الفواصل:	**288**
المطلب الثاني: الفاصلة غير متلائمة مع الظاهر:	**289**
المطلب الثالث: إثارة الفاصلة تساؤلاً حول وجودها في مكانها:	**291**
المطلب الرابع: الفاصلة متضمنة فيما قبلها:	**294**
المطلب الخامس: التباس العلاقة بين الفاصلة وصدر الآية:	**297**
المبحث الرابع: المناسبة عند مخالفة الفواصل للأصول:	**302**
المطلب الأول: من أسرار العدول الصرفي في فواصل القرآن.	**306**
المطلب الثاني: من لمع العدول النحوي في فواصل القرآن.	**317**

المطلب الثالث: من تجليات العدول الصوتي في فواصل القرآن.	**327**
الفصل الرابع:أثر المناسبة بين الآيات:	**337**
المبحث الأول: المناسبة في الآيات المتحدة في السياق المختلفة في بعض الألفاظ:	**340**
المطلب الأول: أحوال الاختلاف في استعمال الحروف وتوجيهه.	**341**
المطلب الثاني: التوجيه بالتناسب عند الاختلاف في كلمة.	**353**
المبحث الثاني: المناسبة في الآيات المتحدة في السياق المختلفة في التركيب:	**373**
المطلب الأول: توجيه المعنى عند التشابه والاختلاف في التقديم والتأخير.	**374**
المطلب الثاني: توجيه المعنى عند التشابه والاختلاف في الإيجاز والإطناب.	**382**
المبحث الثالث: المناسبة عند التكرار:	**391**
المطلب الأول: التعريف بأسلوب التكرير.	**392**
المطلب الثاني: أقسام التكرار وفِرق العلماء فيه.	**394**
المطلب الثالث: خصائص التكرار في القرآن الكريم ووظائفه.	**396**

المطلب الرابع: اعتلاق التكرير في القرآن بالمناسبة.	**398**
المبحث الرابع: أثر المناسبة في الترجيح عند اختلاف التفسير:	**408**
المطلب الأول: حقيقة الاختلاف في التفسير وأحوال وأسبابه.	**409**
المطلب الثاني: الترجيح عند الاختلاف في التفسير.	**413**
المطلب الثالث: ارتباط علم المناسبة بترجيح التفسير.	**417**
الخاتمة	**428**
ملخص البحث	**432**
مسارد عامة	
مسرد الآيات	**437**
مسرد الأحاديث والأثار	**474**
مسرد الأبيات الشعرية	**477**
مسرد الأعلام المترجم لهم	**479**

ثبت المصادر والمراجع	486
مسرد المحتويات	531

تمت